السريان

الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والكلدان

ܣܘܪܝܝܐ

ܫܡܐ ܫܪܝܪܐ ܠܐܪܡܝܐ ܘ ܐܬܘܪܝܐ ܘ ܟܠܕܝܐ



السريان

الاسم الحقيقي

للآراميين والآشوريين والكلدان

ܣܘܪ̈ܝܝܐ

ܫܡܐ ܫܪܝܪܐ

ܠܐܪ̈ܡܝܐ ܘ ܐܬܘܪ̈ܝܐ ܘܟܠܕ̈ܝܐ

موفق نيسكو

ܡܘܦܩ ܢܝܣܟܘ



* اسم الكتاب: السريان، الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والكلدان

* المؤلف: موفق نيسكو E-nisko3n @ yahoo.com

* نسخة ثانية جديدة ومُنقَّحَة ٢٠٢٣م

الطبعة الأولى: ١٠٠٠ نسخة / ٢٠١٢م

* الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

ص. ب: ٥٢٦١-١٣ بيروت – لبنان

هاتف وفاكس: ١٣٥١٢٩ ١ ٠٠٩٦١

E-mail: info @ bissan-bookshop.com

website: www.bissan-bookshop.com

تدقيق ومراجعة اللغة العربية

أستاذ اللغة العربية جوزيف حنا يشوع

تصميم الغلاف

الأستاذ منهل كوركيس

الإهداء

إلى كل آرامي كلدانياً كان أم آشورياً
غَطسَ في جرن المعمودية وخَرجَ سريانياً

أهدي هذا الكتاب



٢٠١٢م

نسخة ثانية جديدة ومُنقّحَة

٢٠٢٣م

الفهرست

تقديم الكتاب

د. بهنام عطاالله

كتب العديد من المؤلفين والباحثين حول أية تسمية هي الأصح لشعبنا، وكلٌ يبرر أهمية تسميته، فبرزت تسميات عديدة أُطلقت من هنا وهناك على الطوائف المسيحية السريانية قاطبة من كلدان أو آشوريين أو آراميين أو كلدو آشوريين السريان إلى آخره من هذه التسميات، حيث حصل حولها لغط كبير.

إلاَّ أنَّ الكتاب الذي بين أيدينا هذا، ينحو منحىً آخر، حيث عمل الباحث موفق نيسكو في مؤلفه الموسوم (السريان، الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والكلدان) بشمولية وجرأة في هذا الموضوع وأحاط به من خلال العشرات من المصادر والشواهد، من بطون الكتب والبحوث والدراسات المبثوثة في الدوريات المحكمة.

إنَّ إقدام وتجرؤ الكاتب على خوض غمار هذا الموضوع الشائك والصعب، والذي كان مثار جدال وتعليقات على مدى سنوات عديدة وما زال، لهو من الأمور المهمة، كونه استطاع أن يميط اللثام عن العديد من المسائل التي كانت إلى وقت قريب توضع أمامها سدود وجدران عالية لا يستطيع أحد تجاوزها، واستطاع التوغل بعيداً من خلال الحقائق الدامغة وتبيان وجهة نظره في هذه المسألة بكل صراحة وشفافية ووضوح، مستعيناً بالمصادر والمراجع، فاستطاع التوصل إلى العديد من الحقائق التي لا تقبل الشك حول التسمية المطروحة.

لقد استطاع الكاتب وبجدارة أن يلم بكل حيثيات الموضوع والولوج في أساسياته وطرح مبررات دفاعه عن مسألة شائكة كهذه، فالآراميون

كما يكتب التاريخ عنهم في بطون الكتب والمصادر كانوا أصحاب شأن وثقافة وعلم ومعرفة، وسادوا مناطق شاسعة لقرون عديدة، ومما زاد من كل ذلك إطلاق التسمية السريانية عليهم فيما بعد، عندما أصبحت لغتهم هي لغة شعوب كثيرة وامتدت ثقافاتها إلى أقاصي الحدود، وهذا أدى إلى انتعاش الكنيسة عموماً وولادة تراث سرياني زاخر بالعلم والمعرفة والطقوس والترجمة من اللغات الأخرى إلى السريانية، حتى أضحت لغة العلم والثقافة والتجارة والجامعات آنذاك.

لقد قَسَّمَ الباحث كتابه إلى أقسام عدة بحث فيها عن تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية ثم عرج على اسم أبناء الكنيسة السريانية الشرقية من النساطرة الآشوريين والكلدان، ثم تَطرَّق إلى اسم الآشوريين والكلدان، واستطاع الباحث التوغل في أصل هؤلاء ومكانتهم في الكتاب المقدس، وكانت الإشارة الأخيرة إلى أنَّ اسم السريان هو الاسم الحقيقي والتاريخي للآراميين والآشوريين والكلدان الذين يتكلمون اللغة السريانية، معززاً كتابه بالملاحق المهمة والصور.

أخيراً نأمل أن يكون هذا الكتاب قد وضع النقاط على الحروف، طريقاً للوصول إلى الحقيقة التي ضاعت ردحاً من الزمن، وأن يكون سبيلاً لبحوث ودراسات ومؤلفات مستقبلية جديدة بغية الإلمام الكامل والشامل بالموضوع من الجوانب كافة.

بخديدا / قره قوش/ العراق / ١ تموز ٢٠١١

المقدمة

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر برزت تسميات كثيرة للطوائف المسيحية السريانية الأصل مثل الكلدان والآشوريين والآراميين وغيرهم.

إنني أؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ من حق أية طائفة أو فرد أن يتخذ الاسم أو اللقب القومي أو الديني أو الشخصي الذي يرغبه ويرتئيهِ، وهذا حق طبيعي، وليس من حق أحد أن يسلب أحداً آخر هذا الحق أو يعترض عليه، هذا إذا كانت الطائفة قد أُعجبت بالاسم فقط، أو إنها اتخذت أحد الأسماء التاريخية أو الحضارية رمزاً لها، أو إنها اتخذت الاسم نتيجة حدث معين، أو غير ذلك.

أمَّا إذا كانت الطائفة أو الكنيسة قد اتخذت اسماً معيناً ثم حاولت بشكل غير صحيح ربط هذا الاسم عرقياً وتاريخياً مع اسم حضارة قديمة، ففي هذه الحالة من حق الآخرين أن يقولوا قولهم ويُبدوا رأيهم، ومن حق الباحث ورجل التاريخ أن يوضح ويعترض ويُفنِّد، خاصةً إذا كانت تلك الطائفة أو الجماعة قد انشقت عن الأصل وأخذت اسماً معيناً من التراث والتاريخ وتَسَمَّت به، ثم حاولت بعد ذلك فرض هذا الاسم على الأصل، نعم من حق الآخر في هذه الحالة أن يُقلِّب صفحات التاريخ ليبرز الحقيقة لأنَّ التاريخ والحضارة ملك البشرية جمعاء.

إنَّ هذا الكتاب هو بحث تاريخي محض للسريان بطوائفهم التي تعددت أسماؤها (الكلدان، الآشوريون، الآراميون) خاصةً في العصر الحديث، وليس هدف الكتاب الانتقاد أو التقليل من شأن اسم أية طائفة أو قومية، لذلك أتمنى أن تكون مادة هذا الكتاب مُحفِّزاً للرجوع

والالتفاف حول الاسم السرياني الحقيقي والتاريخي الأصيل، خدمة لهذا الشعب السرياني الطيب والبسيط بكل مكوناته التي عانت وتعاني التقسيم الديني والمذهبي والقومي منذ ألفي سنة.

وأودُّ أن أبين للقارئ الكريم أنَّ هدف الكتاب هو تاريخي ديني بحت لا سياسي، ولذلك ابتعدت تماماً عن ذكر القضايا والأحداث السياسية واعتمدت على القضايا التاريخية والدينية التي تخص التسميات فقط، ولم أتطرَّق إلى المواضيع السياسية التي لها علاقة بالموضوع إلاَّ نادراً وبقدر ما يرتبط سياق الموضوع التاريخي والديني بالسياسي أحياناً.

لقد بذلت جهداً كبيراً في بحثي هذا بالاعتماد على عشرات المراجع والمصادر التاريخية وأغلبها باللغة العربية، واضطررت أحياناً لترجمة بعض النصوص من الإنكليزية وقسم أقل من الفرنسية لسببين، الأول لأهمية المادة في تلك الكتب غير المترجمة، وثانياً للتأكد من الأسماء الكنسية والقومية المترجمة إلى اللغة العربية التي قام بترجمتها قسم من المترجمين والمثقفين وخاصةً المترجمين السريان بطوائفهم المتعددة.

كما أودُّ أن أشير إلى أنه نتيجةً لتعدد صيغ الأسماء للملوك والأباطرة وخاصةً في الدولة البابلية والآشورية والكلدانية الآرامية قبل الميلاد، وكذلك أسماء البطاركة والجثالقة وتواريخ ولادتهم أو جلوسهم أو وفاتهم، فإنني اعتمدت ما جاء في كتاب كنيستي السريانية لنيافة المطران اسحق ساكا، وتاريخ الكنيسة السريانية الشرقية للأب ألبير أبونا، وقائمة بطاركة النساطرة والكلدان للكاردينال أوجين تيسران، ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة للأستاذ طه باقر، ج١، وحاولت قدر الإمكان تجنب تكرار ذكر مدة حياة أو ميلاد أو وفاة الشخص كبطريرك أو ملك أو رحالة أو مبشر...إلخ.

بالنسبة لسلسلة جثالقة الكنيسة السريانية الشرقية بشقيها (النسطوري والكلداني)، فقد حاولت جاهداً ترتيبها بالشكل الذي أراه صحيحاً خاصةً بعد سنة ١٥٥٣م، إذ أنَّ هذه السلسلة أتت متشابكة ومتداخلة وغير مُفصَّلة وواضحة في كل المصادر التاريخية في هذه الحقبة.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور بهنام عطا الله لتقديم الكتاب، ولأستاذ اللغة العربية جوزيف حنا يشوع والأستاذ الأديب السرياني جوزيف أسمر ملكي لمراجعة الكتاب وتنقيحه لغوياً، والأخ منهل كوركيس مصمم الغلاف، الذين يساهمون دائماً بجهود كبيرة في خدمة الثقافة السريانية والشعب السرياني العريق.

موفق نيسكو

تموز ٢٠١١

كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية
عروس المسيح وأُم الكنائس الرسولية

تأسست كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية الرسولية في فجر المسيحية يوم كانت أنطاكية عاصمة سورية وإحدى العواصم الثلاث في الدولة الرومانية.

دخلت المسيحية مدينة أنطاكية على يد تلاميذ السيد المسيح الذين تشتتوا هاربين من أورشليم بسبب الاضطهاد الذي أثاره اليهود ضدهم بعد استشهاد اسطيفانوس رئيس الشمامسة حوالي سنة ٣٤م، ونشر الرسول بطرس فيها تعاليم الإنجيل واتخذها مقراً لكرسيه الرسولي سنة ٣٧م، وأصبح أول بطاركتها، كما زارها الرسول بولس وغيره، ولأن مؤسسها هو الرسول بطرس، فإنها تُسَمَّى، كنيسة رسولية.

لكنيسة أنطاكية أهمية كبيرة لدى المسيحيين في العالم وخاصةً في الشرق حيث تُعَدُّ (تعتبر) أول الكراسي الرسولية الأممية الأربعة (أنطاكية، روما، القسطنطينية، والإسكندرية)، لذلك تُسَمَّى، أُم الكنائس الرسولية، ففي أنطاكية دعي المؤمنون ببشارة السيد المسيح لأول مرة مسيحيين كما جاء في سفر (أع ١١: ٢٦)، وفيها بدأ أول تبشير رسولي أُممي للوثنيين لأنَّ المسيحية في أورشليم كانت مقتصرة على اليهود، ومنها انطلق الرسل مثل بطرس وبولس وغيرهما لينشروا المسيحية في آسيا وأوربا، وفيها تَشكَّلَ أول تنظيم إداري للكنيسة (الأسقفية، القسوسية، الشماسية) بهمَّة ثالث بطاركتها مار إغناطيوس النوراني[1].

كان مقر الكرسي الأنطاكي السرياني في مدينة أنطاكية إلى سنة ٥١٨م، وبسبب المتاعب الكثيرة التي عانتها الكنيسة، تم نقله إلى ضواحي أنطاكية وبعض أديرة ما بين النهرين حتى سنة ١١٦٦م، حيث

[1]: تاريخ الكنيسة المُفصَّل، ترجمة أنطوان غزال وصبحي اليسوعي مج١ ص٤٥.

اتخـذ البطريـرك مـار ميخائيـل الـسرياني ديـر الزعفـران قـرب مـاردين في تركيـا مقـراً مؤقتـاً للكرسـي، وافتتحـه باحتفـال مهيـب ألقـى فيـه العلاّمـة الـسرياني يعقـوب ابـن الـصليبي خطبـة رائعـة بالـسريانية، وفي سـنة ١٤٤٥م أصـبح مقـراً دائمـاً حتـى سـنة ١٩٣٣م، ثـم انتقـل إلى حمـص في سـوريا ثـم إلى دمشق سنة ١٩٥٩م[1].

إلى اليـوم يحمـل سـتة مـن بطاركـة الكنـائس الـتي تَفرَّعـت عـن الكرسـي الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي لقب (بطريرك أنطاكية).

قـال عنهـا القـديس باسـيليوس الكـبير: "كنيـسة أنطاكيـة أجـدى نفعـاً مـن كـل كنـائس المـسكونة"، أمَّـا القـديس يوحنـا الـذهبي الفـم فيقـول: "لأنَّ امتيـاز مـدينتنا قـائم علـى كـل المـدن لاتخاذهـا أول الرعـاة في الرسـل راعيـاً للمدينـة الـتي دُعـي فيهـا المـسيحيون أولاً بهـذا الاسـم الـشريف، ولكننـا إذا اتخـذناه معلمـاً لم نحـتفظ بـه حتـى النهايـة، بـل تَخلَّينـا عنـه لأجـل مملكـة رومـا، لكـن إذا شـئت قُـلْ، إننـا احتفظنـا بـه دائمـاً، أجـل إننـا لم نمتلـك جـسد بطـرس وإنمـا امتلكنـا إيمـان بطـرس، فامتلكنـاه نفـسه"، ويقـول في مكـان آخر: "إنَّ اللّه جعل مدينتنا في كفة ميزان، والعالم كله في كفة أخرى".

---

[1]: إنَّ مـصطلح مـا بـين النهـرين هـو ترجمـة لمـصطلح (ميزوبوتاميـا) اليونـاني: (ميـزو) معناهـا بـين أو وسـط، و (بوتاميـا) معناهـا نهـر، وأطلـق علـى مدينـة حـاران أو آرام نهـرين التوراتيـة (تكـوين ٢٤: ١- ١٠)، وانتـشر منـذ الترجمـة اليونانيـة الـسبعينية للكتـاب المقـدس (٢٨٠ ق.م)، والمقـصود بـه منطقـة آرام نهـرين المحـصورة بـين نهـري الفـرات والخـابور، ولـيس دجلـة والفـرات، وأُطلـق ويُطلـق المـصطلح إلى اليـوم خطـأً علـى العـراق، والـصحيح اسـم العـراق هـو "بـلاد الرافـدين أو النهـرين"، ولـيس "مـا بـين النهـرين" (انظـر: طـه بـاقر، مقدمـة في تـاريخ الحـضارات القديمـة ج١ ص٧- ١٢، ج٢ وادي النيـل ص٣٠٣- ٣٠٤. د. فيليـب حـتي، تـاريخ سـورية ولبنـان وفلـسطين ج١ ص١٧٦. أحمـد سوسـة، تـاريخ حـضارة وادي الرافـدين ج٢ ص٣٤٦. مجلـة سـومر، كـانون٢، ١٩٤٧م. د. فـرج البـصمجي، أقـوام الـشرق الأدنـى القـديم وهجـراتهم ص٨٩، لـذلك بَـدَّلنا واسـتعملنا في طبعتنـا هـذه "بـلاد الرافدين على العراق"، إلاَّ عندما نقلنا عن الآخرين مصطلح ما بين النهرين، فأبقيناه).

أنطاكية [1]

مدينة تاريخية تبعد ٤٨٣ كم عن مدينة القدس وتقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٢٥ كم تقريباً من شاطئ البحر المتوسط، ومن أهم نواحي أنطاكية هي ضاحيتها الشهيرة دفنة وهي كلمة سريانية تعني ثمار الشجر، وكان أنتيغون خليفة الإسكندر المقدوني قد أنشأ مدينة الإسكندرونة عند مصب نهر العاصي سنة ٣١٧ ق.م.، بعد ذلك استولى سلوقوس الأول نيكاتور (٣١٢–٢٨٠ ق.م.) على هذه المدينة وأقام مكانها مدينة سَمَّاها أنطاكية على اسم أبيه أنطيوخوس، وأحبها سلوقوس كثيراً، وعاشت المدينة سنين ازدهار طويلة حتى صارت دُرَّة الممالك السلوقية وعاصمتها من البحر المتوسط إلى حدود الهند لاحقاً.

احتلها الرومان سنة ٦٤ ق.م. بقيادة بومباي الذي جعلها عاصمة ولاية سوريا ومركز الحاكم الروماني العام، وأصبحت تأتي بعد روما في الشهرة والعيش الرفيع، ووصل سكانها إلى حوالي نصف مليون نسمة [2]، ولأهميتها احتلها الفرس سنة ٥٤٠م، ثم دخلها المسلمون سنة ٦٣٧م، لكن الإمبراطور الروماني نيكفورس الثاني عاد فسيطر عليها سنة ١٠٨٥م، ودخلها الفرنجة سنة ١٠٩٦م، بعدها قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بتحريرها منهم سنة ١٢٦٨م.

تضررت المدينة وفقدت دورها الريادي عقب هجمات المغول على الشام سنة ١٤٠١م، ثم استولى عليها الأتراك العثمانيون سنة ١٥١٦م، وتمكن محمد علي والي مصر من السيطرة عليها بين سنة (١٨٣٠–١٨٤٠م)، وبعد

---

[1]: ترد كلمة أنطاكية في بعض المصادر بصيغة أنطاكيا.

[2]: فيليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى مج١ ص١٧٣.

الحرب العالمية الأولى وزوال الاحتلال العثماني عادت أنطاكية إلى سوريا ليحكمها السوريون، لكن الحكومة الفرنسية التي كانت منتدبة على سوريا تَخلَّت عن لواء الإسكندرونة (هاتاي) لتركيا سنة ١٩٣٩م ومن ضمنها مدينة أنطاكية بعد أن كانت جزءاً من سوريا.

أحَبَّ السريان مدينة أنطاكية كثيراً واتخذوا من تاريخ تأسيسها في الأول من شهر تشرين الأول تاريخاً عاماً لهم في سجلاتهم الدينية والمدنية، وسُمِّيت أنطاكية سنة ٥٢٨م ثاوبوليس أي مدينة الله على إثر الزلزال المُدَمِّر الذي أصابها تيمناً بالله ليحفظها من الكوارث، ونظراً لاعتزاز السريان بكنيستهم الأنطاكية فقد شَيَّد كسرى الأول للسريان الذين سباهم في حروبه مع الروم بين سنة (٥٤٠-٥٧٣م) مدينة بالقرب من المدائن سَمَّاها أنطيا كسرو أو خسرو، وتصف المصادر التاريخية ذلك بأنَّ السريان عَمَّروا أنطاكية أخرى في بلاد فارس[1]، وفي القرن الرابع كان العالم يخلع على أنطاكية ألقاب عدة منها (مدينة الذهب، جوهرة الشرق، وأنطاكية الجميلة، وغيرها).

ولأهمية أنطاكية فإنها لم تكن غائبة عن العرب وشعرائهم في الجاهلية وبعدها، فقد ذكرها الشاعر الجاهلي أمرؤ القيس قائلاً:

عَلَوان بأنطاكية فوق عقمة   كجرمة نخل أو كجنة يثربِ

وقال الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى:

علوان بأنطاكية فوق عقمة   ورادُ الحواشي لونها لونُ عَندَم

أمَّا المتنبي فقال في قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسي:

حجبتها عن أهل أنطاكية   وجلوتها لك فاجتليت عروساً

---

[1]: ول ديورانت، قصة الحضارة مج١٢ ص٢٣٩.

وورد في المصادر الإسلامية والعربية: أنطاكية فيها كرسي البطريرك الذي أسسه بطرس وإنها من بلاد العواصم[1]، وفيها مزار حبيب النجار الذي يقدسه المسلمون[2]، ووردت قصته في القرآن في سورة يس آية (١٣–٢٩) أنه كان شهيداً مسيحياً، وذكره الرحّالة أوليا جلبي في زيارته لأنطاكية سنة ١٦٤٨م، والحقيقة أنَّ حبيب النجار هو أغابيوس المذكور في أعمال الرسل إصحاح ١١ آية (٢٧–٣٠) وإصحاح ٢١ آية ١٠ وما بعدها[3].

كان الخليفة هارون الرشيد قد أُعجب بأنطاكية وطاب له المقام فيها[4]، ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: أنطاكية بلد عظيم كانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية، وهي عامرة وفي وسطها بيعة قسيان الملك الذي أحيا ولده بطرس رئيس الحواريين، وفيها بيمارستان (مستشفى) يرعى فيه البطريرك المرضى بنفسه ويدخل المجذومين الحمام في كل سنة فيغسل شعرهم بيده، ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء ويُعِينه (يساعده) على ذلك الأجلاَّء من الرؤساء والبطاركة المتواضعين، ولشهرتها قال البعض عنها: كل شيء جاء من الشام، فهو أنطاكي[5]، كما وصفها الرحّالة مثل ابن بطوطة وغيره بأحسن الأوصاف.

---

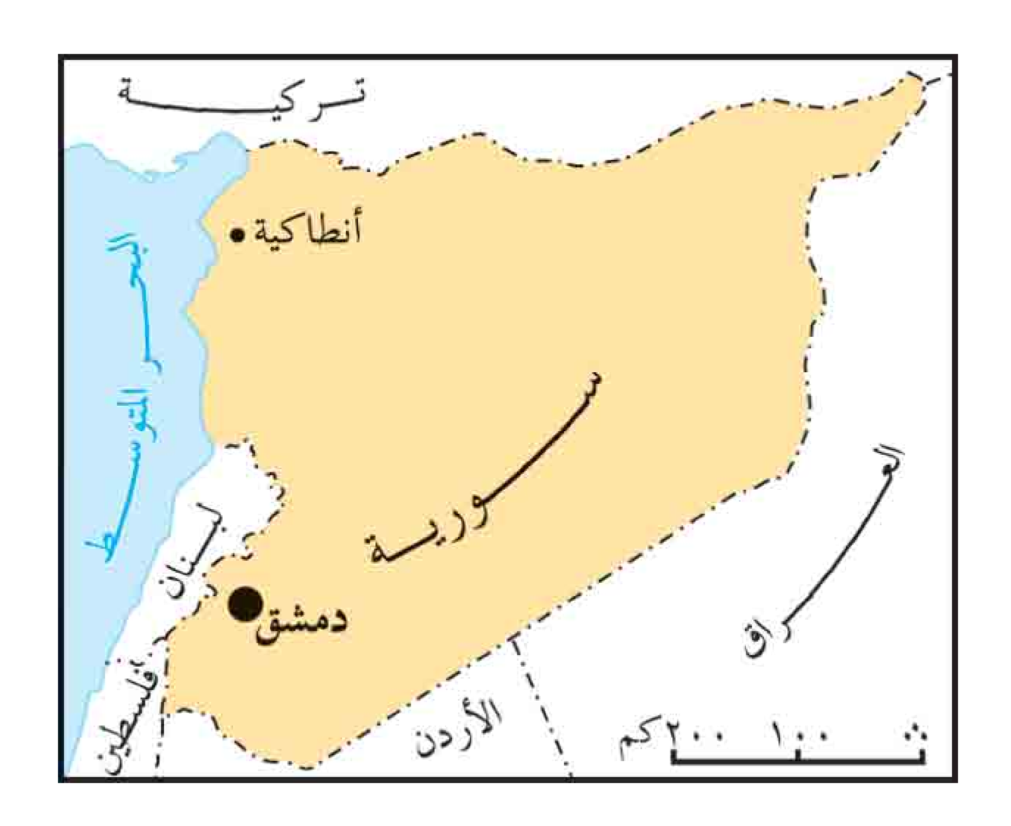
[1]: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج١ ص٢٥٢. والقلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج٥ ص٤٤٢.

[2]: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص١٥١.

[3]: دائرة المعارف الإسلامية مج٧ ص٢٩٠.

[4]: ابن الفقيه، البلدان ص١٦٥.

[5]: حاشية ابن بري، في التعريب والمعرب ص٣٤.


تركية
أنطاكية
البحر المتوسط
سورية
لبنان
دمشق
فلسطين
الأردن
العراق
٠ ١٠٠ ٢٠٠كم

أنطاكية

سلطة ومقام البطريرك الأنطاكي السرياني والكنائس السريانية

كان للبطريرك الأنطاكي السرياني مقام سام في الكنيسة، وكان سلطانه الديني يمتد ليشمل كل الشرق المسيحي على اختلاف أجناسه[1]، من جزيرة قبرص في بحر الروم وبلاد الشام غرباً إلى العراق والشريط الشرقي للجزيرة العربية وكل بلاد فارس وأفغانستان والهند شرقاً، ومن حدود آسيا الصغرى وأرمينيا وأذربيجان شمالاً إلى تخوم فلسطين وسيناء جنوباً وصولاً إلى اليمن وجزيرة سوقطرة، وبعبارة أخرى كان سلطان بطريرك الكرسي الأنطاكي السرياني على كل قارة آسيا ولم يكن غيره في كل بلاد المشرق، وقد نص القانون السادس من مجمع نيقية المسكوني (العالمي) الأول سنة٣٢٥م على: (فليحفظ التقدم للكنائس في أنطاكية)، وتأكيداً لذلك فإنَّ مجمع قسطنطينية المسكوني الثاني سنة ٣٨١م نص في قانونه الثاني على: (المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية للأنطاكيين)، ويقول المؤرخ مار ميخائيل السرياني: "كان كرسي أنطاكية كان يُعادل كرسي روما والإسكندرية مجتمعين تقريباً"، وتقول دائرة المعارف البريطانية ط ٩ مج١١ص١٥٤: "كان لأنطاكية سلطة على ما وراء حدود المملكة الرومانية أي على بابل والهند، ويبدو أنَّ إرساليات أنطاكية نادت في حدود الصين أيضاً"، وأشار البابا الروماني إينوكنيوس الأول (٤٠٢–٤١٧م) في رسالته إلى البطريرك الأنطاكي السرياني مار الكسندروس (٤١٢–٤٢١م) إلى هذا الامتياز قائلاً: "إنَّ

---

[1]: القس بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان مج١ ص٤٤، ٤٩، ٧٣. ولومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة ص٥٧٨.

كُرسيك الأنطاكي لم يَنَلْ هذا الامتياز الفاخر لشأن أنطاكية، بل بالأحرى أن يقال إنه فاز بها لأنَّ في أنطاكية كان الكرسي الأول الذي جلس عليه هامة الرسول بطرس".

كانت كنيسة أنطاكية واحدة تخضع كلها لبطريرك واحد، وكان سلطانه يشمل جميع المسيحيين في هذه المناطق على اختلاف قومياتهم وأجناسهم ولغاتهم، وكان للأبرشيات الكبرى رؤساء أساقفة وللأبرشيات الصغرى أساقفة يتولون إدارتها الروحية وهم تحت طاعته، وفي القرنين التاسع والعاشر كان بطريرك أنطاكية يرأس عشرين كرسياً مطرانياً ومئة وثلاثة كراس أسقفية.

بمرور الزمن ونتيجة للخلافات اللاهوتية والقومية من جهة، والتأثيرات السياسية للدول الكبرى آنذاك مثل الدولة الرومانية والفارسية من جهة أخرى، تفرعت عن الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الكنائس الآتية:

١: الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية).

٢: الكنيسة السريانية الشرقية (الكلدانية).

هاتان الكنيستان سنأخذهما بالتفصيل لأنهما محور بحث الكتاب.

٣: الكنائس السريانية الملكية (الروم الأرثوذكس والكاثوليك)

سنة ٤٥١م انعقد مجمع خلقيدونية الذي أقَرَّ بأنَّ في السيد المسيح طبيعتين إلهية وإنسانية قبل وبعد الاتحاد، فرفضته الكنيسة السريانية الأرثوذكسية لأنها تؤمن بأنَّ في المسيح طبيعتين إلهية وإنسانية قبل الاتحاد، وبطبيعة واحدة إلهية إنسانية بعد اتحاد الطبيعتين، وعلى إثر ذلك حدثت مشاكل كثيرة بين الرفض والقبول من قِبَل بعض الأطراف

داخل الكنيسة السريانية وظهرت بوادر الانشقاق، وتعزز هذا الانشقاق أكثر في عهد البطريرك الأنطاكي السرياني مار سيويريوس الكبير سنة ٥١٨م، ثم انفصلت سنة ٦٣٢م الطائفة التي كانت قد قبلت بقرارات مجمع خلقيدونية، وعينوا مقدنيوس بطريركاً مستقلاً لهم، فأطلق السريان الأرثوذكس عليهم اسم الروم الملكيين، أي أنهم قبلوا مجمع خلقيدونية الذي رعاه ملك الروم، وفي سنة ١٧٢٤م انشق عن السريان الملكيين (الروم الأرثوذكس) قسم من أبنائهم واعتنقوا الكثلكة وتَسَمَّوا بالروم الكاثوليك، واستعملت هذه الكنيسة اللغة السريانية إلى القرن السادس عشر بعدها تم تعريب الكتب الطقسية ابتداء من عهد البطريرك أفتيموس سنة ١٦٣٧م[1].

٤: الكنيسة السريانية المارونية

بسبب ظهور مسألة المشيئة الواحدة في السيد المسيح وأمور أخرى، انشق سنة ٦٨٥م الموارنة عن الكنيسة السريانية الملكية الأرثوذكسية (الروم الأرثوذكس)، وعينوا يوحنا مارون أول بطريرك مستقل لهم، وأكثر تواجدهم في لبنان، ومنذ عهد البطريرك إرميا الثاني العمشيتي (١١٩٩–١٢٣٠م) الذي شارك في أعمال المؤتمر اللاتراني الرابع في روما سنة ١٢١٥م، بدأت العلاقة بين الموارنة وروما الكاثوليكية، وتعززت أكثر واستقرت في عهد البطريرك اسطيفان الدويهي (١٦٧٠–١٧٠٤م)، وتستعمل هذه الكنيسة اللغة السريانية باللهجة الغربية في طقوسها، وكانت السريانية لغة محكية في المدن والقرى اللبنانية إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

---

[1]: المطران جرجيس شاهين، السريان أصالة وجذور ص١١٨، كذلك فيليب دي طرازي، السلاسل التاريخية في أساقفة الأبرشيات السريانية ص٨٩.

٥: الكنيسة السريانية الكاثوليكية

بسبب تبشير الرهبان الكاثوليك مثل الكبوشيين والفرنسيين وغيرهم بالكثلكة في سوريا حدثت مشاكل كثيرة، على إثرها انشق أندراوس أخيجان عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية واعتنق المذهب الكاثوليكي ورُسم أسقفاً لحلب سنة ١٦٦٢م، وبقيت المسائل مضطربة بين السريان الأرثوذكس والكاثوليك إلى أن استقرت الأمور وانتظمت مؤسسات الكنيسة السريانية الكاثوليكية في عهد البطريرك ميخائيل جروة (١٧٨٢–١٨٠٠م)، وتستعمل هذه الكنيسة اللغة السريانية في طقوسها بلهجتها الغربية، أمَّا رعاياها في العراق فيتكلمون اللهجة السريانية الشرقية كما في قره قوش وبرطلة وغيرها.

٦: الكنيسة السريانية الهندية

خضعت الكنيسة الهندية منذ بداية المسيحية لولاية الكرسي السرياني الأنطاكي، وتعززت في بداية القرن الرابع برحيل جالية سريانية (حوالي ٤٠٠ شخص) من الرها إلى الهند، وبين سنة (١٥٩٤– ١٦٦٥م) حاول الاحتلال البرتغالي نشر الكثلكة في الهند وقطع الصلات مع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، لكن هذه العلاقات عادت بقوة فيما بعد أثناء الاحتلال الهولندي، وفي سنة ١٩١٢م قام بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المعزول عبد المسيح القلعتمراوي (١٨٩٥–١٩٠٥م) وبطريقة غير شرعية برسم مفريان للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في الهند، واستمرت المفريانية غير شرعية إلى سنة ١٩٥٨م، حيث اعترف البطريرك إغناطيوس يعقوب الثالث (١٩٥٧–١٩٨٠م) بشرعية المفريان مع إعطائه صلاحيات واسعة في منطقته على أن يكون خاضعاً لسلطة

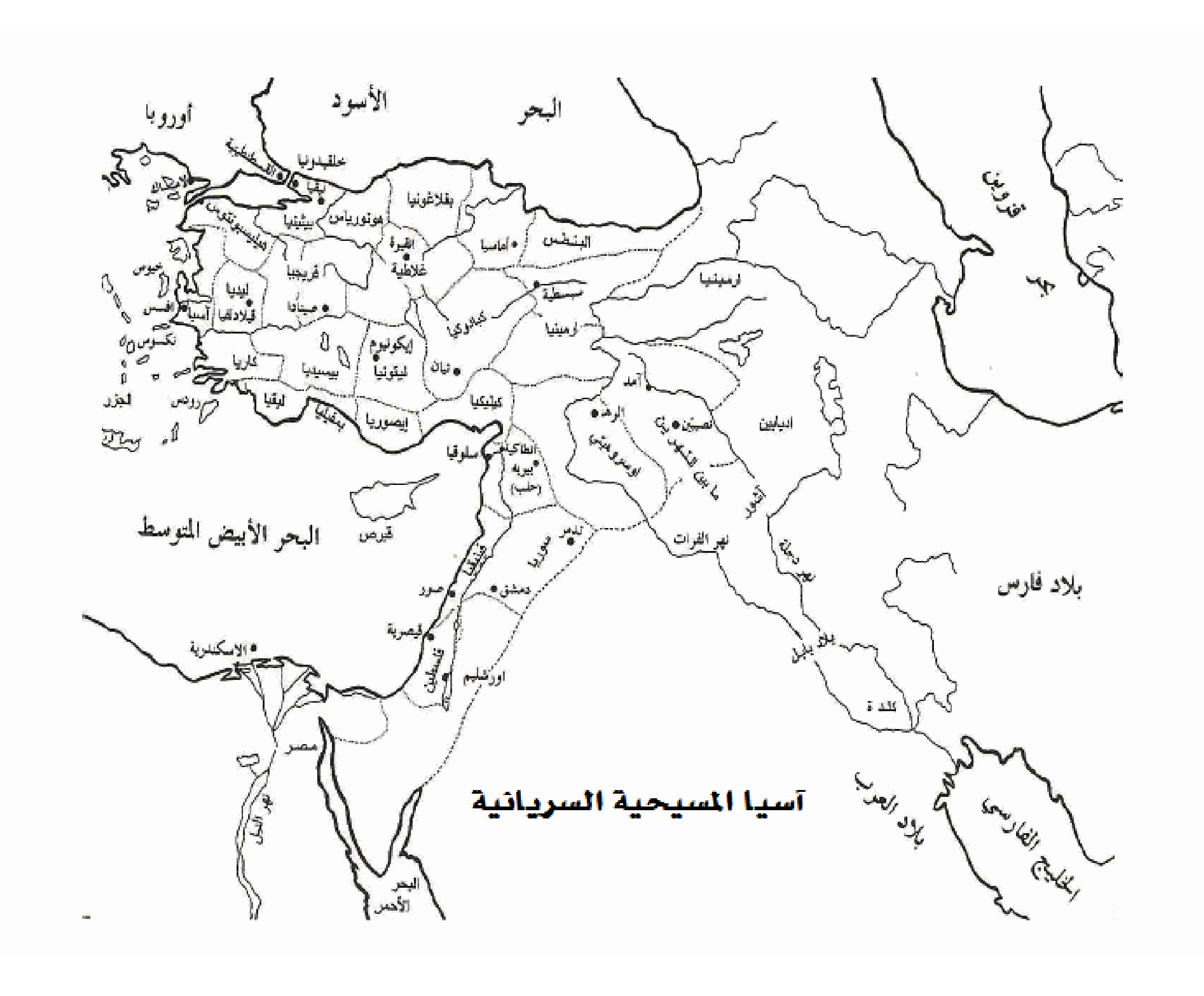
البطريـرك الـسرياني الأنطـاكي الأرثوذكـسي، وفي سـنة ١٩٧٥م انـشقت الطائفة إلى قسمين وتم رسم مفريان آخر، وهناك جهود لتوحيد الطرفين.

وبمـرور الـزمن ونتيجـة للانقـسامات الكنـسية الكـثيرة في التـاريخ تكونـت إلى جانـب الكنيـسة الخاضـعة للكرسـي الأنطـاكي الـسرياني الأرثوذكـسي بعـض الكنـائس الـسريانية المـستقلة ذاتيـاً مثـل كنـائس المالابـار الـسريان الأرثـوذكس، الـسريان مالانكـار، الهنديـة الـسريانية الأرثوذكـسية، الـسريانية المـستقلة في أنجـور، وغيرهـا، أو المرتبطـة مـع الكنـائس المنفـصلة الأخـرى مثـل الـسريانية الـشرقية (النـسطورية، الكلدانيـة)، أو الـسريانية الكاثوليكيـة، وتـستعمل هـذه الكنـائس اللغـة الـسريانية إلى جانـب لغاتهـا المحليـة، وأشـهرها لغـة جنـوب الهنـد تلـك الـتي تُسَمَّى المليـاليم، والـتي قـام الربـان فيلـبس الملبـاري الـسرياني والخـوري مـتي كونـاط الـسرياني الملبـاري في القـرن التاسـع المـيلادي بترجمـة العهـد الجديـد من السريانية إليها.

٧: كنائس أورشليم وقبرص وأرمينيا

كانـت كنـائس أورشـليم وقـبرص وأرمينيـا وجورجيـا وغيرهـا خاضـعة للبطريـرك الأنطـاكي الـسرياني حتـى القـرن الخـامس المـيلادي، واسـتقلت هـذه الكنـائس في أوقـات مختلفـة ولأسـباب كـثيرة، والجـدير بالـذكر أنَّ التبـشير المـسيحي في كنيـسة أرمينيـا وجورجيـا كـان بفـضل مـار أسـطثاوس بطريرك الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية (٣٢٤–٣٣٧م).

اسـتعملت الكنيـسة الأرمنيـة أبجديـة اللغـة الـسريانية حتـى سـنة ٤٠٤م عنـدما تعـاون الملفـان الـسرياني دانيـال والأسـتاذ مـسروب الأرمـني علـى اخـتراع الأبجدية الأرمنية ونقل الإنجيل من السريانية إلى الأرمنية.



أهم أبرشيات الكرسي الأنطاكي السرياني في القرن الخامس الميلادي

اليعقوبية والمونفيزية والأوطاخية
نعتٌ دخيل على الاسم الأصيل

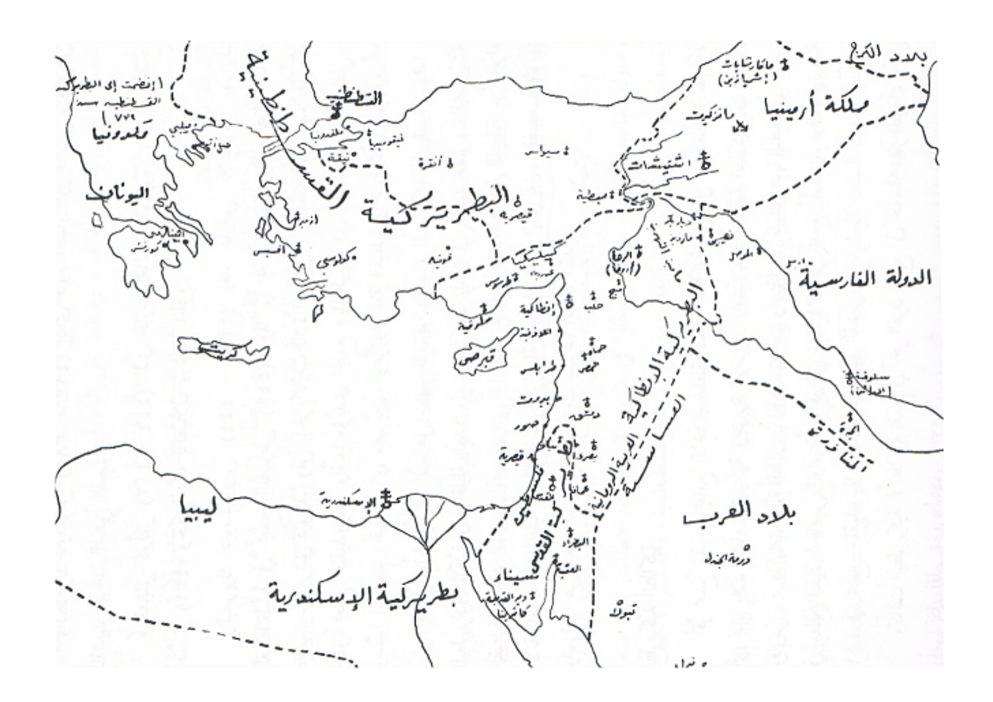
على إثر إطلاق السريان الأرثوذكس اسم الروم الملكيين على السريان الذين قبلوا قرارات مجمع خلقيدونية، قام السريان الملكيون بدورهم بإطلاق اسم اليعاقبة على السريان الأرثوذكس نسبة إلى مار يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٥م[1]، إلاَّ أنَّ الفرق بين الاثنين هو أنَّ كنيسة الروم الملكية قبلت بهذا اللقب وتَبَنَّتهُ وتَسمَّت به، أمَّا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فإنها وبرغم اعتزازها الكبير بمار يعقوب البرادعي لكنها لم تتبن هذا اللقب، بل استنكرته واستهجنته معلنة أنها لا ترتبط باسم شخص غير السيد المسيح، لكن لقب اليعقوبية بقي مُرتبطاً بها في الكتابات التاريخية من قِبَل كُتَّاب ومؤرخي الكنائس التي انفصلت عنها، كما لُقِّبت بالمونوفيزية التي تعني أصحاب الطبيعة الواحدة، أو الأوطاخية أحياناً أقل نسبة إلى الكاهن أوطيخا الذي حرمته الكنيسة في مجمعي إفسس ٤٤٩م، وخلقيدونية ٤٥١م، لأنه ألغى الطبيعة الإنسانية في السيد المسيح وقال بطبيعة واحدة إلهية ذابت فيها الطبيعة الإنسانية.

وعن هؤلاء أخذ كُتَّاب ومؤرخو الغرب الأوربي وكذلك الشرق وخاصةً العرب والمسلمون هذه الألقاب واستعملوها، وهذا خطأ تاريخي، إذ لا يجوز إطلاق اسم أو لقب لشخص أو كنيسة أو طائفة معينة ما لم يكن ذلك الشخص أو تلك الكنيسة أو الطائفة قد تَبَنَّت هذا اللقب من قِبلها واستعملته في تسميتها، اللهم إلاَّ إذا كان الكاتب لا يعرف هذه

---

[1]: أحد أكبر المجاهدين في تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الذي كان يطوف البلاد مدافعاً عن كنيسته ومثبتاً إيمانها.

الحقيقـة، وهـذا مـا حـصل مـع أغلـب الكُتَّـاب والمـؤرخين العـرب والمـسلمين، أو أنَّ الكاتـب يعرفهـا ولكنـه يريـد الاسـتهجان بـإطلاق هـذا اللقـب، لـذلك فإننـا في كتابنـا هـذا سـوف نـستعمل الاسـم الحقيقـي والأصـيل لهـذه الكنيـسة العريقـة مثلمـا تريـده هـي، وأعـني الكنيـسة الأنطاكيـة السريانية الأرثوذكسية[1].



خارطة بطريركيات الشرق المسيحي والمناطق التابعة لها

---

[1]: الكنيـسة الأنطاكيـة الـسريانية الأرثوذكـسية في الهنـد أُجـبرتْ علـى الاحتفـاظ باسـم اليعقوبيـة لحـد الآن في مؤسـسات الدولـة، والـسبب هـو أنَّ أغلـب كنائـسها مُـسجَّلة باسـم الكنيـسة اليعقوبيـة، وإذا تَخلَّـتْ عـن الاسـم اليعقـوبي حاليـاً فإنهـا سـتفقد كنائـسها في المحاكم القائمة بين الأطراف المختلفة للاستحواذ على الكنائس.

الكنيستان السريانيتان الشرقيتان النسطورية والكلدانية

أولاً: الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية)

عند تأسيس الكرسي الأنطاكي السرياني في بداية انتشار المسيحية، كان عدد المؤمنين والأساقفة في القرنين الأول والثاني قليلاً، ولذلك سُمِّيت هذه المدة بحقبة تنظيم الأبرشيات، وشيئاً فشيئاً بدأ عدد المؤمنين والأساقفة يزداد، وكان جميع الأساقفة في آسيا ومنها بلاد النهرين يُرسمون من قِبَل بطريرك أنطاكية السرياني، ونتيجة للوضع السياسي بين الدولتين الرومانية والفارسية آنذاك، تم ضم الأراضي الواقعة شرق نهر الفرات إلى دولة فارس بعد أخذها من الرومان سنة ٣٦٣م، وبذلك انقسم المسيحيون السريان إلى شرقيين وغربيين، أي شرق نهر الفرات وغربه، وضعفت العلاقة الإدارية التي تربط مسيحيِّي الأقاليم الشرقية مع أنطاكية المركز، هذا من جهة، ولصعوبة المواصلات والاتصال بأنطاكية والمخاطر الكثيرة التي كان يتعرض لها رجال الدين المسيحي من جهة أخرى، حيث قُتل قسم من الرهبان في الطريق، واتُّهِمَ قسم آخر بالتجسس لصالح الفرس عند ذهابهم إلى أنطاكية لاقتبال الرسامة الأسقفية من البطريرك الأنطاكي، ففي سنة ٢٨٠م تقريباً ذهب الراهبان قاميشوع وآحادآبوي من أربيل إلى أنطاكية لاقتبال الرسامة، فاتُّهما بالتجسس لصالح الفرس وأُلقي القبض على قاميشوع وصُلبَ على باب كنيسة الرسل وفَرَّ آحادآبوي إلى أورشليم ورُسِم هناك، ثم عاد إلى أربيل.

على إثر تلك الأحداث وغيرها، أرسل البطريرك والآباء الأنطاكيون رسالة بين سنة (٣٠٩–٣٧٩م، في بعض المصادر ٢٢٠–٢٤٠م) إلى آباء الكنيسة في الشرق، يمنحونهم صلاحيات أكبر، ويقولون لهم:

نظـراً للعـداوة القائمـة بـين الـدولتين الرومانيـة والفارسـية ولوجـوب الحاجـة في القـدوم إلى أنطاكيـة لرسـم المطارنـة كمـا جـرت العـادة في سـالف الـدهر، وحرصـاً علـى عـدم سـفك دمـاء عظمـاء الكهنـة في الـزمن القـادم بـسبب مـا يقـع بـين الملـوك مـن التبـاين كمـا حـصل في أيامنـا، حيـث شـاهدنا منظـراً مرعبـاً وفظيعـاً، ففـي سـاعة واحـدة سُفك بغـير جنايـة دم أبـوين وهمـا منحـدران إلينـا، فارتجـت الأرض بقتلـهما، وصـار في بيعـة الله المقدسـة مناحـة واحـدة لأجلـهما، وفي غمـرة أحـزان الآبـاء الأنطـاكيين علـى مقتـل زملائهـم، ولكـي لا يبقـى مـسيحيّو المـشرق أيتامـاً، أوجبـت الـضرورة بعـد هلاكهمـا وصـلبهما علـى بـاب بيعـة الرسـل في أنطاكيـة أن نعقـد عقـداً نلـتمس بـه حراسـة دمـاء النـاس مـن الإهـراق، لـذلك الكرسـي البطريركـي الأنطـاكي الـسرياني والآبـاء الأنطـاكيين، أمـروا أن يكـون أسـقف كنيـسة كـوخي في سـاليق (المـدائن)، مُـسلَّطاً علـى شـؤون الـشرق، مـع منحـه صـلاحيات وحقـوق واسـعة مثـل، اختيـار ورسـامة الأسـاقفة، وترتيـب أمور الكنيسة، وغيرها.

فمُـنح فافـا بـن عجـي الـسرياني المتـوفى سـنة ٣٢٩م، أسـقف كنيـسة كـوخي في سـاليق وقطيـسفون ومـاحوزا (المـدائن) لقـب مطـران المـشرق بـصلاحيات كـبيرة، وقـد فـرح أسـاقفة ورهبـان الـشرق كـثيراً بهـذه الـصلاحيات لـشعورهم بالأمـان وعـدم ذهـابهم إلى أنطاكيـة، ولهـم ترتيلـه خاصـة بـذلك تقـول: (ܦܐܚܐ ܕܐܒܘܗܝ ܡܫܪܪܐ ܝܗܒ ܠܡܕܢܚܐ ܫܘܪܪܐ)، ومعناها "بالحقيقة إنَّ آحادآبوي وهَبَ الحرية للشرقيين".

في مجمـع سـاليق سـنة ٤١٠م الـذي انعقـد برئاسـة مـار اسـحق مطـران المـشرق في المـدائن، أرسـل البطريـرك الأنطـاكي الـسرياني مـار فرفوريـوس

(٤٠٤–٤١٢م) المطـران مـار ماروثـا أسـقف ميـافرقين (+٤٣١) حـاملاً ثـلاث رسـائل منـه للمجمـع لكـونهم خاضـعين للبطريـرك الأنطـاكي السـرياني، وكانـت بعـض الرسـائل مُذيَّلـة مـن بعـض أسـاقفة الكرسـي الأنطـاكي مثـل آقـاق أسـقف حلـب، بقيـذا أسـقف الرهـا، اوسـابيوس أسـقف تـلا، آقـاق أسـقف آمـد، وغيرهـم، وكانـت إحـدى الرسـائل موجهـة إلى الملـك الفارسـي يزدجـر الأول وقـام بترجمتهـا مـار ماروثـا مـن اليونانيـة إلى الفارسـية وقرأهـا أمـام الملـك بحـضور مـار اسـحق، ثـم طلـب مـار اسـحق ومـار ماروثـا مـن الملـك أن يـصدر أمـراً شـاملاً لكـل أسـاقفة المملكـة الفارسـية بالحـضور، فأصـدر الملـك أوامـره بحـضور مطارنـة المقاطعـات الـست الكـبرى وهـم، دانيـال مطـران أربيـل، عقبلاهـا مطـران كركـوك، هوشـاع مطـران نـصيبين، زبـدا مطـران ميـشان، مـاري مطـران كـشكر، يزيـداد مطـران الأهـواز، مـع جميـع الأسـاقفة التـابعين لهـم، وبلـغ عـدد الأسـاقفة الحاضـرين أربعـين أسـقفاً، وحـضر مـار ماروثـا المجمـع الـذي تم فيـه مـنح مـار اسـحق مطـران المـشرق في المـدائن لقـب (جـاثليق) ومعناهـا مطـران عـام، مـسؤولاً علـى الكنيـسة الأنطاكيـة الـسريانية في الـشرق (العـراق وبـلاد فـارس)، مـع منحـه نـوع مـن الإدارة الذاتيـة وصـلاحيات واسـعة، منهـا رسـامة الأسـاقفة، لكنـه كـان خاضـعاً لـسلطة البطريـرك الأنطـاكي الـسرياني إداريـاً وعقائـدياً، وعنـدما علِـم يزدجـر بـذلك أرسـل رسـالة بيـد اثـنين مـن قِبلـه قـائلاً للأسـاقفة: لقـد جعـل الملـك اسـحق رئيـساً علـى مـسيحيِّي المـشرق فعلـى جميـع الأساقفة أن يذعنوا لذلك.

وتؤكِّـد الرسـالة الجوابيـة الـتي وجههـا مـار فيليكـسينوس المنبجـي (٤٨٥–٥٢٢م) أسـقف مدينـة منـبج الـسرياني الأرثوذكـسي إلى الحـاكم العـسكري في حـيرة النعمـان أبـو يعفـر بـن علقمـة اللخمـي، علـى أنَّ جـاثليق

قطيسفون (المدائن) كان ينال وضع اليد من قِبَل البطريرك الأنطاكي[1].

وفي زمن الجاثليق آقاق الذي مال إلى النسطرة سنة ٤٨٦م، وتمتع بمكانة كبيرة لدى الفرس[2]، جاء بعض المسيحيين من شمال إيران إلى قطيسفون ليقيموا لهم مطراناً، فوجدوا الجاثليق آقاق متمرداً على بطريرك أنطاكية وغير خاضع لسلطته، فلم يقبلوا منه أن يضع يده عليهم، فعادوا أدراجهم، وبعد أن طال الزمن عقدوا النيَّة على الذهاب إلى بطريرك أنطاكية، وبسبب بُعد الطريق والحروب آنذاك، لم يستطيعوا الذهاب إلى أنطاكية، فلبثوا في قطيسفون خمس سنوات ينتظرون استتباب الأمن، ولأنَّ الوقت قد طال، شعروا بالضيق من الرجوع كالمرة الأولى، فتقدموا إلى آقاق ومن معه يسألونهم في سبب تمردهم على أسقف أنطاكية، فأضلوهم وأجابوهم بدهاء قائلين: نحن لم نتمرد على بطريرك أنطاكية بسبب العقيدة، بل لأننا نرى الخطر الذي يهدد مسيحيِّي المشرق عند ذهابهم إلى أنطاكية بسبب الحروب والسيف، فأقمنا جاثليقنا هنا، ونحن الآن في آمان وراحة[3].

يقول المطران أدِّي شير (١٨٦٧–١٩١٥م): منذ ذلك الحين رخَّصَ بطريرك أنطاكية والأساقفة الغربيون للأساقفة الشرقيين أن يرسموا

---

[1]: أبو يعفر بن علقمة اللخمي، من أسرة بني ذميل المسيحية، عيَّنه قباذ الفارسي حاكماً خلَفاً للنعمان الثاني (٤٤٩–٥٠٢م)، وقد وجَّه رسالته بين سنة (٥٠٢–٥٠٤م) مستفسراً من المنبجي عن بعض الأمور الدينية.

[2]: لعلاقة الجاثليق آقاق القوية بالفرس فقد أرسله الملك بالش بن فيروز الفارسي (٤٨٤–٤٨٨م) بمهمة إلى الإمبراطور الروماني زينون (٤٧٤–٤٩١م).

[3]: الراهب روجيه أخرس، مجموعة مار فليكسينوس المنبجي ج١ ص٤٠٧.

أسقفاً للمدائن، وأمروا أن يكون هذا الأسقف رئيساً على كل كنيسة الشرق[1].

علماً أنَّ البطاركة والآباء السريان لم يتخلوا عن كنيسة الشرق، بل كانوا يتعهدون برعايتهم كلما سنحت الفرصة بذلك[2]، وأنَّ سبب إرخاء بطريرك أنطاكية قبضته على المشرق، كان النزاع السياسي بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية[3].

في منتصف القرن الخامس انتشرت أفكار بطريرك القسطنطينية نسطور الذي حرَمه مجمع إفسس سنة ٤٣١م لأنه فَصَل بين طبيعتي وأقنومي السيد المسيح الإلهية والإنسانية، وقال إنَّ لقب القديسة مريم العذراء هو والدة المسيح وليس والدة الإله وغيرها، وعلى إثر ذلك مَالَ آقاق (٤٨٥–٤٩٧م) جاثليق الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية إلى أفكار نسطور في مجمع ساليق سنة ٤٨٦م، ثم انفصلت الكنيسة إدارياً عن الكرسي الأنطاكي السرياني سنة ٤٩٧م في عهد الجاثليق بابي[4]، وأصبحت تُسَمَّى فيما بعد "الكنيسة السريانية الشرقية أو المشرق السريانية أو النسطورية السريانية"، علماً أنَّ اعتناقها المذهب النسطوري بصورة واضحة ورسمية مكتوبة كان في مجمع ساليق سنة ٥٨٥م حسب كتاب الاتحاد الذي أَلَّفَهُ إبراهيم الكشكري.

---

[1]: المطران أدِّي شير، تاريخ كلدو و أثور ج٢ ص٨.

[2]: المطران اسحق ساكا، كنيستي السريانية ص٢٣٥.

[3]: ألفوس منكانا، فاتحة انتشار المسيحية في أواسط آسيا والشرق الأقصى ص١٠٣.

[4]: بعض المصادر تَعدُّ الانفصال سنة ٤٨٧م، أي منذ ميول آقاق إلى النسطرة، لكنني بعد تدقيقي لمسار الأحداث، أعُدُّ أنَّ الانفصال الإداري الحقيقي هو بعد موت آقاق.

يقول القس بطرس نصري الكلداني (١٨٦١–١٩١٧م): إنَّ جثالقة المدائن كانوا خاضعين لبطريرك أنطاكية السرياني، ثم لما خلعوا الطاعة لرئيسهم الشرعي باعتناق النسطورية أرادوا أن يقيموا لهم كنيسة منفصلة عن كنيسة المسيح، وشرعوا ينسبون تأسيسها إلى رسل المسيح مار توما وادي وماري لكي لا تظهر أقل شرفاً من الكنائس التي شَيَّدها مار بطرس ومرقس في أنطاكية وروما والإسكندرية[1].

خضعت الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية منذ البداية لضغوط الدولة الفارسية التي كانت تحتل المنطقة آنذاك، حتى أنَّ تَسميتها بكنيسة فارس طغت عليها في بعض العهود[2]، وكانت سلطة هذه الكنيسة الإدارية ضعيفة إلى عهد الجاثليق إبراهيم الثالث (٩٠٦–٩٣٧م) الذي حصل على منشور من الخليفة العباسي المقتدر بالله يقر بجاثليقته في مدينة السلام، ثم أصبحت قوية وفعلية في عهد الجاثليق عبد يشوع الثاني المعروف بابن العارض (١٠٧٥–١٠٩٠م) على إثر المرسوم الذي أصدره له الخليفة العباسي القائم بأمر الله في ٢١ تشرين الثاني ١٠٧٤م والذي جاء فيه: أوعز الخليفة ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة

---

[1]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج١ ص٢٨، ٤٠، ٥٥.

[2]: الأب يوسف حَبِّي، كنيسة المشرق الأثورية– الكلدانية ص١٩٦. ولا تزال إلى اليوم تُسَمَّى هذه الكنيسة "الفارسية"، ففي الكتاب الذي أَلَّفَهُ المُبشِّر ويكرام وأهداه إلى البطريرك النسطوري بنامين سنة ١٩٠٩م، سَمَّاها: كنيسة الإمبراطورية الساسانية الفارسية، ولا يزال كُتَّاب الكنيسة النسطورية يُسَمُّون أهم دير نسطوري في العراق: دير الربان هرمز الفارسي (راجع المطران إيليا أبونا، تاريخ بطاركة البيت الأبوي).

السلام والأصقاع وزعيماً لهم.

لعبت هذه الكنيسة دوراً مهماً في تاريخ الشرق المسيحي من خلال أبنائها كأطباء ومترجمين، ووصل مبشروها إلى الهند والصين ومنغوليا شرقاً، ولهم جالية صغيرة في الهند إلى اليوم، وكانت هذه الكنيسة تُسَمَّى: الكنيسة السريانية الشرقية، أو كنيسة المشرق الجاثليقية النسطورية، وكان مركزها منذ سنة ٤١٠م مدينة قطيسفون (المدائن)، وانتقل سنة ٧٨٠م إلى بغداد، وفي سنة ١٢٨٣م انتقل إلى مدينة مراغا جنوب شرق أورميا، ثم انتقل سنة ١٣١٨م إلى أربيل، وفي سنة ١٣٣٢م انتقل إلى كرمليس قرب الموصل، وفي سنة ١٣٦٢م انتقل إلى الموصل، ثم انتقل سنة ١٤٩٧م إلى جزيرة ابن عمر جنوب شرق تركيا، وفي سنة ١٥٠٤م انتقل إلى دير الربان هرمز في ألقوش، ثم انتقل سنة ١٦٦٢م إلى خوسرو آباد في إيران، وفي سنة ١٧٠٠م استقر في قوجانس إلى سنة ١٩٣٣م، حيث انتقل إلى سان فرانسيسكو في أمريكا بسبب قيام العراق بنفي بطريركها شمعون إيشاي الحادي والعشرين.

استمرت الكنيسة الجاثليقية النسطورية إلى ٢٨ آذار سنة ١٩٦٤م، وبسبب اعتمادها التقويم الغربي الغريغوري في تعيين عيد الميلاد (٢٥ كانون الأول) بدلاً من التقويم الشرقي اليولياني القديم (٧ كانون الثاني)، انقسمت الكنيسة إلى قسمين، وفي سنة ١٩٦٨م قام أبناء القسم الذي بقي على التقويم القديم برسم مطران الهند توما درمو بطريركاً خاصاً بهم، وسَمَّوا كنيستهم "الكنيسة الشرقية الجاثليقية القديمة"، وهي التي تُسَمَّى عند العامية (كنيسة ٧ بالشهر)، وجاثليقهم (بطريركهم) الحالي هو أدى الثاني منذ سنة ١٩٧١م الذي خلَفَ توما درمو، ومقر كرسيه بغداد، وبعد وفاة إيشاي بطريرك الكنيسة

الجاثليقيـة النـسطورية الـتي اعتمـدت التقـويم الغربـي، تم انتخـاب البطريـرك دنحـا الرابـع سـنة ١٩٧٦م، وسَـمَّوا كنيـستهم "كنيـسة المـشرق الآشـورية"، ومقـر كرسـيه شـيكاغو في أمريكـا، وهـذه أول مـرة في التـاريخ يقـترن الاسم الآشوري بهذه الكنيسة رسمياً[1].

لغـة الكنيـسة هـي الـسريانية (سـوريِيثا ܣܘܪܝܝܬܐ)، بلـهجتها الـشرقية (مـدنحايا ܡܕܢܚܝܐ)، ويختـصرونها وينطقونهـا بلـسانهم قـائلين نحـن نـتكلم (الـسورث)، كمـا يـتكلم أبناؤهـا عـدة لهجـات محليـة يُـسَمُّونها "الفَلِّيحـي"، أي لهجـة الفلاحـين الـسريانية، وأحيانـا يُـسَمُّونها لهجـة "جيلوايـا"، نـسبة إلى قبيلـة جيلوايـا، أو اللهجـة الألقوشـية أو التلكيفيـة، نـسبة لأسمـاء تلـك المـدن أو القصبات، وغيرها.

---

[1]: أكَّدَ لي ذلك الأب طيمثاوس شمعون كاهن الكنيسة الشرقية القديمة في بغداد.

ثانياً: الكنيسة السريانية الشرقية (الكاثوليكية الكلدانية)

سلفاً يجب أن نقول: لم يعرف العراق الحالي في كل تاريخه وجود أية كنيسة غير الكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) التي انشقت عن السريانية الأرثوذكسية الأُم سنة ٤٩٧م، وأعداد قليلة جداً من الروم والأرمن وغيرهم من الذين هاجروا إليه لعدة أسباب وفي مدد مختلفة، أمَّا الكاثوليكية على وجه الخصوص فلم تُعرف في العراق قبل سنة ١٥٥٣م، كما سنرى.

في سنة ١٣١٨م اعتلى الجاثليق (البطريرك) طيمثاوس الثاني رئاسة الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية، وكان ينتمي إلى عائلة اسمها عائلة أبونا، وشاءت الصدف أن يعتلي أربعة جثالقة بعده من نفس العائلة رئاسة الكنيسة، وعندما اعتلى الجاثليق شمعون الرابع فرج الباصيدي سنة ١٤٧٧م الكرسي[١]، قرر حصر الجاثليقية (البطريركية) في عائلة أبونا وجعلها وراثية، أي أن يخلف الجاثليق أخاه أو ابن أخيه ...إلخ، وغالباً ما سبب هذا الأمر خلافات ومشاكل داخل الكنيسة، فقد قام الجاثليق شمعون السابع إيشوعياب برماما (١٥٣٨–١٥٥٥م) برسامة ابن أخيه مطراناً وهو لم يبلغ الثانية عشرة سنة من العمر (قيل ثمان سنين)، وبعد مدة رسم أحد أقربائه وهو في سن الخامسة عشرة لعدم وجود غيره في عائلة أبونا، كما بقيت عدة أبرشيات شاغرة لنفس السبب، فازداد التذمر بين النساطرة.

---

[1]: أكثر المصادر تعدُّ سنة جلوس الباصيدي ١٣٣٧م، لكننا وبعد تدقيقنا رأينا أنها سنة ميلاده المكتوبة على ضريحه، لذلك سوف نعتمد في مدة جلوس وأسماء وتسلل جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية على ترتيبنا الوارد في ملحق الكتاب.

في سنة ١٥٥٣م وفي خضم هذه الخلافات بشأن توريث الجاثليقية داخل الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية)، انفصل عدد من أبناء هذه الكنيسة برئاسة يوحنا سولاقا رئيس دير ربان هرمز في العراق واتحدوا بكنيسة روما وأصبحوا كاثوليكاً، ويُسَمَّى هذا الاتحاد "الأول"، كما أُضيف لقب البطريرك إلى الجاثليق، ولم يُلقَّب يوحنا سولاقا من قِبَل روما بطريرك بابل أو الكلدان، بل لُقِّب جاثليق بطريرك الموصل في آشور الشرقية[١]، كما تَسَمَّى بشمعون الثامن يوحنا سولاقا عند رسامته استمراراً للنهج النسطوري القديم، وسكن في بادئ الأمر مدينة ديار بكر وسعرد، وقد قَدَّمَ سولاقا صورة إيمانه إلى روما بالسريانية التي ترجمها المستشار ماسيوس إلى اللاتينية[٢]، وخلال وجود سولاقا في روما لعقد الاتحاد كان يتكلم اللغة العربية في مباحثاته ويقوم مترجم بنقل كلامه من العربية إلى الايطالية واللاتينية[٣].

ثم قُتل يوحنا سولاقا سنة ١٥٥٥م بطريقة بشعة في منطقة العمادية من قِبَل والي العمادية وبتحريض ووشاية من البطريرك النسطوري شمعون الثامن حنانيشوع برماما مرقس (١٥٥٥–١٥٥٨م) وبمساعدة بعض الرعية الذين لم يكونوا موافقين على الانفصال واعتناق الكاثوليكية.

---

[1]: المقصود بآشور أو أثور هو اسم مدينة الموصل الجغرافي كما ورد في كثير من المصادر التاريخية وليس اسماً قومياً أو إقليمياً، واللقب واضح جداً مع خلفاء يوحنا سولاقا مثل عبد يشوع الجزري حيث لَقَّبتهُ روما "بطريرك الآشوريين **أو** الموصل"، وليس (في الموصل)، كما سيأتي.

[2]: المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا الدنيوي والديني ص٧١.

[3]: ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ج٣ ص١٣٦.

أمَّا خلفاء سولاقا الذين جاؤوا بعده فقد دبت الفوضى بينهم وانقسموا إلى ثلاثة أقسام، ولكل قسم جاثليق (بطريرك) خاص به، وهذا الجاثليق له اسم خاص به أيضاً، وهم الشمعونيون (شمعون) والإيليون (إيليا) واليوسفيون (يوسف)، واتخذوا لهم عدة ألقاب مثل جاثليق أو بطريرك آمد (ديار بكر) أو بطريرك بابل أو المشرق أو الموصل أو آشور وغيرها، وسكنوا عدة أماكن مثل ديار بكر، ألقوش، تللسقف، الموصل، سلماس وخوسرو آباد (شمال بحيرة أرومية)، قوجانس (جبال حكاري شمال العمادية)، جزيرة ابن عمر وغيرها.

ولم يكن الشعب كله يؤمن بالكاثوليكية بل كان لا يزال متمسكاً بالنسطرة، لأنَّ النساطرة الذين اعتنقوا الكاثوليكية وتَسَمَّوا فيما بعد كلداناً، كانوا قد تبنوا اسم نسطور حتى أصبح مرادفاً لاسمهم القومي (النساطرة)، وفي الوفد المشكل من الكاهن أو الشماس آدم والراهبين هرمز واوشعنا والعلماني خوشابا وبعض المبشرين اليسوعيين لمفاوضة البطريرك إيليا السابع (١٥٩١–١٦١٧م) لتثبيت إيمانه الكاثوليكي، وخلال لقائهم معه في دير فثيون بين ماردين وديار بكر في ١٧ تشرين الثاني ١٦١٥م، قال البطريرك: إنه يرفض إلغاء وشطب اسم نسطور وتيودور وغيرهما من أساطين النساطرة من كتب الكنيسة الشرقية، وعند عودة الوفد إلى روما في ٨ تشرين الثاني سنة ١٦١٦م، أعلن أنه ليس في ديار بكر من هو كاثوليكي حقاً[1].

وعندما زار الرحَّالة الأب دنيس غرينيارد المُلقَّب إكليل الشوك (١٦٠٥–١٦٦١م) البطريرك شمعون الحادي عشر (١٦٣٨–١٦٥٦م) الذي كان

---

[1]: ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ج٣ ص١٥٣–١٥٥.

نسطورياً واعتنق الكثلكة، أكَّدَ له البطريرك أنَّ رعاياه من المؤمنين لا زالوا على العقيدة النسطورية، وعند وفاة مطران آمد يوسف إيليا سنة ١٦٧٢م، لم يبق للسريان الشرقيين الذين اعتنقوا الكثلكة أسقف واحد، فتَولَّى أمرهم المطران النسطوري يوحنا، وكان إيمان البطريرك إيليا الثامن (١٦١٧–١٦٦٠م) بالكاثوليكية بارداً[1]، ثم عاد قسم من البطاركة الكاثوليك إلى النسطرة وقطعوا العلاقة مع روما مثل البطريرك شمعون الثالث عشر (١٦٦٢–١٧٠٠م)، وبقي وضع النساطرة والكاثوليك مضطرباً ومتداخلاً بين البطاركة الثلاثة الشمعونيين في قوجانس واليوسفيين في ديار بكر والإيليين في ألقوش، علماً أنَّ الشمعونيين بقوا نساطرة بكل معنى الكلمة باستثناء أربعة بطاركة منهم، أمَّا الإيليون واليوسفيون فكانوا متأرجحين بين الكثلكة والنسطرة، وكان الإيليون يميلون إلى النسطرة أكثر، واليوسفيون يميلون إلى الكثلكة أكثر.

استقال بطريرك ديار بكر يوسف الرابع (١٧٥٩–١٧٨١م) وبقي الكرسي شاغراً لحقبة من الزمن، فتم تعيين مطران الموصل يوحنا هرمز مطراناً بالنيابة على ديار بكر، لكن الشعب لم يرتح له لأنه كان تابعاً لقسم الإيليين في ألقوش، وكان يميل إلى أبناء عشيرته كثيراً ويفضلهم على غيرهم، ولم يهتم بالأبرشيات، وغيرها من الأمور، وحدثت مشاكل كثيرة، فرُسم ابن أخ البطريرك يوسف الرابع وهو القس أوغسطين الهندي (١٨٠٣–١٨٢٨م) مطراناً مدبراً بطريركياً على الكاثوليك في كرسي ديار بكر، وفي هذه الأثناء توفي بطريرك ألقوش إيليا الثاني

---

[1]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج٢ ص١٩٠–١٩٣.

عشر (١٧٧٨–١٨٠٤م)، وأصبح كرسي ألقوش أيضاً شاغراً، فخلَت الساحة أكثر أمام يوحنا هرمز وأراد أن يصبح بطريركاً، ورأت روما أنَّ الفرصة جيدة لتوحيد الكرسيين ورسم بطريرك واحد لهما، لكن التنافس على البطريركية أصبح قوياً جداً بين يوحنا هرمز وأغسطين الهندي، وحدثت مشاكل كبيرة بينهما يطول شرحها، ولم تُحل المشكلة إلاَّ بوفاة أوغسطين الهندي، فتم رسم يوحنا هرمز بطريركاً سنة ١٨٣٠م، واتحد الذين ثبتوا على الكثلكة في الكرسيين ديار بكر وألقوش، وأعطت روما يوحنا هرمز لقب بطريرك بابل على الكلدان، وهي أول مرة في التاريخ يُمنح فيها هذا اللقب، وتُسَمِّي مصادر الكنيسة السريانية الشرقية (الكلدانية) هذا الاتحاد "الاتحاد الثاني"، ثم قام يوحنا هرمز بنقل مقر البطريركية الكلدانية الموحدة إلى مدينة الموصل.

كان البطريرك يوحنا هرمز (١٨٣٠–١٨٣٨م) من عائلة أبونا النسطورية وابن عم البطريرك إيليا الثاني عشر، وكان إيليا في البداية ميالاً للكثلكة لكنه عاد إلى النسطرة وبقوة ومات نسطورياً، وهو الذي رسم يوحنا هرمز مطراناً للموصل سنة ١٧٧٦م وعمره ست عشرة سنة[1]، وكان يوحنا في بداية الأمر نسطورياً واعتنق الكثلكة سنة ١٧٧٨م، ولهذا لم تكن روما تثق به ولم ترسمه بطريركاً بعد وفاة ابن عمه إيليا خوفاً من أن يرجع للنسطرة مثله، وكانت روما تميل إلى أوغسطين الهندي، لكن بعد وفاته خَلَت الساحة أمام يوحنا هرمز خاصةً أنَّ أحداً لم يَخلِف الهندي في كرسي ديار بكر ليكون منافساً قوياً ليوحنا، ومن

[1]: كان يُسَمَّى مطران الموصل لكن مقره في البداية كان في عينكاوا لأنَّ عدد الكلدان في الموصل كان قليلاً جداً، ثم استقر في الموصل عندما أصبح بطريركاً.

جهة أخرى كان يوحنا من عائلة قوية هي عائلة أبونا النسطورية يستطيع من خلالها كسب أولاد عمه النساطرة في بطريركية قوجانس الشمعونية، ولذلك رسمته روما بطريركاً، وعززت موقفه خوفاً من عودته للنسطرة وأعطته لقب بطريرك بابل على الكلدان، وبقي يوحنا هرمز كاثوليكياً إلى وفاته، لكنه أراد أن يجعل البطريركية وراثية في عائلة أبونا كسابق عهدها النسطوري، وعندما شعرت روما بذلك عَيَّنَت مطران سلماس في إيران نيقولاس زيعا معاوناً له واشترطت على يوحنا هرمز أن يَخلِفهُ زيعا بعد موته، وفعلاً بعد وفاة يوحنا هرمز خَلَفهُ نيقولاس زيعا (١٨٤٠-١٨٤٧م) الذي في عهده اعترفت الدولة العثمانية بصورة رسمية باسم بطريرك الكلدان لأول مرة في التاريخ وذلك سنة ١٨٤٤م.

عانى البطريرك زيعا من مشاكل كبيرة، وبقيت الخلافات قائمة في الكنيسة الكلدانية فاضطر للاستقالة بإيعاز من روما، وعاد منعزلاً إلى سلماس وتوفي هناك سنة ١٨٥٥م.

خَلَفَ زيعا البطريرك يوسف السادس أودو (١٨٤٧-١٨٧٨م) الذي استلم الكنيسة الكلدانية بمشاكلها مع النساطرة، ناهيك عن اختلافه مع روما أيضاً في البداية في بعض الأمور التنظيمية والعقائدية حيث كان معترضاً على عقيدة عصمة البابا الكاثوليكية، ويؤكِّد الرحَّالة أدولف أفريل أنَّ علاقة البطاركة الذين خلَفوا سولاقا مع كنيسة روما بقيت فاترة وشبه معدومة إلى وقت متأخر، مما جعل البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٨٧٢-١٨٨٥م) أن يرسل بعثة سنة (١٨٥٣-١٨٥٥م) برئاسة مطران صيدا ليوناردو هابيل إلى الشرق لمعالجة الموقف[١].

[1]: أدولف أفريل، البعثة الدينية لمطران صيدا، طبعة باريس ١٨٦٦م.

يُعَدُّ البطريرك يوسف السادس أودو رجل المهمة الصعبة في تاريخ الكنيسة الكلدانية، فقد كان ذكياً وحكيماً، نشيطاً جداً ومثابراً لا يعرف الكلل، منفتحاً على الآخرين، واستطاع العمل بحكمته على تنظيم الكنيسة الكلدانية وتذليل مشاكلها وخاصةً مع النساطرة، وانضم في عهده كثير من النساطرة إلى الكثلكة وأصبحوا كلداناً، كما كانت له محاولات حثيثة لكسب مسيحيِّي الهند لكنيسته، وهو أول من قام ببناء المؤسسات الكلدانية ودعمها مثل دير شمعون الصفا الكهنوتي، وفي عهده استقرت أمور الكنيسة الكلدانية بالاتحاد مع روما الكاثوليكية وثبتت كواقع على الأرض، ويقول المبشر المستر جون آشر عضو الجمعية الجغرافية الملكية في انكلترا الذي زار العراق والتقى في ٩ كانون الأول سنة ١٨٦٤م مع البطريرك الكلداني يوسف السادس أودو بصحبة هرمز أنطوان رسام: إنَّ البطريرك أخبره أنَّ عدد أفراد طائفته في ازدياد مستمر وإنه يأمل لها التقدم والازدهار.

لذلك يُعَدُّ يوسف السادس أودو مؤسس الكنيسة الكلدانية الحالية الفعلي من الناحية الواقعية والعملية، والمدة بين (١٥٥٣–١٨٣٠م) هي مدة مضطربة بين النسطرة والكثلكة، وهي حقبة تنظيم الأبرشيات الكاثولكية قبل أن تتخذ اسم الكلدان رسمياً لها، وقبل أن تنتظم وتصبح قوية في عهد يوسف أودو.

حصلت بطريركية الكلدان لأول مرة على اعتراف رسمي من الدولة العثمانية كبطريركية (مِلَّة) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠١م، بعد أن كانت هذه الكنيسة تُسَمَّى سابقاً، كنيسة السريان الشرقيين أو المشارقة أو النسطورية.

لهذا فإنَّ نشأة الكنيسة الكلدانية تَمَّتْ على مراحل متعددة[1]، وتسمية الكلدان والكنيسة الكلدانية صحيحة منذ الاتحاد الثاني في عهد البطريرك يوحنا هرمز سنة ١٨٣٠م فقط، أمَّا ما قبلها، فكانت التسمية كما يذكر معظم الرحَّالة والمبشرين هي: السريان الشرقيون، النساطرة الذين انضموا إلى روما وأصبحوا كاثوليكاً، النساطرة المهتدين، النساطرة غير الضالين، النساطرة البابوية، النساطرة الكاثوليك، أو الكاثوليك فقط، كما سيأتي.

وإني أرى أنَّ الاسم الصحيح والواقعي الفعلي للكلدان من سنة ١٥٥٣م وإلى سنة ١٨٣٠م هو **السريان الشرقيون الكاثوليك** تمييزاً لهم عن السريان الكاثوليك، وبعد سنة ١٨٣٠م، فإنَّ اسمهم هو، الكلدان[2].

في شتاء سنة ٢٠٠٤م، طلب مني الكاتب بسام إدريس الجلبي الذهاب معه إلى مطرانية الكلدان في مدينة الموصل للاستفسار عن بعض الشخصيات الموصلية المسيحية لأنه كان يؤلف كتابه "أعلام الموصل"، وفي الطريق بدأ حديث بيننا حول تاريخ وأصل الكلدان، فقلت له: الكلدان هم سريان شرقيون لا علاقة لهم بالكلدان القدماء، وإنَّ تسميتهم حديثة تعود إلى سنة ١٨٣٠م، ولكن هم يَعدُّونها منذ انشقاق يوحنا سولاقا عن الكنيسة النسطورية سنة ١٥٥٣م، فاستغرب من كلامي، وشعرت أنه لم يقتنع تماماً، وقال لي سأبحث هذا الأمر لأتأكد، وقبل وصولنا زرنا نيافة المطران اسحق ساكا في الدير

---

[1]: المطران ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية ص٣٥٧.

[2]: السريان الكاثوليك انشقوا عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية سنة ١٦٦٢م ورسموا أخيجان بطريركاً، واستقلوا تماماً في عهد البطريرك جروة (١٧٨٢-١٨٠٠م).

الكهنوتي للسريان الأرثوذكس ضمن بناية كنيسة الطاهرة الداخلية القريبة من مطرانية الكلدان، ثم خرجنا وذهبنا إلى مطرانية الكلدان، وعند دخولنا إلى دار المطرانية في محلة الشفاء، وهي المرة الأولى لكلينا، لاحظنا مباشرة وعلى الجهة اليمنى صور بطاركة الكلدان مُعلَّقة على الجدار، وتبدأ من يوحنا سولاقا، فقلت للأستاذ الجلبي، ما رأيك وهل اقتنعت بكلامي؟، فقال لي: نعم وأشكرك لأني تأكدت ولا حاجة للبحث في الأمر.

وأول أسقفية في العراق للسريان الشرقيين الكاثوليك الذين تَسَمَّوا كلداناً سنة ١٨٣٠م، هي العمادية التي تأسست سنة ١٧٨٥م وكانت تضم زاخو وعقرة، ثم أسقفية كركوك سنة ١٧٨٧م وكانت تضم معها أربيل، وأول مطران كاثوليكي لأبرشية كركوك هو إبراهيم (١٧٨٩-١٧٩٣م) وكان مقره مدينة عينكاوا[1]، وفي سنة ١٩١٣م كان عدد الكلدان في عينكاوا ثلاثة آلاف شخص وعدد الكهنة خمسة وعدد الكنائس كنيستين اثنتين مع خمسين شخصاً في مركز مدينة أربيل، أمَّا في كركوك فكان عدد الكلدان ثمانمئة شخص وعدد الكهنة أربعة وعدد الكنائس كنيستين اثنتين، وفي السليمانية كان عدد الكلدان مئتي شخص وكنيسة واحدة صغيرة وكاهن واحد، وفي دهوك كان عدد الكلدان ثلاثمئة وخمسين شخصاً وعدد الكهنة اثنين وكنيستين اثنتين، وفي عقرة بلغ عدد الكلدان مئتين وخمسين شخصاً وكاهنين اثنين وكنيستين اثنتين، وفي العمادية وصل عدد الكلدان إلى أربعمئة شخص وكاهنين اثنين بدون كنيسة (مُصلَّى صغير)، وفي زاخو

---

[1]: المطران أندراوس صنا، تاريخ المسيحية في كركوك وباجرمي ص٥٥.

كان عدد الكلدان خمسين شخصاً وكاهن واحد وكنيسة واحدة[1]، أمَّا في مركز مدينة الموصل فلا يوجد أي ذكر للسريان الشرقيين الكاثوليك (الكلدان فيما بعد) قبل سنة ١٧٤٣م، ولم يذكرهم الرحَّالة مثل الراهب دنيس غرينيارد سنة ١٦٥٣م، والأب دي سانتا ماريا الكرملي الذي زار كنيسة للسريان الأرثوذكس (يُسَمِّيهم اليعاقبة) وأخرى للنساطرة في الموصل سنة ١٦٥٦م، حيث ذكر عدد السريان والنساطرة في المدينة فقط[2]، ويؤكِّد الرحَّالة بولي ليكوز (١٦١٠–١٦٦٥م) أنَّ غالبية سكان الموصل سنة ١٦٦٤م كانوا من السريان الأرثوذكس، وفي التقرير الذي أرسله أسقف بغداد عمانوئيل الكرملي إلى روما سنة ١٧٤٣م قال: عدد العوائل المسيحية في الموصل كان ألف عائلة نصفهم سريان أرثوذكس والنصف الآخر نساطرة، ولا يزيد عدد الكاثوليك فيها على عشر عوائل[3]، وبحسب الأب جان موريس فييه الدومنيكي (١٩١٤–١٩٩٥م)، واستناداً إلى نصوص الرحَّالة، كان عدد الكاثوليك في الموصل خمسين شخصاً في سنة ١٧٥٣م، أمَّا تقريري الأب بيير دوفال الدومنيكي (١٨٣٢–١٩٠٤م) والمطران مويلر سيمونيس (١٨٨٨– ١٨٨٩م) فيُقدِّران عدد الكلدان في الموصل سنة ١٨٨٨م (٢١٠٠–٢٢٥٠) شخصاً، وفي سنة ١٩١٣م كان عددهم أربعة آلاف وخمسمئة شخص.

---

[1]: الأب يوسف حَبِّي، تاريخ كنيسة المشرق الكلدانية – الأثورية، حسب إحصائية الخوري يوسف تفنكجي الكلداني لسنة ١٩١٣م، وقد ذكرنا المدن الرئيسة فقط.

[2]: الأب بطرس حداد، رحلة سبستياني إلى العراق ص٢٤.

[3]: عَدَّ بعض المؤرخين الكلدان مثل رفائيل بابو أنَّ العوائل العشرة كلهم كلدان (تاريخ نصارى العراق ص١٣١)، لكن الكاثوليك قد يكونون روم أو أرمن أو غيرهم.

وفي القصبات والقرى الشمالية التابعة لمدينة الموصل (سهل نينوى) مثل ألقوش، تلكيف، وتللسقف، كان عدد الكلدان فيها سنة ١٩١٣م (١٨٥٠٠) شخصاً، أي أكثر من مركز مدينة الموصل، أمَّا في الشمال الشرقي من الموصل فلم يكن للكلدان حضور باستثناء كرمليس التي كان فيها أربعة آلاف شخص.

ولم تصبح مدينة الموصل مركزاً مهماً للكلدان قبل أن يستقر فيها البطريرك يوحنا هرمز سنة ١٨٣٠م ويتخذ من كنيسة القديسة السريانية الشهيدة شيرين (مْسكَنته +٤٤٥م) مقراً للبطريركية والتي بقيت إلى عهد البطريرك الكلداني يوسف غنيمة (١٩٤٧–١٩٥٨م)، حيث انتقلت تدريجياً إلى بغداد واستقرت فيها منذ عهد البطريرك بولس الثاني شيخو (١٩٥٨–١٩٨٩م)، كذلك استعمل الكلدان في الموصل في بداية الأمر كنيسة القديس السرياني الشهيد مار فثيون (+٤٤٨م)، وهاتان الكنيستان (مسكنته وفثيون) هما كنيستان قديمتان أصلاً شَيَّدهما النساطرة ثم أخذهما الكلدان وجدداهما على الأنقاض القديمة، وأول كنيسة كلدانية شُيِّدت بصورة مستقلة باسم الكلدان في الموصل هي، كنيسة مار يوسف في الميدان سنة ١٩٢٣م.

في مدينة بغداد كان السريان الشرقيين الكاثوليك (الكلدان فيما بعد) في بداية انفصالهم عن النساطرة يُصلُّون في كنيسة الميدان النسطورية التي شُيِّدت بين سنتي (١٦١٦–١٦٢٨م) والتي كانت تُسَمَّى عدة أسماء أقدمها هو كنيسة يوحنا العربي ثم سُمِّيت "كنيسة السيدة العذراء"، وبعد مشاكل بين النساطرة والأرمن حول الكنيسة، أخذها الأرمن الأرثوذكس كنيسة مسكنته الحالية قرب محافظة بغداد، فشرع الكاثوليك يُصلُّون في دير الآباء الكبوشيين وكنيسة الآباء

الكـــرمليين في ســوق الغـــزل[1]، وفي ســـنة ١٧٢٩م انحـــدر البطريـــرك يوســـف الثالــث (١٧١٣–١٧٥٧م) مــن مقــره في ديــار بكــر إلى الموصــل ليأخــذ كنــائس النــساطرة ويجعلــها للكاثوليــك، لكــن النــساطرة قــاوموه بــشدة، ثــم أرســل كــاهنين إلى بغــداد لأخــذ كنيــسة المــدائن لطائفتــه، فلــم يــنجح بــذلك أيــضاً، وبلــغ عــدد جميــع الكاثوليــك في بغــداد ســنة ١٧٥٣م ســتاً وثمــانين عائلــة، تــشكل أربعــة طوائــف كاثوليكيــة هــي: الكلــدان، الــسريان، الأرمــن، الــروم[2]، وأول كنيــسة ســريانية شــرقية كاثوليكيــة (كلدانيــة فيمــا بعــد) في بغــداد، كانــت داراً في الميــدان في محلــة كــوك نــزر تَبرَّعــت بهــا الــسيدة حمــام (وقيــل اسمهــا أمــاني)، فــشَيَّدت كنيــسة باســم مــريم العــذراء[3]، ثــم سُــمِّيت "مــسكنته"، بعــد أن جَلَــبَ المؤمنــون قــسماً مــن عظــام القديــسة مــسكنته مــن كنيــستها في الموصــل، وافتُتحــت ســنة ١٧٤٦م، لكنهــا احترقـت وهـدمت قبـل سـنة ١٨٠٠م، ولا أثـر لهـا اليـوم، بعـدها شـرع المؤمنـون يُــصلّون في دار القــس يوســف إبــراهيم في منطقــة العاقوليــة، ثــم تم بنــاء كنيــسة ســيدة الأحــزان الــتي افتتحــت ســنة ١٨٣٩م، وهــي ثــاني كنيــسة

---

[1]: قــام والــي بغــداد محمــد باشــا الخاصــكي بالاســتيلاء علــى ديــر الكبوشــيين وهدمــه ســنة ١٦٣٨م، وشَــيَّد مكانــه جــامع الخاصــكي الحــالي، ثــم أعطــى الــوالي الرهبــان داراً مقابل الجامع فشَيَّدوا عليها الدير الذي نحن بصدده.

[2]: رفائيــل بــابو إســحق، تــاريخ نــصارى العــراق ص١٣٢. ملاحظــة: لم يكــن ســنة ١٧٥٣م طائفــة باســم الكلــدان، لــذلك الــصحيح أن يُــسَمِّي رفائيــل بــابو الكلــدان: الــسريان الشرقيين الكاثوليك الذين تَسمُّوا كلداناً فيما بعد).

[3]: الأب بطــرس حــداد عــدَّها الكنيــسة الثانيــة بعــد كنيــسة الميــدان النــسطورية. (كنائس بغداد ص١٥٣).

للكلدان في بغداد وأقدم كنيسة كلدانية في العراق، بل أقدم كنيسة كاثوليكية في العراق شَيَّدها كاثوليك العراق، وكان عدد الكلدان في بغداد سنة ١٩١٣م سبعة آلاف نسمة[1].

في مدينة البصرة كان يوجد سنة ١٧٤٣م ثماني عائلات كاثوليكية مقابل مئتي عائلة أرثوذكسية أغلبها من الأرمن والبقية سريان، وهم الذين فروا من إيران بسبب اضطهاد نادر شاه لهم، وبمرور الوقت ازداد عدد الكاثوليك وانتمى القسم الأكبر منهم إلى الكنيسة الكلدانية فيما بعد، وأصبح عدد الكلدان في البصرة والعشار سنة ١٩١٣م تسعمئة وخمسين شخصاً يملكون كنيسة واحدة، وفي سنة ١٩٢٨م نُقل المطران أوجين منا من منطقة وان قرب العمادية إلى البصرة ليكون أول أسقف كلداني لها.

في مدينة الكوت كان عدد الكلدان سنة ١٩١٣م مئة شخص وكاهن واحد، لكن بدون كنيسة.

في مدينة العمارة كان عدد الكلدان سنة ١٩١٣م مئة وستين شخصاً وكاهن واحد، وبدون كنيسة.

أول كنيسة للكلدان في مدينة الحلَّة (بابل)، افتتحها البطريرك بولس الثاني شيخو في ٦ نيسان ١٩٨٧م، وكان عدد العائلات المسيحية فيها مئة وخمس وثلاثين عائلة تقريباً أغلبهم كلدان، وكانوا بدون كاهن حيث كان يذهب إليهم كاهن من بغداد أسبوعياً لإقامة القداس.

لغة الكنيسة الكلدانية هي السريانية (ܣܘܪܝܝܐ سوربيثا)، بلهجتها الشرقية (ܡܕܢܚܝܐ مدنحايا) ويُسَمِّيها الناس اختصاراً "السورث أو الفَلِّيحي".

---

[1] : كاثوليك العراق، لأنه قد يكون هناك كاثوليك أجانب لهم كنيسة أو ديراً كما رأينا.



(أُم الأحزان) ثاني كنيسة كلدانية في بغداد

وأقدم كنيسة كلدانية باقية في العراق

وأقدم كنيسة كاثوليكية في العراق شَيَّدها كاثوليك العراق

شُيِّدت سنة ١٨٣٩م

في إعطاء روما لقب البطريرك للجاثليق ومنهم جاثليق الكلدان

في بداية المسيحية ومنذ عهد الرسل استعمل المسيحيون لقب أسقف الذي يعني رئيس الكهنة أو الرقيب أو الناظر أو المشرف، وهو من الألفاظ المُعرَّبة عن اليونانية، وقد نُقلت إلى السريانية ومنها إلى العربية التي أتت بمعنى الشخص الذي يتخاشع بمشيئته أو الخاضع والمنحني في عبادته، وهو عالم من علماء المسيحيين[1].

ولما كان عدد الأساقفة قليلاً في البداية، كانت الجغرافية هي التي تُميِّز الأساقفة بعضهم عن بعض، وكان اسم الأسقف مرتبطاً دائماً بمدينة أو منطقة جغرافية معينة، ومنذ نهاية القرن الثالث ونتيجة لازدياد الرعية وعدد الأساقفة، أصبح التنظيم المسيحي الكنسي يُميِّز كمنصب بين أساقفة المناطق الصغيرة وبين أساقفة المدن الكبيرة، وإن كان الاثنان متساويان في المكانة من حيث السيامة والكهنوت، فكان أساقفة المدن الصغرى ورعيتهم من الكهنة والرهبان والمؤمنين من الشعب يتبعون إدارياً لأسقف الكنيسة في المدينة الأكبر في المنطقة والذي دعي مطراناً (متروبوليت) ومعناها أسقف أُم المدن أو رئيس أساقفة، وأساقفة المدن الكبرى بدورهم يتبعون أسقف الكرسي الرسولي (البطريرك) وهو الرئيس الأعلى للأساقفة وكان اسمه مرتبطاً باسم العاصمة دائماً مثل أساقفة: أنطاكية والإسكندرية وروما والقسطنطينية.

وعندما ازداد عدد الأساقفة في القرون الثلاثة الأولى في العالم بدأت الكنائس تُنظِّم ألقاب الأساقفة من حيث الدرجات، وقد سُمِّي الأسقف الأنطاكي قبل غيره بطريركاً، وفي القرن الثالث أيضاً أُطلق لقب بابا

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب ج٦ ص ٢٩٨. والزبيدي، تاج العروس ج٦ ص١٤١.

علــى بطريــرك الإســـكندرية الثالــث عــشر يــارالاكس (٢٣٠-٢٤٦م) لأنــه كان محبوباً جداً من قِبَل رعيته الذين عَدُّوهُ أباً لهم، أي بابا.

أمَّـا أسـقف رومـا فكــان لقبـه، أسـقف رومـا فقـط، وفي القـرن الـسادس أطلـق أسـقف بـاريس أنوديـوس مغنـوس فيلـيكس (٥١٧-٥٢١م) لقـب البابـا علـى أسـقف رومـا هرمزيـدا (٥١٤-٥٢١م)، لكــن هــذا اللقـب لم يـلازم أسـقف رومـا لأنَّ كـثيراً مـن الأسـاقفة الآخـرين كـانوا يـستعملونه أيـضاً، إلى أن اعتلــى كرســي رومــا الأســقف غريغوريــوس الــسابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) الـذي عقـد مجمعـاً محليـاً حَـرَّمَ فيـه كـل أسـقف يَطلـق لقـب بابـا علـى نفسه أو على غيره، وحصر حق استعمال لقب بابا بأسقف روما فقط.

في ســنة ٤١٠م وفي مجمــع ســاليق ونتيجــة للظــروف الــتي مــرت بهــا الكنيـــسة الأنطاكيـــة الـــسريانية الأرثوذكـــسية منـــذ ســـنة ٣٦٣م مـــن مــشاكل بــين الــدولتين الرومانيــة والفارســية ومقتــل بعــض الرهبــان عنــد ذهــابهم إلى أنطاكيــة، ولـصعوبة الاتـصالات كمـا ذكرنـا سـابقاً، مُـنحَ مـار اسـحق مطــران المــشرق في كنيــسة كــوخي في ســلوقية أو المــدائن، لقــب (جــاثليق) ومعناهــا مطــران عــام، مــسؤولاً علــى الكنيــسة الــسريانية في الــشرق (العــراق وبــلاد فــارس)، خاضــعاً لــسلطة البطريــرك الأنطــاكي السرياني الأرثوذكسي إدارياً وعقائدياً.

ولم يَطلــق المجتمعــون في مجمــع ســاليق علــى مــار اســحق لقــب بطريــرك خوفــاً مــن حــصول تَــصدُّع في وحــدة كنيــسة المــسيح، ونظــراً لأنَّ إجــراء كهــذا ســوف يلغــي ســيادة وســلطة بطريــرك أنطاكيــة الــذي كــان هــو الرئيس الأعلى والمباشر للكنيسة في هذه المناطق[1].

---

[1]: الأب د. جي. سي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون – الكلدان ص ٢٦.

يقول المعلم لومون الفرنساوي (١٧٢٤-١٧٩٤م): كان للبطريرك الأنطاكي سلطان على كل الشرق المسيحي، ولم يكن بطريركاً غيره في كل البلاد السريانية، وكان للبلاد الشرقية على الخصوص أسقف كبير خاضع للبطريرك الأنطاكي يُسَمَّى، الجاثليق، وكرسيه مدينة سلوقية أو المدائن[1].

وتتفق المصادر العربية والإسلامية على أنَّ البطريرك الأنطاكي هو أعلى درجة في الشرق، ويقول القلشقندي: كلمة بطرك أو البطريق، جمعها بطارقة، وهو مُقَدَّم النصارى والقائم بأمرهم، ويُطلق على أربعة كراسي، منها كرسي أنطاكية من بلاد العواصم[2].

فالجاثليق رتبة أقل من بطريرك وأعلى من مطران، وهو رئيس كنيسة بلد ما أو عدة بلدان محددة، تُسَمَّى كرسيه، كرسي الجثلقة، والجاثيلق لفظة يونانية (كاثلويكوس، جاثوليكوس)، ومعناها العام أو الشامل.

بقي لقب الجاثليق في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية مستعملاً إلى سنة ٦٢٨م عندما انتقل مقر الجاثليقية من المدائن إلى تكريت في عهد ماروثا التكريتي، فاستبدل المؤرخون السريان لقب الجاثليق بمفريان، خاصةً من سنة ١٠٧٥م، والمفريان كلمة سريانية معناها المثمر، وهو اليوم لقب رئيس كنيسة الهند الخاضع لبطريرك السريان الأرثوذكس.

استمر استعمال لقب الجاثليق في الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) إلى القرن التاسع عشر، ثم أضيف له لقب البطريرك، وإلى اليوم تَستعمل الكنيسة الشرقية القديمة لقب الجاثليق إلى جانب

---

[1]: المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة، طبعة الموصل١٨٧٣م، ص١٧٨.

[2]: صبح الأعشى ج٥ ص٤٤٣.

البطريـــرك، ويُوقِّـــع جاثليقهـــا أدى الثـــاني، جـــاثليق بطريـــرك الكنيـــسة الـشرقية الجاثليقيــة القديمــة، والجــاثليق والمفريــان همــا اسمــان مترادفــان، وتُسَمَّى كرسيه، كرسي الجثلقة أو المفريانية.

كــان جثالقــة الكنيــسة الــسريانية الــشرقية (النــسطورية) يعتــزون باســم الجــاثليق خاصــةً بعــد أن قويــت مكــانتهم لــدى الخلفــاء العباســيين لدرجــة أنَّ الجــاثليق النــسطوري إبــراهيم الثالــث (٩٠٦–٩٣٧م) دفــع مبلــغ ثلاثــين ألــف دينــار، واســتطاع الحــصول علــى مرســوم مــن الخليفــة المقتــدر بــالله (٩٠٨–٩٣٢م) يمنــع بموجبــه إيليــا جــاثليق الكنيــسة الــسريانية الملكيــة (الــروم الأرثـوذكس) في بغـداد أن يُـسَمِّي نفـسه جاثليقـاً، وعنـدما رفـض إيليـا ذلـك، هجـمَ عليــه إبــراهيم الثالــث في الكنيــسة وأخــذه إلى الخليفــة الــذي أقَــرَّ أنَّ الرئاسـة في بغـداد لجـاثليق النـساطرة فقـط، وحـدث مثـل هـذا الأمـر أيـضاً في تكريــت مــع المفريــان الــسرياني الأرثوذكــسي تومــا الثــاني العــامودي (٩١٠–٩١١م)[١]، وشَــيَّد الــسريان الــشرقيون (النــساطرة) ديــرين قــرب بغــداد باســم ديــر الجــاثليق، وكــان خمــسة مــن جثالقــة المــشرق علــى الأقــل المتــوفين بــين سـنة (٨٢٣–٨٧٢ م) قـد دفنـوا في ديـر الجـاثليق الواقـع غـرب بغـداد، ويُـسَمَّى هذا الدير بالسريانية، (دير كليل يشوع)، أي إكليل يسوع.

يـــذكر المـــؤرخ كـــوركيس عَـــوَّاد (١٩٠٨–١٩٩٢م)، أنَّ الجـــاثليق هـــو رئيس النساطرة في ديار الشرق[٢].

يقــول الزركلــي (١٨٩٣–١٩٧٦م) في كتــاب الأعــلام: الجــاثليق هــو رئــيس رؤســاء الكهنــة الــسريانيين في بــلاد المــشرق، العــراق وفــارس ومــا إليهــا،

---

[1]: أخبار بطاركة كرسي المشرق، كتاب المجدل لماري بن سليمان ص٩٢، ١٢٥.

[2]: كوركيس عَوَّاد، الذخائر الشرقية ج٥ ص١٧٥.

ويُقال لصاحب هذه الرتبة عند رجال الكنيسة، المفريان، ويقول الزبيدي في تاج العروس: الجاثليق هو رئيس المسيحيين في بلاد الإسلام بمدينة السلام (بغداد)، ويكون المطارنة والأساقفة تحت يده، أمَّا الجاثليق نفسه فيكون تحت يد بطريرك أنطاكية[1].

بعد القرن السادس عشر قامت روما بمنح لقب بطريرك لرؤساء الكنائس المحلية التابعين لها مثل الكلدان والموارنة والسريان الكاثوليك وغيرهم، علماً أنَّ لقبهم وفق كل المصادر التاريخية هو، جاثليق (مطران عام)، أي لقب البطريرك كان يخص رئيس الكنيسة الأعلى فقط كما هو الحال مع بطريرك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الذي يُعادل ويساوي بابا روما في المقام، وتُستعمل معه كلمة (قداسة البطريرك)، بينما تُستعمل كلمة (غبطة أي سعادة)، مع بطاركة (جثالقة) الكنيسة الكاثوليكية المحليين، وجميع الكتب القديمة التي تُعاد طباعتها حديثاً من قِبَل السريان الشرقيين (الكلدان والآشوريين الحاليين)، يَستبدلون فيها لقب الجاثليق القديم بلقب بطريرك الحديث.

يقول القس بطرس نصري الكلداني: إنَّ جثالقة المدائن لم يحوزوا قط على شرف أو لقب البطريرك بحق قانوني في أول الأمر، لكنهم اختلسوا اسم البطريرك والبطريركية واستبدوا به[2].

ولا نعلم إن كانت خطوة إعطاء لقب بطريرك للجاثليق من قِبَل روما الكاثوليكية عفوية أم مقصودة، وذلك بغية تصغير شأن لقبَي ومكانتي بطريركي أنطاكية والقسطنطينية الرسوليين الأرثوذكسيين واللذين

---

[1]: الزركلي، الأعلام ج٥ ص١١٧. وتاج العروس ج٦ ص٣٠٥.

[2]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج١ ص٤٠.

همـا بدرجـة بابـا رومـا ، ولهـذا فقـد قُـدِّمت مقترحـات لبطريـرك الكنيـسة الأنطاكيـة الـسريانية الأرثوذكـسية بتبـديل لقبـه إلى (بابـا أنطاكيـة والمـشرق علـى الكرسـي البطرسـي) لكـي يظهـر جليـاً أنَّ البطريـرك الـسرياني الأرثوذكـسي هـو معـادل لبابـا رومـا ولـيس للبطاركـة المحلـيين الـذين هـم في الحقيقـة جثالقـة ، لكـن يبـدو أنـه ولأسـباب تاريخيـة وتراثيـة لا يريـد البطريـرك الأنطـاكي الـسرياني الأرثوذكـسي تبـديل لقبـه ، علمـاً أنـه قـد لُقِّـبَ (بابـا المـشرق) مـن قِبَـل الهنـود الـسريان، ومـن بعـض الكُتَّـاب مثـل اوسولد باري ورينودوت وغيرهما[١].

---

[1]: لسان المشرق ١٩٥١م، السنة ٣ ص٣٠٦، اوسولد باري، ستة أشهر في دير السريان.

في اسم أبناء الكنيسة السريانية الشرقية من الكلدان والنساطرة الآشوريين أو الأثوريين[1]

نستطيع القول أنَّ العلاقة بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والنساطرة كانت مقطوعة منذ القرن الخامس حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي بسبب معتقد النساطرة الذي يُعَدُّ هرطوقياً من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية، ومنذ أن تأسست البعثات الكاثوليكية التبشيرية الغربية وانطلقت للتبشير في أنحاء العالم ومنها الشرق الأقصى كالهند والصين ومنغوليا وغيرها، كان تَنَقُّل الرسل البابويين في هذه المناطق العسيرة صعباً، لذلك أصبحت الحاجة لبعض مسيحيِّي المنطقة مسألة مهمة، وكانت الكنيسة الكاثوليكية وخاصةً البعثات الفرنسيسكانية تحرص على ألاَّ يكون هؤلاء المساعدون من النساطرة، لكن ذلك لم يمنع الاتصال بهم أحياناً رغم إشكالية معتقداتهم، بسبب تواجد النساطرة القوي وانتشار معتقدهم في أقاصي آسيا، ومعرفتهم اللغات الشرقية المحلية كالفارسية والعربية والمغولية والهندية إلى جانب السريانية التي كانت اللغة الدينية والطقسية لكل مسيحيِّي آسيا، ناهيك عن أنَّ الكنيسة النسطورية كانت تشكل إزعاجاً حقيقياً لكنيسة روما، وكان الهَمُّ الرئيس للبعثات التبشيرية الغربية هو هداية النساطرة إلى العقيدة الكاثوليكية، لذلك نشأت بعض العلاقات بينهم، فكان الكاثوليك يستعينون أحياناً بالرهبان النساطرة الذين كانوا يعملون كأدلَّاء للمناطق وكمترجمين أيضاً، فقد أوفد البابا إنوسنت الثالث في سنة ١٢٤٨م مبعوثه فاسكيلينوس إلى المغول في أرمينيا، وعند عودته كان معه أحد الرهبان النساطرة، ولم يكن البابا مرتاحاً له.

---

[1]: صيغة آشور عبرية وهي بشين مشددة (آششور)، أخذها اليونان واللاتين من العهد القديم، وكتبوها Assyria، لافتقار لغتهم للشدَّة، أمَّا صيغة أثور أو أتور ܐܬܘܪ، فهي سريانية وعربية.

السبب الآخر القوي لحاجة الكاثوليك للاتصال بالنساطرة هو علاقة النساطرة بحكام آسيا وقربهم منهم وخاصةً مع المغول التتر الذين غزوا الشرق في سنة ١٢٥٨م، وقيام حروب الفرنجة التي يُسَمِّيها العرب والمسلمون خطأً بالحروب الصليبية، ولاعتقاد مسيحيِّي الغرب والباباوات بأنَّ المغول سوف يساعدوهم في مواجهة المسلمين، خاصةً أنَّ قسماً من المغول اعتنقوا المسيحية على المذهب النسطوري، وإنَّ النساطرة نشروا ودعموا أساطير كثيرة في الغرب المسيحي عن أشخاص مغول مسيحيين نساطرة يكرهون المسلمين مثل الأب يوحنا والقائد المغولي يلو داشي الذي فَرَّ من الصين سنة ١١٢٥م إلى أواسط آسيا والذي كان محاطاً برجال دين مسيحيين نساطرة، وغيرهما، وفي نهاية ١٢٤٨م استقبل ملك فرنسا لويس التاسع عندما كان في قبرص وهو يتهيأ لحملته على مصر رسالة أرسلها له القائد المغولي ايليغيدي بيد اثنين من النساطرة.

كان نشاط الكنيسة الكاثوليكية باستقطاب قسم من السريان الشرقيين الذين انفصلوا عن النساطرة سنة ١٥٥٣م واعتنقوا الكثلكة، والذين تَسَمَّوا بالكلدان سنة ١٨٣٠م، قد أثار انتباه الدول الغربية الكبرى وشجعهم للقدوم إلى المنطقة، فبدأ المبشرون الغربيون منذ بداية القرن الميلادي السابع عشر ومن مختلف الكنائس الكاثوليكية الرومانية، والأنكليكانية (الإنكليزية)، والأمريكية (البروتستانتية، الإنجيلية)، وغيرهم، يتوافدون إلى مناطق النساطرة في جبال العراق وإيران الشمالية وبحيرة أورميا ووان، وشمال شرق تركيا، وشهدت مناطق النساطرة تنافساً حثيثاً من قِبَل تلك الكنائس بغية كسب النساطرة مذهبياً كل طرف لكنيسته بكونهم لقمة سهلة لهم، حيث كانا الجهل والأمية يسودان المنطقة.

في سنة ١٦٢٢م أنشأت روما مجمع التبشير بالإيمان (Propaganda) وزار المنطقة عدد كبير من الرهبان والمبشرين يحملون أسماء كثيرة مثل الدومنيكان، الكبوشيين، الكرمليين، البروتستانت، الأنكليكان وغيرهم، وقام هؤلاء بإنشاء مراكز تبشيرية وفتح كنائس ومدارس، واستعملوا مسألة الطب وتوزيع الأدوية طريقة سهلة لكسب هؤلاء البسطاء من الناس حتى انتشرت مقولة بين الرحّالة والمبشرين تقول: "وَزِّعْ عقاقيرك الطبية بسخاء بين الناس سواء عرفت شيئاً من صناعة الطب أم لم تعرف"، واستطاع قسم منهم الحصول على موافقات من الجهات الرسمية أو من رؤساء العشائر مثل الدومنيكان الذين قَدِموا إلى المنطقة سنة ١٧٥٠م وحصلوا على دار في منطقة العمادية بموافقة أمير بهدنان بهرام باشا (١٧١٤–١٧٦٨م).

ويخطئ من يظن أنَّ النساطرة (الآشوريين والكلدان الجدد)، كانوا غائبين عن التاريخ أو عن قلم الكُتَّاب بسبب بُعد المنطقة وصعوبة الوصول إليها بسبب تضاريسها الجبلية، وما ذلك القول إلاَّ حجة بغية كتابة تاريخهم من جديد من قِبَل بعض الكُتَّاب على هواهم، فقد بلغ عدد الرحّالة والمبشرين أو الكُتَّاب الغربيين الذين زاروا المنطقة أوكتبوا عنها منذ القرن السادس عشر حوالي مئة وخمسين مبشراً وكاتباً، سَجَّلوا كل تفاصيل حياتهم: الدينية، الاجتماعية، طريقة عيشتهم، أسماء عشائرهم وألقابهم وقراهم، أعدادهم التقريبية..إلخ، في أكثر من مئتي كتاب ومقالة، وكان هؤلاء الرحّالة والكُتَّاب من مختلف الاختصاصات، ففضلاً عن رجال دين من مطارنة وكهنة ومبشريين، كان فيهم: جغرافيون، مؤرخون، مُنقِّبون وعلماء آثار، علماء نبات، سياسيون، أطباء، مهندسون، فيزيائيون، علماء لغة..إلخ.، ولم تقتصر الرحلات

والكتابات على الرجال فقط بل كان للنساء أيضاً دور بارز حيث قمن بزيارة المنطقة كمهنيات أو كرحالة، وقسم منهنَّ تزوجن بنساطرة، وقسم آخر رافقن أزواجهنَّ في الرحلة وكتبن عنها، ومنهنَّ: إزابيل بيشوب (١٨٣١–١٩٠٤م)، ميري مونتيكو (١٦٨٩–١٧٦٢م)، ستان هوب (١٧٧٦–١٨٣٩م)، ماري ريج (١٧٨٩–١٨٧٦م)، جاني مارسيل ديولافوا (١٨٥١–١٩١٦م)، بلونت بايرون (١٨٣٧–١٩١٧م)، وغيرهنَّ.

ولم يرد اسم الآشوريين أو الكلدان كاسم قومي لجماعة معينة في كل كتب الرحَّالة والمبشرين أو الكُتَّاب الذين زاروا منطقة النساطرة أو كتبوا عنها قبل مطلع القرن العشرين، وسنستند في كتابنا هذا على ما كتبه العشرات منهم حول تسمية الآشوريين والكلدان والسريان.

ونظراً لكثرة وتعدد أسماء المبشرين وارتباطهم بالكنائس والبعثات والإرساليات التبشيرية ودورهم الرئيس في إطلاق وتعزيز الاسم الكلداني والآشوري على مسيحيِّي المنطقة وخاصةً في العراق، ولكي تكون الصورة واضحة للقارئ، فإننا سوف نعطي نبذه تاريخية مختصرة عن هذه الكنائس والرهبانيات، مقتصرين على الإرساليات التي سترد في كتابنا.

١: **الفرنسيسكان**: رهبنة كاثوليكية أسسها الراهب الإيطالي فرنسيس الأسيزي (١١٨١–١٢٢٦م)، الذي كان غنياً وتأثر بآية إنجيل متى (١٠: ٨–١٠) "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا، لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا"، فأعلن فرنسيس سنة ١٢٠٥م الفقر التام والعفاف والتواضع والطاعة، وأنَّ واجبه يقتضي الوعظ والتبشير في الكنيسة لخلاص النفوس، وأخذ يتجول واعظاً بالتوبة، فالتف حوله الكثيرون، وتعتبر الرهبنة

الفرنسيسكانية من الرهبانيات المهمة في الكنيسة الكاثوليكية حيث قدمت ثمانية وتسعين قديساً وستة بابوات، وتميزت بوجود العنصر النسوي فيها منذ تأسيسها، وضَمَّت سنة ١٦٣٠م، أربعة وثلاثين ألف راهبة يسكنون تسعمئة وخمسة وعشرين ديراً للراهبات.

٢: **الدومنيكان**: رهبنة كاثوليكية أسسها سنة ١٢١٥م الراهب الاسباني عبد الأحد "دومونيكوز بالللاتيني ١١٧٠-١٢٢١م"، عندما وجد في جنوب فرنسا عدداً من الهراطقة فأراد هدايتهم وإرجاعهم إلى الكنيسة الكاثوليكية، واشتهرت هذه الرهبنة بالوعظ ولذلك سُمِّيت أحياناً "رهبنة الواعظين"، وتَميَّزت بنشاطها التبشيري وبثقافة رهبانها الواسعة خاصةً في مجال اللاهوت ومحاولة التوفيق بين اللاهوت والفلسفة.

٣: **الكرمليون**: رهبنة كاثوليكية أسسها الراهب الإيطالي برتولد سنة ١٢٣٨م في فلسطين في جبل الكرمل قرب حيفا، ثم غادرها إلى الغرب، اعتمدت في البداية على نمط النسك الشرقي ثم ابتعدت عنه لأنه لم يكن مألوفاً في أوروبا، اشتهر أتباعها بوجود عدد كبير من النساء بينهم، ومن أشهر رموزها سنة ١٥٦٢م يوحنا الصليب والراهبة تريزا الآبيلية.

٤: **الأغسطينيون**: نسبة إلى القديس الجزائري الأمازيغي أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)، وهي رهبنة تفرعت عن رهبنة الفرنسيسكان سنة ١٢٥٦م، وامتازت بالنسك واختيار الفقر الذاتي الصارم والتقشف من أجل الخدمة ولذلك سُمِّيت "الرهبانية الفقرية أو رهبانية الصدقة"، ومن أشهر المنتسبين لهذه الرهبنة زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مارتن لوثر.

٥: **الكنائس البروتستانتية (الإنجيلية)**: نتيجةً لتراكم المشاكل في الكنيسة الكاثوليكية مثل سلطة البابا وتداخل مهام الكنيسة الدينية

والدنيوية، مثل عدم السماح للمؤمنين بقراءة الكتاب المقدس إلاَّ باللغة اللاتينية وحصر تفسيره بالكهنة، تحريم الزواج على رجال الدين، محاربة العقول العلمية واتهامها بالهرطقة، جشعُ الكنيسة من خلال الضرائب، وغيرها، وكان تعليق صكوك غفران الخطايا على كنيسة قصر فيتنبرغ الألمانية في ٣١ تشرين الأول سنة ١٥١٧م من أجل تأمين الأموال الباهظة لبناء كنيسة القديس بطرس في روما هو المرحلة الأخيرة من تلك الاحتجاجات التي دفعت الراهب الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣–١٥٤٦م) للانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية، وتبعه في ذلك اللاهوتي الفرنسي جون كالفن (١٥٠٩–١٥٦٤م)، وغيره[1]، ويوجد حوالي مليار بروتستانتي حول العالم، أغلبهم في أمريكا وأوروبا، وأهم ما يميزهم عن الكنائس المسيحية الرسولية التقليدية هو: عدم الاعتراف بسلطة البابا، الإيمان بالكتاب المقدس فقط وإجازة قراءته وفهمه لكل شخص دون الاعتماد بالضرورة على تفسير رجال الدين، الاعتراف بتسعة وثلاثين سفراً مقدساً منه فقط بدل سبعة وأربعين سفراً، عدم الصلاة بلغة غير مفهومة بل بلغة الأُم التي يتكلم بها الشعب، عدم الإيمان بشفاعة القديسين وعدم تكريم الصور والأيقونات، عدم الرهبنة والبتولية وجواز رسامة النساء للكهنوت، الخلاص لا يكون بالأعمال الصالحة لوحدها بل بالإيمان بيسوع المسيح فقط، أمَّا الأعمال الصالحة فهي واجبه بعد الخلاص، الاعتراف بسري المعمودية والقربان فقط، وعدم الإيمان

---

[1]: معنى بروتستانت هي المحتجين، وأطلقت كلمة بروتستانت لأول مرة الذين احتجوا على قرارات مجلس مدينة سبيرز الألمانية سنة ١٥٢٩م التي كانت ضد الإصلاحيين ومنهم مارتن لوثر قائلين (Wir Protest)، أي نحن نحتج.

باستحالة خبز وخمر القداس إلى جسد ودم المسيح في سر القربان، غفران الخطايا لا يتم من قِبَل الكاهن بل بالنعمة الإلهية، عدم الأخذ بالتقليد الكنسي (سِيَر وأقوال وقرارات القديسين والآباء)، علماً أنَّ البروتستانت يرفضون بعض العقائد الكنسية قولاً فقط لكنهم من الناحية العملية يطبقونها، كأسرار الكنيسة مثل الغفران والزواج والصلاة على المرضى والكهنوت إلى جانب إيمانهم بالمعمودية والقربان، ومعظم تفاسيرهم تعتمد على التقليد وتراث القديسين والآباء، وهم يؤمنون بقرارات المجامع الأربعة الأولى، ويعترف أغلبهم بدستور الإيمان الذي أُقر في مجمعي نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م، ويتفق البروتستانت مع الكاثوليك في عقيدة مجمع خلقيدونية ٤٥١م بأنَّ في السيد المسيح طبيعيتين (إلهية وإنسانية)، وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن وغيرها.

تَفرَّع عن الكنائس البروتستانتية أكثر من عشرين ألف كنيسة في العالم وبأسماء عديدة مثل، اللوثرية، الكلفانية، الإنجيلية، المشيخية، المعمدانية، المورمن، وغيرها، ولكل كنيسة استقلالها التام، ومن حق أي جماعة مهما كانت صغيرة إنشاء كنيسة واختيار اسمها دون الرجوع لأحد، ولا تحمل كنائسهم أسماء قديسين بل أسماء عامة من الكتاب المقدس مثل كنيسة الخمسين أو العنصرة، الروح القدس، الصعود، أو أسماء عامة مثل كنيسة بغداد، الرحمة، المحبة.....إلخ.

٦: **الأنكليكانية**: هي الكنيسة الإنكليزية Anglicans، وهي أُم الكنائس الأسقفية في العالم Episcopal، وقد انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية في زمن الملك هنري الثامن (١٥٠٩–١٥٤٧م) الذي أراد تطليق زوجته كاترينا الأرغونية لأنها لم تنجب له أطفالاً والزواج من (آن

بولين) على أمل أن تلد له وريثاً للعرش، لكن بابا روما كلمنت السابع (١٥٢٣–١٥٣٤م) رفض ذلك، فقام أسقف كارنتربري توماس كرانمر بفسخ زواجه من كاترينا وتزويجه من (آن بولين) في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣٣م، فقامت الكنيسة الكاثوليكية بحرم الملك هنري وتوماس كرانمر، وعَدَّتْ قراري الطلاق والزواج باطلين، على إثرها قرر الملك هنري فصل كنيسة انكلترا عن كنيسة روما وأعلن أنه رأس الكنيسة في انكلترا، وعُيِّن توماس كرانمر في كارنتربري رئيساً للأساقفة، وفي سنة ١٥٥٩م أقَرَّ البرلمان الإنكليزي مبدأ "الرئاسة العليا" لابنة هنري الملكة إليزابيث الأولى (١٥٣٣–١٦٠٣م)، وهو المبدأ الذي يُخوِّل الملك السلطة الدينية العليا في انكلترا.

تمتعت الكنيسة الأنكليكانية منذ انشقاقها باستقلالية تامة وشَكَّلت لها مجلساً أعلى تحت رئاسة أسقف كارنتربري، وأقَرَّت عقيدة إيمانها في تسعة وثلاثين مبدأً، وبدأت بالانتشار في المستعمرات والجزر البريطانية وفي أمريكا وأفريقيا واستراليا ونيوزيلندا، ويبلغ عدد التابعين لها اليوم حوالي مئة مليون شخص، ثلاثة ملايين منهم في أمريكا، وبالرغم من قلة عددهم نسبياً لكن قوتهم السياسية كبيرة، وتجمع الكنيسة الأنكليكانية في ثناياها تقاليد الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية، لكنها قريبة إلى العقيدة الكاثوليكية عموماً، فهي تحتفل بسر الأفخارستيا (القربان) على الطريقة الكاثوليكية، كما تُقر بما جاء في المجامع الكنسية الأولى وخاصةً مجمع نيقية ٣٢٥م، وفي المدة الأخيرة قامت هذه الكنيسة برسامة نساء قسيسات للكنيسة اسوةً بالبروتستانت، وفي سنة ١٩٨٨م رُسِمت بربارة هاريس كأول مطران في الكنيسة الأسقفية الأنكليكانية.

٧: **اليسوعيون**: باللاتينية Iesu Societas: وتعني جماعة يسوع، ويدعى عضو هذه الجماعة باليسوعي نسبة ليسوع المسيح، وهي رهبنة كاثوليكية أسسها الاسباني إغناطيوس دي لويولا الذي كان جندياً في الجيش الاسباني سنة ١٥٢١م وأصيب إصابة بالغة كاد أن يموت وذلك في حصار مدينة بامبلونا من قِبَل الفرنسيين، وخلال مرضه قرأ الكثير من سِيَر الرهبان فتأثر بحياتهم، وبعد شفائه كَرَّسَ حياته للنسك وألَّفَ كتاب، الرياضة الروحية، وهو عبارة عن مجموعة من التمارين الروحية تساعد على التقرب من الله، وكان التبشير بين المسلمين في الأندلس من أهم أولوياته، وبدأت الرهبنة بانضمام ستة من أصدقاء لويولا في باريس سنة ١٥٣٤م، وأسسوا جمعية وقوانين للرهبنة سنة ١٥٤٠م، واتفقوا على ثلاثة نذور هي: الفقر والعفة (أي عدم الزواج) والحج إلى أورشليم.

يُعَدُّ اليسوعيون أكبر وأنشط جماعة رهبانية وتبشيرية في العالم، ونظراً لطاعتهم المطلقة لبابا روما وثقافتهم العالية في البرهان على صحة عقائدهم، أصبحت هي حركة الإصلاح المضادة للبروتستانتية في أوروبا واستطاعوا إيقاف مد البروتستانتية إلى حد ما، وبالرغم من أنَّ أعضائها يحملون الرتب الكهنوتية، لكنهم لا يُطلقون على أنفسهم عادةً لقب راهب، بل يفضلون لقب أخ أو أب، ولهذا فهم يُعرفون أيضاً بالآباء اليسوعيين، وتشتهر هذه الرهبنة بعملها التبشيري خاصةً في مجال التعليم، ولها في الشرق الأوسط عدد من المؤسسات كالجامعات والمدارس والمستشفيات، مثل جامعة القديس يوسف ومدرسة الجمهور في لبنان ومدرسة العائلة المقدسة في مصر وغيرها.

نظراً لسعي اليسوعيين الشديد في مناهضة البروتستانت حدثت مشاكل وحروب دينية واضطهاد للبروتستانت كانوا هم المحرضين فيها،

لهـذا فمنـذ أواسـط القـرن الثـامن عـشر تعرضـوا بـدورهم للقمـع في عـدة دول أوروبية مثل اسبانيا وفرنسا والبرتغال وغيرها ، وبذلك قَلَّ نشاطهم.

٨: الكبوشـــيون: نـــسبة إلى كلمـــة Capuccio اللاتينيـــة وتعـــني غطـــاء الـرأس، وهـي فـرع مـن الرهبنـة الفرنسيـسكانية الكاثوليكيـة ظهـرت سـنة ١٦١٩م، واســتقلت عنهــا ســنة ١٦٢٨م، وأدخلــت إصــلاحات علــى الحيــاة الفرديــة تتمثــل بــالفقر الــصارم، وامتــازت بنــشر العقيــدة الكاثوليكيــة وبتحمسها الشديد لتثبيت واحترام كرسي روما.

(١) في اسم الكلدان

على إثر الاضطرابات الأمنية التي رافقت الغزو المغولي للشرق الأوسط وسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م، تشتت المسيحيون وهاجر عدد كبير منهم باتجاه الغرب، وبمرور الزمن استقرت بعض العوائل المسيحية وخاصةً من العراق من أتباع الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) في جزيرة قبرص وفي مدينتين هما نيقوسيا وفاما كوست، وشكلوا أبرشية في المهجر تابعة لمطران طرسوس النسطوري في سوريا، واشتغل النساطرة بالتجارة هناك، وفي أواسط القرن الرابع عشر أصبحوا يشكلون طبقة ثرية في مدينة فاماكوست القبرصية، وبرز منهم أخوان من عائلة نسطورية تُسَمَّى لاشاس اللذان أصبحا ثريين جداً وقَدَّما دعماً مالياً ومعنوياً للجالية النسطورية هناك، وفي سنة ١٣٦٠م قام الأخَوان ببناء كنيسة على اسم السيدة العذراء (مارت مريم) في مدينة فاما كوست[1].

منذ سنة ١٣٢٦م اتجهت أنظار روما إليهم لكونهم مهاجرين ولديهم مشاكل كثيرة، فضلاً عن محاولة قسم من النساطرة الاتصال ببعض الهيئات الكنسية من أجل المساعدة والدعم من روما، وجرت عدة محاولات من روما لاستمالتهم بالاتحاد معها واعتناق الكاثوليكية، لكنها لم تنجح، وفي المجمع اللاتراني الكاثوليكي الذي انعقد سنة ١٤٤٥م حاول مطران قبرص النسطوري طيمثاوس طرح مسألة مساعدة هؤلاء المهاجرين، لكن روما لم تتجاوب معه ولم تساعده لكونه

---

[1]: عندما استولى العثمانيون على قبرص حولوا الكنيسة إلى إسطبل للجِمال، وعندما سيطر البريطانيون على الجزيرة، أعطوها لليونان الأرثوذكس، باسم: كنيسة جورج (آجيوس يوريوس)، وألى اليوم لا تزال هناك رسوم وكتابات سريانية على جدرانها.

نسطورياً، إلاَّ إذا جَحَدَ إيمانه واعتنق الكاثوليكية وبَدَّلَ لقبه المرتبط بالمذهب النسطوري بلقب آخر، وبسعي وحث أندرواس أسقف مدينة كولوس الكاثوليكي لطيمثاوس استطاع إقناعه أخيراً بأنَّ يجحد إيمانه، فاقتنع طيمثاوس واختار لقباً أخذه من أحد أسماء حضارات العراق القديمة، ووقع صورة إيمانه كما يلي:

"أنا طيمثاوس رئيس أساقفة طرسوس على الكلدان ومطران الذين هم في قبرص، أصالة عن ذاتي وباسم كافة الجموع الموجودة في قبرص، أعلن وأقر وأعِد أمام الله الخالد الآب والابن والروح القدس وأمامك أيها الأب الأقدس والطوباوي البابا أوجين الرابع وأمام هذا المجمع (اللاتراني) المقدس، بأنَّني سأبقى دوماً تحت طاعتك وطاعة خلفائك وطاعة الكنيسة الرومانية المقدسة على أنها الأُم والرأس لكافة الكنائس".

فأصدر البابا أوجين الرابع (١٤٣١–١٤٤٧م) مرسوماً في ٧ آب ١٤٤٥م يقول فيه: يمنع البابا أوجين الرابع أن يُسَمَّى من ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية من النساطرة فيما بعد، نساطرة، بل كلدان"[١]، لذلك فإنَّ طيمثاوس والبابا أوجين هما أول من استعمل اسم الكلدان إشارة إلى مجموعة من العراقيين المسيحيين بصفة عامة كأبناء العراق وحضاراته القديمة وليس كاسم قومي أو عرقي خاص بهم، ولو كان طيمثاوس والبابا أوجين الرابع قد اتفقا على اسم السومريين أو الأكديين لإطلاقه على أولئك العراقيين، لكان اسم الطائفة الكلدانية اليوم السومرية أو الأكدية، ومع هذا فإنَّ ذلك الاتفاق بين طيمثاوس والبابا أوجين مات في مهده واندثر ولم يكن له أي أثر يذكر أصلاً، حيث رجع طيمثاوس إلى

---

[1]: الأب شموئيل جميل، علاقات الكلدان والكرسي الرسولي، روما ١٩٠٢م، ص١٠.

النسطرة لأنَّ أتباعه قاوموه بشدة وكانوا ضد اعتناقه الكاثوليكية[١]. وكما ذكرنا سابقاً أنه عندما انفصل قسم من الرعية عن النساطرة سنة ١٥٥٣م برئاسة يوحنا سولاقا، لم يُلقَّب سولاقا من قِبَل روما بجاثليق أو بطريرك بابل أو الكلدان، بل لُقِّبَ "بطريرك مدينة الموصل في آشور الشرقية أو (بطريرك الموصل أو آشور الشرقية)"، كما تَسَمَّى بشمعون الثامن يوحنا سولاقا عند رسامته استمراراً للنهج النسطوري القديم، أمَّا خلفاؤه وهم الشمعونيون والإيليون واليوسفيون، فاتخذوا لهم عدة ألقاب مثل جاثليق أو بطريرك آمد (ديار بكر) أو بطريرك بابل أو المشرق أو (آشور أو الموصل) وغيرها.

يقول البطريرك الكلداني الحالي عمانوئيل دلي: إنَّ لقب جاثليق بطريرك الموصل في آشور بقي مستعملاً حتى أواخر القرن السادس عشر تقريباً، وعندما بدأ المرسلون والرحَّالة الغربيون يجوبون بلادنا ويطلعون أكثر فأكثر على تقاليدها وكنائسها وأصالة تراثها، كتبوا تقارير عن ما رأوا واطلعوا عليه من المعلومات التاريخية والدينية والجغرافية، وجاء في كتاباتهم الغث والسمين، فقد أخطأوا عندما ظنوا أنَّ بغداد هي بابل، وأنَّ البطريرك الجالس في دير الربان هرمز قرب "آشور (حالياً الموصل) هي في ديار بابل"، فخلطوا الحابل بالنابل، وخبطوا بين الجنوب والشمال، وهكذا تَغلَّبَ اسم بابل، الذي له جذوره في الكتاب المقدس على سائر الأسماء، وباشرت روما استناداً إلى التقارير التي تصلها، والتي تحمل اسم

---

[1]: إنَّ أسماء السومريين والأكديين والآشوريين والكلدان والبابليين وغيرها، هي أسماء حضارات قامت في وادي الرافدين، وهذه التسميات غالباً تُطلق من الآخرين خاصةً الأجانب والغرباء على أبناء العراق بصورة عامة بغض النظر عن دينهم أو قوميتهم أو عرقهم.

الديار البابلية منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، تُطلق على البطريرك اسم: بطريرك بابل على الكلدان.

ويقول البطريرك في نفس الصفحة: كَتَبَ البابا بيوس الرابع سنة ١٥٦٥م إلى البطريرك عبد يشوع الجزري خليفة يوحنا سولاقا، ولقَّبَهُ "بطريرك الآشوريين أو الموصل، أي بطريرك الموصل في أثور الشرقية"، لكن في صورة إيمان عبد يشوع الجزري نفسه المحررة في روما سنة ١٥٦٢م يُلقِّب نفسه "بطريرك آمد في ديار المشرق التي هي آشور"[1].

ثم يضيف البطريرك قائلاً: إنها ألقاب ناجمة برأينا عن قلة خبرة العاملين في الدوائر الرومانية آنذاك[2].

وأول من ربط اسمه باسم بابل فقط (بدون الكلدان) من البطاركة الذين انشقوا عن النساطرة وأصبحوا كاثوليكاً هو إيليا السابع (١٥٩١–١٦١٧م) المتأرجح بين الكثلكة والنسطرة، حيث وجه تقريراً إلى البابا بولس الخامس في آذار ١٦١٠م يقول فيه: "تَمَّتْ هذه الرسالة التي كتبت بأمر مار إيليا بطريرك بابل"، وهذا التقرير هو أقدم وثيقة رسمية معروفة لحد الآن يخص فيها بطريرك المشرق ذاته لقب "بطريرك بابل[3]"، وبدون شك أنه يقصد قطيسفون (المدائن) أو بغداد مقر الكنيسة القديم.

---

[1]: لاحظ لقب عبد يشوع الجزري هو بطريرك الآشوريين أو الموصل، وأنَّ المترجم أضاف عبارة (أي بطريرك الموصل في أثور الشرقية).

[2]: المطران عمانوئيل دلي (البطريرك الكلداني فيما بعد)، المؤسسة البطريركية في كنيسة المشرق ص١٤٤.

[3]: الأب شموئيل جميل، علاقات الكلدان والكرسي الرسولي ص١٠٨–١١٥. التقرير محفوظ في أرشيف الفاتيكان، مجموعة بورجا، سلسلة ٣ مج ٤٣ ورقة ١٠٩ وبعدها.

وأول من ربط اسمه بتسمية الكلدان فقط (بدون بابل) هو البطريرك يوسف الثاني معروف (١٦٩٦–١٧١٢م)[1]، بعد أن كانت هذه الكنيسة تُسَمَّى سابقاً "كنيسة السريان المشارقة"، لكن خَلَفَهُ الجاثليق يوسف الثالث (١٧١٣–١٧٥٧م) لقب نفسه بطريرك بابل فقط (بدون الكلدان).

والملاحظة المهمة في هذا الشأن هي أي أنَّ البطريركين إيليا السابع ويوسف الثاني معروف هما من اختارا وأطلقا على نفسيهما هذين اللقبين بصورة شخصية وليس روما، ونتيجة لاختلاط الحابل بالنابل كما يقول البطريرك الكلداني دلي، فإنَّ روما نفسها كانت محتارة بماذا تسميهم، ولذلك سَمَّت سولاقا الكاثوليكي وخلفاءه بطريرك الأثوريين، بينما سَمَّت خلفاء برماما النسطوري بطريرك بابل[2]، أي عكس المطلوب تماماً، علماً أنَّ المقصود بالأثوريين وبابل، هما الموصل وبغداد.

يقول المطران لويس ساكو: إنَّ التسمية الكلدانية سرَتْ رويداً رويداً وتغلبت على التسميات الأخرى خصوصاً عند اتحاد الكرسيين الكاثوليكيين ديار بكر وألقوش في شخص يوحنا هرمز الذي أصبح بطريركاً مُوَّحداً سنة١٨٣٠م، وهو أول من لَقَّبَتهُ روما، بطريرك بابل على الكلدان بصفة رسمية، مع العلم أنه لا توجد علاقة كنسية ببابل[3].

---

[1]: غالباً ما يحاول الكلدان نشر هذين الأمرين في المقالات والمجلات لتبرير تسميتهم وخاصةً ختم يوسف الثاني الذي يبدو أنَّ أحد البطاركة الكلدان أو النساطرة احتفظ به، وهذا غير صحيح، لأنها ألقاب اختيرت بصورة شخصية ثم زالت بعد خلفائهم، ولم تكن لا روما ولا السلطات العثمانية المدنية تعترف بهما رسمياً كألقاب ثابتة ومعروفة.

[2]: البير أبونا تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ج٣ ص ١٤٨.

[3]: لويس ساكو، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية ص٥، ٤١.

ولم أجد في كتاب البطريرك عمانوئيل دلي "المؤسسة البطريركية في كنيسة المشرق" ذكراً لصيغة اللقب بالكامل (بطريرك بابل على الكلدان) قبل سنة ١٩٨٩م، وهو الكتاب الرسمي الذي أرسله بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني إلى بطريرك الكلدان بولس الثاني شيخو في ١٥ كانون الثاني ١٩٨٩م[1]، وحتى إن وجد اللقب كاملاً قبل هذا التاريخ، فلن يكون قبل سنة ١٨٣٠م إطلاقاً.

يقول القس بطرس نصري الكلداني: إنَّ اسم الكلدان لم يشع حالاً بعد أن وضعه البابا أوجين الرابع في القرن الخامس عشر على النساطرة المهتدين في قبرص، وإنما بدأ استعماله في آمد ونواحيها لما تمكنت الكثلكة على عهد البطاركة اليوسفيين، وكانوا سابقاً يدعون أنفسهم السريان الكلدان أيضاً، ثم سرى اسم الكلدان وحده رويداً رويداً إلى الموصل في بدء القرن الثامن عشر، ولم يكن بالإمكان إخراج وثيقة باسم الكلدان من قِبَل الدولة العثمانية بالرغم من المطالب التي قدمها البطاركة الكلدان إلى السلطات العثمانية لأنها كانت تصدر باسم النساطرة استناداً إلى السجلات العثمانية التي لم تكن تعرف أنَّ الكلدان أصبحوا طائفة مستقلة عن النساطرة[2].

ولم تعترف الدولة العثمانية بلقب الكلدان إلى سنة ١٨٤٤م، عندما صدر فرمان (مرسوم) يعترف بنيقولاس زيعا (١٨٣٨-١٨٤٧م) بطريركاً على الكلدان[3].

---

[1]: المطران (البطريرك) دلي، المؤسسة البطريركية في كنيسة المشرق ص١٤٣-١٤٧.

[2]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج٢ ص٣٠٨، ٣٧٤.

[3]: لويس ساكو، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية ص٤١-٤٢.

ولم تحصل بطريركية الكلدان على براءة سلطانية أو اعتراف رسمي كبطريركية كلدانية (مِلَّة أو طائفة) إلاَّ في سنة ١٩٠١م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي استقبل البطريرك يوسف عمانؤيل الثاني (١٩٠٠–١٩٤٧م) في القسطنطينية (اسطنبول)[١].

ولم يكن اسم الكلدان معروفاً كطائفة مسيحية من الرحَّالة المبشرين والآثاريين وغيرهم من الذين زاروا العراق حتى القرن التاسع عشر، ولذلك بقي قسم كبير منهم لا يذكرون الكلدان، وإذا ذكروهم، فإنهم يُسَمُّون الكلدان بأسماء مختلفة كما ذكرنا سابقاً.

فعندما زار العراق الرحَّالة الفرنسي جان بابتيست تافرنييه (١٦٠٥–١٦٨٥م) الذي قضى عمره متجولاً في الشرق منذ أن كان طفلاً وبلغت رحلاته إلى الشرق ست رحلات بين سنة (١٦٢٠–١٦٦٨م)، زار خلالها العراق عدة مرات وتحدث عن جميع الطوائف المسيحية فذكر اليعاقبة والنساطرة والأرمن والروم كما ذكر الصابئة الذين سَمَّاهم "نصارى القديس يوحنا"، وذكر أماكن تواجد الطوائف المسيحية المذكورة في الموصل وبغداد والبصرة، لكنه لم يذكر وجوداً لطائفة الكلدان[٢].

كتب ج. ف. أكس. روسو القنصل الفرنسي في بغداد منذ سنة ١٧٢٢م، في كتابه (وصف ولاية بغداد): كان للكاثوليك كنيسة خاصة هُدمت قبل بضع سنوات بتأثير غير الكاثوليك[٣].

---

[1]: رشيد خيون، الأديان والمذاهب في العراق ص١٩٠.

[2]: رحلة تافرنييه إلى العراق في القرن ١٧، ترجمة كوركيس عَوَّاد ص٤١، ٦٢، ٧٣.

[3]: G.F.X. Rossan, Descraption du pashliq de Bagdad، طبعة باريس الفرنسية ١٨٠٩م، ص١١. ويقصد كنيسة الميدان النسطورية التي أخذها الأرمن فيما بعد.

أمَّــا الرحَّالــة كارســتن نيبــور (١٧٣٣–١٨١٥م) الــذي زار الموصــل في ١٨ آذار ســنة ١٧٦٦م، فقــد تَطــرَّق إلى الكلــدان النــساطرة والــسريان بــشكل دقيــق ومفــصل، وكــان يُــسَمِّي الكلــدان "النــساطرة غــير الــضالين أو النــساطرة المهتــدين إلى الكثلكــة"، كمــا ذَكــرَ النــساطرة مــرات كــثيرة، لكنــه لم يــذكرهم مــرة واحــدة باســم الآشــوريين، ولكثــرة المعلومــات وأهميتهــا ودقتهــا وعلاقتهــا بموضــوعنا مــن جهــة، وللأســلوب الممتــع الــذي اســتعمله نيبــور مــن جهــة أخــرى، فإننــا ســوف نأخــذ رحلتــه بــشكل منفــرد في نهاية هذا الفصل.

الرحَّالــة مــستر جــون كينــيير (١٧٨٢–١٨٣٠م)، عنــد زيارتــه للعــراق يــذكر أنــه توقــف في الجهــة اليــسرى لمــصب نهــر بوتــان عنــد إحــدى القــرى الكلدانية النسطورية[1].

الرحَّالــة جــيمس بكنكهــام (١٧٨٦–١٨٥٥م) الــذي زار الموصــل في ٥ تمــوز ١٨١٦م، عَــدَّ الكلــدان عبــارة عــن طــائفتين الأولى والثانيــة، ويقــصد بــالأولى الكلــدان، والثانيــة النــساطرة، ولم يكــن بكنكهــام يُفــرِّق بــين الكلــدان والنــساطرة كمــا لم يكــن يعــرف شــيئاً مفــصلاً عــن الكلــدان لذلك يقول: الكلدان لا يختلفون إلاَّ قليلاً عن الكاثوليك.

أمَّــا المــستر كلــوديس جــيمس ريــج (١٧٨٧–١٨٢١م) المقــيم البريطــاني في العــراق منــذ ســنة ١٨٠٨م والــذي زار معظــم منــاطق العــراق ومنهــا كردســتان ســنة ١٨٢٠م بــصحبة زوجتــه مــاري ريــج (١٧٨٩–١٨٧٦م) حيــث زار كنــائس وأديــرة مــسيحية كــثيرة واشــترى عــدة مخطوطــات ســريانية، ولم يكــن ريــج

---

[1]: جــون كينــيير، رحلــتي في آســيا الــصغرى وكردســتان ســنة ١٨١٢ و١٨١٣م، طبعــة باريس الفرنسية ١٨١٨م، ص٢٠٢.

يُفـرِّق بـين النـساطرة والكلـدان، فَـسَمَّى النـساطرة "كلـداناً"، وبلادهـم "بـلاد الكلـدانيين"، ويقـول المـستر ريـج إنـه اصـطحب معـه مترجمـاً كلـدانياً مـن بلـدة عينكـاوا ليعاونـه وهـو بـين عـشائر جولـه مـه رك الكلدانيـة[1]، وبعـد أن وصـل العماديـة وحكـاري لاحـظ أنَّ مـسيحيِّي المنطقـة متوحـشون، ويُـضيف قـائلاً: هـؤلاء الكلـدان علـى حـالتهم هـذه يلبـسون بـرانيط مـن قـش الـرز تـشبه الـبرانيط الأوروبيـة، وإنـني أعتقـد أنَّ العماديـة وحكـاري هـي المـوطن الأصـلي للكـرد والكلـدانيين، وللوصـول إلى آسـيا الـصغرى بهـذا الطريـق علـى المـرء أن يمـر في الـبلاد المنيعـة المنقطعـة الـتي تقطنهـا العـشائر الكلدانيـة المـسيحية، وهـم علـى مـا أعتقـد المـسيحيون الوحيـدون في الـشرق الـذين اسـتطاعوا الحفـاظ علـى اسـتقلاليتهم إزاء المـسلمين وقـد اسـتعدوا لهـم اسـتعداداً قويـاً، وأوحـش العـشائر في منطقـة حكـاري هـم العـشائر الكلدانيـة، وهـي أربعـة، وهـم لا يعبـؤون بـأمير حكـاري ويعيـشون عيـشة وحـشية تامـة، وهـم مـسيحيون مـن أتبـاع نـسطوريوس، ورجـالهم مـشهورون بقـوتهم وضـخامة قامـاتهم وشـجاعتهم، ويقـال إنَّ المـرور بـبلادهم اشـد خطـراً مـن المـرور بـين العـشائر المـسلمة، وهـم يـسكنون أصـقاع العماديـة، ولـيس فـيهم إلاَّ عـشيرة مـسلمة واحـدة، ويـؤدون أحيانـاً ضـريبة لأمـير حكـاري إذا استرضاهم أو استعطفهم، أمَّا كرهاً فهم لا يؤدون الضريبة[2].

يكتـب الـدكتور والمبـشر الأمريكـي آشـيل غرانـت (١٨٠٧-١٨٤٤م) الـذي زار العـراق هـو وزوجتـه سـنة ١٨٣٥م والتقـى بعـدد كـبير مـن مـسيحيِّي المنطقـة وقَـدَّمَ دراسـة وافيـة عـن النـساطرة عَـدَّ فيهـا الكلـدان جـزء مـن النـساطرة، ويُـسَمِّيهم "النـساطرة البابويـة"، ويقـول: في الموصـل وجـدتُ الـبلاد

---

[1]: جوله مه رك (جولميرك) هي قرية رئيسة في منطقة حكاري مركز النساطرة.

[2]: رحلة ريج سنة ١٨٢٠م إلى بغداد وكردستان وإيران ص٢٦٢-٢٦٦.

هادئـة، وملاحظـاتي عـن النـساطرة الـساكنين في هـذه المنطقـة، هـي أنَّ جمـيعهم اعتنقـوا إيمـان كنيـسة رومـا وأصـبحوا كلـداناً أو نـساطرة بابويـة كمـا يُـسَمَّون عـادةً، ويعـيش أغلـبهم في القـرى الواقعـة علـى الـشرق مـن نهـر دجلـة، وديـر الربـان هرمـز هـو مقـر نفـوذهم، وفي العماديـة كـان أكثـر الـسكان نـساطرة، لكـن نـصفهم أصـبحوا كاثوليكـاً بـابويين، وقـد شـكا أحـد الكهنـة النـسطوريين بـصورة محزنـة مـن أنَّ المبـشرين الكاثوليـك يـسعون جاهـدين لتحويـل جميـع قومـه النـساطرة مـن سـكان بلاد آشور ومادي إلى اعتناق مذهب روما الكاثوليكي.

ويـضيف قـائلاً: يُطلـق اسـم الكلـدان الحـالي علـى أحـد فـروع النـساطرة الـذين انفـصلوا عـنهم سـنة ١٦٨١م وذلـك بـسعي الكنيـسة الكاثوليكيـة الـتي كانـت كريمـة مـع الكلـدان كمـا فعلـت في تحويـل الـسريان الأرثـوذكس والنـساطرة واليونـان إلى عقيـدة البابـا، ونـادراً مـا يُطلـق اسـم الكلدان على النساطرة.

ثـم يـصل إلى القـول (وهـو مهـم): إنَّ قـسماً مـن الكلـدان يريـدون بالاسـم الكلـداني التعـبير عـن علاقـة إبـراهيم وخروجـه مـن أرض أور الكلـدانيين، لكنني لم أجد أي دليل يدعم هذه الفكرة[1].

يقـول الرحَّالـة ولـيم آنـسورث (١٨٠٧–١٨٩٦م) الـذي قـام بزيـارة منـاطق النساطرة في حكاري سنة ١٨٤٠م "الكلدان، أعني بهم النساطرة"[2].

---

[1]: آشـيل غرانـت، The Nestorians or The Lost Tribes، النـساطرة أو الأسـباط الضائعة، طبعة لندن الإنكليزية ١٨٤١م، ص١٧٠، ١٣٩، ٤٦، ٢٧.

[2]: آنـسورث، الـرحلات والبحـوث في آسـيا وبـين النهـرين، طبعـة لنـدن الإنكليزيـة ١٨٤٢م، ج٢ ص٢٥٦.

الرحَّالـة الألمـاني بيترمـان الـذي زار العـراق سـنة ١٨٥٤م، ذكـر أنَّ بغـداد كانـت لمـدة طويلـة مركـز بطاركـة النـساطرة وتفـرع عـنهم الكلـدان، وأنـه شـاهد في بغـداد عوائـل مـسيحية أرمنيـة وكلدانيـة وسـريانية وحـضر قـداس عيد الميلاد في كنيسة الأرمن الأرثوذكس[1].

الرحَّالـة الفرنـسي كيليـوم لجـان (١٨٢٨–١٨٧١م) الـذي زار العـراق سـنة ١٨٦٦م، يـرى أنَّ اسـم الكلـدان أُقحـم حـديثاً قـائلاً: تجمـع الكلـدان الكاثوليـك وانتـشروا في أطـراف آشـور بـين الموصـل وفي رقعـة تمتـد إلى أورميـا في بـلاد فـارس ولم يَعُـدْ لهـم مكـان في الجنـوب، ولهـم جماعـة كـبيرة في عينكـاوا وبغـداد ولهـم بطريـرك وأسـقف، ثـم يـضيف قـائلاً: ولا يـسمح المجـال للإطالـة في الكـلام عـن الكلـدان، وكيـف أنَّ هيئـة علميـة صـغيرة أعطت اسمها لأمة (يقصد هيئات روما هي التي سمتهم كلداناً)[2].

يقـول مـستر دبليـو. آر. هـي. حـاكم أربيـل البريطـاني في كردسـتان (١٩١٨–١٩٢٠م): الكلـدان مـن حيـث الـدين هـم أصـلاً كالنـساطرة سـواء بـسواء، لكـنهم حُملـوا خـلال القـرن الـسادس عـشر علـى الاعـتراف بـسلطة الكنيسة الرومانية، ولغة كتبهم المقدسة هي السريانية[3].

أمَّـا الباحـث الـشهير والـس بـدج (١٨٥٧–١٩٣٤م) المتعمـق في تـاريخ وآثـار العـراق ونينـوى والـذي زاره أكثـر مـن مـرة بـين سـنة (١٨٨٦–١٩١٣م) ومكـث في مدينـة الموصـل وتجـول في المنـاطق المـسيحية فيهـا، واهـتم بنـشر كـثير مـن المخطوطـات الـسريانية، فإنـه يَطلـق علـى الكلـدان اسـم النـساطرة

[1]: بغداد في القرن ١٩ كما وصفها الرحَّالة الأجانب، ترجمة سعاد العمري ص١٣٣.

[2]: رحالة أوربيون، رحلة لجان، ترجمة الأب بطرس حداد ص٢٢٧–٢٢٨.

[3]: مذكرات دبليو. آر. هي، ترجمة فواد جميل ص١٠٨.

البابوية أو الكلدان النساطرة ويقول: يتألف مسيحيّو الموصل من النساطرة، النساطرة البابوية (يقصد الكلدان)، السريان (يقصد أرثوذكس)، السريان البابوية (يقصد السريان الكاثوليك)، الأرمن، والبروتستانت، ثم يذكر عدد الكلدان في مدينة الموصل وفقاً لتعداد بادجر ١٨٤٩م، ويُسَمِّيهم "العوائل الكلدانية النسطورية"[1].

يقول المعلم لومون الفرنساوي: أمَّا اسم الكلدان فلم يُسَمِّي به الشرقيون أنفسهم قط، بل كان في الأول اسم قبيلة شرقية جبلية من قبائل السريان تسلطت على البلاد، ثم صار اسماً لقوم من المنجمين يُسَمَّون أيضاً المجوس، والآن (الكلدان) هو اسم الأقوام الراجعين من ضلالة النسطرة إلى الكنيسة الكاثوليكية[2].

يذكر الأستاذ صالح خضر أنَّ النشاط التبشيري البريطاني تَركَّزَ بشكل رئيس بين النساطرة في شمال العراق حيث توجد طائفة مسيحية تُعرف باسم "السريان الشرقيين وباسم الكلدان أيضاً"، ويُسَمِّيهم الأجانب "الآشوريين"، ثم يضيف قائلاً: كان الولاء الديني في العراق منقسماً بين الكنيستين السريانية النسطورية والسريانية الأرثوذكسية، ومنذ انطلاق البعثات التبشيرية من روما وفرنسا في أوائل القرن السابع عشر إلى العراق لنشر المذهب الكاثوليكي، تمكنت تلك الإرساليات من تشكيل أول نواة كاثوليكية في العراق في مناطق الموصل من النساطرة الذين أُطلقَ عليهم فيما بعد تسمية "الكلدان"، بَيدَ أنَّ نساطرة

---

[1]: والس بدج a narrative of journeys in Egypt and a Mesopotamia، رحلات في ديار مصر وبلاد الرافدين (١٨٨٦-١٩١٣م) طبعة لندن الإنكليزية ١٩٢٠م، ج٢ ص٤٦-٥٣.

[2]: المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة ص١٧٧-١٧٨.

آخرين ولا سيما في المناطق الجبلية النائية، بقوا على مذهبهم فأطلقت عليهم الإرساليات الكاثوليكية تسمية "الهراطقة"، تمييزاً لهم عن المهتدين أي النساطرة الذين اعتنقوا الكاثوليكية (يقصد الكلدان)[1].

وحتى آباء وكُتَّاب الكنيسة الكلدانية الحالية يعترفون أنه لا وجود لاسم الكلدان قبل سنة ١٨٣٠م، ففضلاً عن الذين ذكرناهم سابقاً:

يقول المطران العلاَّمة أوجين منا الكلداني (١٨٦٧–١٩٢٨م): إنَّ الكلدان هم السريان الشرقيون[2].

يذكر الأب ألبير أبونا الكلداني أنَّ الفئة المتحدة بروما من السريان الشرقيين، هم الذين سُمُّوا، كلداناً[3].

يعترف الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب سنة ١٩٠٩م في تعليقه على كتاب "تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية"، بأنَّ اسم الكلدان أُطلق حديثاً ويقول: إنَّ الكلدان لم يكونوا معروفين كاسم قبل أربعين سنة من عهد بطاركتهم الأربعة الأخيرين (يقصد من عهد يوسف السادس أودو)[4].

في كتاب التراجم السنوية الذي حققه الأب يعقوب نعمو، ذكر مخطوطاً مؤرخاً سنة ١٦٤٩م أهداه أحد المؤمنين المسيحيين من مدينة البصرة لكنيسة يوحنا العربي وقرياقس في بغداد يقول فيه: "إنه أهداه لكنيسة مار يوحنا العربي ومار قرياقس في بغداد للكلدان"، ويُعلِّق الأب

---

[1]: صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ص٣٥، ١٣٦.

[2]: المطران أوجين منا الكلداني، الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ص٥.

[3]: الأب ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ج٣ ص١٤٦.

[4]: الخوري بطرس عزيز، تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية ص٣–٤.

بطرس حداد على ذلك قائلاً: وأظن أنَّ كلمة (كلدان) ليست في الأصل وإنما أدخلها المحقق[1].

لذلك فإنَّ المؤرخ الفرنسي ميشيل شفالييه يقول: لا يصح التحدث عن موضوع الكلدان كنسياً وأخذه في الحسبان إلاَّ في نهاية القرن التاسع عشر، والسبب هو أنَّ الأبرشيات الكلدانية لم يشملها التنظيم الكنسي الحقيقي إلاَّ في أواسط هذا القرن[2].

لهذا المدة الواقعة بين سنة (١٥٥٣–١٩٠١م) كانت مدة انتقالية أو حقبة تنظيم الكنيسة الكلدانية، لأنها لم تستقر وتأخذ هيكلها المنتظم قبل عهد الجاثليق (البطريرك) يوسف السادس أودو (١٨٤٧–١٨٧٨م)، حيث ثبتت الكنيسة الكلدانية كواقع على الأرض وأصبح اسمها واضحاً، ثم أصبحت قانونياً كمِلَّة (كطائفة) سنة ١٩٠١م.

ومع أنَّ اسم الكلدانية بدأ يستقر على الكنيسة في التقويم الحبري لكنيسة روما، لكنه في ثلاثينيات القرن العشرين قُدِّمت عدة بحوث واقتراحات من قِبَل المشتغلين في ميدان القانون الكنسي الكاثوليكي أهمها بحث الأب كوروليفسكي الذي اقترح أن يكون لقب رئيس الكلدان الأعلى هو "مطران ساليق وقطيسفون رئيس أساقفة المشرق جاثليق بطريرك بابل على الكلدان"، لكنه بعد سنتين غَيَّرَ رأيه وعرض لقباً آخر هو "جاثليق بطريرك المدن الكبيرة ساليق وقطيسفون رئيس أساقفة المشرق"، وأضاف قائلاً: إنَّ لقب البطريرك الحالي ليس جيداً ويجب تغييره لأنَّ مدينة بابل لم تكن يوماً من الأيام مركزاً للكرسي

---

[1]: الأب بطرس حداد، كنائس بغداد ودياراتها ص١٤٥ هامش١٠٦.

[2]: ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية، الكلدان والسريان والآشوريون والأرمن، باريس ١٩٨٥م، ص٩٠.

البطريركي، وإنَّ المرسلين من كنيسة روما، تصوروا خطأً أنَّ مدينة بغداد هي بابل القديمة[1].

لذلك حتى بطريرك الكلدان الحالي عمانوئيل دلي نفسه يُفضِّل استعمال لقب تقليدي لا يحمل اسم الكلدان ولا اسم بابل أصلاً، وهذا اللقب ورد في كتاب الطقوس الحبرية وهو: (أسقف المدينة الكبيرة كوخي في مدن ساليق وقطيسفون وجاثليق بطريرك المشرق)[2].

يقول المطران الكلداني لويس ساكو: لا توجد علاقة كنسية بمدينة بابل، وإنَّ الكرسي المشرقي كان في المدائن قرب بغداد[3].

والملاحظة المهمة في هذا الشأن هي أنَّ اسم بابل الذي يستعمله الكلدان ليس له أية علاقة بمدينة بابل التاريخية القديمة (مدينة الحلَّة حالياً)، وقد رأينا آباء الكنيسة الكلدانية يقرون بذلك، وبابل القديمة لم يكن فيها أي حضور مسيحي قبل منتصف القرن العشرين، وأول كنيسة مسيحية في تاريخ بابل على الإطلاق افتتحت سنة ١٩٨٧م.

علماً أنَّ بابل القديمة اضحت خراباً وآثاراً بعد سقوطها سنة ٥٣٩ ق.م.، خاصةً بعد الاسكندر المقدوني ٣٢٣ ق.م.، ومدينة الحلة الحالية شَيَّدها صدقة بن منصور أمير إمارة بني مزيد سنة ١١٠١م قرب آثار بابل القديمة.

إنَّ المقصود بمدينة بابل هما، مدينتي بغداد وسلوقية أو قطيسفون (المدائن) اللتين سُمِّيتا "بابل" في كثير من الكتب التاريخية، ومدينة سلوقية شَيَّدها سنة ٣٠٧ ق.م. سلوقوس الأول نيكاتور قرب مدينة بابل القديمة (حالياً تابعة لمحافظة واسط)، والتي شُيِّدت قربها بغداد فيما

---

[1]: المطران دلي (البطريرك)، المؤسسة البطريركية في كنيسة المشرق ص١٤٧.

[2]: المصدر السابق ص١٤٦.

[3]: المطران لويس ساكو، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية ص٤١.

بعد[١]، فكانت كنيسة كوخي في سلوقية قطيسفون (المدائن) مقراً لكرسي جاثليق الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) منذ القرن الرابع وحتى انتقاله إلى بغداد سنة ٧٨٠م[٢]، وقد تكلم آباء مجمع إيشوعياب الأول سنة ٥٨٥م عن كرسي بابل، وكانوا يقصدون المدائن، وبقيت هذه النظرة فيما بعد إذ نجد عبد يشوع الصوباوي (+١٣١٨م) يُسَمِّي كرسي المدائن "كرسي بابل"، ويُسَمِّي ابن العبري بغداد "بابل"[٣].

فعلاً ونتيجة لشهرة بابل في العصر القديم فقد اعتقد المؤرخ والجغرافي اليوناني الشهير سترابون (٦٣ ق.م.–٢١م) أنَّ بابل هي عاصمة بلاد آشور، كما اختلط الأمر على قسم من المؤرخين والرحَّالة والمبشرين إلى العراق فيما بعد وتصوروا أنَّ مدينة بغداد هي بابل، فسُمِّيت بغداد باسم بابل في كثير من الكتب التاريخية والدينية، بل لشهرة بابل الكبيرة تَصوَّرَ قسم من المؤرخين والرحَّالة والمبشرين مدن عراقية أخرى أنها، بابل.

يقول لومون الفرنساوي: اعلَمْ أنَّ بطريرك الكلدان يُسَمَّى بطريرك بابل، وبابل هي كناية لبغداد كما أنَّ نينوى هي كناية للموصل[٤].

وقد لاحظ الرحَّالة الفرنسي اندريه دوبريه الذي زار العراق (١٨٠٧-١٨٠٩م أنَّ الكثير من المؤلفين يخطئون فيَعدُّون مدينة بغداد، هي بابل[٥].

ويرى الأب بطرس حداد الذي ترجم كثيراً من كتب الرحَّالة إلى اللغة العربية: إنَّ تسمية بابل لبغداد هي عادة عند أكثر الرحَّالة الغربيين، لذلك اضطر هو نفسه (الأب حداد) أن يترجم كلمة بابل، بكلمة بغداد، إلاَّ عندما يتعلق الأمر ببابل الحقيقية (الحلَّة) فإنه يُسَمِّيها، بابل.

---

[1]: ول ديوارنت، قصة الحضارة ج ٨ ص٣٧.

[2]: المطران أوجين منا الكلداني، دليل الراغبين في لغة الآراميين ص٣٢٩ .

[3]: ابن العبري، تاريخ الزمان ص٣٠٧.

[4]: المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة ص ٦٠٦.

[5]: رحلة دوبريه الى العراق، ترجمة بطرس حداد ص١٢٥.

في مطرانية سعرد مخطوط إنجيل كتبه سنة ١٥٧٢م المقدسي برخو من قرية فيشخابور العراقية، يقول فيه : "إنه أهدى هذا الكتاب لكنيسة بابل وهي مدينة بغداد المشهورة"[١].

عالم النبات والرحَّالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف الذي زار العراق بين سنة (١٥٧٣–١٥٧٥م) اعتقد أنَّ مدينة الفلوجة هي بابل، واعتمد الرحَّالة الإنكليزي الشهير جمس بكنكهام على رأي ليونهارت ووقع في نفس الخطأ، فاعتقد أنَّ مدينة الفلوجة، هي بابل[٢].

الرحَّالة كاسبارو بالبي (١٥٥٠–١٦٢٥م تقريباً) زار العراق سنة ١٥٧٩م وسَمَّى بغداد (بابل الحديثة أو الجديدة)، وكتب الأب باسيفيك رئيس بعثة الكبوشيين في ١٢ آب ١٦٢٨م وصلنا بابل، ويقصد بغداد.

يذكر الرحَّالة الفرنسي جان بابتيست تافرنييه الذي زار بغداد في ٢٥ شباط سنة ١٦٥٢م، وصلنا بغداد التي تُعرف عادةً باسم بابل، ومع أنَّ بغداد تعرف باسم بابل، فإنها تبعد مسافة كبيرة عن بابل القديمة[٣].

يقول الراهب الدومنيكي جوزييه دي سانت ماريا سنة ١٦٥٦م: تبعد بابل الأولى القديمة ستين ميلاً جنوب بابل (بغداد)[٤]، وفي سنة ١٧٤٣م عُيَّنَ الأب عمانوئيل بابيه الكرملي أسقفاً لبابل، أي لبغداد.

يُسَمِّي الأب فيليب اسبري يوليان الكرملي (١٦٠٣–١٦٧١م) الذي زار العراق سنة ١٦٢٩م، يُسَمِّي بغداد "بابل الجديدة" لأنها شُيِّدت بمواد بابل القديمة كما أنه لم يكن يُميِّز بين آشور وكلدية فيقول في وصفه لبلاد كلدية: كلدية أو دولة الآشوريين، هي أقدم ممالك العالم التي ازدهرت منذ عهد نينوس، وأهم مدنها حالياً بغداد التي تُسَمَّى، بابل الجديدة[٥].

---

[1]: أدِّي شير، فهارس المخطوطات السريانية، الموصل (بالفرنسية) ١٩٠٥م، رقم ٢٠.

[2]: رحلة الهولندي ليونهارت راوولف في القرن السادس عشر ص١٧٧–١٩٢.

[3]: رحلة الفرنسي تافرنييه ص٥٧.

[4]: رحلة سبستياني إلى العراق ص١٥، ورحلة كاسبارو بالبي ص٩١، ٨٣.

[5]: رحالة أوربيون، رحلة الأب فيليب، ترجمة الأب بطرس حداد ص٦٢–٦٨.

وخلاصة القول في الاسم الكلداني: الاسم الكلداني حديث أُطلقَ من قِبَل روما سنة ١٨٣٠م على السريان الشرقيين الكاثوليك الذين كانوا قد انفصلوا عن الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية واعتنقوا الكثلكة سنة ١٥٥٣م، ولا علاقة لاسم الكلدان الجديد بتاتاً باسم الكلدان الآراميين القدماء، علماً أنَّ البابا أوجين الرابع كان قد حَرَّمَ سنة ١٤٤٥م استعمال اسم النساطرة على السريان الشرقيين الذين يريدون اعتناق الكثلكة لأنَّ الاسم النسطوري يدل على هرطقة، لذلك حاول البابا أوجين بالاتفاق مع طيمثاوس مطران النساطرة في قبرص أن يَطلق اسم الكلدان على مجموعة من المهاجرين العراقيين من السريان الشرقيين النساطرة الذين أرادوا اعتناق الكثلكة، لكن ذلك الاتفاق فشل لأنهم لم يعتنقوا الكثلكة وبقوا نساطرة، ثم عادت روما وأطلقت الاسم مرة أخرى على السريان الشرقيين الكاثوليك سنة ١٨٣٠م، واعترفت الدولة العثمانية لأول مرة بلقب بطريرك الكلدان سنة ١٨٤٤م، ثم اعترفت ببطريركية الكلدان كملَّة (كطائفة) سنة ١٩٠١م.

واسم بابل أيضاً ليس له علاقة بتاتاً بمدينة بابل التاريخية قرب مدينة الحلَّة العراقية التي عاش فيها نبوخذ نصر، بل المقصود بكلمة بابل هو مدينة سلوقية أو قطيسفون (المدائن)، وكذلك مدينة بغداد، واللتان سُمِّيتا "بابل" في التاريخ، فكانت مدينة سلوقية منذ سنة (٤١٠–٧٨٠م)، ثم مدينة بغداد من سنة (٧٨٠–١٢٨٣م) مقراً لجاثليقية (بطريركية) الكنيسة السريانية الشرقية.

ومنذ بداية القرن العشرين بدأ بعض الكلدان بمحاولة ربط اسمهم بالكلدان القدماء وبابل، وفي المدة الأخيرة بدأ بعضهم يَعُدَّه اسماً قومياً.



شمعون الثامن يوحنا سولاقا (١٥٥٣–١٥٥٥م)

جاثليق (بطريرك) الموصل في آشور الشرقية

أول من تكثلك وانفصل عن الكنيسة السريانية الشرقية النسطورية

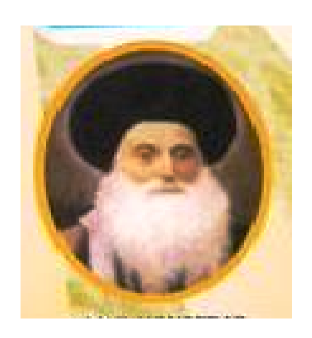
أول بطريرك للكنيسة السريانية الشرقية الكاثوليكية

وهذه الكنيسة ستُسَمَّى ويثبت اسمها كلدانية لاحقاً في ٥ تموز١٨٣٠م



البطريرك يوحنا هرمز الثاني (١٨٣٠–١٨٣٨م)

أول بطريرك سرياني شرقي كاثوليكي حصل على لقب بطريرك الكلدان من قِبَل روما في ٥ تموز ١٨٣٠م (أول بطريرك كلداني)



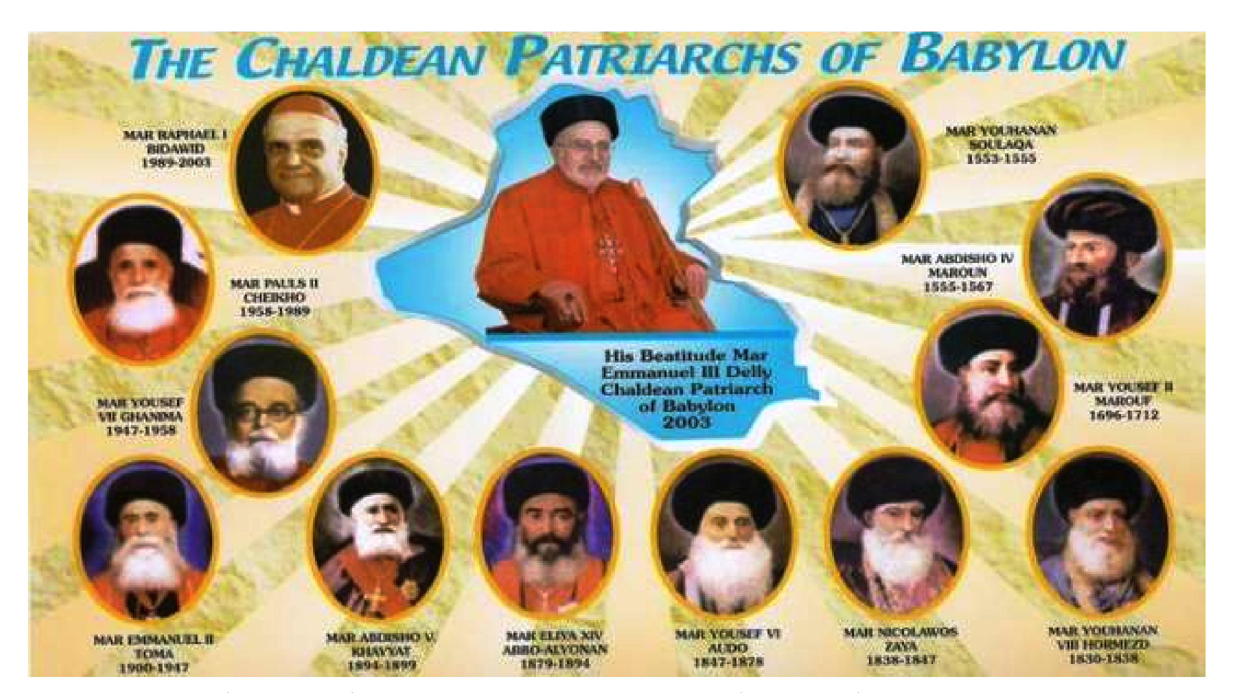
البطريرك السرياني الشرقي (الكلداني) نيقولاس زيعا (١٨٣٨–١٨٤٧م) أول من حصل على (فرمان) من السلطات العثمانية سنة ١٨٤٤م يعترف به رسمياً بطريركاً على الكلدان



البطريرك السرياني الشرقي (الكلداني) يوسف السادس أودو
(١٨٤٧–١٨٧٨م)
مؤسس الكنيسة الكلدانية الفعلي



البطريرك السرياني الشرقي (الكلداني) عمانوئيل الثاني يوسف توما
(١٩٠٠–١٩٤٧م)
أول من حصل على اعتراف بالكنيسة الكلدانية كمِلَّة (كطائفة)
من قِبَل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠١م



صورة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية (الكلدانية)
الصورة المعتمدة رسمياً من الكنيسة الكلدانية وتُبيِّن أنها تبدأ منذ سنة ١٥٥٣م[1]

[1] : إنَّ البطاركة قبل سنة ١٨٣٠م لم يكونوا كلداناً، بل سرياناً شرقيين كاثوليك أو متأرجحين بين الكثلكة والنسطرة كما بيَّنا سابقاً، وقد فَصَّلنا سلسلة البطاركة في الملحق.

(٢) في اسم الآشوريين أو الأثوريين[1]

إنَّ اسم الآشوريين أُطلقَ على السريان الشرقيين (النساطرة) من قِبَل الرحَّالة الإنكليز والمبشرين الأنكليكان الذين أرسلهم رئيس أساقفة كارنتربري تحديداً، ولم يكن هؤلاء يعرفون في البداية شيئاً عن الاسم الآشوري بل كان أكثرهم لا يُفرِّق بين بلاد الكلدان والآشوريين أو بين طائفة الكلدان التي انفصلت عن النساطرة وبين الذين بقوا نساطرة، وأهم الرحَّالة الذين لهم علاقة بموضوعنا وهو إطلاق التسمية الآشورية على النساطرة هم الرحَّالة والمبشرون الإنكليز، وأول هؤلاء هو الطبيب وليم فرنسيس آنسورث (١٨٠٧-١٨٩٦م) Dr. William Ainsworth، الذي قام في حزيران سنة ١٨٤٠م برفقة المترجم العراقي المسيحي (كلداني نسطوري الأصل) عيسى أنطوان رسام (١٨٠٨-١٨٧٢م)، بزيارة مناطق النساطرة في حكاري على رأس بعثة اسمها "بعثة استكشاف كردستان Expeditions For The Exploration Of Kurdistan، وعلى حساب "الجمعية الجغرافية الملكية Royal Geographical Society"، "وجمعية تعزيز المعرفة المسيحية Society For Promoting Knowledge Christian، اللتين قررتا إنشاء هذا المشروع المشترك[2].

---

[1]: إنَّ الآشوريين ينطقون بلغتهم السريانية لفظة آشوري، بأثوري أحياناً، وإنَّ أثوري وآشوري هما بنفس المعنى (راجع ص٥٧)، ولنا تعقيب على ذلك لاحقاً أيضاً.

[2]: تأسست جمعية المعرفة المسيحية من قِبَل الإنكليزي توماس بري سنة ١٦٩٨م. وقبل آنسورث زار العراق مبشرون أنكليكان آخرون مثل جوزيف وولف Wolff Joseph سنة ١٨٢٤م، وأنتوني نورس غروفز antony Norris groves سنة ١٨٢٩م، وجاكوب صموئيل Jacob Samuel سنة ١٨٣٥م وغيرهم، لكن جهودهم لم تكن مُنصبَّة على تبشير النساطرة تحديداً، بل كانت عمومية وموجهة إلى اليهود واليزيديين والصابئة.

التقى آنسورث مع بطريرك النساطرة شمعون السابع عشر أبراهوم (١٨٢٠–١٨٦١م) ومع ورجاله والشعب النسطوري وتبادل الآراء مع النساطرة بشأن تعزيز العلاقات بين الكنيستين النسطورية والأنكليكانية، ووعد آنسورث النساطرة بنشر التعليم المسيحي من خلال إنشاء المدارس وجلب المطابع لطبع وترجمة الكتب الدينية المكتوبة باللغة السريانية، ثم قَدَّمَ تقريراً لتلك الجمعيات ولرئيس أساقفة كارنتربري حول أوضاع وأعداد النساطرة، ونشر أبحاثه في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية منها: زيارة الكلدان القاطنين في كردستان الوسطى وراوندوز في صيف سنة ١٨٤٠م.

an account of visit to the chaldeans inhabiting central Kurdistan and of the peak of rowandiz in the summer of 1840.

والرحلات والبحوث في آسيا الصغرى وميزوبوتاميا الكلدانيين وأرمينيا.

Travels and researches in Asia Minor Mesopotamia, chaldea and Armenia[1].

على إثر ذلك قام رئيس أساقفة كارنتربري وليم هاولي Archbishop William Howley (١٨٢٨–١٨٤٨م)، وأسقف لندن جارلس جيمس بلومفيلد Bishop Charles James Blomfield (١٨٢٤–١٨٥٧م) بتكليف القس جورج بيرسي بادجر Badger Goreg Percy (١٨١٥–١٨٨٨م) المتخصص في اللغات الشرقية وخبير المطابع السابق، يساعده صهره عيسى رسام والمبشر جيمس فيليبس فلتشر J.P.Flecher بزيارة المنطقة لمتابعة العمل والتعرف على أحوالها وعلى حساب جمعية المعرفة المسيحية

---

[1]: ميزوبوتاميا، مصطلح يوناني، (ميزو) تعني بين أو وسط، (بوتاميا) نهر، أي منطقة بين نهرين، انتشر من سنة ٢٨٠ ق.م. في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥–٢٤٧ ق.م.) ليقصد به آرام نهرين التوراتية بين الفرات والخابور، وليس العراق، انظر ص١٦.

وجمعية نشر الإنجيل The Society for the propagation of The Gospel[1]، فوصل بادجر المنطقة في تشرين الثاني ١٨٤٢م حاملاً تحيات رئيس أساقفة كارنتربري وأسقف لندن، والتقى مع البطريرك النسطوري أبراهوم أوائل سنة ١٨٤٣م في قرية أشيتا وأبدى له استعداده لتقديم المساعدات الثقافية والاجتماعية للنساطرة، كما بَيَّنَ بادجر للبطريرك النسطوري الفرق بين الأنكليكان والبروتستانت (الإنجيليين) الذين كانوا قد أرسلوا هم أيضاً بعثات تبشيرية إلى النساطرة في تلك الحقبة، وحاول بادجر أن يستقطب البطريرك النسطوري ويشرح له بأنَّ الأنكليكان كعقيدة أفضل من البروتستانت الأمريكيين، ونبَّهَهُ من الانسياق وراء عقائدهم والدراسة في مدارسهم لأنهم يشرحون الكتاب المقدس كما يحلو لهم، ويذهبون إلى اختراع مبادئ جديدة، وحَثَّ بادجر البطريرك الاعتماد على الكنيسة الأنكليكانية كي تساعده روحياً وثقافياً لتستعيد الكنيسة الشرقية عزتها وكرامتها السابقة، فارتاح البطريرك لكلام بادجر وقال له إنه يحتاج لبعض الوقت لدراسة تعاليم الأنكليكان والبروتستانت ومقارنتها مع تعاليم كنيسته، وقد ساند بادجر بعض الكلدان في مدينة الموصل الذين كانوا متمردين على بطريركهم نيقولاس زيعا (١٨٤٠–١٨٤٧م)، فاستغل بادجر ذلك وحرض الكلدان ضد البطريرك وبذل جهداً كبيراً في استمالتهم إلى الكنيسة الأنكليكانية معتقداً أنه بهذا قد يكسب ود النساطرة في نفس الوقت[2].

---

[1]: تَعرَّفَ عيسى رسام على بادجر سابقاً وتزوج أخته ماتيلدا Matilda سنة ١٨٣٥م.

[2]: المطران يوسف غنيمة (بطريرك الكلدان فيما بعد)، بطاركة الكلدان في الجيل التاسع عشر (مجلة النجم عدد ٤ سنة ١٩٣٠/٣م، ص١٦٣).

طلب البطريرك النسطوري من بادجر أن ينقل إلى الحكومة البريطانية رغبته بأن تساعده لدى السلطات العثمانية باستحصال موافقة تعترف له بالسلطة المدنية على النساطرة في منطقة حكاري، وأن يكون البطريرك خاضعاً للسلطان العثماني وحده دون تدخل الأمراء وشيوخ عشائر الأكراد بشؤون طائفته، فأيد بادجر مطلبه ونقله إلى السفير البريطاني في اسطنبول، لكن مهمة بادجر تعثرت سنة ١٨٤٤م، بسبب قيام نور اللّه أمير حكاري وبدر خان بك الكردي أمير بوتان سنة ١٨٤٣م بالهجوم على النساطرة حيث قُتل الكثير منهم وهرب آخرون ومنهم البطريرك أبراهوم الذي هرب إلى أورميا ثم عاد إلى قوجانس بعد انتهاء المعارك سنة ١٨٤٧م.

التقى بادجر مع البطريرك النسطوري خلال وجوده في مناطق النساطرة خمس مرات لغاية ١٨٥٠م، حصل خلالها على معلومات ومخطوطات كثيرة باللغة السريانية حول النساطرة، ونشر أبحاثه في كتاب طُبع في لندن سنة ١٨٥٢م بعنوان "النساطرة وطقوسهم The Nestorians and their rituals" ، قال فيه: يجب على كنيسة انكلترا أن تُساهم في مساعدة النساطرة روحياً.

ثم جاء دور السياسي والرحَّالة الإنكليزي المثير للجدل اوستن هنري لايارد الذي قام ابتداء من أواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤٥م بعدة زيارات لاكتشاف آثار العراق وخاصةً نينوى، زار من خلالها مناطق السريان الشرقيين المسيحيين أتباع الكنيسة السريانية الشرقية الذين يُسَمَّون "النساطرة أو التياريين أحياناً"، يُساعدهُ في ذلك المتخصص بالآثار هرمز أنطوان رسام (١٨٢٦–١٩١١م) شقيق المترجم عيسى رسام، ولُقِّبَ لايارد "أبو الآشوريات، والنينوي وابن نينوى"، ويُعَّدُّ لايارد أبو الآشوريين الجدد لأنه أول من لعب دوراً مهماً بإطلاق اسم الآشوريين على النساطرة.

ولـد لايـارد في ٥ آذار سـنة ١٨١٧م لأبـوين انكليـزيين في أحـد فنـادق باريس حيث كان والداه في فرنسا، وتنقلت العائلة بين سويسرا وايطاليا إلى أن عادت سنة ١٨٢٩م إلى انكلترا لتستقر هناك، ودخل لايارد مدرسة في قرية ريجموند قرب لندن.

عمل في بداية حياته مع خاله المحامي بنيامين في مكتب قانوني، ثم رافق صديقه ميتيفورد في رحلته قاصداً الهند، وأثناء مروره في العراق سنة ١٨٤٠م، تَعرَّفَ على نائب القنصل البريطاني في العراق، ولم يكمل رحلته إلى الهند حيث تَعَيَّن موظفاً في مكتب العقيد الإنكليزي تايلور في بغداد سنة ١٨٤٢م.

قام لايارد في البداية بالتعاون مع الآثاري والقنصل الفرنسي في مدينة الموصل باول إميل بوتا (١٨٠٢–١٨٧٠م) الذي كان يُنقِّب عن الآثار الآشورية القديمة في مناطق الموصل، ثم قام لايارد سنة ١٨٤٥م بزيارة نينوى وخورسباد ونمرود وغيرها للتنقيب عن الآثار، يرافقه المتخصص بالآثار العراقي المسيحي هرمز رسام، يسانده في ذلك عالم الآثار والقنصل البريطاني في العراق هنري كريسوك راولنصون (١٨١٠–١٨٩٥م) الذي كان يمتلك معلومات واسعة في التاريخ واللغات الحية والذي يُلقَّب "أبو المسماريات أو أبو الخط المسماري"، وهو الذي ساعد لايارد كثيراً في تحديد تواريخ الدولة الآشورية القديمة وملوكها، وحل رموز الكتابة المسمارية الآشورية التي لم يكن يعرف لايارد أي شي عنها حيث كان يُسَمِّيها في أول الأمر "الكلدانية"، ثم ساعد راولنصون لايارد في إنشاء قسم الآشوريات لأول مرة في المتحف البريطاني الذي كان قد أُنشئ سنة ١٧٥٣م، ثم تَحفَّزَ عالم الآثار جورج سميث (١٨٤٠–١٨٧٦م) الذي قام بأعمال التنقيب سنة ١٨٧٣م، تبعه بعد ذلك علماء آثار كثيرون.

شغل لايارد بعد عودته إلى انكلترا عدة مناصب سياسية منها عضو برلمان، وتَعَيَّنَ في ١١ شباط سنة ١٨٥٢م ولمدة قصيرة وكيل وزير للشؤون الخارجية، وشارك في حرب القرم بين روسيا وتركيا (١٨٥٣–١٨٥٦م)، وكان له دور في مشاكل الهند والحبشة، ثم عُيِّنَ سفيراً لبلاده في تركيا سنة ١٨٧٧م، وتوفي في ٥ تموز سنة ١٨٩٤م.

عَدَّ الكثيرون لايارد شخصية انفرادية منطوية على نفسها منذ صغره، غير منضبط ولا يرضخ للأوامر، مشاغباً في المدرسة، مولعاً بملاعبة الحيوانات المفترسة، وهو لم يكن رجلاً باحثاً أو متخصصاً بالدين واللغات والتاريخ والآثار بقدر ما كان مُنقِّباً جيداً للآثار ومثابراً على العمل بها، وهو شخصية عصامية متغطرسة، عاشقة للحرية لأنه عاش حياة قاسية، طموحاً جداً، إلاَّ أنَّ طموحه كان مبهماً، هاوياً للرسم والنحت والفن، مغامراً وميالاً للسفر خاصةً إلى الشرق حيث عمل والده في جزيرة سيلان سابقاً، محباً لمطالعة الأدب والقصص والأساطير التاريخية، وقرأ الكثير من كتب الشرق مثل تاريخ إيران والهند، وكان معجباً جداً بالقصص التي تتحدث عن القوة والشقاوة مثل كتاب مغامرات حجي بابا لجيمس مورير وكتاب تسليات الليالي العربية (مأخوذة عن ألف ليلة وشهرزاد)، وكُتب الرحَّالة الغربيين إلى العراق التي تتحدث كثيراً عن قوة بابل وآشور ومنها، رحلة كلوديوس ريج، وقصيدة الشاعر الإنكليزي المشهور جورج بايرون (١٧٨٨–١٨٢٤م) المنتشرة في انكلترا آنذاك بعنوان "هجوم سنحاريب"، التي تقول إحدى أبياتها، "هجم الآشوري كما يهجم الذئب على القطيع"، وغيرها.

لم تكن الدولة الآشورية التي سقطت سنة ٦١٢ ق.م. معروفة كثيراً للعالم والرحَّالة ومنهم لايارد قبل اكتشاف الآثار باستثناء ما ورد عن

الدولة الآشورية في الكتاب المقدس ولدى قسم من مؤرخي التاريخ، وبعض القصص التي نُسِجَ أغلبها استناداً على الكتاب المقدس، ولهذا لم يكن لايارد يعرف شيئاً عن الآشوريين أو التسمية الآشورية في بداية الأمر إلاّ ما جاء عنها في الكتاب المقدس، وما قرأه بصورة عامة في التاريخ أو القصص والأساطير عن الدولة الآشورية القديمة، ولم يستعمل اسم الآشوريين بل، النساطرة، وعندما استعمل اسم الكلدان، استعمله للدلالة على طائفة مسيحية وليس للدلالة على قومية لقوم معينين، فمنذ أن بدأ رحلته من حلب إلى الموصل يقول عن مناطق الأكراد: يعيش بين السكان الأكراد عدد من العائلات من مختلف الطوائف المسيحية وهم من الأرمن والكلدان والنساطرة، وقبل عدة سنين قامت مذابح بحق النساطرة، وقبل أن يصل إلى مدينة الموصل يذكر أنه توقف في قرية تلكيف الكلدانية، وعند وصوله إلى الموصل يقول: إنَّ سكانها من المحمديين والمسيحيين من مختلف الطوائف، وهم الكلدان الذين تَحوَّلوا من الإيمان النسطوري القديم إلى الكاثوليكية الرومانية، وكذلك اليعاقبة والسريان الكاثوليك أو اليعاقبة الذين انتموا إلى روما، فضلاً عن عدد قليل من العائلات اليهودية في المدينة، وقد تعامل لايارد في مدينة الموصل مع تاجر مسيحي كلداني، ويقول: إنَّ المترجم عيسى رسام الذي ساعد آنسورث هو من أصل كلداني[1].

---

[1]: وليم نابير، هنري لايارد السيرة الذاتية ورسائل من طفولته حتى تعليمه، طبعة لندن الإنكليزية ١٩٠٣م، ج١ ص ٢٩٩–٣٢٣.

William n., Henry layard autobiography and letters from his childhood until his appointment

إنَّ لايارد شأنه شأن الكثيرين من الرحَّالة والمبشرين الذين ذكرناهم سابقاً لم يكن يُفَرِّق في البداية بين بابل وآشور، وبين النساطرة والكلدان بصورة دقيقة، إذ يقول في بداية رحلته من بغداد إلى مناطق النساطرة في شمال العراق: أجبرتني أحوالي الصحية من جديد للبحث عن مكان بارد ومنعش لأستريح فيه هرباً من حرارة الصيف، فقررت التوجه إلى الجبال التيارية المسكونة من قِبَل المسيحيين الكلدان[١]، وعندما ذهب لايارد إلى بغداد حاول دراسة اللغة الكلدانية التي يقول إنها ساعدته على حل رموز الآثار، وحضر في بغداد حفل زفاف فتاة كلدانية، وكتب مقالة عن تاريخ النساطرة، كما كتب في مذكراته سنة ١٨٥٣م عن زياراته للشرق بعنوان "المغامرات المبُكِّرة في بلاد فارس وبابل".

عندما وصل لايارد إلى منطقة النساطرة في شمال العراق، لاحظ أنَّ هناك فرقاً بين الكلدان الكاثوليك الذين كانوا قد انشقوا عن النساطرة قبل ثلاثة قرون وتَسَمَّوا "كلداناً"، وبين "النساطرة التياريين"، وأنَّ النساطرة يمتازون بالبساطة في الاحتفالات الدينية على النقيض من خرافات وسخافات ومراسيم الكاثوليك والطوائف الأخرى في الشرق، لذلك فالنساطرة يستحقون حقاً أن يُلقَّبوا "بروتستانت الشرق"[٢]، ثم لاحظ أنَّ بعض سكان المنطقة الأكراد يضطهدون هؤلاء النساطرة، وقد جَرَت مذابح كثيرة في قراهم، كان آخرها مذابح أمير بوتان بدر خان بك الكردي سنة ١٨٤٣م التي ذهب ضحيتها الآف النساطرة، واستمرت إلى سنة ١٨٤٧م، وعليه فقد لاحظ لايارد بأم عينه كيف يُعَذِّب الأكراد النساطرة التياريين ويضربونهم بالعصي، وفوق كل ذلك لاحظ أنَّ

---

[1]: هنري لايارد، البحث عن نينوى ص١٥.

[2]: هنري لايارد، السيرة الذاتية ج٢ ص ١٠٨–١٧٥.

النساطرة غير محبوبين حتى من قِبَل الكلدان المسيحيين لأسباب عقائدية (دينية)، وهناك شبه عداء بينهما.

وفي إحدى الرسائل التي وجهها إلى عائلته في انكلترا في ٥ تشرين الأول ١٨٤٦م تكلم عن المذابح التي تعرض لها النساطرة على يد الأكراد.

إثر كل هذه الأمور بدأ لايارد يتعاطف مع النساطرة ويلبس زيهم، وبدأ يستعمل كلمة الآشوريين على النساطرة مفترضاً أنَّ المسيحيين النساطرة (السريان الشرقيون)، هم أحفاد الآشوريين القدماء وسَمَّاهم "الآشوريين النساطرة"، وخلال جولاته الأثرية لمنطقة آشور القديمة ذَكَّرَهم بالمأساة التي حَلَّت بسقوط الدولة الآشورية.

ثم نشرت مجلة الشهر الجديد اللندنية the new monthly magazine مقال بعدد ٨٧-٣٤٤-١٨٤٩م، قالت فيه: "يجب إنقاذ صفوة من المسيحيين النساطرة الذين هم أحفاد الآشوريين"، وسنة ١٨٤٩م، أصدر لايارد كتابه "بقاياها نينوى Nineveh and its remains "، وحاز على شعبية واسعة في انكلترا، وتَرجَمهُ الآشوريين الجدد سنة ١٩٨٣م بعنوان "البحث عن نينوى" وقد رَكَّزوا بترجمة الفقرات التي تُظهر اعتداء الأكراد على النساطرة[1].

في ١١ نيسان سنة ١٨٥٢م قَدَّمَ عالم الآثار الإنكليزي هنري كريسوك رولنصون بحثاً إلى الجمعية الآسيوية الملكية بعنوان "تاريخ آشور المستقى من الكتابات التي اكتشفها لايارد في نينوى"، وذكَرَ أنه استند في بحثه عن الآشوريين إلى ملاحظاته الشخصية وبمعونة معلومات الكتاب المقدس، وفي سنة ١٨٥٣م أصدر لايارد السلسلة الثانية من "آثار نينوى".

---

[1]: الأمر الطريف أنَّ مُترجم كتاب لايارد ميخائيل عبدالله، يُزَوِّر، فيضيف كلمة آشوري إلى كل كلمة نسطوري، أو يُترجم نسطوري إلى آشوري، فلايارد ذكر اسم: نساطرة، عشائر النساطرة، جبال التياريين، مناطق النساطرة، وليس الآشوريين، وذكر الكلدان لأنَّ اسم الكلدان انتشر قبل قرنين تقريباً، وثبَت في ٥ تموز ١٨٣٠م.

بين سنتي (١٨٥٤-١٨٥٥م) وصلت إلى بريطانيا نحو خمسة وعشرون ألف قطعة أثرية طينية وحجرية من القطع التي اكتشفها لايارد، وقد أحدث وصول هذه الكمية من الآثار ضجة شعبية واسعة في انكلترا ألهمت خيال الناس، فالمتدينون أعجبوا بها كثيراً بعد أن رأوا التشابه الكبير بين ما ورد في الكتاب المقدس عن الآشوريين وما احتوته هذه الآثار، وأنها جاءت شاهداً مُبيناً على صحة الكتاب المقدس، وأصبحت تُنشر هذه الاكتشافات مقرونة بآيات من الكتاب المقدس، ومن جهة أخرى فقد جعلت هذه الآثار المسرحيات والقصائد والأساطير عن بلاد آشور صورة حقيقة على أرض الواقع، وصارت بلاد آشور ونينوى موضوع الإنشاء المفضل في المدارس ومادة دسمة للكُتَّاب، وراح قسم من الشعراء مثل ولتر سافج لاندر يتغنى ب لايارد واكتشافاته، ويقول:

سترتفع أغنيتي، ستردد في خرائب نينوى

لايارد! يا ذاك الذي أخرج المدن من التراب

الذي جفف نهر النسيان من وسط ضلالها

وحرر العروش والملوك، والهياكل والآلهة من الزمن القاهر.....إلخ.

كان رؤساء أساقفة كارنتربري قد تلقوا بين سنة (١٨٤٤-١٨٦٨م) رسائل ودعوات كثيرة من النساطرة من بينهم ثلاثة مطارنة وثمان وأربعون شخصية تدعوهم لمساعدتهم، وعلى إثر ذلك قام رئيس أساقفة كارنتربري كامبيل تايت Campbell Tait (١٨٦٨-١٨٨٢م) بإرسال بعثة دينية سنة ١٨٧٦م برئاسة إدورد لويس كوتس E.L.Cutts (١٨٢٤-١٩٠١م) لتفقد وضع النساطرة في شمال بلاد بين النهرين (تركيا والعراق وإيران) ومحاولة استمالتهم لتبديل مذهبهم، وتحملت جمعية نشر المعرفة المسيحية نفقات البعثة التي أُطلق عليها اسم (بعثة رئيس أساقفة كارنتربري إلى الآشوريين) Archbishop of Canterbury Assyrian mission

وقد وجدت البعثة أنَّ الشعب جاهل، وحتى الأساقفة لا يجيدون القراءة والكتابة، ورجال دينهم أعرف بأقسام البندقية من الأمور الدينية، ومع ذلك فهم يتفانون من أجل معتقدهم الديني، ثم أرسل رئيس أساقفة كارنتربري بعثة دائمة برئاسة كوتس إلى النساطرة في جبالهم فقام بجهود تبشيرية كبيرة، وعمل إحصاء عاماً نُشِرَ سنة ١٨٧٧م بعنوان "المسيحيون تحت حكم الهلال (المسلمون) في آسيا Christians under the Crescent in Asia"، وفي الرسالة التي وجهها رئيس أساقفة كارنتربري إلى بطريرك النساطرة روئيل بنيامين (١٨٦٠–١٩٠٣م) قال: إنَّ الهدف من إرسال البعثة هو تدعيم الكنيسة القديمة والاستنارة بها، وفي سنة ١٨٨١م تأسست إرسالية باسم إرسالية رئيس أساقفة كارنتربري إلى الآشوريين النساطرة[1].

انتظمت إرسالية رئيس أساقفة كارنتربري إلى النساطرة سنة ١٨٨٦م، بوصول الراهب وليم براون William .H. Browne وآرثر جون ماكلين Arthur J. Maclean إلى منطقة قوجانس، ولعب هذان الشخصان دوراً مهماً وذكياً في تنظيم وكسب النساطرة، وخاصةً الراهب براون الذي كان له دور رئيس في إطلاق التسمية الآشورية، فقد عاش هذا الراهب بين النساطرة في قوجانس وبالقرب من البطريرك النسطوري قرابة خمس وعشرين سنة حتى وفاته في الرابع عشر من أيلول سنة ١٩١٠م، وكان صديقاً ومستشاراً للبطريركين النسطوريين روئيل بنيامين وخلَفه بنيامين إيشاي (١٩٠٣–١٩١٨م)، وعاش هذا عيشة متواضعة ونسكية، وكان

---

[1]: جميع بطاركة النساطرة يبدأ اسمهم بشمعون ثم رقم التسلسل، أي أنَّ البطريرك هو شمعون الثامن عشر روئيل بنيامين، و تسهيلاً للقارئ سوف نستعمل اسمه الشخصي فقط.

يُساير النساطرة في تفكيرهم ويبشرهم بهدوء، وأخذ يلبس ملابسهم ويأكل ويتصرف وينام مفترشاً الأرض مثلهم، وبدا كأنه راهب من العصور الوسطى يعيش في القرن التاسع عشر، وأصبح عندهم مثل رئيس عشيرة يجتمعون إليه لحل مشاكلهم وخلافاتهم الدينية والدنيوية، ولاحظ براون تَمسُّك النساطرة بعاداتهم وتقاليدهم الدينية والعشائرية، لذلك جاراهم في تفكيرهم وكان يحثهم على الابتعاد عن التقاليد الغربية والتمسك بالعادات والتقاليد الخاصة بالنساطرة بغية كسب تعاطفهم، ولم يكن يضغط عليهم بترك مذهبهم النسطوري واعتناق الأنكليكانية اسوةً بالمبشرين البروتستانت، بقدر تركيزه على المسائل القومية وترك التسمية النسطورية على الأقل مستعملاً معهم التسمية الآشورية، وقام بروان بجهود كبيرة في تعليم الصغار القراءة والكتابة والمبادئ الدينية، وكان من طلابه كثير من أقارب البطريرك روئيل بنيامين من ضمنهم أبناء أخوته كالآنسة سورما أيشاي (١٨٨٣–١٩٧٥م) وأخيها بنيامين (البطريرك النسطوري بعدئذ ١٩٠٣–١٩١٨م)، ويقول المؤرخ ميشيل هورنس +١٩٨٢م المختص بتاريخ الشرق إنَّ الراهب براون هو أول من أطلق لقب "السيدة lady" على الآنسة سورما[1]، وبناء على ذلك سَمَّى الساسة الإنكليز سورما فيما بعد بالأميرة الأثورية.

أمَّا آرثر جون ماكلين (١٨٥٨–١٩٤٣م) فلعب دوراً ثقافياً وألَّفَ سنة ١٨٩٥م كتاب قواعد اللهجة السريانية الشرقية العامية المحكية التي يتكلمها النساطرة، ووضع قاموساً لها سنة ١٩٠١م، وكتب أخرى.

[1]: هورنس +١٩٨٢م، بعثة رئيس أساقفة كارنتربري للآشوريين، الدراسات الشرقية الآشورية ١٩٦٧م، ص٢٠–٢١.

استمرت البعثات الإنكليزية الأنكليكانية التبشيرية في القدوم إلى مناطق النساطرة منذ منتصف القرن التاسع عشر وخلال الربع الأول من القرن العشرين، بحيث لم تكن مناطق النساطرة تخلو من الزائرين الإنكليز الذين هم أعضاء بعثة رئيس الأساقفة إلى الأثوريين[1].

لم تنجح تلك البعثات بإقناع السريان الشرقيين النساطرة بترك مذهبهم، لكنها نجحت بإقناعهم بعدم لياقة الاسم النسطوري وإنَّ تسميتهم بالآشوريين ترفع من منزلتهم التاريخية في الأواسط العالمية[2]، وأخذت التسمية الآشورية تلقى اهتماماً كبيراً من الكُتَّاب والمبشرين والسياسيين الإنكليز في بداية القرن العشرين مثل، تيرو دانغان الذي زار سنة ١٩١٢م منطقة النساطرة بين نهر بوتان والزاب الكبير وقام بترجمة الوصف الملحمي الذي سجله الملك الآشوري سرجون الثاني، والباحث رايلي A.J. Riley صهر الكونت الإنكليزي مولسورث (١٨٥٨–١٩٣١م) المتحمس الكبير لرئيس أساقفة كارنتربري والذي قام بثلاث زيارات لمناطق النساطرة بين الأعوام (١٨٨٤–١٨٨٨م) وعلى حسابه الخاص، والعقيد مونسيل القنصل البريطاني في وان الذي تجول في المنطقة سنة ١٩٠٠م وأصدر أكثر من كتاب حول النساطرة في كردستان، وإزابيل بيرد (١٨٣١–١٩٠٤م) التي ألَّفَت سنة ١٨٩١م كتاب "رحلة في بلاد فارس وكردستان"، وديكسن الذي ألَّفَ كتاب رحلة في كردستان سنة ١٩١٠م، وغيرترود بيل (١٨٦٨–١٩٢٦م) مستشارة المندوب السامي البريطاني المعروفة بمس بيل والتي لعبت دوراً سياسياً مهماً في العراق، والعقيد ستافورد صاحب كتاب مأساة الآشوريين سنة ١٩٣٥م، وغيرهم.

---

[1]: وليم ويكرام، مهد البشرية ص ٢١٨.

[2]: جون جوزيف، النساطرة ومجاوروهم المسلمون طبعة برنستون ١٩٦١م.

لهذا لا توجد أية علاقة أثنية أو قومية أو عرقية بين الدولة الآشورية التي سقطت وانتهت سنة ٦١٢ ق.م. وبين الآشوريين سوى الاسم الذي أطلقه عالم الآثار البريطاني هنري لايارد، وتعزز هذا الاسم من بعده على يد المبشرين الأنكليكان الذين أرسلهم رئيس أساقفة كارنتربري باسم "بعثة رئيس أساقفة كارنتربري إلى الآشوريين"، مُعَدِّين المسيحيين النساطرة (السريان الشرقيون) الذين انفصلوا عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الأُم سنة ٤٩٧م، هم أحفاد الآشوريين القدماء.

وأهم الرحّالة الذين روجوا للاسم الآشوري هو الدبلوماسي والمبشر الأنكليكاني الاسكتلندي وليم آنكر ويكرام (١٨٧٢–١٩٥٣م) الذي أرسله رئيس أساقفة كارنتربري فريدريك تامبل Frederick Temple (١٨٩٦–١٩٠٢م) في بعثة تبشيرية إلى نساطرة حكاري سنة ١٨٩٨م لتعليمهم، وبقي يتجول في كردستان إلى سنة ١٩٢٢م، واتخذ ويكرام سنة ١٩١٠م من قرية بيباد الواقعة على بعد ١٥ كلم غرب العمادية مقراً لبعثة رئيس أساقفة كارنتربري إلى النساطرة الآشوريين[1]، وأقام علاقات متينة مع بطريرك النساطرة والشعب، وخلال تجواله بينهم أتقن اللغة السريانية وأسس مدارس في المنطقة من ضمنها مدرسة في قوجانس كان البطريرك النسطوري بولس إيشاي (١٩١٨–١٩٢٠م) أحد طلابها، وتمتع ويكرام بمكانة خاصة ومحبوبة لدى النساطرة لأنه كان يساعدهم كثيراً لدرجة أن قام بعض الكلدان سنة ١٩١٠م بتقديم عريضة لويكرام راجين منه نقلها إلى رئيس أساقفة كارنتربري يطلبون فيها منه مساعدات تمكنهم من العودة إلى كنيستهم النسطورية القديمة.

---

[1]: بقي مقر البعثة في القرية قائماً إلى أن أُحرق في أيلول سنة ١٩٦١م.

وبناء على تطلعات الكنيسة الأنكليكانية ورغبة البطريرك النسطوري بنيامين إيشاي (١٩٠٣–١٩١٨م)، بدأ ويكرام يُروِّج للاسم الآشوري بين النساطرة، فسَمَّى الكنيسة النسطورية بالآشورية في كتابه "مقدمة في تاريخ الكنيسة الآشورية أو كنيسة الإمبراطورية الساسانية الفارسية" الذي ألَّفَهُ سنة ١٩٠٩م استجابة لرغبة البطريرك بنيامين، وكان إهداء الكتاب إلى البطريرك نفسه، ثم عَدَّ ويكرام في كتاباته ومقالاته أنَّ النساطرة هم أحفاد الآشوريين القدماء سالكاً بذلك طريقة الدكتور آشيل غرانت التي عَدَّ فيها أنَّ النساطرة هم أحفاد اليهود المسبيين إلى آشور، واستدلَّ ويكرام على ذلك بمقارنة صور الإنسان الآشوري القديم المنقوش على الألواح الأثرية وبين ملامح أحد كهنة النساطرة بلحيته في الوقت الحاضر، وعلى لغة وتقاليد النساطرة وغيرها.

ومن المهم بمكان أنَّ ويكرام نفسه لم يستعمل الاسم الآشوري للدلالة على النساطرة قبل بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، باستثناء كتاب مقدمة في تاريخ الكنيسة الآشورية الذي ألَّفَهُ بناء على رغبة البطريرك بنيامين إيشاي، وحتى الكتاب المذكور كان عنوانه "مقدمة في تاريخ الكنيسة الآشورية أو كنيسة الإمبراطورية الساسانية الفارسية".

ويبدو من صيغة اسم الكتاب أنَّ ويكرام كان ذكياً جداً وحاول التوفيق بين آرائه الدينية والسياسية وتوجهات الكنيسة الأنكليكانية ورغبات البطريرك بنيامين من جهة وبين البحث التاريخي الأكاديمي الدقيق من جهة أخرى، أي أنه ركَّزَ على الاسم الجغرافي الساساني الفارسي أكثر من الآشوري، لأنه يعلم أنَّ هذه الكنيسة هي سريانية شرقية وقد سُمِّيت "الكنيسة الفارسية" في كثير من العهود لأنها خضعت للهيمنة الفارسية.

أمَّا سبب تأليف ويكرام للكتاب فيقول (فان van) مُقدِّم الكتاب المطبوع باللغة الإنكليزية: عُرفتْ هذه الكنيسة في التاريخ باسم "الكنيسة الشرقية أو السريانية أو الكلدانية أو النسطورية"، وهذه مشكلة بالنسبة للقارئ الإنكليزي الذي لا يُفرِّق بين الكنيسة الشرقية الروسية أو اليونانية وبين الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية)[1]، لذلك استخدم ويكرام اسم الكنيسة الآشورية، علماً أنه لم يرد اسم هذه الكنيسة بالآشورية في المصادر التاريخية.

معلوم أنَّ ويكرام كان يستعمل دائماً الاسم النسطوري والسرياني، وأسماء عشائر النساطرة مثل التياريين وجيلويا والبازيين وغيرها، ويُسَمِّي قراهم "القرى المسيحية أو قرى النساطرة"، وعَدَّ أنَّ الكنيسة النسطورية هي الكنيسة السريانية الشرقية، والكلدان هم النساطرة المُتَّحدون بروما، وكنيسة أورميا في ايران التي يسكن أحبارها في هذه البقعة الساحرة، هي سريانية شرقية مثل بقية كنائس الجبال، لكن أعداءها يُسَمُّونها الكنيسة النسطورية، واسمها الرسمي هو الكنيسة الشرقية، وهذا اللقب أسنده لها أصلاً مسيحيّو الشرق من أنطاكية والقسطنطينية ليُميِّزوا منطقتهم في مملكة الساسانين عن الإمبراطورية الرومانية.

يقول ويكرام: في مدينة الموصل ثلاثة أساقفة كاثوليك، وعلى أقل تقدير أسقف سرياني أرثوذكسي (يُسَمِّيه يعقوبي)، وأسقف نسطوري، ويضيف: أنه نتيجةً لشراسة النساطرة في مناطقهم نصحتُ أحد الرحَّالة الفرنسيين أن يأخذ له مرافقاً نسطورياً من بيت البطريرك ليضمن له الحماية في المناطق الجبلية، ويذكر ويكرام أنه في سنة ١٩١٠م قام شاب

---

[1]: ويكرام، مقدمة في تاريخ الكنيسة الآشورية أو كنيسة الإمبراطورية الساسانية الفارسية، الطبعة الإنكليزية ١٩٠٩م، ص٣.

مـن الطائفـة الكلدانيـة وهـي طائفـة نـسطورية الأصـل تحولـت إلى المـذهب الكـاثوليكي، بقتـل شـاب مـن المـذهب الكلـداني القـديم أي مـن النـساطرة المـستقلين[1]، وفي كتابـه الـرئيس الكـبير "مهـد البـشرية أو الحيـاة في شـرق كردسـتان" الـصادر سـنة ١٩٢٠م، لم يـستعمل ويكـرام الاسـم الآشـوري في الفـصول الـستة عـشرة الأولى الـتي نُـشرت سـنة ١٩١٤م، بـل اسـتعمل الاسـم النـسطوري مئـات المـرات، وحتـى في معقـل منـاطق القبائـل النـسطورية وهـي قوجـانس والعماديـة لم يـستعمل الاسـم الآشـوري، وينطبـق هـذا الكـلام علـى الـصور المنـشورة في الكتـاب المـذكور، إذ أنَّ صـور الفـصول الأولى مـن الكتاب لا تحمل الاسم الآشوري، بينما في الفصول الأخيرة تحمل ذلك.

ثـم فجـأةً ولأسـباب سياسـية بحتـه، ولوقـوف النـساطرة إلى جانـب الإنكليـز في الحـرب العالميـة الأولى، بـدأ ويكـرام بعـد الحـرب يـستعمل الاسـم الآشـوري بوضـوح وبـشكل مُركّـز للدلالـة علـى النـساطرة خاصـةً في كتابـه المُـسَمَّى "حليفنـا الـصغير smalles ally The" الـذي أصـدره سـنة ١٩٢٠م، مُقتبـساً ذلـك التعـبير مـن رئـيس أسـاقفة كـارنتربري، رانـدال تومـاس دافيدسـن Randall Tomas Davidson (١٩٠٣–١٩٢٨م)، الـذي اسـتعمله إبـان الحـرب العالميـة الأولى في خطابـه أمـام مجلـس العمـوم البريطاني حيث استعمل تعبير (حلفاؤنا الآشوريون) إشارة إلى النساطرة[2].

في سـنة ١٩١٨م وبـسبب الحـرب نـزح إلى العـراق هربـاً مـن المـذابح الـتي حـصلت في أرمينيـا وإيـران وتركيـا حـوالي خمـسة وثلاثـين ألـف نـسطوري مـع خمـسة عـشر ألـف أرمـني، وقـام الإنكليـز بإسـكانهم في مخـيمين الأول

---

[1]: ويكرام، مهد البشرية ص ٢١٩، ٦٨، ٧٠، ٩٤، ١٠٠، ١٦٨.

[2]: يوسـف مالـك، الخيانـة البريطانيـة للآشـوريين ص٦٢. علمـاً أنَّ كتـاب حليفنـا الـصغير أُضيف كجزء سابع عشر إلى كتاب ويكرام "مهد البشرية" عندما طُبع سنة ١٩٢٠م.

مساحته ميل مربع وهو الرئيس قرب محافظة ديالى (بعقوبة) سُمِّي (مخيم الأثوريين)، والثاني افتتح سنة ١٩٢٠م على بعد ٣٠ كم عن الموصل سُمِّي مندان، وكان مخيم بعقوبة بإمرة الجنرال هنري اوستن وتحت إمرته جورج ريد آمر سرية الحماية المتعاطف مع الآشوريين الذي لعب هو أيضاً دوراً في مساعدة الآشوريين سياسياً وقومياً، فأتقن اللغة السريانية وخاصةً لهجتها الشرقية التي يستعملها الآشوريون حيث كان يتكلمها بطلاقة، وألَّفَ كتاب البعثة التبشيرية لرئيس أساقفة كارنتربري لدى الآشوريين.

ضَمَّ مخيم بعقوبة ثلاثة آلاف خيمة، وفي كل خيمة حوالي عشرين شخصاً يمثلهم أحد الأثوريين، وتم تعيين الدكتور ويكرام من قِبَل الحكومة البريطانية ضابطاً سياسياً للمساعدة في حل مشاكل هؤلاء اللاجئين، فقام بتفقد اللاجئين، ثم اقترح على رئيس أساقفة كارنتربري إعادة فتح إرسالية رئيس أساقفة كارنتربري التبشيرية إلى الأثوريين التي كانت قد توقفت بسبب الحرب، على أن يتم فتحها في مدينة الموصل، لكن المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس رفض الفكرة، وعلى إثرها أُنهيت خدمات ويكرام وغادر العراق في آذار سنة ١٩٢٢م، وصدر كتاب آخر لويكرام سنة ١٩٢٩م بعنوان "The Assyrians And Their Neighbours" الذي ترجمه السريان بعنوان، "السريان وجيرانهم" بينما ترجمه الآشوريين بعنوان، "الآشوريون وجيرانهم".

بعد رحيل ويكرام لم يَعُدْ للأنكليكان نشاط كبير في العراق سوى قيام دائرة الإرسالية الأسقفية الأمريكية بإيفاد الكاهن بانفيل j.b.panfil سنة ١٩٢٥م، وهو كاثوليكي أصبح أنكليكانياً سنة ١٩١٧م، وساهم في إنشاء مدرسة سنة ١٩٣١م باسم "الإرسالية الأثورية الأمريكية"، بمساندة البطريرك إيشاي داود وعمته سورما خانم.

يُعلِّق الأب فرديناان توتل اليسوعي (١٨٨٧–١٩٧٧م) على آراء ويكرام قائلاً: لا أدري هل يقتنع الأثوريون ببراهين الدكتور ويكرام على آشورية النساطرة، فإنهم إن انتسبوا للآشوريين أو سكنوا آشور فغيرهم أيضاً سكن المنطقة وينتسب إلى ذلك الشعب القديم كالأكراد، ثم يضيف بما أنَّ النساطرة يتكلمون الآرامية (السريانية) فهذا يدل على أصلهم الآرامي (السرياني)[1]، علماً أنه ومنذ القرنين السادس والسابع الميلاديين كان النساطرة أنفسهم يُسَمُّون الجهات الواقعة شمال أربيل والتي هي جزء من حدياب "بيث قرطوي"، أي بلاد الأكراد[2].

يقول المؤرخ الدكتور أحمد سوسة (١٩٠٠–١٩٨٢م): في الحقيقة لم يكن النساطرة يعتقدون أنهم منحدرون من الآشوريين القدماء، ولم تخطر ببالهم هذه النظرية أو فكروا بها قبل أن يدخل المبشر الإنكليزي وليم ويكرام بلادهم في أواخر القرن التاسع عشر، حيث لَقَّنهم هذه الفكرة التي جاءت وفق رغبات البطريرك النسطوري الذي كان يطمع بتشكيل دولة أثورية[3].

يَخلص الأب الفرنسي المعاصر د. جي. سي. ج. ساندرس إلى القول: قد يكون من الصعب إثبات أنَّ المسيحيين الآشوريين اليوم هم فعلاً أحفاد الآشوريين القدماء المذكورين في الكتاب المقدس، لكنه من الثابت أنَّ الآشوريين تكلموا الآرامية (السريانية) وعاشوا في منطقة كانت اللغة

---

[1]: الآشوريون والنساطرة، مجلة المشرق ٢٨، عدد تموز ١٩٣٠م، ص ٥٠٩–٥١٠.

[2]: الأب جان فييه الدومنيكي، البحوث المسيحية الآشورية معهد دراسات الشرق الأوسط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥–١٩٦٨م، مج٣ بحث ٢٢ و٢٣ و٤٢.

[3]: أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ص٦١.

الآرامية قد أخذت موقع لغة الآشوريين والأكديين القدماء فيها، والتي نعلم أنها كانت تُكتب بشكل مسماري، وأنه نتيجةً للاضطهادات المتكررة التي تعرض لها النساطرة منذ زمن تيمورلنك ١٤٠٥م، هرب الكثير منهم إلى جبال كردستان، وهناك نما وترعرع ولا زال قائماً حتى يومنا هذا الرأي القائل: إنَّ أبناء هذه الأمة هم أحفاد الآشوريين القدماء[1].

يقول الرحَّالة الايطالي البندقي ماركو بولو Marco Polo (١٢٥٤–١٣٢٤م) الذي مَرَّ بالموصل سنة (١٢٦٠م): يسكن مدينة الموصل أخلاط شتى من الشعوب لها أوصاف مختلفة، تؤمن طائفة منهم بالنبي محمد وتُسَمَّى، العرب، وأمَّا الآخرون فيعتنقون الدين المسيحي ولكن ليس طبقاً لقوانين الكنيسة الكاثوليكية التي يختلفون عنها في كثير من الحالات، ويُسَمَّون "النساطرة واليعاقبة والأرمن"، ولديهم بطريرك يُسَمُّونه "الجاثليق"، وهو الذي يرسم كبير الأساقفة ورؤساء الأديرة ويرسلهم إلى جميع أصقاع الهند والقاهرة وبغداد وإلى جميع الأماكن التي يسكنها مسيحيون، على نفس الشاكلة التي يتبعها بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما، ويسكن الأجزاء الجبلية جنس من الناس يُسَمَّون بالأكراد، بعضهم مسيحيون وبعضهم الآخر مسيحيون من النساطرة أو اليعاقبة[2].

الرحَّالة الايطالي الفلورنسي الدومنيكي فرا ريكولدو Ricoldo Fra (١٢٤٣–١٣٢٣ أو ١٣٢٠م)، بعد إقامته في العراق حوالي سنة ١٢٦٧م، قال إنه زار مدينة نينوى التي تقع على ضفاف نهر فردوسي وهو نهر دجلة،

---

[1]: د. جي. سي. ج. ساندرس المسيحيون الآشوريون– الكلدان – في تركيا الشرقية وإيران والعراق (أطلس الخرائط) ص ٢٦–٢٧.

[2]: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ج١ ص ٥٦.

وزار ديراً للسريان الأرثوذكس (يقصد دير الشيخ متي) حيث قال: كان الدير بمثابة مقر إقامة بطريرك السريان الأرثوذكس (يُسَمِّيهم ريكولدو، اليعاقبة)، ويقال إنه كان يضم ثلاثمئة راهب بينهم رجال عرفوا بزهدهم وورعهم، ويُعدُّون رجالاً كالملائكة، وقام ريكولدو بعقد مناقشة لاهوتية مع السريان الأرثوذكس دعي على إثرها رجال الدين السريان إلى ساحة كبيرة في نينوى للمناقشة أمام حشد كبير من الناس، ويذكر ريكولدو إنه استُقبل بحفاوة وتكريم من ملك الموصل النسطوري خلال إقامته في الموصل[1].

يقول الرحَّالة الايطالي بيترو ديللافاليه (١٥٨٦-١٦٥٢م) الذي زار العراق سنة ١٦١٧م، عن زوجته النسطورية الأصل (معاني حبيب جان جويريدية): إنَّ والدها هو من السريان المشارقة، وهم النساطرة، ويُطلق هذا الاسم اليوم على الشعب برمته أكثر مما يُطلق على الفرقة الدينية، وهؤلاء لا يفقهون اليوم شيئاً عن أصولهم التاريخية، فهم نساطرة بالاسم فقط، وكل ما هنالك أنَّ بعض المتفقهين أو رجال الدين يعرفون شيئاً بسيطاً عن أصل الطائفة، وأكبر ضلال بينهم هو الجهل، وقد فهمتُ أنَّ أسرة زوجتي كانت قد تبعت أحد البطاركة الكاثوليك، وهذا ما شجعني على الزواج منها[2].

---

[1]: كانت مدينة الموصل في ظل الدولة الأيليخانية (١٢٥٨-١٣٣٨م) تربطها علاقة متينة مع المسيحيين، وفي هذه الحقبة كان أمير الموصل مسعود البرقوطي (١٢٦٧-١٢٨٩م) مسيحي، وهو نسطوري أصله من قرية برقوطا قرب أربيل.

[2]: رحلة ديللافاليه إلى العراق، ترجمة بطرس حداد ص٧٠. ويقصد ديللافاليه أنَّ الأسرة تبعت البطريرك سولاقا (+١٥٥٥م)، لذلك تزوجها لأنه هو أيضاً كاثوليكي.

عندما أصدر المؤرخ الكبير يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧–١٧٦٨م) كتابه المكتبة الشرقية سنة ١٧٢٥م، كان المجلد الثاني مخصصاً للنساطرة، وسَمَّاهم "السريان المشارقة"، وخصص المجلد بجزئين، الأول أرجوزة لعبد يشوع الصوباوي، والجزء الثاني للباقين.

كان القس بادجر قد أكَّدَ سنة ١٨٥٠م حقيقةً، مفادها أنَّ نساطرة حكاري لم يكونوا يُسَمُّون أنفسهم آشوريين قبل أن يزورهم لايارد، بل نصارى (نصراني) عوضاً عن سرياني (سورَايَا)، أو بكل بساطة نساطرة[1]، وأشار في أكثر من مكان أنَّ النساطرة والكلدان يتكلمون السريانية.

ذكر المبشر الأمريكي جوستس بيركنس Justus Perkins (١٨٠٥–١٨٦٩م) في كتابه "ثمانية سنوات من الإقامة بين نساطرة فارس المسيحيين"، أنَّ نساطرة سهل أورميا كانوا يُسَمُّون أنفسهم سرياناً، وأحيانا كلداناً أو نصارى[2].

المبشر يوهانس ليبسيوس Lepsius رئيس البعثات التبشيرية الألمانية في الدولة العثمانية بين (١٨٩٥–١٩١٥م)، يُسَمِّي النساطرة: Syrer أي سريان.

يقول الرحَّالة الاسكتلندي جيمس بيلي فريزر (١٧٨٣–١٨٥٦م) الذي زار العراق سنة ١٨٣٤م: في بغداد اليهود والأرمن والنصارى من الكنيستين الكاثوليكية والسريانية[3].

يكتب المبشر الدكتور آشيل غرانت في كتابه "النساطرة أو الأسباط المفقودة ص ٧٧"، بينما كنت في طريقي إلى منطقة حكاري سنة

---

[1]: شفاليه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية ص١٦٧.

[2]: الطبعة الإنكليزية من كتابه، نيويورك ١٨٤٣م، ص١٧٥.

[3]: رحلة فريزر إلى بغداد، ترجمة جعفر الخياط ص ٨٨.

١٨٤٠م، كان يرافقني بعض النساطرة، ثم يتكلم في ص ١٦٣-١٧٢ عن التسميات السريانية والنصرانية وما شابهها التي كان النساطرة يستعملونها ويتسَمَّون بها[١].

أمَّا الباحث الألماني اليهودي الدكتور إريك براوَر (١٨٩٥-١٩٤٢م)، ففي كتابه، "يهود كردستان"، يُسَمِّي النساطرة دائماً، بالسريان أو السريان النساطرة.

يقول العقيد ر. س. ستافورد الذي عمل في العراق في ثلاثينيات القرن العشرين: الآشوريين هم الذين يُعرفون بالنساطرة، ولغة البطريرك النسطوري هي السريانية المستمدة مباشرة من الآرامية، وهي اللغة التي كان يتكلم بها السيد المسيح، والآشوريين الذين يعتقدون أنهم منحدرون من الآشوريين القدماء، هم الذين يعرفون بالنساطرة[٢].

يُسَمِّي هنري دوبرييه في رحلته سنة ١٨٨٥م إلى كردستان النساطرة وقراهم بالسريان والسريانية، ويقول الأب يوسف حَبِّي في ترجمته وتعليقه على الرحلة: لم يكن هنري يُفرِّق إلى هذا الوقت بين الكلدان والآشوريين، فكان يُسَمِّي الجميع، سرياناً.

يقول الأب شيخو اليسوعي (١٨٥٩-١٩٢٨م): مما لا يُنكر أنَّ النساطرة كانوا منتشرين في شمال بين النهرين، وأنشؤوا عدة كنائس فيها أساقفة أتوها من قِبَل جثالقة المشرق أصحاب كرسي المدائن.

---

[1]: عَدَّ غرانت في هذا الكتاب أنَّ النساطرة هم أسباط اليهود العشرة المفقودة شمال العراق،وسنتناول دراسته بالتفصيل لاحقاً.

[2]: ستافورد، مأساة الآشوريين، طبعة لندن الإنكليزية ١٩٣٥م، ص ٨، ١٣.

يُطلق يوسف غنيمة (١٨٨٥–١٩٥٠م) اسم السريان الشرقيين على الكلدان والنساطرة، ويُسَمِّي الشعب في المدائن أو قطيسفون، السريان[1].

يقول المؤرخ كوركيس حنا عَوَّاد: إنَّ السريان المشارقة، هم الذين يُطلق عليهم اسم الكلدان والنساطرة، والمراد بلفظة السريان المشارقة التي ترد في مقالاتي هم الكلدان عموماً قبل وبعد انتشار النسطرة بينهم[2].

قام أخيراً الأب ألبير أبونا (١٩٢٨م) بتأليف كتاب تاريخ الكنيسة الشرقية التي ينتمي لها الآشوريون والكلدان وسَمَّاهُ "تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية"، وهو كتاب شامل بثلاثة أجزاء.

في أحدث كتاب عن تاريخ النساطرة والكلدان يقول المؤرخ الفرنسي القدير ميشيل شفالييه: أرجو الملاحظة في كتابي عندما أتحدث عن النساطرة – الكلدان، أنني استعين بعبارة السريان الشرقيين عوضاً عن عبارة كلدو– آشوريين، التي غَدت تُستعمل كتسمية شعبية منذ سنة١٩٢٠م فقط، لأنَّ تسمية كهذه أراها تناقض الواقع التاريخي، ولا يمكن استعمالها في البحوث قبل سنة ١٩١٤م[3].

ولم يرد اسم الآشوريين للدلالة على قوم معينين كاسم قومي في كل كتب الرحَّالة والمبشرين أو الكُتَّاب الذين زاروا منطقة النساطرة أو كتبوا عنها قبل مطلع القرن العشرين، وبما أنَّ أغلب الرحَّالة الغربيين كانوا مسيحيين ومبشرين وكانوا يعرفون الفروق العقائدية وتسميات

---

[1]: يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص٢٥، ٧٩.

[2]: الذخائر الشرقية ج٥ ص ١٧٥، ١٦٨. ولأن عَوَّاد كاثوليكي دَرسَ ودَرَّسَ عند الكلدان، فقد استعمل عبارة "قبل انتشار النسطرة"، وهذا خطأ، فلا وجود لكلدان قبل النساطرة.

[3]: شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية ص٢١.

الطوائف المسيحية، لذلك نراهم يستخدمون اسمهم الحقيقي القديم وهو السريان الشرقيين، أو اسم النساطرة الذي عُرفوا به بعد انفصالهم عن الكنيسة السريانية سنة ٤٩٧م، وهناك كثير من الرحَّالة ذكروا أقواماً كثيرة في المنطقة أقل عدداً من النساطرة مثل الأرمن واليهود واليزيديين والصابئة، وعددوا صفاتهم ولغاتهم.

يقول الرحَّالة الشهير بكنكهام: عدد مسيحيِّي مدينة الرها (أورفا) ألفان، غالبيتهم من الأرمن والسريان، واللغات التي يتكلمونها هي العربية والكردية والسريانية والفارسية والعبرية والتركية والأرمنية[١].

المبشر جون آشر (١٨٦٤م) والرحَّالة لجان (١٨٦٦م) ومدام ديولافوا (١٨٨١م) وغيرهم، يُفردون حيزاً خاصاً لليزيديين واليهود وغيرهم في رحلاتهم، علماً أنَّ كثيراً من هؤلاء الرحَّالة كانوا مثقفين ويعرفون ويذكرون بلاد آشور القديمة كتاريخ وجغرافيا في كتاباتهم، ولكنهم لم يذكروا أنَّ هناك في المنطقة طائفة أو قوماً باسم الآشوريين إلاَّ عندما كانوا يقصدون آشوريي الدولة الآشورية القديمة التي سقطت سنة ٦١٢ ق.م، ولو كان اسم الآشوريين منتشراً ومهماً، لكَتبَ أكثرهم ذلك.

يذكر الرحَّالة الهولندي ليونهارت راوولف الذي زار الموصل في ٧ كانون الثاني سنة ١٥٧٥م، أنَّ أكثرية سكان الموصل من النسطوريين الذين يزعمون أنهم مسيحيون[٢].

قال الأب الكبوشي باسيفييك دي بروفانس: إنني شاهدت سنة ١٦٢٧م في بغداد باعة وتجاراً أرمن وكاهناً من طائفة النساطرة.

---

[1]: رحلة بكنكهام، طبعة لندن الإنكليزية ١٨٢٧م، ص١٥٠–١٥٤.

[2]: رحلة ليونهارت راوولف ص٢٣١.

ذكـر الرحَّالـة الأب فيليـب اسـبري يوليـان الكرملـي (١٦٠٣–١٦٧١م) الـذي زار العـراق سـنة ١٦٢٩م، أنَّ مـسيحيِّي العـراق هـم مـن اليعاقبـة والنـساطرة والأرمـن، وهـو يُركِّـز علـى النـساطرة ويقـول: إنهـم كـثيرون، ولهـم بطريـرك يـسكن في ديـر شـهير في مـا بـين النهـرين (يقـصد ديـر ربـان هرمـز في ألقـوش)، وكهنـتهم متزوجـون كـسائر الطوائـف الـشرقية، أمَّـا أساقفتهم فغير متزوجين[١].

كتـب الأب دنـيس غرينيـارد لإكليـل الـشوك الـذي زار منـاطق النـساطرة سـنة ١٦٥٣م: النـساطرة في سـهل أورميـا هـم جمـاهير مـن الفلاحـين المحـرومين، وهـم يختلفـون عـن نـساطرة حكـاري الـذين هـم رجـال قتـال ويمتازون بنفسيتهم العالية[٢].

يـذكر الأب دومنيكـو لانـزا (١٧١٨–١٧٨٢م)، الـذي عمـل كـرئيس للرسـالة التبـشيرية في الموصـل للأعـوام (١٧٥٤–١٧٧٠م) في مذكراتـه: المسيحيون ينقسمون إلى مِلَّتين، هما اليعاقبة والنساطرة.

يكتـب الرحَّالـة الفرنـسي أدريـان دوبريـه الـذي زار العـراق بـين سـنتي (١٨٠٧–١٨٠٩م)، أغلـب مـسيحيِّي كردسـتان هـم مـن النـساطرة، والبطريركيـة عنـدهم وراثيـة، ويتحـدث عـن انقـسامهم بكـل وضـوح ويقـول: لهـم بطريـركين أحـدهما يحمـل اسـم شمعـون ويـسكن قوجـانس، والآخـر يحمـل اسـم إيليـا ويـسكن ديـر الربـان هرمـز في ألقـوش، كمـا يوجـد خمـسة آلاف نسطوري في مدينة الموصل[٣].

---

[1]: رحالة أوربيون، رحلة الأب فيليب، ترجمة الأب بطرس حداد ص٦٢–٦٧.

[2]: وقائع البعثات البابوية والكرملية إلى بلاد فارس في القرنين ١٧و١٨، ص٣٨٢.

[3]: أدريان دوبريه، رحلتي إلى بلاد فارس، الطبعة الفرنسية ١٩١٩م، ج١ ص١٢٠، ٩٧.

يُميِّز المنشي البغدادي مرافق وزميل الرحَّالة المشهور جيمس ريج في رحلته إلى العراق سنة ١٨٢١م، بدقة كبيرة للغاية طوائف المسيحيين قياساً بالآخرين بالرغم من أنه مسلم من بلاد فارس، فيقول: أهالي ولاية الموصل هم من الأرمن وسائر النصارى الذين لهم قيمة أكثر من المسلمين، وإنَّ أعمال المدينة بيدهم، وفرق النصارى هي: يعاقبة، كلدان، سريان، نساطرة، وكاثوليك، وفي أنحاء قرية كرمليس التابعة للموصل معظم السكان كلدان وسريان، أمَّا تلكيف وألقوش وتللسقف فكل النصارى فيها كلدان[1].

يقول فريدريك بارو الذي تَسلَّق جبال آرارات لأول مرة سنة ١٨٢٩م: الأتراك والتتار والأرمن يُسَمُّون النساطرة بالأيزيديين، وهذا خطأ.

يذكر راولنصون أنه حضر احتفالاً أقامه النساطرة سنة ١٨٣٨م.

الرحَّالة والرسام الفرنسي أوجين فلاندان (١٨٠٩–١٨٨٩) الذي زار منطقة النساطرة بين سنة (١٨٤٠–١٨٤٢م)، يقول: المسيحيون المنتشرون في قرى المناطق الكردية هم من الكاثوليك والنساطرة واليعاقبة (السريان الأرثوذكس) واليزيديين، ويُسَمِّي في موضع آخر النساطرة بالتياريين، وفي مكان آخر يقول: بسبب الفقر الذي يعيشه أبناء الأمة النسطورية، اعتمدت واردات البطريركية على المبالغ المحصلة من أبناء الأمة الساكنين في أورميا فقط.

---

[1]: رحلة المنشي البغدادي، ترجمة عباس العزواي ص١٢٣–١٣٣. وكرمليس هي القرية الكلدانية الوحيدة في المنطقة والبقية هم سريان كاثوليك وأرثوذكس فقط. ولاحظ دقة تعبير البغدادي فإنه يستعمل كل النصارى في تلكيف وألقوش وتللسقف هم كلدان، بينما يستعمل معظم النصارى قرب كرمليس هم كلدان وسريان.

يــذكر الرحَّالــة اليهــودي الرومــاني بنيــامين إســرائيل جــوزف (١٨١٨–١٨٦٤م) (بنيــامين الثــاني)، الــذي زار معظــم أنحــاء كردســتان ومنــاطق النــساطرة بــين ســنتي (١٨٤٦–١٨٥١م) بحثــاً عــن أبنــاء جلدتــه مــن اليهــود أنَّ مناطق الأكراد يسكنها اليهود والنساطرة[١].

يقــول عــالم الآثــار إميــل بوتــا قنــصل فرنــسا في مدينــة الموصــل: كنــت استخدم النساطرة في أعمال التنقيب في مدينة خورسيباد[٢].

يــستعمل جــورج بــادجر كلمــة النــساطرة في كتابــه، النــساطرة وطقوســهم، أمَّــا زميلــه المبــشر فلتــشر فيــستعمل اســم النــساطرة دائمــاً في كتابــه، علمــاً أنَّ اســم الكتــاب هــو ملاحظــات مــن نينــوى وســفرة إلى بــلاد بين النهرين وسوريا وآشور.

Notes from Nineveh and travels in Mesopotamia Assyria and Syria

أمَّــا الأب جــاك ريتــوري الــدومنيكي (١٨٤١–١٩٢١م) فكتــب يقــول: الغالبيــة العظمــى مــن النــساطرة كــانوا في ســنة ١٨٥٠م ينحــدرون في فــصل الشتاء إلى مناطق كردستان.

كتــب الأب مارشــي الــدومنيكي في مجلــة Lisse الفرنــسية العــدد ٧، أنَّ البنــائين الــذين شَــيَّدوا المركــز الــدومنيكي في العماديــة ســنة ١٨٦٤م، كانوا من النساطرة الجبليين.

يــذكر الرحَّالــة الفرنــسي كيليــوم لجــان (١٨٢٨–١٨٧١م) الــذي زار العــراق ســنة ١٨٦٦م: بعــد أن أمــضيتُ ثمانيــة أيــام في ربــوع آشــور وتجولــت في

---

[1]: رحلة بنيامين الثاني أو خمس سنوات في الشرق ص١٥٥–١٦١.

[2]: باول إميل بوتا، آثار نينوى، الطبعة الفرنسية ١٨٥٠م، ص١١٠.

مناطق كردستان، انتهزت الفرصة وزرت العمادية والوديان الجميلة التي تتناثر فيها قرى النساطرة[1].

جاء في كتاب الأكراد الذي ألَّفَهُ البرفسور الروسي ف. ف. ميتورسكي سنة ١٩١٥م: تعيش العشائر النسطورية في منطقة جولميرك جنوب حكاري وفي منطقة صغيرة مغلقة وهم يشكلون ٩٠٪ من السكان ويسيطرون على الوضع[2].

يقول مستر دبليو. آر. هي. حاكم أربيل البريطاني في كردستان (١٩١٨–١٩٢٠م): الكلدان كانوا أصلاً نساطرة، وطوائف كبيرة منهم موجودون في شمال الزاب الكبير في لواء الموصل، ويقال إنه قبل قرنين أو ثلاثة قرون كانت ثمة رقعة من الأرض عظيمة بجوار مدينة راوندوز خاضعة لهم، وآخر سكانهم فروا منها سنة ١٩١٦م عندما تقهقر الروس، ولا يزال السهل الكائن شمال المدينة معروفاً باسم (دشتي ديان) أي سهل المسيحيين، ولغة كتبهم المقدسة هي السريانية، ويستشهد ببيت شعر جميل ومحزن حول نزوح المسيحيين النساطرة بالقول:

ونفسك فز بها إن خفت ضيماً وخل الدار تنعي من بناها[3]

حتى بداية القرن العشرين كانت التسمية النسطورية هي المستعملة على الآشوريين من قِبَل الباحثين وعالمي الآثار والمؤرخين، ومنهم الباحث والس بدج (١٨٥٧–١٩٣٤م) عالم الآثار الذائع الصيت والمتعمق في تاريخ وآثار العراق ونينوى، والذي زار العراق أكثر من مرة بين سنة (١٨٨٦–

---

[1]: رحالة أوربيون، رحلة لجان، ترجمة الأب بطرس حداد ص١٩٥.

[2]: ف.ف. ميتورسكي الأكراد ص١٧، تُرجم الكتاب إلى العربية سنة ١٩٦٨م.

[3]: مذكرات دبليو. آر. هي.، ترجمة فواد جميل ص ١٠٨–١٠٩.

١٩١٣م) ومكث في مدينة الموصل وتجول في المناطق المسيحية فيها، واهتم بنشر كثير من المخطوطات السريانية التي اقتناها من كنائس وأديرة وكهنة الموصل، ويذكر بدج أنه التقى في الموصل مع رجال دين وعلمانيين من النساطرة واليعاقبة (سريان أرثوذكس) الذين كانوا يملكون كثيراً من المخطوطات السريانية، وأنَّ النساطرة كانوا يكرهون اليعاقبة، وقد كَوَّن بدج في الموصل صداقات قوية مع النساطرة من خلال مساعده نمرود رسام، وطلب منهم مساعدته لشراء كتب ومخطوطات سريانية من السريان الأرثوذكس الذين كانوا يرفضون بيعها وذلك لأنَّ المتحف البريطاني كان يفتقر إلى مثل هذه المخطوطات، وذهب إلى تلكيف لشراء بعض المخطوطات من ضمنها كتاب العلاَّمة السرياني الكبير ابن العبري، وقد بقيت صداقة بدج قوية مع النساطرة إلى أن غادر الموصل حيث يقول: غادرنا الموصل صباح ١٦ كانون الثاني ١٨٨٩م الساعة الثامنة صباحاً، وتوقفنا في الساعة الثانية والنصف ظهراً عند نهر دجلة، وبعد ساعتين التقينا مع السيد نمرود رسام ومعه عدد كبير من النساطرة الذين قَدَّموا لنا ترحيباً قلبياً حاراً[١].

ويصف بدج في الجزء الثاني من كتابه (مسيحيِّو الموصل) وصفاً دقيقاً فيقول: وسكان الموصل هم من العرب والأكراد والفرس واليهود والمسيحيين، والمسيحيون يتألفون من النساطرة، والنساطرة البابوية، والسريان، والسريان البابوية، والأرمن والبروتستانت، واللغة الأكثر شيوعاً في الموصل هي العربية، وهناك عدد كبير من الأهالي المسيحيين

---

[1]: والس بدج، رحلات في ديار مصر وبلاد الرافدين بين سنة (١٨٨٦–١٩١٣م)، طبعة لندن الإنكليزية ١٩٢٠م، ج١ ص ٤٥٤.

يتحـــدثون الفَلِّيحـــي أي لهجـــة "الفلاحـــين أو المـــزارعين"، وهـــي لهجـــة مـــن الـــسريانية القديمـــة دخلـــت فيهـــا بعـــض المفـــردات الكرديـــة، وأول مـــن قـــام بطباعـة أجـزاء مـن الكتـاب المقـدس بهـذه اللهجـة هـم المبـشرون الأميركيـون في بحـيرة أورميـا، والأكثـر إثـارة واهتمامـاً أنهـم طبعـوا الكتـاب المقـدس كلـه باللغـة الـسريانية، كمـا قـاموا بإصـدار مجـلات باللهجـة الفَلِّيحيـة مثـل زهريـرا، وعنـد زيـارتي للمجلس البلـدي في الموصـل بـصحبة نمـرود التقيـت مـع مطـران نـسطوري وبعـض مرافقيـه مـن الكهنـة، وتناقـشت معهـم بخـصوص بعـض المخطوطـات الـسريانية وإمكانيـة شـرائها، وخصـصتُ راتبـاً شـهرياً لنمـرود وكنـت سـعيداً لأنـه كـان يـتكلم اللغـة العربيـة والتركيـة والفَلِّيحيـة وقليـل مـن الفرنـسية، وأنـه كـان يجيـدها قـراءة وكتابـة، لكنـه كـان متمكنـاً وعالمـاً باللغـة الـسريانية بـشكل كـبير، وكـان علـى بينـة تامـة بـالآداب النـسطورية المتفرعـة مـن الـسريانية، لكنـه كـان يـستخف (يحتقـر) اليعاقبـة وكتـبهم وكـل مـا لـديهم، علمـاً أنـه هـو نفـسه كـان يكتـب بتـأن وبشكل جميل اللغة السريانية النسطورية، ولكن ليس بدقة عالية.

أمَّـا عـن مـسيحيِّي بغـداد فيقـول بـدج: كـان المـسيحيون في بغـداد سـنة ١٨٨٨م (أرمن، كلدان الكاثوليك، نساطرة، يعاقبة، وبروتستانت).

في نـصيبين (القامـشلي) يُـسَمِّي بـدج المعلـم نرسـاي والأسـقف برصـوم النـصيبيني بـالمعلم والأسـقف النـسطوري ولـيس الآشـوري، كمـا يُـسَمِّيهم الكُتَّاب الآشوريين الحديثين في كتبهم[1].

في كتـاب الرئاسـة طبعـة شـيكاغو ١٩٨٧م، يؤكِّـد مؤلفـه الـسيد كيـوركيس بنيـامين أشـيثا وهـو نـسطوري، أنَّ كـل الكُتَّـاب الأجانـب

---

[1]: والس بدج، المصدر السابق، ج٢ ص ٤٦–٥٣، ١٩٢.

الـذين كـانوا يـأتون لزيـارة ديارنـا ، لم يـستخدموا أبـداً اسـم (الأثـوريين) الـذي نتداولــه نحــن اليــوم، بــل كــانوا يــدعوننا بالكلــدان ولــو كُنــا نختلــف بالمـذهب، واسـم (الأثـوريين) ابتـدأ الإنكليـز تداولـه منـذ نهايـة القـرن التاسـع عشر عندما وصل المبشرون الإنكليز إلى ديارنا سنة ١٨٨٤م[١].

يقــول الــسياسي البريطــاني المــشهور مــارك ســايكس (١٨٧٩–١٩١٩م): إنَّ النــساطرة في أيامنــا هــذه أخــذوا يطرحــون وبكــل تأكيــد الــرأي القائــل إنَّ أصــلهم آشــوريون، ويفترضــون أنفــسهم أحفــاداً حقيقــيين لأولئــك الــساميين الـذين دوخـوا العـالم بانتـصاراتهم قبـل المـيلاد، لكـن هـذا الطـرح لا يـشكل مـن الحقيقـة شـيئاً، وكـل مـا هنالـك أنـه تقليـد متـوارث وأسـطورة متباطئـة ذات أصول ذكية دعمها وساندها الأنكلو – سكسون (الإنكليز)[٢].

يــذكر الــسياسي الــسويدي ي. آف. فيرســين E.af.Versen رئــيس لجنــة الموصـل في عـصبة الأمـم المتحـدة الـتي تـشكلت في أيلـول سـنة ١٩٢٤م: أنـه عنـدما زار مدينـة الموصـل سـنة ١٩٢٥م التقـى رجـال ديـن مـسيحيين، وعنـدها سمع لأول مرة بالآشوريين[٣].

يقــول الأســتاذ صــالح خــضر محمــد: إنَّ المراســلات البريطانيــة المتعلقــة بالنــساطرة بــين ســنتي (١٨٤٠–١٨٧٦م)، تمــلأ خمــسة ملفــات ضــخمة مــن وثائق وزارة الخارجية البريطانية[٤].

---

[1]: إنَّ الأجانـب سَـمَّوا قـسماً مـن الأثـوريين كلـداناً بعـد سـنة ١٨٣٠م فقـط، أي بعـد ظهـور اسم الكلدان، أمَّا قبلها فكان اسم الأثوريين هو السريان الشرقيين أو النساطرة.

[2]: ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية ص١٦٧.

[3]: جرجيس فتح الله، يقظة الكرد ص٣٤٠.

[4]: صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ص ١٣٨.

لذلك بعد أن قام المبشرون الإنكليز بتسمية النساطرة آشوريين بدأ اسم الآشوريين يتعزز ويطغى على اسم النساطرة في مطلع القرن العشرين.

تقول المس غيرترود بيل: يوجد في ريف الموصل شرق دجلة عدد كبير من المسيحيين أغلبهم كلدان، وهناك سريان كاثوليك وأرثوذكس مع أقلية صغيرة من النساطرة لهم مطارنة، وهناك أقليات صغيرة من البروتستانت والروم الأرثوذكس، وكان الفرنسيون يساعدون الكاثوليك، وكانت سياستنا تُبدي ميلاً لحماية الكنيسة النسطورية ضد المتفرعين عنها وهم الكاثوليك الكلدان، ومن أسباب ذلك وجود هيئة تبشيرية صغيرة بين النسطوريين تُدعى "بعثة رئيس أساقفة كارنتربري للنسطوريين"[١]، وعندما زارت بيل النساطرة في مخيم بعقوبة سنة ١٩١٨م كتبت لأبيها، "هوكي بيل"، تقول: لقد قمتُ برفقة الجنرال "لوببسك" بزيارة مخيم اللاجئين النساطرة في بعقوبة[٢]، ثم تقول المس بيل بوضوح: أصبح النساطرة يفضلون إطلاق اسم الأثوريين عليهم[٣].

يعترف الخبير البريطاني المستر سيسيل جون أدمونز (١٨٨٩–١٩٧٩م) مستشار وزارة الداخلية في العراق بين سنوات (١٩٣٢–١٩٤٥م) بشكل واضح جداً بأنَّ النساطرة المسيحيين سَمَّتهم انكلترا حديثاً باسم الآشوريين قائلاً: إنَّ المسيحيين النساطرة في إقليم هكاري، يُعرفون في انكلترا باسم، الأثوريين[٤].

---

[1]: المس غيرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب ص١٦١–١٦٢.

[2]: كليرويبل يعقوب، سورما خانم، تحقيق الأب يوسف توما ص ١٨٩.

[3]: المس غيرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب ص١٨٣.

[4]: سي. جي. ادمونز. كرد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١م، ص٧.

وفعلاً فقد كان السياسيون الإنكليز قبل الحرب العالمية الأولى يُركّزون على استعمال الاسم النسطوري أكثر من الاسم الآشوري في مراسلاتهم السياسية، ويُسَمُّونهم "النساطرة".

فعند وصول أخبار اضطهاد النساطرة الذي حصل أواسط القرن التاسع عشر إلى الحكومة البريطانية، كتب وزير الخارجية البريطانية إيرل كلارندون سنة ١٨٥٧م رسالة إلى السفير البريطاني كانينغ ستراد فورد يقول فيها: "إنَّ حكومة صاحب الجلالة تود أن تعلم بسرور بالغ مدى نجاح الجهود التي يمكن أن تبذلوها لمصلحة هذه الطائفة المضطهدة"، على إثر ذلك كتب بطريرك النساطرة عريضة لملكة بريطانيا فكتوريا (١٨٣٧–١٩٠١م) يشكو مظالم شعبه، فقوبلت الرسالة باهتمام مجلس العموم واللوردات البريطاني، وكتب اللورد راسل رسالة إلى ممثل بريطانيا لدى الباب العالي في الدولة العثمانية يقول فيها: "بَلِّغ علي باشا أنَّ سعادة النساطرة وغيرهم أمر يهمنا، وعليك أن توعز فوراً بوقف المظالم عنهم"، ثم قام قنصل بريطانيا بزيارة مناطق النساطرة ليتأكد من الأمور التي جاءت في العريضة التي أرسلها البطريرك النسطوري إلى الملكة[1].

في جواب وزارة الخارجية البريطانية على برقية المندوب البريطاني العقيد ولسن حول مراسلاته مع الشريف حسين بن عون بشأن منطقة كردستان والأكراد في العراق وتركيا وإيران، تقول:

يسكن هذه المنطقة أكراد وآشوريون (نسطوريون) مسيحيون، ولقد عانى النسطوريون كثيراً خلال الحرب سنة ١٩١٥م، والآن مرة أخرى خلال الزحف التركي في داخل كردستان وشمال غرب إيران، واغتيل

---

[1]: يوسف مالك، الخيانة البريطانية للآشوريين ص١٥١–١٥٤.

الكاهن (يقصد البطريرك) النسطوري مار شمعون من قِبَل إسماعيل آغا سمكو خلال الصيف، لذلك يجب إعادة هؤلاء النساطرة إلى أماكنهم مرة أخرى بعد إعادة بناء قراهم، وستخلق هذه العملية صعوبات لأنَّ الأكراد والنسطوريين يعيشون على جانبي الحدود الإيرانية التركية، كما يشكل النسطوريون عنصراً كبيراً من سكان منطقة أورميا في إيران، وعانى هؤلاء النسطوريون من أهالي أورميا، لذلك فالحل الممكن هو تحويل كردستان تركيا إلى السيادة الإيرانية بشرط تحويل منطقة أورميا معها إدارياً، وسيترتب على ذلك:

١: ضمان بقاء أورميا بشكل فعال.

٢: توحيد العنصر النسطوري.

٣: إرضاء الطموحات الإيرانية.

٤: ضمان مركزنا من الناحية الإستراتيجية في العراق، ويتوجب استشارة الحكومة الإيرانية والأكراد المحليين والسكان النسطوريين بحذر.

التوقيع آي. جَي. توينبي، وزارة الخارجية البريطانية في ١٩١٨/١٠/٢٢م[1].

أمَّا المبشرون البروتستانت (الإنجيليون) الأمريكان الذين اشتد تنافسهم مع الأنكليكان لكسب النساطرة في القرن التاسع عشر، فلم يستعملوا الاسم الآشوري قبل أن يستعمله الأنكليكان، ففي سنة ١٨٣٥م قرر مجلس الكنيسة الأسقفية للإرساليات في أمريكا إرسال القس ساوث كيت للتبشير بين النساطرة وغيرهم من المسيحيين في العراق وإيران وتركيا، وفي سنة ١٨٣٩م قام مجلس الوكلاء الأمريكي للإرساليات الأجنبية بإرسال المبشر الدكتور آشيل غرانت إلى كردستان

---

[1]: د. وليد حمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية ص ٣٩-٤١.

والموصل الذي زار المنطقة خمس مرات لغاية ١٨٤٣م، التقى خلالها أكثر من مرة بالبطريرك النسطوري شمعون السابع عشر أبراهوم (١٨٢٠–١٨٦١م)، ولم يستعمل هؤلاء المبشرون اسم الآشوريين بل النساطرة.

لكن منذ أن بدأ الأنكليكان يَطلِقون اسم الآشوريين على النساطرة قام البروتستانت الإنجيليون باستغلال الفرصة، ففي ربيع سنة ١٨٤٩م قام رئيس إرسالية المجلس الأمريكي في أورميا القس جوستس بيركنس (١٨٠٥–١٨٦٩م) بزيارة الموصل والالتقاء ببعض النساطرة وقرر المجلس تأسيس إرسالية باسم "الإرسالية الأثورية في الموصل"، ولكن جميع هذه الإرساليات لم تصمد أمام الإرساليات الأنكليكانية لسببين، الأول لأنَّ التعاليم البروتستانتية غير مألوفة لدى النساطرة مثل عدم إعطاء مكانة مهمة للسيدة مريم العذراء والقديسين، والالتزام بالأسرار المقدسة والأصوام وغيرها، والسبب الثاني هو قلة التبرعات الأمريكية بسبب الحرب الأهلية التي اندلعت في أمريكا سنة ١٨٦١م، فأُغلقت أغلب الإرساليات ابتداء من سنة ١٨٦٠م وأُدمجت مع إرساليات أخرى للأرمن والسريان وغيرهم في شرق تركيا، وحاولت تلك الإرساليات القيام بنشاط تبشيري مرة أخرى سنة ١٨٧١م، فأوفدت عدة مبشرين، ولصعوبة عملهم انسحبوا سنة ١٨٩٨م، وكل ما استطاعوا عمله هو تأسيس نواة الكنيسة الإنجيلية الأثورية التي بدأت تعاود نشاطها بعد سنة ١٩١٨م بين النساطرة اللاجئين القادمين إلى العراق من أورميا وإيران وتركيا وغيرها بسبب الحرب العالمية الأولى، علماً أنَّ الكنيسة الإنجيلية الأثورية لم يكن لها نشاط ملحوظ في المناطق الشمالية من العراق باستثناء مؤتمر واحد عقد في كردستان العراق، وكان مركز هذه الكنيسة العراقية هو بغداد، أمَّا في مناطق النساطرة الأخرى فكان مركز ثقلها في أورميا.

بالنسبة إلى الفرنسيين فَقَلَّما كانوا يستعملون الاسم الآشوري بل النساطرة، وحاولوا هم أيضاً بدورهم استمالة النساطرة إلى الكنيسة الكاثوليكية، فبعد وفاة بطريرك النساطرة شمعون الثامن عشر روئيل بنيامين (١٨٦١-١٩٠٣م)، أراد أولاد عمومته إقامة أوراهام اسحق الذي كان منذوراً من صغره ليصبح بطريركاً مكانه، وكانت عائلة أوراهام وأخوته قد مالوا إلى الكثلكة، وحاول نمرود أخو أوراهام الضغط لجعل أخيه بطريركاً، فاستنجد بالفرنسيين ووعدهم بأنه إن تم ذلك، فإنهم سيصبحون كاثوليكاً كلداناً، ومَارَسَ الفرنسيون الضغط بإرسال الرهبان والمبشرين الغربيين ليوزعوا المال في مناطق النساطرة، يساعدهم بذلك بطريرك الكلدان عمانؤيل توما (١٩٠٠-١٩٤٧م)، لكن التأثير الإنكليزي كان أقوى، فتم انتخاب بنيامين إيشاي للمنصب البطريركي، وقد وصل الضغط الفرنسي لدرجة أنه عندما قام الرهبان بتوزيع الأموال في مناطق النساطرة، كانوا يوزعون المال على الجميع بمن فيهم الكلدان والأرمن والمسلمين أيضاً، ووصل الأمر ببعض المسلمين أن يقولوا نحن من أتباع مار شمعون وقسم آخر نحن من أتباع البادري دا فرانس، وهو مبشر دومنيكي أرسله بطريرك الكلدان عمانؤيل توما لاستمالة النساطرة[1].

في التقرير الذي رفعه المستشار الفرنسي فرانسوا جورج بيكو (١٨٧٠-١٩٥١م) إلى البعثة البريطانية في آذار سنة ١٩١٩م حول ضم قسم من مدينة الموصل إلى كردستان قال: إنه لا يوافق زميله الراحل مارك سايكس بالتضحية بالكلدان المسيحيين والنساطرة[2].

---

[1]: المطرن إيليا أبونا، تاريخ بطاركة البيت البابوي، ترجمة بنيامين حداد ص١٤٣.

[2]: الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية ص٧٥.

وينطبق هذا الأمر على المؤرخ الأمريكي هنري فوستر من جامعة أوكلاهوما الذي يستعمل اسم النساطرة في حديثه عن لجنة إخراج العراق من الانتداب البريطاني، وأنَّ عضو اللجنة البريطاني هيوبرت يونغ قَدَّمَ تقريره سنة ١٩٣٠م بناء على عدة أمور، منها شكاوي النساطرة، وقال يونغ: بالنسبة لقضية النساطرة، فإنَّ اللجنة لاحظت بأنَّ النساطرة قد ذكروا في مطالبهم أنَّ المعاهدة الإنكليزية الموقعة سنة ١٩٢٦م لم تضمن لهم حريتهم الدينية، وفي حديثه عن المدارس في عشرينات القرن الماضي يقول: وكانت المدارس في العراق لمختلف الأقليات مثل اليهود والكلدان والسريان الكاثوليك، والسريان القدامى والنساطرة والأرمن، وكانت اللغة السريانية تستخدم في هذه المدارس المسيحية في الموصل[١].

أمَّا بالنسبة للروس فعندما توجه الأسقف النسطوري شليمون آرجان من إيران إلى روسيا في أربعينيات القرن التاسع عشر، زار قائمقام القفقاس فورتنسوف وطلب إليه انتقال النساطرة إلى منطقته، فرفض القائمقام ذلك وكتب إلى وزير الخارجية الروسي نيسلرود يقول، إننا لا نستطيع السماح للنساطرة بالانتقال إلى القفقاس[٢].

يقول باسيلي نيكتين (١٨٨٥–١٩٦٠م) نائب القنصل الروسي في تبريز الذي عمل في مدينة أورميا بين المسيحيين والأكراد بين سنتي (١٩١٥–١٩١٨م): كان النساطرة قبل الحرب العالمية الأولى يشكلون ٩٠٪ من سكان جوله مرك جنوب حكاري، ومنذ ذلك الوقت أُجبروا على ترك ديارهم والسكن في مناطق أخرى، وكان النساطرة قد ساعدوا أسرة

---

[1]: هنري فوستر، نشأة العراق الحديث ١٩٣٥م، ص٤٢٥، ٣٥٥، ٤٥٩–٤٦٠.

[2]: ق. ب. ماتيفييف، الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث ص٧٢.

شـامبو الكرديـة علـى تكـوين إمـارة كانـت عاصـمتها (بـاش قـلا) اسـتمرت حتى سنة ١٨٤٥م، وكان آخر أمرائها نور اللّه بك[1].

يقـول اللـواء بهـاء الـدين النـوري مترجـم كتـاب رحلـة ريـج إلى العربيـة: إنَّ المطـران الآشـوري حنـا في مدينـة الموصـل يُـسَمِّي عـشائر (تيـاري، تخومـا، جيلوايـا، نـه روه، وبـرواري) بالنـساطرة، وإنَّ عـشيرتي نـه روه وبـرواري تتكونـان مـن المسلمين والمسيحيين، أمَّـا الآخـرون فكلـهم نـساطرة، وهنـاك أربـع قـرى قـرب العماديـة يـسكنها النـساطرة الـذين يُـدْعَونَ (كـروان موسى)، وهم يلبسون قبعات من لباد[2].

خلاصـة القـول في الاسـم الآشـوري: إنـه اسـم حـديث لا علاقـة لـه بتاتـاً بالآشـوريين القـدماء، وإنَّ هـذا الاسـم أُطلـق علـى الـسريان الـشرقيين النـساطرة بعـد الاكتـشافات الأثريـة الـتي قـام بهـا الإنكليـزي لايـارد ابتـدأً مـن سـنة ١٨٤٥م في شمـال العـراق حيـث راج الاسـم الآشـوري في انكلـترا، ممـا جعـل رئـيس أسـاقفة كـارنتربري أن يرسـل بعثـة إلى النـساطرة سـنة ١٨٧٦م باسـم بعثـة رئـيس أسـاقفة كـارنتربري إلى الآشـوريين، علمـاً أنـه لم يُـسمِ الكنيـسة النـسطورية "آشـورية"، ثـم تَلقَّـفَ النـساطرة الاسـم الآشـوري وأعجبـوا بـه خاصـةً البطريـرك بنيـامين إيـشاي الـذي كانـت لـه آراء وتطلعـات قوميـة، يـساعده علـى نـشر الاسـم وتعزيـزه المبـشرون الأنكليكـان وخاصـةً ولـيم ويكـرام، وعلـى إثـر مقتـل البطريـرك بنيـامين بطريقـة غـادرة جعلتـه شـهيداً لكنيـسته، تنـامى الـشعور القـومي لـدى طائفتـه وأخـذ الاسـم الآشوري الجديد منحىً قومياً عندهم محاولين ربطه بالآشوريين القدماء.

---

[1]: باسيلي نيكتين، الكرد، ترجمة الدكتور نوري طالباني ص٩٠، ٢٥٣.

[2]: رحلة ريج إلى بغداد، كردستان، إيران ص١٥٥.



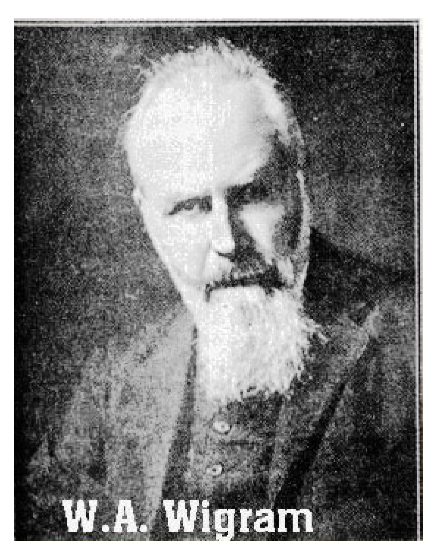
البطريرك السرياني الشرقي (النسطوري) شمعون السابع عشر
أبراهوم روئيل (١٨٢٠–١٨٦١م) من كتاب بادجر النساطرة وطقوسهم



البطريرك السرياني الشرقي (النسطوري) شمعون الثامن عشر
روئيل بنيامين (١٨٦٠–١٩٠٣م)



البطريرك السرياني الشرقي (النسطوري) المغدور شمعون التاسع عشر بنيامين إيشاي (١٩٠٣–١٩١٨م)



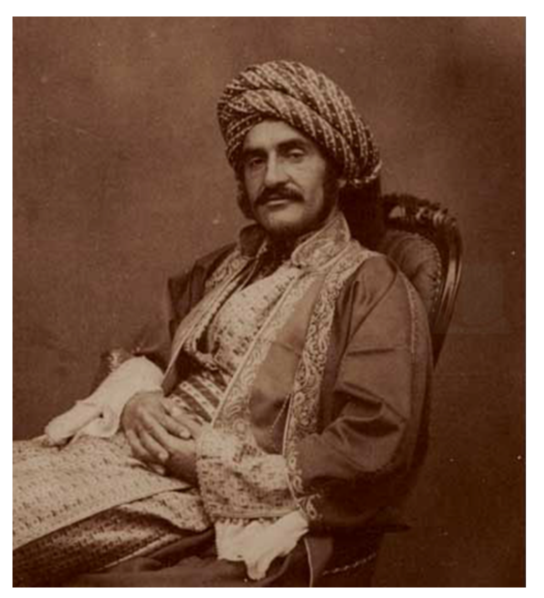
مبعوث رئيس أساقفة كارنتربري د. وليم آنكر ويكرام (١٨٧٢–١٩٥٣م)
صديق النساطرة والبطريرك بنيامين ومعزز الاسم الآشوري



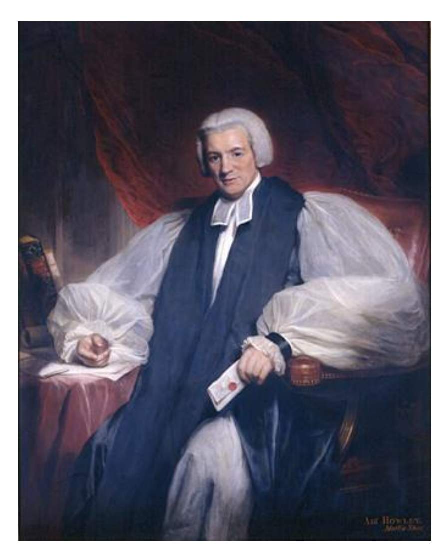
أوستن هنري لايارد (١٨١٧–١٨٩٤م) أبو الآشوريين الجدد سنة ١٨٣٠م



هنري لايارد بزي النساطرة



هرمز رسَّام (١٨٢٦–١٩١٠م) مساعد لايارد



وليم هاولي رئيس أساقفة كارنتربري (١٨٢٨–١٨٤٨م)
أول من أرسل بعثة إلى السريان الشرقيين (النساطرة)
سنة ١٨٤٢م برئاسة القس بادجر



كامبيل تايت رئيس أساقفة كارنتربري (١٨٦٨–١٨٨٢م)
أول من سَمَّى النساطرة بالآشوريين سنة ١٨٧٦م عندما أرسل بعثة
برئاسة كوتس سَمَّاها بعثة رئيس أساقفة كارنتربري إلى الآشوريين

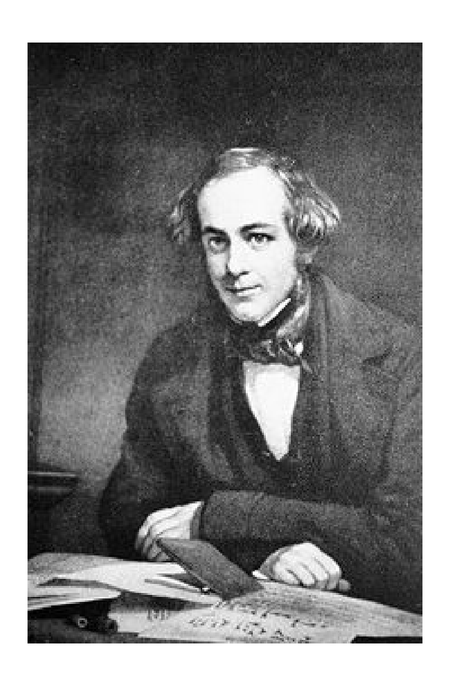


القس جورج بيرسي بادجر (١٨١٥-١٨٨٨م)





صورة اليمين القس بادجر ذو اللحية البيضاء، التُقطت سنة ١٨٧٣م وصورة اليسار صهر بادجر ومساعده عيسى (كريستيان) أنطوان رسّام (١٨٠٨-١٨٧٢م)، التُقطت الصورة سنة ١٨٣٨م



هنري راولنصون (١٨١٠–١٨٩٥م) أبو المسماريات في سنة ١٨٥٠م



الآثاري باول إميل بوتا القنصل الفرنسي في الموصل (١٨٠٢–١٨٧٠م)



[illegible]AN FAMILY FROM HAKKARI.
of the Jela Clan.

زوجان نسطوريان من حكاري من عشيرة جيلو
بريشة الرحَّالة ريج سنة ١٨٢٠م

سورما خانم والبطريرك شمعون إيشاي داود

تُعـدُّ الآنـسة سـورما (١٨٨٣–١٩٧٥م) شخـصية مهمـة جـداً لعبـت دوراً رئيـساً في الكنيـسة النـسطورية وفي تعزيـز الاسـم الآشـوري بـدل النـسطوري وإبـراز قـضية الآشـوريين سياسـياً وكنـسياً، وهـي الأخـت الكـبرى للبطريـركين النـسطوريين شمعـون التاسـع عـشر بنيـامين إيـشاي (١٩٠٣–١٩١٨م)، وشمعـون العـشرين بـولس إيـشاي (١٩١٨–١٩٢٠م) وعمـة البطريرك شمعون الواحد والعشرين إيشاي داود إيشاي (١٩٢٠–١٩٧٥م).

وصـل البطريـرك بنيـامين أخـو سـورما إلى البطريركيـة في ٣٠ آذار ١٩٠٣م وكـان عمـره حـوالي سـت عـشرة سـنة، ثـم اغتيـل بطريقـة بـشعة وغـادرة سـنة ١٩١٨م علـى يـد الـزعيم الكـردي إسماعيـل آغـا سـامكو، خلَفـه شـقيقه بـولس إيـشاي لكنـه تـوفي بعـد سـنتين متـأثراً بمـرض الـسل سـنة ١٩٢٠م[1]، فخلَفـه ابـن أخيهـا البطريـرك إيـشاي داؤد، وكـان هـذا البطريـرك صـغيراً جـداً لم يتجـاوز عمـره اثـنتي عـشرة سـنة (مواليـد ١٩٠٨م)، فأصـبحت عمتـه سـورما وصـية عليـه وتعـزز دورهـا كـثيراً، وأصـبحت لهـا مكانـة مهمـة في اتخاذ القرارات كنسياً وسياسياً.

كانـت سـورما خـانم قـد نـذرت نفـسها للبتوليـة وتَربَّـت علـى يـد المرسـلين الأنكليكـان وخاصـةً الراهـب بـراون منـذ نعومـة أظفارهـا، فكانـت ذكيـة ومثقفـة جـداً، تقـرأ لمـشاهير الكتـاب الإنكليـز أمثـال سـكوت وستفنـسن وغيرهمـا، مُلمَّـة بالمـسائل الدينيـة خاصـةً اللاهـوت الأنكليكـاني، ذات شخـصية حازمـة وقويـة، شـديدة الـشكيمة، صـلبة الإرادة، بليغـة الكـلام

---

[1]: في صـيف ١٩١٩م، وقبـل أن يتـوفى أرسـله ويكـرام إلى ديـر مـار متـى للـسريان الأرثوذكس للنقاهة والاستجمام.

والخطابة، متقنة للغة الإنكليزية بشكل مطلق، ولتمتعها بهذه المزايا وصفت بأنها حفيدة الملكة الآشورية الشهيرة شميرام، واستطاعت سورما أن تبرز وتَتَولّى إدارة شؤون النساطرة من الناحية العملية زمناً طويلاً، فسافرت إلى عدة دول مثل سويسرا وانكلترا وأمريكا وإيران وغيرها، وخاطبت وحضرت مؤتمرات مثل مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٨م، ومؤتمر عصبة الأمم المتحدة في جنيف سنة ١٩٢٥م لعرض قضية الآشوريين على المحافل الدولية، وذهبت إلى انكلترا بين سنتي (١٩١٩–١٩٢٠م)، وحَلَّت ضيفة على جمعية أخوات بيث عنيا، والتقت بعدة مسؤولين، وحضرت مناقشات مجلس اللوردات البريطاني بخصوص القضية الآشورية، كما حضرت في الكنيسة الأسقفية في لندن، وكان أسلوبها وخطابها بالإنكليزية مؤثراً جداً ينال انتباه وإعجاب الحاضرين، بحيث صرح رئيس أساقفة كارنتربري راندال توماس دافيدسن Randall Davidson Tomas (١٩٠٣–١٩٢٨م) في كانون الثاني ١٩١٩م مخاطباً المسؤولين الإنكليز بخصوص المسألة الآشورية قائلاً: هل تنتظرون أن يُرفع العلم التركي فوق مناطقهم؟، وخلال زيارتها لانكلترا اهتم الإعلام الإنكليزي بها كثيراً، وكانت صورها بالزي التقليدي موضوعاً رئيساً لبعض الصحف اليومية تحت عنوان كبير هو (آشور)، وخلال وجودها في لندن قامت سورما خانم في نيسان سنة ١٩٢٠م بتأليف كتاب عنوانه (الكنيسة الآشورية وتقاليدها واغتيال مار شمعون) استطاعت من خلاله تقديم تاريخ الكنيسة النسطورية وطقوسها والمأساة التي يعانيها شعبها واغتيال أخيها البطريرك بنيامين إيشاي، وعَدَّت في كتابها أنَّ النساطرة هم آشوريون، وكَتَبَ تمهيد الكتاب رئيس أساقفة كارنتربري دافيدسن بعد تقديم ابتدائي كتبه ويكرام، وطبعته مطبعة Faith Press في لندن

واستقبلت الجماهير البريطانية الكتاب باهتمام كبير وخاصةً من قِبَل دافيدسين الذي عَدَّ الكتاب وثيقة حَيَّة ومفيدة للتعريف بالكنيسة الآشورية للجماهير البريطانية، ووصف دافيدسين سورما خانم بمستشارة الكنيسة الأنكليكانية وصديقتها الوفية[1]، وفي ٣ كانون الثاني سنة ١٩٦٦م وعندما كانت سورما خانم منفية في أمريكا منحها رئيس أساقفة كارنتربري آرثر ميشيل رامسي Michael Ramsey (١٩٦١–١٩٧٤م) وسام "صليب القديس أوغسطين" تثميناً لمكانتها وصداقتها.

بعد أن أطلَقَ الإنكليز اسم الآشوريين على النساطرة، أطلق المُبشِّر الإنكليكاني والسياسي الإنكليزي الدكتور وليم يكرام على الآنسة سورما إيشاي لقب "الخانم"[2]، اسوةً بلقب السيدة "lady" الذي أطلقه عليها المُبشِّر الإنكليزي بروان عليها، وقد أيَّدَ هذا اللقب ملك بريطانيا جورج الخامس (١٩١٠–١٩٣٦م) بناء على طلب زوجته ماري من تيك (١٨٦٧–١٩٥٣م)، وكلمة خانم تركية معناها السيدة ذات السيادة المطلقة، وعندما عُيِّن الكولونيل الإنكليزي جيرارد ليجمان حاكماً لمدينة الموصل في سنة ١٩١٩م تحدث إلى سكان الموصل العرب قائلاً: إنكم من أصول الأثوريين وإنني مستغرب من عدم علمكم بتاريخ أجدادكم، وعدم معرفتكم بكونكم أحفاداً للأثوريين الذين شَيَّدوا مجد نينوى، فَرَدَّ عليه أهل الموصل، أنه منذ زمن قدومنا إلى الموصل في عصر الفتوحات الإسلامية لم نجد فيها إلاّ الفرس والمسيحيين الجرامقة (أقوام آرامية، سريانية)، ثم أوعز ليجمان إلى رئيس تحرير جريدة الموصل التي كانت

---

[1]: سورما خانم ص١٧٢–١٧٣. كان الكتاب ١١٤ صفحة، وأعيد طبعه سنة ١٩٨٣م في مطبعة Vehicle في نيويورك ١٠٠ صفحة.

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص ٣٥٦.

تهتم بنشر أخبار البلاد، أن يَطلق على الآنسة سورما لقب "صاحبة السمو الأميرة الأثورية سورما"، وأنَّ صاحبة السمو موجودة الآن في لندن لزيارة المراجع البريطانية بشأن إنشاء وطن قومي للأثوريين والكلدان في شمال العراق، فاستغرب رئيس التحرير وكان مسيحياً، وأخذ يشرح لليجمان أنه لا يوجد قوم باسم آشوريين، ولا يوجد أميرة لهم، وهؤلاء هم نساطرة ليس لهم علاقة بالآشوريين أو الكلدان القدماء، وغالبية أهل الموصل يَعدُّونهم أكراداً مسيحيين، لذلك فإنَّ طرح هذا الاسم سوف يشكل شقاقاً بين أهل الموصل من المسلمين والمسيحيين، وبين المسيحيين أنفسهم، لكن ليجمان أصَرَّ على ذلك.

بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٢٦م منحت الحكومة البريطانية سورما خانم وسام الفروسية البريطانية (Order of the British Empire) المعروف اختصاراً (OBE) مع عدة ألقاب فخرية، وهي المرة الأولى التي يتم فيها منح هذا الوسام لامرأة، وتم تقليد سورما هذا الوسام في مدينة الموصل في ٣ شباط سنة ١٩٢٩م.

أمَّا البطريرك إيشاي داود فقد تم إرساله إلى انكلترا سنة ١٩٢٥م للدراسة في مدرسة القديس اغسطينوس تحت إشراف رئيس أساقفة كارنتربري دافيدسن، وعاد سنة ١٩٢٩م وهو في ريعان شبابه وكله حماس واندفاع لتكوين الأمة الآشورية الجديدة مطالباً الحكومة العراقية بالسلطتين الدينية والدنيوية، تساعده بذلك عمته القوية سورما خانم التي غَدَت القائد القومي للآشوريين وأصبحت تُلقَّب، الأميرة الآشورية، وهي التي تتصِل ويُتصل بها من قِبَل السياسيين العراقيين والبريطانيين والمحافل الإقليمية والدولية لطرح مشاكل وأمور طائفتها، وأصبحت تشرف وتقود الفصائل العسكرية المقاتلة.

وقد تَطرَّفَ البطريرك إيشاي في موضوع الآشوريين كثيراً واستأثر بآرائه الفردية لفرضها على رعيته، وبتشجيع من الإنكليز ومن الكنيسة الأنكليكانية، قَدَّمَ البطريرك إيشاي طلباً إلى الحكومة العراقية لتشكيل دولة أو حبيسة آشورية (ارض محصورة) بزعامته، تمتد من مدينة كفري جنوب كركوك إلى ديار بكر شمالاً، وتشمل مناطق دهوك، زاخو، عقرة، العمادية، وغيرها، فدخل في مشاكل كبيرة مع الحكومة العراقية.

وفي رد البطريرك إيشاي على برقية وزير الداخلية العراقي حكمت سليمان المرقمة ١١٠٤ في ٢٨ أيار ١٩٣٣م يقول: إنَّ سلطة بطريركيتي تاريخية عظيمة واستعمالها موروث عن تقاليد الشعب والكنيسة الأثورية، وإنني لم ادَّعِ بالسلطة الزمنية، وإنما ورثتها من قرون مضت كتخويل قانوني من الشعب للبطريرك، وكان معترفاً بها رسمياً من قِبَل الملوك الساسانيين القدماء والخلفاء المسلمين ومغولي خان وسلاطين عثمان[1].

علماً أنه لا يوجد أي اعتراف تاريخي باسم الكنيسة الأثورية، من قِبَل الساسانيين والمسلمين والمغول والعثمانيين، بل هناك اعتراف بكنيسة المشرق السريانية التي كانت تقترن أحياناً باسم كنيسة فارس من قِبَل الساسانيين وباسم النساطرة من قِبَل الخلفاء المسلمين، وهو اعتراف كنسي ديني فقط لا دنيوي.

وحتى البطريرك إيشاي داود وسورما خانم يعترفان بذلك، ففي الرسالة التي وجهها البطريرك إيشاي في ١٥نيسان ١٩٥٢م إلى السفير البريطاني في واشنطن يقول: الآن لا بد أن نقول وكما تعلمون أنَّ كنيستنا كنيسة

---

[1]: عبد الزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ج٣ ص٢٧١–٢٧٢.

عريقة، وعُرفت في التواريخ الإسلامية بكنيسة النساطرة"[1].

في الرسالة التي وجهتها سورما خانم بتاريخ ١٧ شباط ١٩٢٠م إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد جورج كورزون George Curzon (١٩١٩–١٩٢٤م) تُطالب فيها حماية شعبها، وتقول: لقد سمحت لنفسي أن أكتب هذه الرسالة وأوجهها لسيادتكم لكوني ممثلة للآشوريين الذين عُرفوا رسمياً في السابق "بملَّة النساطرة"[2].

يقول الآشوريون أنفسهم إنَّ بحوزة كنيستهم ختماً باسم الكنيسة الشرقية يعود تاريخه إلى عدة قرون خلَت، استعمله البطاركة بختم وثائق كنيستهم مكتوب عليه "شمعون المتواضع، بطريرك المشرق بالنعمة"[3].

في اجتماع مع أتباع البطريرك إيشاي في مدينة الموصل بتاريخ ١٠ و ١١ تموز ١٩٣٣م، رَدَّ وكيل متصرف لواء الموصل على طلب البطريرك إيشاي بالسلطتين الدينية والدنيوية قائلاً: إنَّ الحكومة ترغب جداً في أن تعترف لمار شمعون برئاسته الروحية على الكنيسة النسطورية، فيكون بهذه الصفة حائزاً لنفس الصفات التي يتمتع بها سائر رؤساء المذاهب الدينية في العراق، وإنَّ الحكومة لا توافق أبداً بمنح المار شمعون إيشاي سلطة زمنية لأنها لم تمنح أية سلطة زمنية لأي رئيس من رؤساء العشائر الروحانيين في العراق[4].

---

[1]: أرشيف الخارجية البريطانية، وزارة شؤون المستعمرات، ملف رقم PRO.F.O371\98778

[2]: سورما خانم ص١١٧.

[3]: يوسف مالك، الخيانة البريطانية للآشوريين، ترجمة إيليا يونان ص٣٢.

[4]: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ج٣ ص ٢٧٩.

ونتيجة لتصلب البطريرك إيشاي في مواقفه انشق عنه بعض الآشوريين بقيادة أغا بطرس إيليا البازي (١٨٨٠–١٩٣٢م) وملك خوشابا (١٨٧٧–١٩٥٤م) اللذان كانا منذ السابق يعارضان توجهات البطريرك الانفرادية وتمسكه بالسلطتين الدينية والدنيوية، وكان شعار آغا بطرس الموجه للبطريرك "الصليب لك والسيف لي"، وفعلاً فقد كان آغا بطرس وملك خوشابا يحملان فكراً سياسياً أكثر من البطريرك، حيث إنهما وإن قادا كفاحاً مسلحاً، لكنهما كانا عموماً يفضلان حل المشاكل مع الحكومات وتثبيت حقوقهم بطرق أكثر سياسية ومنطقية، واستطاع آغا بطرس أن يقيم علاقات جيدة مع الآخرين كاليزيديين وغيرهم بغية كسب عدد من الأقليات إلى جانب قضيته، وعندما كانا يراسلان الهيئات السياسية كانت رسائلهما معتدلة ومنطقية وكانا يُوقّعان باسمهما أو باسم المخلص أو أخوكم آغا بطرس أو ملك ياقو، بينما نجد أنَّ البطريرك إيشاي وفي رسالته إلى رئيس لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم المتحدة في جنيف في ١٦ أيلول ١٩٣٢م يُوقّع كالآتي: "لي الشرف أن أكون لسيدي خادمكم المطيع"، وهو تعبير لا يليق برئيس أعلى لكنيسة، كما انشق عن البطريرك إيشاي كثير من رجال الدين ورؤساء العشائر النسطورية التيارية الذين كانوا ينشدون الاستقرار والعيش بسلام مع الجميع مثل، سركيس مطران جيلو وباز وريكان، المطران يوالاها، قشا (القس) كينا كرئيل، قشا يوسف قليتا، ملك خمو يونان، ملك شليمون مطلوب، ملك زيا، جكوكيو رئيس عشيرة تياري العليا، عوديشو إسماعيل شوا وخيدو دانيال من رؤساء عشيرة باز، ملك مقصود في دهوك، وغيرهم في مناطق النساطرة[1].

---

[1]: تطلق كلمة ملك عند النساطرة على رئيس العشيرة وهي مرادفة لكلمة شيخ.

أخيراً فإنَّ تشدد البطريرك إيشاي من جهة وخروج العراق من طائلة الانتداب البريطاني في تشرين الأول سنة١٩٣٢م من جهة أخرى، أعطى مبرراً وفرصة ذهبية لقيام بعض المتعصبين في الحكومة العراقية متمثلاً بالأمير غازي ووزير الداخلية العراقي حكمت سليمان والقائد العسكري بكر صدقي بالهجوم على الآشوريين بالرغم من عدم موافقة الملك فيصل الأول والسلطات المدنية على التعرض للآشوريين، إذ أنه باتفاق وإيعاز شخصي من حكمت سليمان إلى بكر صدقي وبموافقة ولي العهد الأمير غازي، نَفَّذَ بكر صدقي في آب سنة ١٩٣٣م مذبحة مروعة في مدينة سيميل قرب دهوك راح ضحيتها آلاف الآشوريون، فضلاً عن تشريد آلاف آخرين، وتدمير قراهم وممتلكاتهم.

ويُعلِّق أحد الكهنة الكاثوليك الذين التقى معهم يوسف يزبك على موضوع الآشوريين قائلاً: إنَّ الإنكليز جعلوا من هؤلاء المسيحيين البسطاء حطباً لموقد مطامعهم، وصوروا للعالم تلك القبائل التيارية النسطورية بأنها أُمة ذات تاريخ، في حين لم تكن تلك القبائل يوماً من الأيام بوارثة الأمة الآشورية أو أثور وكلدية، وفي إشارة إلى المذابح التي ارتكبت بحق النساطرة جراء قيام الإنكليز بتسميتهم أثوريين، يضيف الكاهن قائلاً ليزبك: إنَّ الإنكليز "أثَّروها وما زالوا بها حتى ثوَّروها"، أي إنَّ الإنكليز جعلوا من النساطرة أثوريين إلى أن ثاروا[1].

على إثر تلك الأحداث قامت الحكومة العراقية بنفي البطريرك إيشاي وعمته سورما، فغادرا العراق إلى قبرص في ١٨ آب سنة ١٩٣٣م، ومنها إلى جنيف، واستقرا أخيراً في ولاية سان فرنسيسكو الأمريكية.

---

[1]: يوسف يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت ١٩٣٤م، ص ٢٣٦–٢٣٨. (ملاحظة: كلمة آشوري وأثوري واحدة، آشوري صيغة عبرية، وأثوري صيغة سريانية وعربية).

في ١٩٧٣/٨/١٨م أعلن البطريرك إيشاي زواجه من الآنسة "إمامة"، ابنة الشماس الإنجيلي شمشون شمعون، وكان عمرها أربعاً وعشرين سنة وأنجب منها طفلاً، مما أغاظ رعيته بكونه خالف نظام الكنيسة التي تُحَرِّم زواج الأساقفة، فقام أحد أتباعه وهو داود ياقو ابن ملك إسماعيل بقتله في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٧٥م في مدينة سان هوزي، وبعد شهر من وفاته توفيت عمته سورما خانم في ٧ كانون الأول سنة ١٩٧٥م[1].

[1]: عندما قُتِل، كان عمر طفله ثمانية عشر شهراً، وكانت زوجته حاملاً بطفل ثان، وهناك من يعزو قتله إلى دوافع سياسية لبعض الأحزاب الآشورية المتعصبة التي اتهمت البطريرك أنه لا يشجع التسمية الآشورية، ويرفض تسمية كنيسته، آشورية.

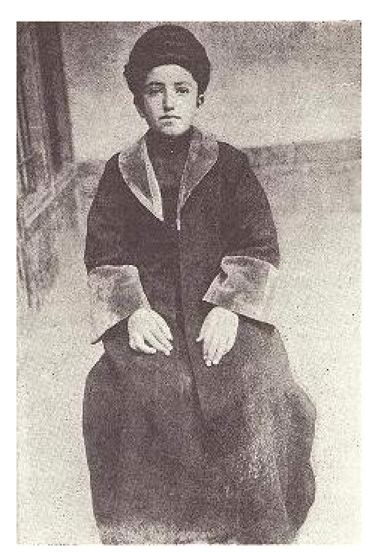


الليدي سورما خانم (١٨٨٣–١٩٧٥م) سنة ١٩١٩م





البطريرك السرياني الشرقي (النسطوري) شمعون الحادي والعشرون
إيشاي داود إيشاي (١٩٢٠– ١٩٧٥م)
صورة اليسار التُقطت سنة ١٩٢٢م عندما كان عمره أربع عشرة سنة



البطريرك إيشاي سنة ١٩٢٠م عندما رُسِمَ بطريركاً
وعمره اثنتا عشرة سنة



الراهب بروان في قوجانس سنة ١٨٩٧م وإلى يمينه البطريرك بنيامين (١٩٠٣–١٩١٨م) عندما كان صغيراً، وإلى يساره الآنسة سورما

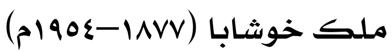


١: البطريرك إيشاي داود ٢: المطران خنانيشوع ٣: داود والد البطريرك ٤: سورما خانم / منتصف عشرينات القرن العشرين



آغا بطرس إيليا البازي (١٨٨٠–١٩٣٢م)





ملك خوشابا (١٨٧٧–١٩٥٤م)



آخر زيارة للبطريرك شمعون الحادي والعشرون إيشاي داود إيشاي للعراق ٢٤ نيسان سنة ١٩٧٠م



رئيس أساقفة كارنتربري راندال توماس دافيدسن (١٩٠٣–١٩٢٨م)
المساند القوي للسريان الشرقيين النساطرة (الآشوريين) في الربع الأول
من القرن العشرين



جيرارد ليجمان (١٨٨٠–١٩٢٠م) بزي العرب
حاكم الموصل الذي لَقَّبَ الآنسة سورما، الأميرة الآشورية

تَنكُّر الإنكليز وخيانتهم للآشوريين

بعد أن أصبحت مسألة الآشوريين في العراق مشكلة سياسية على إثر مذابح الآشوريين في سيميل سنة ١٩٣٣م، نَدِمَ الإنكليز بإطلاق هذا اللقب عليهم، فتراجعوا عن وصفهم بأحفاد الآشوريين.

في كتاب سري من سفير بريطانيا في العراق، فرنسيس همفريز، إلى السير سايمون في الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٣٣م، يقول:

The name Assyrian witch came to applied to them later, is misnomer, it is a church and a nation, that should be described.

إنَّ تسمية آشوريين التي أُطلقت مؤخراً على النساطرة هي تسمية مظللة، لذا يجب وصفهم كطائفة دينية كنسية وليس كأمة[1].

عندما وضعت مشكلة الآشوريين على طاولة عصبة الأمم المتحدة، تقول مذكرة سرية من الدائرة الخارجية البريطانية تحت عنوان (ملخص تاريخي للقضية الآشورية):

The Assyrian of Iraq are a religion rather than a racial a minority, it would be more correct to refer to them as Nestorian.

إنَّ آشوريي العراق هم أقلية دينية وليست عرقية، لذلك فمن الأصح تسميتهم بالنساطرة[2].

يقول كل من المؤرخ والسياسي البريطاني في بداية العهد الملكي ستيفن همسلي لونكريك والذي أصبح مفتشاً إدارياً في الحكومة

---

[1]: سجلات وزارة الخارجية البريطانية (Fo371–1684/E 6229 Oct.18,1933)

[2]: سجلات وزارة الخارجية البريطانية (Fo371–17834/E1035Feb12,1934)

العراقية وعمل في مجال النفط، وكذلك فرانك ستوكس مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية في لندن: أمَّا الآشوريون، فهم طائفة نسطورية مسيحية، سريانية في لغتها، والاسم القديم الذي أُطلق على هذه الطائفة (الآشوريين) لا يثبت انحدارهم الفعلي أو تواصل نسبهم من ومع الملك سرجون أو آشور بانيبال[١].

وشَجبَ كثير من الباحثين والسياسيين والرحَّالة على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعرقية تسمية رئيس أساقفة كارنتربري النساطرة بالآشوريين، إذ لا علاقة لهم بالآشوريين القدماء، وبسبب تسمية النساطرة أنفسهم بالآشوريين ومطالبتهم بحقوق قومية بهذا الاسم، فإنَّ الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦م لم يذكر الآشوريين.

يذكر المؤرخ العراقي الكبير عبد الرزاق الحسني (١٩٠٣–١٩٩٧م)، أنَّ الجماعة (النساطرة) كانوا ما يزالون يَدَّعون أنهم أحفاد سرجون الثاني وسنحاريب وغيرهما من ملوك آشور القدماء من دون أن يكون لديهم أي دليل تاريخي يسند زعمهم، على حين تُشير التنقيبات التاريخية الدقيقة إلى أنَّ هؤلاء الذين يزعمون أنهم من بقايا الآشوريين القدماء، إنما هم من بقايا النساطرة[٢]، ويتفق مع هذا الرأي المؤرخ العراقي أحمد سوسة، أمَّا رأي الكاتب العراقي عبد المجيد القيسي فهو: بصرف النظر عن صحة أو بطلان ادعاء القوم بأصولهم الآشورية فالواقع أنهم سكنوا العراق منذ زهاء عشرين قرناً، لا بوصفهم آشوريين، وإنما بكونهم بقايا النساطرة القدماء، وتبعاً لذلك فقد اتخذ الأثوريون لأنفسهم اسم

---

[1]: همسلي لونكريك وستوكس، العراق منذ فجر التاريخ إلى سنة ١٩٥٨م، ص٢٥.

[2]: مقدمة كتاب الأثوريين في العراق لرياض رشيد الحيدري، طبعة القاهرة ١٩٧٧م.

الآشوريين على أنهم أحفاد الآشوريين القدماء، وأطلق عليهم العثمانيون لقب "النساطرة أو النسطوريون"، في حين يؤثر العراقيون تسميتهم بالتياريين نسبة إلى قبيلتهم، وقد استقر وصفهم أخيراً بالأثوريين، وهي تحريف لكلمة الآشوريين[1].

يقول الكاتب المعاصر جيمس مريس: ليس لهؤلاء النساطرة أية علاقة عرقية بآشوريي نينوى القدماء، وإنما هم نساطرة مسيحيون دَمَّرَ تيمورلنك كنائسهم وبدد شملهم، ولكنهم ظلوا يعيشون في المنطقة الجبلية الواقعة شرق تركيا[2].

يذكر المؤرخ العراقي صديق الدملوجي (١٨٨٠–١٩٥٨م)، أنَّ المسيحية في بهدينان (كردستان) هي النسطورية نسبة إلى نسطور، ولا يصح أن يُعَدَّ هؤلاء النصارى آشوريين، إذ لا علاقة لهم بالآشوريين[3].

يرى الدكتور شاكر خصباك (١٩٣٠م –) أنَّ الآشوريين الحاليين (النساطرة) ليست لهم علاقة بالآشوريين القدماء، وحتى اسم الآشوريين الذي أطلقه الرحَّالة والكُتَّاب الإنكليز على النساطرة في أواسط القرن الماضي هو تحريف لكلمة سريان باعتبارهم من الأقوام التي تتحدث السريانية، ويضيف قائلاً: إنَّ بعض الكُتَّاب الغربيين قاموا بربط الاسم سياسياً وتاريخياً مع الاسم الآشوري القديم، وعَدَّوا هؤلاء القوم أحفاداً للآشوريين القدماء[4].

---

[1]: عبد المجيد حسيب القيسي، الأثوريين ص١–٢.

[2]: جيمس مريس، الملوك الهاشميون ص١٠٥.

[3]: صديق الدملوجي، إمارة بهدينان ص١٣.

[4]: الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي ص ٢٢٤–٢٢٥.

تقـول عائـشة خـير الله محمـد الـزين في الموسـوعة العربيـة الـتي صـدرت حـديثاً في سـوريا سـنة ٢٠٠٣م، وهـي أضـخم عمـل عربـي في بدايـة هـذا القـرن: إنَّ نـساطرة كردسـتان تمـسكوا بالنـسطورية، وأُطلـق علـيهم فيمـا بعد اسم الآشوريين[1].

---

[1]: الموسوعة العربية مج٢٠ ص٦٥٠.

الاسمان الآشوري والكلداني الجديدان مصدر إلهام

إنَّ الاسمين الجديدين الآشوريين والكلدان ألهم بعض مثقفي ورجال دين الكنيستين السريانيتين الشرقيتين النسطورية والكلدانية فانطلقت أقلامهم تُمجِّد تاريخ الآشوريين والكلدان القدماء وربط تاريخهم معاً على افتراض أنهم أحفاد الآشوريين والكلدان القدماء، وأصدروا عدة كتب حول ذلك، وحولوا البحث من تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية بشقيها النسطوري والكلداني إلى تاريخ الآشوريين والكلدان القدماء.

وإذا قيل لهم: انتم لستم أحفاد أولئك، أجابوا إذا لم نكن أحفادهم فأين ذهب الشعب الآشوري والكلداني؟، ناسين أنَّ تلك التسميات لم تكن عرقية ولا قومية بل تسميات لكيانات أو إمارات جغرافية يعيش فيها مختلف الأعراق وتحكمها أقوى القبائل الموجودة آنذاك، وإنَّ الدولة أو الحضارة ككيان سياسي وجغرافي تفقد اسمها وتُعدُّ زائلة ومنقرضة وتبقى أسماً تاريخياً ما لم يكن اسمها مستمراً ومتواصلاً مع وجود عدة خصائص، أهمها أن يكون لتلك الحضارة لغة مستمرة يتكلم بها أناس موجودين على الأرض مقترن اسمهم بتلك اللغة، وتاريخاً وأدباً متواصلاً يمثله مفكرون معروفون عَبَّروا عن جميع مراحل تطور تلك الحضارة، وبدرجة أقل وجود اسم ديانة أو ملامح تقاليد دينية مستمرة ومقترنة بهم، وإنَّ الشعب الموجود نفسه بغض النظر عن عرقه يتسلسل ويتسَمَّى بأسماء الدول التي تحكمه على مر التاريخ، فقبل الكلدان كان السومريون والأكديون ثم أصبح الشعب بابلي فكاشي ثم كلداني، وعندما سقطت الدولة الكلدانية غدا الشعب فرثي ثم ساساني...الخ، وكذا الحال مع الآشوريين فقبلهم كان اسم الشعب السوبارتيين، وعندما حكمهم

الآشوريون أصبحوا آشوريين، وخلال الدولة الحورية كانوا حوريين، ولما سقطت الدولة الآشورية بيد الكلدان والماديين أصبح الشعب مادياً أو كلدانياً....إلخ، ومن الطبيعي أنَّ أقواماً عرقية عديدة عاشت مع بعضها في كنف تلك الدول، وإلاَّ، فهل شعوب المنطقة، قبل الآشوريين والكلدان، كالشعب السومري، الأكدي، الأموري، السوبارتي، الكوتي، الكاسي، الميتاني، الحثي...إلخ، انقرضوا كلهم؟، وتاريخ النسل البشري بدأ وانتهى بالآشوريين والكلدان فقط؟.

بالنسبة للآشوريين فإنَّ الاسم الجديد (الآشوريين) ألهم بعض رجال دين الكنيسة النسطورية وكُتَّابها ومثقفيها، فاستبدلوا كلمة السريان الشرقيين أو النساطرة من المصادر التاريخية إلى كلمة الآشوريين، وأصدروا عدة كتب ربطوا تاريخهم بالآشوريين القدماء مثل كتاب (الآشوريون في التاريخ) لإيشو مالك جوارو، وكتاب (الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث) لماتفييف بارمتي، وكتاب الخيانة البريطانية للأثوريين ليوسف مالك، وغيرهم، وطبعوا أو أعادوا طباعة قسم من أدبيات الكنيسة وقواميس اللغة السريانية تحت الاسم الآشوري مثل قاموس اللغة الآشورية الحديثة لمتي فيلبس خوشابا، كما غدا الاسم الآشوري لبعض المتعصبين من النساطرة يطغي على الاسم الديني، بل حتى على العقيدة المسيحية نفسها حيث برزت لديهم مقولة: "إني ولدتُ آشورياً قبل أن أولد مسيحياً".

ولم تُطلق الكنيسة النسطورية على نفسها اسم الآشورية إلاَّ بعد الخلاف على التقويم الغربي في تحديد عيد الميلاد الذي حصل في ٢٨ آذار سنة ١٩٦٤م، والذي على إثره انقسمت الكنيسة إلى قسمين في سنة ١٩٦٨م، وهي الكنيسة الشرقية الجاثليقية القديمة، وكنيسة المشرق

الآشورية التي سَمَّت نفسها آشورية سنة ١٩٧٦م لأول مرة في التاريخ، بعد أن كانت الكنيسة بشقيها قبل هذا التاريخ تُسَمَّى "الكنيسة السريانية الشرقية أو كنيسة المشرق النسطورية الجاثليقية القديمة"، وهي الكنيسة التي انفصلت عن كنيسة أنطاكية ودعي أبناؤها بالسريان النساطرة[١]، وجميع مستندات ووثائق وأختام الكنيسة قبل سنة ١٩٧٦م هي باسم "الكنيسة النسطورية الجاثليقية القديمة" (بدون الآشورية)[٢]، ويجب ملاحظة أنَّ الكنيسة الشرقية القديمة لم تُسم نفسها آشورية، ولا تستعمل اسم الآشوريين أو الأمة الآشورية بشكل كبير في أدبياتها مقارنة مع الكنيسة الآشورية التي بدأت تستعمل هذه الأسماء بشكل كبير ومُركَّز وبأثر رجعي على كل كلمة نسطوري مكتوبة سابقاً وتبديلها بآشوري، علماً أنَّ كلمة آشور القديمة تلفظ بالسريانية (آتور) لأنَّ حرف الثاء لَيِّن وليس أصيلاً في اللغة السريانية حيث يكتب تاء مع نقطة صغيرة تحته، لذلك يستعاض عنه بحرف التاء، فكلمات آتوري وأثوري وآشوري هي كلمة واحدة، لذلك الآشوري يقول بالسرياني أنا أتورايا (أثوريا) وليس آشوريا، وإنَّ كلمة أتوري أو أثوري لم تعد تُستعمل من قِبَل النخبة الأثورية الدينية والسياسية اليوم، بل التركيز هو على استعمال كلمة آشوري لكي تتطابق مع الاسم التقليدي الشائع اليوم للدولة الآشورية القديمة الذي يُكتب بالعربية خطأً بصيغة عبرية (آشور)، والصحيح أثور.

أمَّا بالنسبة لغير أبناء الكنيسة الذين أطلق قسم واحد منهم فقط على كنيستهم اسم الآشورية سنة ١٩٧٦م، فلم أستطع العثور في بحثي هذا على اسم الكنيسة (الآشورية أو الأثورية) قبل سنة ١٩٠٩م، عندما ألَّفَ

---

[1]: أ. أكاد، السريان وإشكالية التسمية، مجلة الثقافة الجديدة ٢٣٧ أيلول ١٩٩١م.

[2]: ذكرتُ ص٣٦، أنَّ كاهن الكنيسة الشرقية القديمة طيمثاوس شمعون، أكَّدَ ذلك.

ويكـــرام كتابـــه مقدمـــة في تـــاريخ الكنيـــسة الآشـــورية أو تـــاريخ كنيـــسة الإمبراطوريـــة الـــساسانية الفارســـية والـــذي تَطرَّقنـــا إلى أســـباب وظـــروف تأليفـــه، وباســـتثناء ذلـــك لم أعثـــر علـــى اســـم الكنيـــسة الآشـــورية قبـــل ســـنة ١٩١٥م عنـــدما قَـــدَّمَ عـــم ملـــك روســـيا هديـــة للبطريـــرك بنيـــامين كُتِـــبَ عليهـــا: "ذكـــرى محبتنـــا الخالـــصة لقداســـة أبينـــا البـــار مـــار شمعـــون بطريـــرك الكنيـــسة الأثوريـــة"[1]، هـــذا إذا اعتمـــدنا الترجمـــة العربيـــة والـــسريانية، إذ مـــن الممكـــن أنَّ عـــم الملـــك قـــصد بالروســـية الكنيـــسة الـــسريانية، وويكـــرام نفـــسه الـــذي رَوَّج للاســـم الآشـــوري يعـــترف أنَّ النـــساطرة هـــم الـــسريان الـــشرقيون، وأنَّ المـــذهب الـــسرياني الـــشرقي القـــديم، هـــو المعـــروف بالكنيـــسة النـــسطورية[2]، وحتـــى إن وجـــد اســـم الكنيـــسة الآشـــورية فلـــن يكـــون قبـــل إرسال بعثة رئيس أساقفة كارنتربري سنة ١٨٧٦م إطلاقاً.

يقـــول د. عبـــد الفتـــاح علـــي البوتـــاني أســـتاذ التـــاريخ في جامعـــة دهـــوك: جميـــع وثـــائق الحكومـــات العراقيـــة المتعاقبـــة كأدلـــة لـــسنوات (١٩٣٦–١٩٦٠م)، وأقسام التاريخ والآثار في جامعات العراق كافة، لا تَعدُّ الأثوريين، آشوريين.

هنـــاك الكـــثير مـــن المـــصادر التاريخيـــة الـــتي سَـــمَّت النـــساطرة المـــسيحيين بـــالأكراد، وعَـــدَّت الكتابـــات اللاتينيـــة واليهوديـــة أنَّ اســـم مدينـــة حـــدياب (أربيـــل) مـــرادف لتـــسمية آشـــور القديمـــة[3]، ويـــذكر الأب جـــان فييـــه الـــدومنيكي وغـــيره، أنـــه منـــذ القـــرن الـــسادس والـــسابع المـــيلادي كـــان

---

[1]: المطـران إيليـا أبونـا، تـاريخ بطاركـة البيـت الأبـوي (سـرياني)، ترجمـة بنيـامين حـداد ص ١٥٤. علماً أنني لم استطع العثور على مصدر بالروسية لأدقق ما قاله عم الملك.

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص ٩٤.

[3]: الدكتور أحمد سوسة، ملامح من التاريخ اليهودي القديم ليهود العراق ص٤٧.

النساطرة أنفسهم يُسَمُّون الجهات الواقعة شمال أربيل التي هي جزء من حدياب "بيث قرطوي أو بيث قردايا"، أي بلاد الأكراد[1]، وكان هناك دير في منطقة حدياب (أربيل) اسمه دير بيث قروطي التي تعني بلاد الأكراد، كما يوجد عدد من الأساقفة والآباء النساطرة لقبهم القورطوايني، أي الكردي، مثل الأنبا عود يشوع القورطوايني، المطران كليل يشوع القورطوايني الذي حضر المجمع الكنسي سنة ٥٨٥م، وداود القورطوايني مؤلف كتاب الفردوس الصغير الذي عاش في عهد البطريرك النسطوري طيمثاوس الأول (٧٨٠-٨٢٣م).

يقول الرحَّالة ماركو بولو الذي زار المنطقة سنة ١٢٦٠م: ويسكن الأجزاء الجبلية جنس من الناس يُسَمَّون بالأكراد بعضهم مسلمون وبعضهم الآخر مسيحيون من النساطرة أو اليعاقبة[2].

أمَّا الرحَّالة لينوهارت الذي زار مدينة طاووق العراقية في ٢٤ كانون الأول ١٥٧٤م، فيذكر أنَّ معظم سكانها هم من الأكراد النسطوريين، وعَدَّ جميع سكان الموصل التي زارها بعد أسبوعين نساطرة.

يكتب الرحَّالة جان بابتيست قائلاً: لقد اخترنا دليلاً لقافلتنا رجلاً كردياً أي آشورياً لأنه كان علينا اجتياز بلاد آشور القديمة التي تُسَمَّى الآن كردستان، والمقاطعات التي اجتزناها بعد مغادرتنا الموصل بين تركيا وإيران، تؤلف القسم الأعظم من بلاد آشور القديمة[3].

---

[1]: الأب جان فييه الدومنيكي، البحوث المسيحية الآشورية، معهد دراسات الشرق الأوسط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥-١٩٦٨م، مج٣ بحث ٢٢ و٢٣ و٤٢.

[2]: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ج١ ص ٥٦.

[3]: رحلة الفرنسي تافرنييه إلى العراق، ترجمة كوركيس عَوَّاد ص٤٥-٤٩.

يقـول تقريـر لجنـة التحقيـق الدوليـة التابعـة لعـصبة الأمـم المتحـدة حـول رسـم الحـدود بـين تركيـا والعـراق الـذي صـدر في ٣٠ أيلـول سـنة ١٩٢٤م: إنَّ غالبيـة مـسيحيِّي وادي دجلـة هـم مـن نـسل الـسكان الآرامـيين الـذي كـانوا أغلبيــة ســكان القطــر العراقــي في زمــن الأرشــاقيين والــساسانيين عنــدما بــدأت العقيــدة المــسيحية بالانتــشار، ولعــل الأثــوريين النــساطرة في جبــال عماديـة وتيـاري الـذين يتكلمـون اللـسان الـسرياني – الآرامـي لم يكونـوا من الأصل ذاته، حيث يعتقد بعض الكتاب أنهم أكرادٌ[١].

أمَّـا بالنـسبة إلى الـشعب فلـم يُعـرف النـساطرة يومـاً مـا في شمـال العـراق أو مدينــة الموصــل بالآشــوريين، ولم يــستعمل النــساطرة الاســم الآشــوري قبــل سـنة ١٩١٥م، ففـي أوائـل سـنة ١٨٤٣م عنـدما كـان القـس بـادجر مجتمعـاً مـع البطريــرك النــسطوري حــضر شخــصان مــن قِبَــل نــور اللّٰه أمــير حكــاري يحمـلان رسـالة للبطريـرك تطلـب منـه تحديـد موعـد ومكـان للقـاء نـور اللّٰه لحـل الخلافـات القائمـة بـين الأكـراد والنـساطرة، فتـسلم أخـو البطريـرك الرســالة وردَّ عليهــا قــائلاً: لــيس للنــساطرة أي شــأن مــع نــور اللّٰه، وإنَّ أرض حكاري لا تعود للأكراد، بل لهؤلاء، مشيراً بيده إلى القس بادجر.

في أحـد لقـاءات المبـشر ويكـرام مـع النـساطرة سـنة ١٩٠٤م تقريبـاً قـال لـه أحـد النـساطرة وكـان مـن عـشيرة تيـاري مجـاملاً ويكـرام: إنَّ أعظـم شـعب في العالم هو الشعب الإنكليزي، يليه الشعب التياري، ثم الشعب الروسي[٢].

لا يـزال الكـثير مـن كبـار الـسن إلى يومنـا لا يعتـز بالاسـم الآشـوري بقـدر اعتـزازه باسـم عـشيرته مثـل (تيـاري، تخوما، جيلويـا، بـازي، ...إلخ)، لـذلك

[1]: جرجيس فتح اللّٰه، يقظة الكرد ص ٥٨٤.

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص٢٤١.

يقول أنا تياري أو بازي ولا يقول أنا أثوري، وقسم آخر يعتز باسم العشيرة الكردية الساكن معها فيقول: أنا ريكاني أو زيباري..إلخ)، ويُسَمَّى النساطرة أحياناً بتسمية شعبية هي "أبو ريشة"، نسبة إلى ريشة توضع على عمامة الرأس في زيهم الشعبي.

لذلك إنَّ أبناء الجيل الجديد الذين ولدوا وشَبُّوا على الاسم الآشوري أصبحوا يطلبون من آبائهم وأجدادهم عدم استعمال ألقاب مثل تياري أو زيباري، بل آشوري، وتبديلها إن أمكن في الوثائق الرسمية، علماً أنَّ كبار السن حين يذكرون الاسم الآشوري يذكرونه بشكل ثانوي وبامتعاض أحياناً قائلين: إننا لم نكن نعرف هذا الاسم عند ولادتنا ثم بدأنا نسمع أننا آشوريون، وبالنسبة للكلدان فلا تزال غالبيتهم العظمى إلى اليوم تُسَمِّي نفسها باسم العشيرة أو المنطقة الجغرافية مثل زيباري، عقراوي، ألقوشي...إلخ[1].

وقد حاول بعض المتعصبين من الآشوريين افتراض أنَّ جميع سكان المنطقة حتى من غير المسيحيين مثل الأكراد واليزيديين وقبائل المحلّمية العربية السريانية الأصل الساكنة في الجزيرة السورية وغيرهم، هم آشوريون، وإنَّ جميع هؤلاء الآشوريين هم من عرق واحد، علماً أنَّ العشائر المختلفة من النساطرة أنفسهم والذين تَسَمَّوا آشوريين، يختلفون في الزي واللهجة المحكية والعادات، والأهم من ذلك وكما يقول الرحَّالة وورك ورث (١٨٧١-١٩٠٩م)، والأب ريتوري وغيرهما، إنهم يختلفون في التركيب العضوي للجسم، فمثلاً أبناء عشيرة التياريين لا يتشابهون مع عشيرة جيلو أو تخوما، وهذا دليل على أنهم ليسوا من عرق واحد.

---

[1]: هذه ملاحظات واقعية لاحظتها شخصياً في حالات كثيرة عند أصدقائي.

أمَّـا الكلـدان فقـد وقعـوا في مـشكلة جـراء التـسمية الآشـورية، فقبـل تـسمية النـساطرة بالآشـوريين، كـان النـساطرة يَعـدُّون أنَّ الكلـدان هـم نـساطرة انحرفـوا عـن التـسمية الأصـلية، ويُـسَمُّونهم "الكلـدان النـساطرة"، وألَّفـوا كتبـاً بـذلك مثـل كتـاب الخـوري بطـرس عزيـز الكلـداني "تقـويم قـديم للكنيسة الكلدانية النسطورية"، علماً أنَّ اسم الكلدان فيه مُستحدث.

مـن جهـتهم فالكلـدان أيـضاً يَعـدُّون أنَّ النـساطرة هـم كلـدان لكـنهم بقـوا علـى العقيـدة النـسطورية الخاطئـة، ويُـسَمُّونهم "النـساطرة الكلـدان"، وهـم سـوف يعتنقـون الكاثوليكيـة ويـصبحون كلـداناً عـاجلاً أم آجـلاً، وأنَّ لـديهم ختمـاً مكتـوب عليـه بطريـرك كلـديا، وغيرهـا مـن الأمـور[1]، ولكـن وبمـا أنَّ النـساطرة اتخـذوا اسمـاً جديـداً هـو الآشـوريون علـى غـرار الكلـدان، فهـذه ورطـة ومعـضلة كـبرى للكلـدان لم تكـن في الحـسبان، إذ أصـبح يـتعين علـى الكلـدان إذا أرادوا أن يكـون للطـائفتين اسمـاً موحـداً اختيـار واحـد مـن ثلاثـة خيـارات، الأول أن يُـسَمُّوا أنفـسهم "الآشـوريين الكاثوليـك"، وهـذا مُحـال، لأنَّ اسـم الكلـدان الجديـد سـبق الاسـم الآشـوري الجديـد لمـدة قـرن مـن الـزمن تقريبـاً، وهـذا الاسـم (الكلـدان) بـدوره قـد ألهـم بعـض مثقفـي ورجـال الـدين الكلـدان أيـضاً وجعـل خيـالهم يعـيش عـصر نبوخـذ نـصر، بـل عَـدَّ قـسم مـنهم أنـه ينتمـي إلى صـلب عائلـة نبوخـذ نـصر[2]، وأصـبحوا يريـدون

---

[1]: أغلـب المبعـوثين مـن كنيـسة رومـا إلى رجـال ديـن النـساطرة كـانوا بتحفيـز مـن الكلـدان، مثـل اللقـاء الرسمـي سـنة ١٨٦٩م بـين الأب لامييـه مبعـوث البابـا بيـوس التاسـع والبطريـرك النـسطوري حيـث كـان لامييـه برفقـة كـاهن وجماعـة مـن الكلـدان، وكـذلك المبـشر الفرنـسي الـدومنيكي البـادري دا فـرانس الـذي أرسـله بطريـرك الكلدان عمانؤيل توما (١٩٠٠–١٩٤٧م) لاستمالة النساطرة وغيرهما.

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص ٩٤.

ربط اسم الكلدان الجديد بالكلدان القدماء اسوةً بالآشوريين، والخيار الثاني هو أن يعود الكلدان إلى اسمهم الأصلي السريان الشرقيين وهذا صعب جداً لأنَّ طبيعة العقل الشرقي تقول "كل منفصل يتعصَّب ضد الأصل أكثر من غيره"، والخيار الثالث أن يبقوا على تسمية كلدان كاثوليك، وبهذا يتوجب عليهم أن يكتبوا تاريخهم لوحدهم فقط ومنذ انفصالهم عن النساطرة واستقلالهم التام ككنيسة كلدانية سنة ١٨٣٠م أو على أكثر تقدير من سنة ١٥٥٣م عندما انفصل يوحنا سولاقا.

وحلّاً للإشكال وللخروج من هذه المشكلة الكبيرة، قام قسم من الكُتَّاب ورجال الدين الكلدان بمحاولة ربط تاريخ وتراث الآشوريين والكلدان وعَدُّوه واحداً، فاخترع المطران الكلداني أدِّي شير سنة ١٩١٢م اسماً جديداً ثالثاً مُركَّباً هو كلدو آشور، وألَّفَ كتاب "تاريخ كلدو وأثور"، ولقَّبَ نفسه بالكلداني الأثوري، تلاه كاهن الموصل الكلداني الأب يوسف تفنكجي الذي نشر سنة ١٩٢٣م في مجلة lisse الفرنسية العدد السابع، مقالة بعنوان "ملاحظات عن الكنيسة الكلدو آشورية النسطورية والنساطرة"، أعقبهم حنا هرمز بشي الذي ألَّفَ كتاباً سنة ١٩٧٥م بعنوان أديار كلدو وأثور، ثم ألَّفَ الأب يوسف حبِّي سنة ١٩٩٨م كتاب تاريخ كنيسة المشرق الكلدانية – الأثورية وغيرهم، ناهيك عن بعض الشعراء الذين بدؤوا يتغنون بقصائدهم بمجد بابل وآشور مثل الشاعر حنا أفندي زهيا، متناسين أنَّ تاريخ الدولتين الآشورية والكلدانية كانت ميزته الرئيسة هي العداوة المستمرة بينهما.

وحتى بعد أن اتخذ الكلدان والآشوريون اسميهما الجديدين في المدة الأخيرة، كان الخلاف القومي بينهما إبان الحرب العالمية الأولى على أشده، فبينما كان الآشوريون برئاسة البطريرك بولس إيشاي يُفضِّلون

الوصاية البريطانية، كان الكلدان برئاسة البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني توما يفضلون الوصاية الفرنسية، وكانت سياسة إلغاء الآخر بين الكلدان والآشوريين هي البارزة بينهما[1]، كما بدأ بعض الآشوريين والكلدان بمراجعة التاريخ والاحتفال بالأول من نيسان (أكيتو) عيداً لرأس السنة الآشورية والبابلية، ناسين أنه عيد وثني (من الصدف أنه مرتبط بكذبة نيسان)، وإنَّ الكرة الأرضية بأسرها بما فيها من أمم عظيمة غير مسيحية مثل الصين والهند تركت تقويمها القديم وارتبطت بالتقويم الميلادي المرتبط بالسيد المسيح، وإنَّ كل الآشوريين والكلدان في العالم الذين يريدون العودة للاحتفال بعيد (أكيتو) الوثني لا يشكلون سكان مدينة صغيرة أو قرية كبيرة من سكان تلك الدول.

على إثر هذه التعقيدات حصلت مشكلة كبيرة بين البطريرك الكلداني يوسف عمانوئيل الثاني توما (١٩٠٠–١٩٤٧م) وبين الباحث الكلداني الكبير ألفونس منجانا (١٨٧٨–١٩٣٧م) عندما كان الأخير راهباً في السيمينار (كلية اللاهوت) في الموصل، فقد قام منجانا بنشر كتاب تاريخ أربيل، وذكر في صفحة ٧٨ بأنَّ قصة حياة مار أدّي وماري التي يعتمد عليها الكلدان في تبشير قطيسفون (المدائن)، هي أسطورة، وفي تحليل منجانا للكتاب قال: إنَّ أصل بطريركية الكلدان هو من أنطاكية، فطلب منه البطريرك حذف ذلك، لكنه رفض، فَطُردَ من السيمينار سنة ١٩١٠م، وهاجر إلى بريطانيا وهو في ريعان شبابه وقطع علاقاته مع جميع معارفه على الإطلاق وخاصةً العراقيين، باستثناء البطريرك الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي إغناطيوس أفرام الأول

---

[1]: سورما خانم ص ١٥٨.

برصـــوم (١٩٣٣–١٩٥٧م)، تَبــعَ منجانــا بعـــد خمـــس ســـنوات تلميـــذه الأب يوســـف تفنكجـــي كـــاهن الكلـــدان في مدينـــة الموصـــل، كمـــا حَنــقَ البطريرك الكلداني على المطران أدِّي شير لأنه صادق على طبع الكتاب.

وبعـد أحـداث سـنة ٢٠٠٣م في العـراق، كـان الآشـوريون والكلـدان يعتقـد كـل مـن جانبـه أنـه يـستطيع أن يفـرض اسمـه الجديـد علـى المـسيحيين البـاقين مـن الـسريان الأرثـوذكس والكاثوليـك مفترضـين أنهـم أحفـاداً لأولئـك القـدماء، خاصـةً أنَّ الـسريان لم يكونـوا يُركِّـزوا علـى مـسألة الاسـم القـومي ويتعـصبون لـه كـثيراً، ولم تكـن مـسألة الاسـم مهمـة لهـم بقـدر اهتمـامهم وتعـاطفهم مـع أبنـاء جلـدتهم مـن الـسريان الـشرقيين (النـساطرة الآشـوريين) الـذين تعرضـوا لمـذابح في بدايـة القـرن العـشرين لأنهـم سريان أولاً، وكونهم مسيحيين ثانياً، وإنسانياً ثالثاً.

وعنـدما أراد الآشـوريون والكلـدان أن يفرضـوا اسمهـم الجديـد علـى المـسيحيين البـاقين فعليـاً، اصـطدموا بواقـع آخـر هـو وجـود الـسريان بكثافـة في أهـم منطقـة تَجمُّـع للمـسيحيين وهـي سـهل نينـوى، فمنـذ انفـصال الـسريان الكاثوليـك عـن الأرثـوذكس سـنة ١٧٨٢م، كـان اعتـزاز الـسريان الكاثوليـك بالكثلكـة أكثـر مـن الاسـم الـسرياني، ولكـن عنـدما لاحـظ الـسريان الكاثوليـك أنَّ هـويتهم الـسريانية سـتذوب بـين الاسمـين المـستحدثين الكلـدان والآشـوريين واللـذين همـا أصـلاً سـريان، بـدأ الـسريان الكاثوليـك ولأول مـرة وبعـد قـرون بـالاعتزاز بالهويـة الـسريانية علـى حـساب الانتمـاء الكـاثوليكي، وأخـذ اسـم الـسريان يطغـى علـى الكثلكـة، وبمـا أنَّ الـسريان الـشرقيين قـد تَـسَمَّوا باسـم جديـد هـو الآشـوريون والكلـدان ولا يريـدون العـودة عنـه إلى الاسـم الأصـلي وهـو الـسريان، فقـد اخـترع الكلـدان والآشوريون اسماً جديداً رابعاً مُركَّباً هو كلدو، آشور، سريان.

يـذكر القـس بطـرس نـصري الكلـداني أنَّ أهـالي بـلاد المـشرق عنـدما استـضاؤوا بنـور الديانـة المـسيحية رفـضوا اسـم الكلـدان والآشـوريين والبـابليين والآرامـيين وغيرهـا لأنهـا تـشير إلى الأولـين مـن عبـدة الأصـنام والسحر والفلك وغيرها، واتخذوا لهم اسم السريان[1].

يقـول المعلـم لومـون الفرنـساوي: اعلـم أنَّ الكنيـسة الـسريانية كانـت تـشمل سـوريا بأقـسامها وأثـور الـتي تُـسَمَّى الموصـل ومـادي وأذربيجـان الـتي تُـسَمَّى كردسـتان والعـراق الـذي كـان يُـسَمَّى قـديماً، "بـلاد بابـل"، وهـذه الـبلاد الـسريانية تُقـسم إلى شـرقية وغربيـة، فالغربيـة كـان حَـدَّها مـن البحـر(المتوسـط) إلى نهـر الفـرات والبـاقي هـو القـسم الـشرقي، وأمـا اسـم الكلـدان فلـم يُـسَمَّي بـه الـشرقيون أنفـسهم قـط، بـل كـان في الأول اسـم قبيلـة شـرقية جبليـة مـن قبائـل الـسريان تَـسلَّطت علـى الـبلاد، ثـم صـار اسمـاً لقـوم مـن المـنجمين يُـسَمَّون أيـضاً "المجـوس"، والآن (الكلـدان) هـو اسـم الأقوام الراجعين من ضلالة النسطرة إلى الكنيسة الكاثوليكية[2].

يُلخِّـص الكاتـب جـورج حبيـب مـصدر تـسمية الآشـوريين والكلـدان بـالقول: إنَّ البعثـة التبـشيرية الإنكليزيـة هـي أول مـن سَـمَّى النـساطرة أثـوريين، وإنَّ نظريـة كـون النـساطرة هـم أحفـاد الأثـوريين القـدامى أصـبحت لهـا دعايـة واسـعة بلـسان المبـشر الإنكليـزي ويكـرام الـذي نـشر هـذا الاسـم وعرَّفـه للعـالم، ولم يكـن هـؤلاء النـساطرة يـدعون أنفـسهم بهـذا الاسـم (الأثـوريين) إلاَّ منـذ القـرن التاسـع عـشر، وهـذا مـا يوضـح أنَّ النـساطرة الـذين تحولـوا إلى الكثلكـة وأصـبحوا كلـداناً ليـسوا أحفـاد الكلـدان القـدامى،

---

[1]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ج١ ص ٢٨.

[2]: المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة ص١٧٧–١٧٨.

وإنَّ اللغــة المُــسمَّاة الكلدانيــة والــتي تُقــرأ بهــا الطقــوس الكنــسية ليــست مــن اللغــة الكلدانيــة في شــيء، بــل هــي اللهجــة الآراميــة الــشرقية أو اللهجــة الــسريانية الــشرقية المــستعملة في العــراق، كمــا أنَّ النــساطرة الــذين سَــمَّوا أنفــسهم الأثــوريين ليــسوا أحفــاد الآشــوريين القــدامى وإنَّ مــا يُــسَمَّى باللغــة الأثورية لا تعدو كونها اللهجة السريانية الشرقية (آرامية سريانية)[1].

فعــلاً فمــن الملاحــظ في أسمــاء أبنــاء هــاتين الطــائفتين أنهــم منــذ القــرن العــشرين بــدؤوا يتَــسَمَّون بالأسمــاء الآشــورية والكلدانيــة القديمــة مثــل: آشــور، ســرجون، ســنحاريب، أسَــرحدُّون، شمــيرام، أو اســم كلــدو، نبوخــذ، نرجــال، عــشتار...إلخ، بعــد أن كانــت هــذه الأسمــاء قبــل هــذا التاريخ شبه معدومة عندهم[2].

علمــاً أنَّ مــن مجمــوع أسمــاء سلــسلة جثالقــة (بطاركــة) الكنيــسة الــسريانية الــشرقية (الكلدانيــة – الأثوريــة)، والبــالغين مئــة وثلاثــين جاثليقــاً تقريبــاً منــذ بدايــة المــسيحية إلى اليــوم، لم أجــد بيــنهم مــن تَــسَمَّى بتلــك الأسمــاء الآشــورية أو الكلدانيــة أو القديمــة، وينطبــق ذلــك علــى أسمــاء قديــسي وآبــاء الكنيــسة حيــث لا نجــد في تــاريخ الكنيــسة الــسريانية الــشرقية (الكلــدان والنــساطرة الآشــوريين) مــن كــان لقبــه مــرتبط بالاســم

---

[1]: جورج حبيب، مجلة التراث الشعبي، أيلول ١٩٧٠م، ص ٨٦.

[2]: أكثــر مــن مــرة طلــب مــني قــسم مــن الكلــدان والآشــوريين أن أبحــث لهــم في كتــب التــاريخ عــن اســم كلــداني أو آشــوري لكــي يــسمي بــه مولــوده الجديــد، ولأن الدولــة الآشــورية اشــتهرت بــالقوة فــإنَّ بعــض الآشــوريين يتــسمون بنمــرود الــذي كــان رمــزاً للقــوة، دون أن يــدركوا أنَّ نمــرود مــن نــسل كــوش بــن حــام ولــيس مــن نــسل ســام، ولا علاقــة لــه البتة بالآشوريين وحسب الكتاب المقدس فإنه خرج من بابل واحتل آشور كما سنرى.

الكلداني أو الآشوري اسوةً بمار أفرام واسحق وميخائيل السرياني وغيرهم من آباء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية[1]، علماً أنَّ هناك آباء وشهداء في تاريخ الكنيسة السريانية الشرقي لُقِّبوا بالفارسي مثل أفرهاط وهرمز وأيوب وحنانيا وغيرهم، أو الكردي (القورطوايني) مثل المطران كليل يشوع وداود وعود يشوع، أو لُقِّبوا بالداسني مثل فثيون، أو العربي مثل يوحنا (من الحيرة) أو القُريشي مثل الشهيد أنطونا (محتمل أنه ابن أخي الخليفة هارون الرشيد)، ومئات من الآباء الذين لُقِّبوا حسب منطقتهم الجغرافية مثل الكشكري، الباجرمي، الحديابي، البازي، النوهدري، النينوي، الصوباوي، الحيري، البوسني، وغيرهم، ناهيك عن المئات الذين لُقِّبوا بأسماء أسرهم أو مهنهم أو طريقة استشهادهم ...إلخ.

فهل يعقل من مجموع آلاف الأسماء في التاريخ الكنسي لا يكون من يحمل لقب الكلداني أو الآشوري، بينما نجد من كان لقبه الفارسي والكردي والعربي والداسني؟، لكننا مع بداية القرن العشرين نجد من يحمل هذه الألقاب مثل المطران أوجين منا الكلداني، الأب بطرس نصري الكلداني، أبريم هندى الآشوري، وأدي شير الكلداني الأثوري.

الدليل الآخر على أنَّ الآشوريين والكلدان لا علاقة لهم البتة بالآشوريين والكلدان القدماء سوى اختيار الاسم لطائفتين مسيحيتين سريانيتين شرقيتين، فإنَّ قسماً من أبناء الكنيسة السريانية الشرقية (الكلدانية والنسطورية)، منتشرون اليوم في بلدان أخرى مثل روسيا والهند، وهم يتَسَمَّون بالكلدان والآشوريين أيضاً.

فهل كانت الدولة الآشورية والكلدانية تمتد إلى روسيا والهند؟.

---

[1]: انظر سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة الشرقية في الملحق نهاية الكتاب.

النساطرة والكلدان والرحّالة الشهير كارستن نيبور

تُعدُّ رحلة الدنمركي الألماني الأصل كارستن نيبور (١٧٣٣-١٨١٥م) التي أمر بها ملك الدنمرك فريدريك الخامس (١٧٢٣-١٧٦٦م) من أهم الرحلات إلى البلاد العربية، وسُمِّيت "البعثة الدنمركية إلى بلاد العرب"، ولدقة وأهمية المعلومات الواردة في هذه الرحلة، فإنَّ كثيراً من المعلومات التي وردت فيها دُرِّست في بعض المعاهد والجامعات واعتمدت من قِبَل الباحثين منذ تلك المدة وإلى الآن، حيث احتوت خرائط مسح جغرافية ومعلومات تاريخية وأثرية وزراعية واجتماعية، وأسماء مدن وعدد سكانها وأسماء أمرائها وعشائرها، وعادات وتقاليد الشعوب وأديانهم وأزيائهم وغيرها، وسُمِّي القسم الخاص بالعراق "رحلة نيبور في القرن الثامن عشر إلى العراق" التي ترجمها عن الألمانية د. محمود حسين الأمين.

دخل نيبور إلى العراق عن طريق البصرة في ٢ آب ١٧٦٥، ثم بغداد فكركوك ثم الموصل، وغادر الموصل إلى ماردين التي وصلها في (٢٥ نيسان ١٧٦٦م)، وقد ذكر نيبور النساطرة مرات كثيرة ولم يذكر مرة واحد اسم الآشوريين، أمَّا بالنسبة للكلدان فكان يسميهم (النساطرة غير الضالين أو النساطرة المهتدين إلى الكثلكة)، وبالنسبة للسريان الأرثوذكس فكان يسميهم اليعاقبة، وقد لخصنا ما ورد في رحلته وبما يتعلق بالنساطرة والكلدان والسريان فقط، حيث يقول:

وصلتُ بغداد في خريف ١٧٦٥م وكان فيها رهبان كرمليون أوروبيون، فقد مضى زمان على رحيل المبشرين الفرنسيسكان والكبوشيين، وكل هؤلاء المبشرين لم يأتوا إلى هنا ليجعلوا من المسلمين مسيحيين، هذا العمل الذي سيؤدي بهم إلى الاستشهاد في سبيل الدين ويجعل منهم

شهداء وقديسين، بل أنهم جاؤوا ليدخلوا المسيحيين في مذهب (الكاثوليك) الذي يعترف بأنَّ بابا روما هو الرئيس الأعلى وسيد الكنيسة، ومن الطبيعي أنَّ الرؤساء الروحيين للطوائف المسيحية الأخرى لا ترضى على هذا العمل الذي يقوم به هؤلاء المبشرون الكرمليون، وإذا تذمر هؤلاء واشتكوا لدى الحكومة التركية على أعمال هؤلاء المبشرين، يقوم المبشرون بدفع الرشوة بكميات لا بأس بها من المال لقاء سكوت السلطات التركية عنهم، ولقد تمكن هؤلاء المبشرون من إدخال عدد كبير من مسيحيِّي الشرق في مذهبهم، حتى إنهم تمكنوا من أن يحملوا النساطرة والمسيحيين المتدينين الأصليين في هذه البلاد على ترك كنائسهم، وشاهدت في بغداد مسجد العالم المشهور معروف الكرخي المُشيَّد سنة ١٢١٥م، ويقول المسلمون بأنَّ الكرخي ولد من أبوين مسيحيين ولكنه كان يمتنع أن يقول باسم الآب والابن والروح القدس، بل بسم الله الرحمن الرحيم، وبسبب ذلك غضبت عليه أمه فحبسته في سرداب أربعين يوماً، ثم طردته، فالتجأ إلى جامع موسى الكاظم واعتنق الإسلام وأصبح من علمائهم المشهورين[1].

غادرت بغداد في ٣ آذار ١٧٦٦م، ووصلت كركوك في ١٠ آذار، وفيها نحو أربعون كلدانياً أو نسطورياً ينتمون إلى كنيسة روما، فما كادوا

---

[1]: هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ولد لعائلة مسيحية نسطورية وتعلَّم من زملائه الأطفال المسلمين "بسم الله الرحمن الرحيم"، وعندما كان يدرس مع أخيه عيسى في مدرسة الكنيسة، كان يستعمل هذه العبارة كثيراً، فشكاه الكاهن إلى أهله، توفي سنة ٨١٥ م ودفن بالقرب من دير الجاثليق النسطوري الواقع غرب بغداد عند باب الحديد والذي يُسَمَّى بالسريانية (دير كليل يشوع) أي أكليل يسوع.

يسمعون بقدومي حتى هرعوا لزيارتي على الفور، وفرحوا لأنهم شاهدوا رجلاً قادماً من بلاد القديس بطرس (يقصد من روما)، وخلال حديثي معهم أبدوا لي تذمرهم وامتعاضهم من بقية مسيحيِّي الشرق لتمسكهم بالخرافات القديمة وعدم إيمانهم بأنَّ البابا هو خليفة المسيح في الأرض.

وقد نصحت هؤلاء الناس الطيبين بالصبر وأن يكونوا واسعي الصدر مع المسيحيين الآخرين دون أن أجعلهم يشعرون بأنني لستُ كاثوليكياً من مذهبهم، ومن الجدير بالذكر أنني وجدت مسيحيِّي الشرق متفاهمين فيما بينهم، إلاَّ أنهم لا يميلون إلى مسيحيِّي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، كذلك وجدتُ أنَّ المسيحيين (الكلدان) الذين اهتدوا على أيدي الرهبان والبعثات التبشيرية التابعة لهم، أعداء ألدَّاء لمن بقي على عقيدته ولم يتبعهم من إخوانهم في المذهب السابق (أي النساطرة).

في ١٦ آذار سافرت إلى الموصل عن طريق أربيل، وعند الزاب الكبير نزلت في قرية عبد العزيز التي يسكنها اليزيدية أو الدواسن (اليزيدي بالكردية داسني)، هؤلاء لهم مزار بين عقرة والموصل يُسَمَّى شيخ عادي، فيه بركة ماء يرمي فيها اليزيديون قطعاً من الذهب والفضة تكريماً لواليهم، وقد أغرت هذه الأموال أحد النساطرة القاطنين بالقرب من المزار، فانسلَّ ليلاً ونزل في حوض الماء ليأخذ الذهب والفضة، وصادف أن جاءت ابنة سادن المزار لتأخذ ماء، فرأت شخصاً وسط البركة، ولاعتقادها الأكيد بأنَّ لا أحد يجرؤ أن يأتي ليسرق هذا المكان المقدس لدى اليزيديين، اعتقدت بأنَّ الشيخ عادي قد ظهر لها، فهرعت إلى والدها لتخبره، وانتشر الخبر بين اليزيدية وفرحوا جداً، أمَّا النسطوري فقد هرب وتَنعَّمَ بما غنِم من الأموال.

في ١٧ آذار وصلت كرمليس التي يتراوح عدد بيوتها من (٦٠–٧٠) بيتاً، كان جميع سكانها إلى ما قبل سنوات قليلة خلت من النساطرة، واستقبلني مختار ووجهاء القرية، وبعد الانتهاء من عبارات الترحيب والأسئلة العديدة عن سفرتي من بغداد، سألني أحدهم فيما إذا كان البابا هو رئيس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فقط وليس رئيس الكنائس المسيحية الأخرى، ولم أكن أشكُّ أبداً أنه من الواضح لدى هذه الجماعة بأنَّ الأرمن واليونان والأقباط وغيرهم لهم بطريركياتهم الخاصة كما هي الحال عند النساطرة، وإنَّ جميعهم لا يعترفون برئاسة البابا وسلطاته، وبادرني أحدهم بالسؤال قائلاً: أوليس البابا خليفة القديس بطرس؟، وقد أظهر لي بسؤاله هذا أنه ليس نسطورياً وإنما كلدانياً مهتدياً، فأجبته: إنَّ جميع المسيحيين عندهم الإنجيل ويعتقدون بتعاليم المسيح التي بشر بها بطرس، وإنَّ اللّه لن يُفرِّق بين كلداني ونسطوري وبقية المسيحيين، ثم سألني إن كنت أوروبياً أم يونانياً، فأكَّدتُ له أنني أوروبي، وأنَّ نصف أوروبا لا تعترف بسلطة البابا منذ مئتي سنة، وقد كان الجميع مستمعين، فتقدم بعض النساطرة للاشتراك في الحديث وبادرني أحدهم قائلاً: لقد كان الأجدر بك أن تحافظ على دين آبائنا وأجدادنا وأن لا تَعمَد إلى تغيير دين إخواننا وأهل مذهبنا، لقد قُمتَ أنت والآخرون من الأوربيين بالدعوة ضد بطريركنا، فوصمتموه بشتى التُهم ونَصبَّتم بدله أوروبياً رئيساً للكنيسة، ثم تأتي أنت وبصفتك أوروبياً لتقول أنك لا تعترف بالبابا الأوربي رئيساً للكنيسة.

لقد آلمني جداً أنني أزعجت الطرفين وحاولتُ أن أشرح لهم أنه من الأفضل ترك حرية الاختيار لكل شخص وبذلك تبقون أصدقاء أحباء، لكن كلامي لم يرق للقس الكلداني الذي ردَّ عليَّ قائلاً: إنَّ البعثة

التبشيرية الأوربية في الموصل أكّدت لي أنَّ جميع أوروبا تعترف بسلطة البابا ولذلك فإنه يشك بأنّني أوروبي، وأخرج من جيبه كتاباً صغيراً مكتوباً باللاتينية مع ترجمة بالسريانية أو الكلدانية، قائلاً لي: لو كُنتَ أوروبياً لقرأتَ هذا ولعلِمتَ أني على حق، وفتح الكتاب وأشار إلى المكان المكتوب فيه "أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي..إلخ"، فأجبته إنَّ هذه الجملة ليست موجودة في كتابك فقط بل موجودة في كل كتب المسيحيين، وقد تجادل حول هذه الجملة أعظم العلماء ولسنوات طويلة ولم يصلوا إلى اتفاق حول مضمونها، لذلك فإنَّ كلانا لا نستطيع الوصول بجدالنا إلى حل مرض، ثم بدأت أُغيِّر مجرى الحديث حول موضوعات أخرى كالزراعة وغيرها، إلى أن حان وقت صلاة الغروب فذهبنا وصلينا في ضريح القديسة بربارة، ويوجد هناك تل قريب يعتقد أنَّ قصر والد القديسة بربارة كان مبنياً فوقه[1].

يقع دير مار متى أو شيخ متي فوق جبل عال يبعد ثلاث ساعات شمال شرق كرمليس وهو دير تقع بالقرب منه قرية (ميركي)، يقطنها المسيحيون اليعاقبة (أي سريان أرثوذكس)، والمعتقد أنَّ هناك بعض الآثار، وتقع شمال هذا المكان وعلى بعد ثلاث ساعات قرية بحزاني، وعلى بعد ساعة شمال غرب كرمليس تقع قرية برطلة وجميع سكانها

[1]: إنَّ بطرس الرسول أسس الكرسي الأنطاكي الذي كان القس الكلداني ينتمي إليه أساساً، وإنَّ مسألة تبشير بطرس لروما وتأسيسه كرسياً أسقفياً غير متفق عليها، لأنَّ الرسول بولس الذي بَشَّر روما يقول في رسالته إلى أهل روما (٢٠:١٥)، "وكنت حريصاً أن أُبشِّر لئلا أبني على أساس غيري"، وسبب عَد بطرس أنه مؤسس كرسي روما من قِبَل الكاثوليك، هو لأنه صُلبَ هناك سنة ٦٧م بأمر نيرون.

يعاقبة، وبمسافة ميل واحد باتجاه الجنوب الغربي تقع بلدة قره قوش وجميع سكانها يعاقبة.

وصلت إلى الموصل في ١٨ آذار ١٧٦٦م، ويسكنها نحو ألف ومئتي بيت مسيحي، حوالي ربع هذا العدد من النساطرة والكلدان غير الضالين والبقية يعاقبة ويقيم بطريرك اليعاقبة في ديار بكر، أمَّا والي الموصل أمين باشا الجليلي، فهو حفيد الجد الأكبر عبد الجليل الذي له منزلة كبيرة عند النساطرة[1]، ويتكلم سكان قرى الموصل اللغة السريانية، ولكن هذه اللغة تختلف عن اللغة السريانية الأصلية التي كتبَت بها الكنائس، كما هو الحال بين اللغة العربية الحديثة والقديمة، حيث إنَّ كثيراً من الكلمات الغريبة قد دخلت على اللغة السريانية الحالية، وجميع المسيحيين بمن فيهم التجار والباعة والقساوسة يكتبون بالخط الكرشوني، وهو الخط المختلط من الحروف الهجائية العربية والسريانية[2]، أمَّا كتب كنائسهم فهي مكتوبة باللغة القديمة، وقليل من

---

[1]: أسرة الجليليين مسيحية نسطورية الأصل جاء جدها عبد الملك الحفصي نحو سنة ١٦٠٠م من ديار بكر لغرض التجارة، كانوا يُسَمّونه بالسريانية (ملكون)، توفي سنة ١٦٤٠م، ودفن في كنيسة شمعون الصفا في الموصل، وقد سمح الجليليون بدفن الأب فرنسيس طورياني الدومنيكي (+١٧٦٧م) بجواره، ثم نقل قبر عبد الملك في ٢ آب سنة ١٩٦٦م قرب محطة تلفزيون الموصل، واعتنق ابنه الشاب عبد الجليل (١٦٢٠–١٦٨١م) الإسلام فلقَّبوه بالمهتدي، وحسب روايات الموصليين فإنَّ سبب ذلك هو مضايقة المسلمين له دوماً، كان آخرها إجباره من قِبَل أحد المسلمين على إخلاء الطريق له استناداً إلى الحديث الإسلامي "إذا لَقيتم النصارى في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه".

[2]: الكرشوني هو كتابة اللفظ العربي بأحرف سريانية.

المسيحيين المولودين في مدينة الموصل يعرف اللغة السريانية المستعملة بين سكان قرى الموصل، وهم يتكلمون العربية وهي اللغة المعتمدة في هذه البلاد، والمسيحيون المختلطون بالأجانب يتكلمون الكردية والتركية.

عند وصولي إلى الموصل، كنت أحمل رسالة إلى اثنين من رهبان البعثة التبشيرية الدومنيكية في الموصل لكي يساعداني على إيجاد بيت لي في محلة يسكنها المسيحيون، لكن حالما عرف هذان الراهبان[1]، أنني بروتستانتي دانمركي لم يرتاحا لقدومي، فامتنعا عن مساعدتي، فاضطررت لاستجار غرفة في خان.

صادف وصولي إلى الموصل في وقت الصوم الكبير للمسيحيين، فالنساطرة واليعاقبة يمتنعون عن أكل اللحم والحليب والبيض والزبد حتى وإن كانوا في أشد حالات المرض، ويشددون على الصوم أكثر من المسلمين، فلا يأكلون ولا يشربون شيئاً ولا يدخنون ابتداء من شروق الشمس حتى الظهر، والدومنيكان أنفسهم يصومون في الموصل أو يتظاهرون على الأقل بالصيام لأنَّ المسيحيين يَعدُّون الصيام من أهم الواجبات التي يجب على المسيحي التمسك بها، ولو نبهني أحد القسس المحترمين منذ البداية إلى ذلك لأخذت بمشورتهم واقتديت بهم، ولصمت أنا أيضاً محافظة على سمعة الأوربيين، لكنني اعتقدت بأنَّ لا أحد يكترث إليَّ اسوةً ببقية سكان البلدان التي مررت بها، ولكن خبر عدم صيامي انتشر بسرعة بين الأهالي، وكان هناك عدد من الرهبان النساطرة الذين اهتدوا على أيدي الدومنيكان، واعتقد هؤلاء كبقية أصحابهم في كرمليس أنَّ جميع الأوربيين ينتمون إلى كاثوليك روما،

[1]: استعمل نيبور (هؤلاء الآباء) وهي صيغة ألمانية تُستعمل لغرض الاشمئزاز والتهكم.

ولهذا أخذوا يستفسرون عني ويسألون عن هويتي ومذهبي من الرهبان الدومنيكان، لكن الدومنيكان أخذوا يشنعون بي ويقذفون بالمذهب البروتستانتي ويتهمونني بالإلحاد حتى صار كل المسيحيين ينظرون إليَّ كأحد الكفرة والملحدين عدا قليل من التجار الذين كانوا محتكين بالإنكليز، ومن خلال أحد الأصدقاء الكلدان واسمه إلياس اسحق كان يعمل مترجماً، استطعت أن أقيم علاقة مع الوالي (الباشا) الذي دعاني عنده، وعلى إثر ذلك زرت مفتي المسلمين والرؤساء الروحانيين للكلدان والنساطرة واليعاقبة، ثم أصبحت صديقاً ومحبوباً من الجميع في مدينة الموصل.

في مدينة الموصل زرتُ جامع الأحمر وجامع النبي جرجيس الذي كان فيما مضى كنيسة مسيحية، وجامع يحيى القاسم الذي يقول المسيحيون أنه كان كنيسة يوحنا الأزرق، ويقع ضريح يوحنا باتجاه الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وقام المسلمون بتغير اتجاه ضريحه نحو القبلة، وقد أخذ والي الموصل بدر الدين لؤلؤ (١٢٣٣–١٢٥٩م) هذا القبر وأضافه إلى البنايات الإسلامية الأخرى[1].

وللمسيحيين في مدينة الموصل نحو عشر كنائس، وقد سمح لهم الوالي ببناء كنائس أخرى وترميم القديمة منها، لأنَّ المسيحيين اشتركوا في

[1]: يوحنا الأزرق، هو أسقف الحيرة النسطوري الذي عاصر الجاثليق النسطوري صليبا زخا (٧١٤–٧٢٤م)، وحضر انتخاب الجاثليق فثيون (٧٣١–٧٤٠م)، وتنسب إليه المصادر التاريخية أنه وضع أو جدد صوم نينوى عندما طلب أحد أمراء الحيرة أربعين بنتاً عذراء من المسيحيات لإلحاقهن بزوجاته، فاجتمعوا إليه في إحدى الكنائس وصلّوا معه لمدة ثلاثة أيام، فاستجاب الله لهم وتوفي الأمير.

الـدفاع عـن مدينـة الموصـل أثنـاء حـصارها الأخـير سـنة ١٧٤٣م (حـصار نـادر شـاه)، وقـد شَـيَّد النـساطرة لهـم كنيـسة وكـذلك فعـل اليعاقبـة، وهاتـان الكنيـستان جميلتـان وخاصـةً كنيـسة النـساطرة الـتي شُـيِّدت سـنة ١٧٤٤م، والتي ليس لها مثيل في جميع بلدان الشرق.

أمَّـا منطقـة حكـاري (هكاريـة) فهـي إحـدى منـاطق كردسـتان الجبليـة الـوعرة المـسالك وتقـع في الجهـة الـشرقية مـن منطقـة العماديـة وإلى تخـوم منطقـة وان التركيـة، ويـسكن هـذه المنطقـة النـساطرة ولهـم فيهـا بطريـرك أسمـه علـى الـدوام شمعـون، وهـو مـستقل عـن إليـاس بطريـرك ألقـوش القريبـة مـن الموصـل (يقـصد البطريـرك إيليـا الحـادي عـشر دنحـا (١٧٢٢-١٧٧٨م)، ولا يمتثـل بطريـرك النـساطرة لأوامـر بطريـرك ألقـوش، إذ لا يخـضع أحـدهما للآخـر، وتحـت سـلطة البطريـرك النـسطوري نحـو ثلاثمئـة قريـة، ومـن المحتمـل أنَّ كـثيراً مـن هـذه القـرى لم يَعُـدْ فيهـا مـسيحيون حاليـاً، ويقـول الـسكان المحليـون إنَّ والـي المنطقـة الكـردي لـه منـدوب عنـه إلى النـساطرة يُـسَمَّى (بيـك) يـسكن قريـة كـوميري، لكـن النـساطرة لا يُعـيرون لـه أهميـة بـل يبـدون لـه الخـضوع ظاهريـاً لأنهـم واقعـون تحـت حكـم المـسلمين، فـلا يتجاسـرون علـى قطـع الـصلة معـه تمامـاً، ونـساطرة حكـاري لا يرغبـون بقـدوم التجـار المـسلمين إلـيهم لـشراء منتجـاتهم، كمـا أنهـم لا يسمحون لأي مسلم أن يسكن ويعيش بينهم.

وفـضلاً عـن القـرى المـسيحية الـتي ذكرناهـا، يُعـدد نيبـور أخـيراً قـرى كثيرة يسكنها المسيحيون، ويحدد انتماءهم بالتفصيل أحياناً، فيقول:

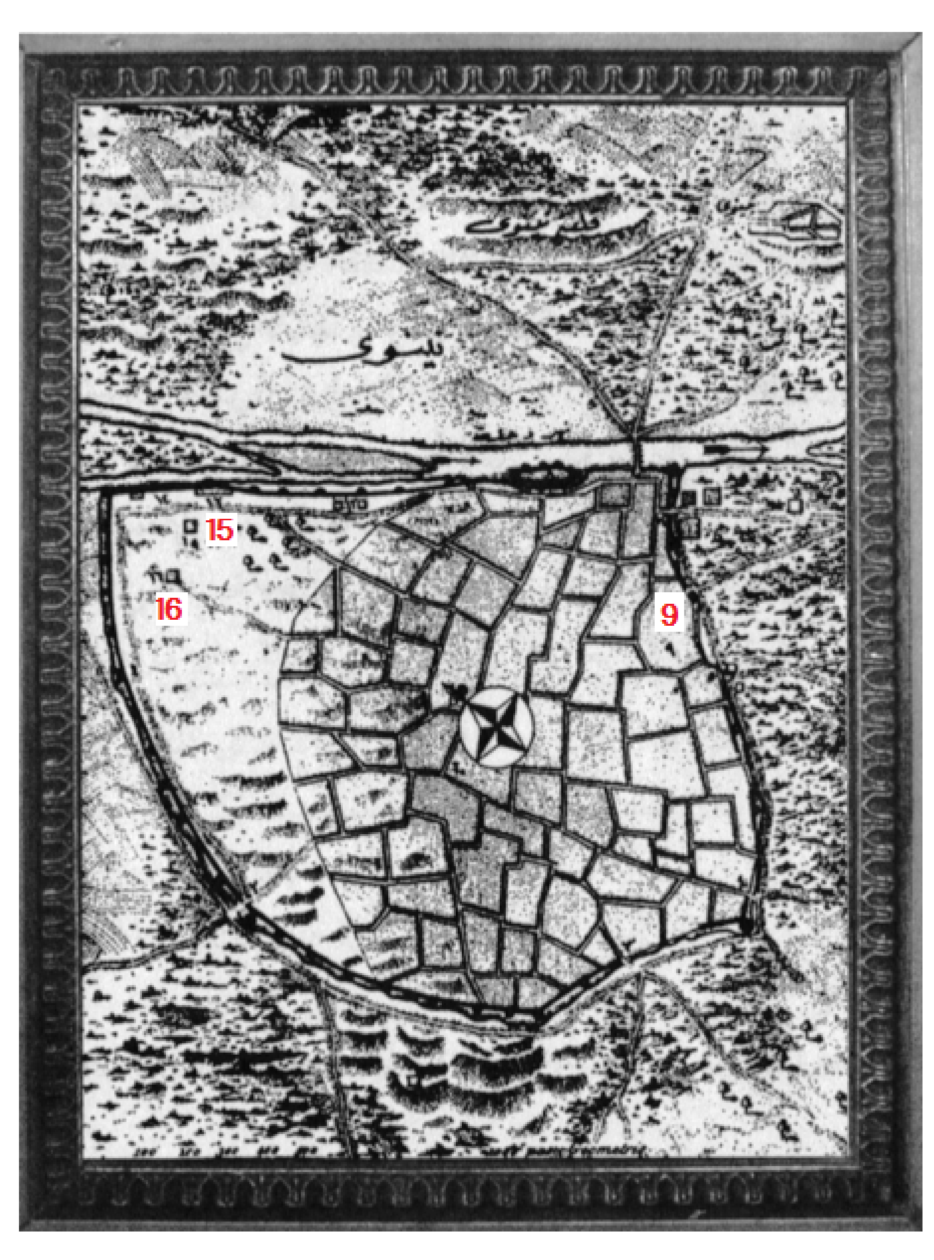
في الجهـة الـشرقية لنهـر دجلـة تقـع قريـة البـساطلية وفيهـا ديـر لليعاقبـة (ديـر مـار بهنـام)، وكـرمليس وقـره قـوش ويـسكنها اليعاقبـة، وخزنـة وبرطلـة

يقطنهـا المـسيحيون، وبحزانـي وبعـشيقة ويـسكنها المـسيحيون واليزيـديون، وبعـويزة وبيـسان ويـسكنها عـدد مـن الأرمـن، أمَّـا البقيـة فهـم مـسلمون، وتللـسقف ويقطنهـا النـساطرة ثـم باقوفـة، وقريـة باطنايـا وهـي قريـة كـبيرة معظـم سـكانها مـن المـسيحيين وبيـنهم عـدد غـير قليـل يعتقـد أنَّ البابـا هـو الـرئيس الأعلـى للكنيـسة، وبـالقرب مـن هـذه القريـة ديـر قـديم للنـساطرة يعـرف بـدير مـار أوراهـا[1]، ثـم قريـة تلكيـف الـتي يـتراوح عـدد بيوتهـا بـين الثلاثمئـة وأربعمئـة بيـت، وقـد انـضم نـصف الـسكان إلى البابـا، أمَّـا البقيـة فهم من النساطرة.

[1]: دير مار أوراها (مختصر إبراهيم)، يقع في قرية باطنيا التي تقع قرب تلسقف، وهو نسبة لمؤسسه إبراهيم المادي، والملاحظ أنَّ لقبه هو المادي، لا آشوري ولا كلداني، والسبب كما ذكرتُ هو أنَّ الكلدان والآشوريين الحاليين هم سريان شرقيون باسمين مستحدثين، وكل الألقاب لرجال دين وعلمانيين، موجودة في تاريخهم وكتبهم، باستثناء آشوري وكلداني، علماً أنَّ أشهر دير لهما في المنطقة هو دير الربَّان هرمز الفارسي (لا آشوري ولا كلداني أيضاً)، ويقع في ألقوش قرب باطنايا وتلسقف أيضاً، والدير هو مقر البطريرك إلياس الذي تحدث عنه نيبور.



الرحَّالة الدنمركي الشهير كارستن نيبور (١٧٣٣– ١٨١٥م)



خارطة مدينة الموصل حسب نيبور ويظهر فيها سراي الوالي رقم ٩ وكنيسة النساطرة رقم ١٥وكنيسة السريان الأرثوذكس رقم ١٦

أسطورة أو خرافة تسمية النساطرة بالآشوريين والكلدان
(مقالة جان موريس الدومنيكي وتعقيب ميشيل شفالييه)

أعَـدَّ الأب الفرنـسي جـان مـوريس فييـه الـدومنيكي الـذي عمـل سـنوات طويلـة مـع الكاثوليـك في العـراق- الموصـل، دراسـة (مقالـة) حـول تـسمية الـسريان الـشرقيين النـساطرة بآشـوريين وكلـدان، نـشرها بالفرنـسية في كتابـه (الآشـوريون والآراميـون سـنة ١٩٦٥م، ص ١٤١-١٦٠)، عَـدَّ فيهـا أنَّ تـسميتي، آشـوريين وكلـدان، هـي أسـطورة، وقـد لخـص مقالتـه وعَقَّـبَ عليهـا المـؤرخ الفرنـسي ميـشيل شـفالييه في كتابـه: (المـسيحيون في حكـاري وكردسـتان الـشمالية، الكلـدان والـسريان والآشـوريون والأرمـن)، وأكَّـدَ أنها أسـطورة خرافيـة، ابتكـر الإنكليـز اسـم الآشـوريين، وابتكـرت رومـا اسم الكلدان، وصَدَّقت هذه الخرافة الجماهير البسيطة والجاهلة.

مقالة الأب جان موريس فييه الدومنيكي حول الاسمين الآشوري والكلداني

إنَّ تـسمية النـساطرة أبنـاء الجبـال بآشـوريين أسـطورة لا علاقـة لهـا البتـة بأصـل النـساطرة الحقيقـي، إنمـا علاقـة التـسمية تـرتبط بتـاريخ التبـشير القـادم إلى المنطقـة فجـر القـرن التاسـع عـشر وبـالتطور الـسياسي لحالـة هـذه الجمـاهير، كمـا أنَّ لهـا علاقـة جزئيـة أخـرى بالكلـدان الـذين كتبـوا مؤلفاتهم بعد سنة ١٩١٨م.

إجمـالاً، يظهـر أنـه قـد حـصل لـدى المـؤلفين الأنكلـو - سكـسون (الإنكليـز) خـلال القـرون الأخـيرة ازدواجيـة في اسـتعمال التـسمية الـتي كانـت أصـلاً تـسمية جغرافيـة فقـط، لأنَّ تـسمية (المـسيحيين الآشـوريين) كانـت تعـني (مـسيحيِّي آشـور)، ثـم ظهـرت كتـسمية للبعثـة التبـشيرية في مدينـة الموصـل سـنة ١٨٥٠م، كـذلك كانـت الحالـة مـع التـسمية المعطـاة للبعثـة التبـشيرية الأمريكيـة الكلفانيـة الـتي سُـمِّيت هـي الأخـرى بالبعثـة الآشـورية لغـرض جغـرافي فقـط، هـذا مـا كتبـه R. Anderson سـنة

١٨٧٢م، والتسمية نفسها أُطلقت سنة ١٨٧٠م على البعثة التابعة لرئاسة أساقفة كارنتربري[1].

إنَّ التسمية (آشوريون) قد تعني أيضاً أنَّ الذين يحملونها هم أحفاد لآشوريي التاريخ، وإنَّ التطور النموذجي للموضوع مُبَيَّن بوضوح في النص المكتوب سنة ١٨٧٠م من قِبَل كبير أساقفة إنكلترا والذي قام كوتس (Cutts) بتسجيله حيث يخص هذا النص مسيحيِّي (منطقة) آشور أو المسيحيين المعروفين عادةً "نساطرة"، والظاهر أنَّ التسمية الجغرافية كانت هي المفضلة على التسمية النسطورية لأنَّ الأخيرة تعني غالباً اتهاماً بالهرطقة.

كان المُبَشِّر لايارد يحمل صفتين مختلفتين، الأولى أنه آثاري عمل على إحياء حضارة الآشوريين القدماء، والثانية كونه منتدباً من قِبَل بريطانيا ومكلفاً باكتشاف النساطرة الجبليين والتعرف عليهم والعمل على حمايتهم، هذه الحقيقة لعبت دوراً في إعطاء النساطرة هوية محدودة، هذا من ناحية، أمَّا من الناحية الثانية فقد كان هناك أحد رجال الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية وكان له نشاط مشابه مارسه سنة ١٩٠٠م، نقصد بذلك العلاَّمة والباحث المطران "أدِّي شير"، الذي كان يشغل منصب رئيس أساقفة (مطران) سعرت.

إنَّ التعديلات المطولة المؤسسة على علم الدلالة التي افتتح بها جون جوزيف J.Joseph كتابه واختتمه بخلاصة متطابقة مع ما جاء أعلاه، وتقول: بسبب الموقع الجغرافي لإقامة بطريركهم سَمَّى السريان الشرقيون أو النساطرة أنفسهم، كلداناً[2].

---

[1]: أندرسون، رحالة كلفاني زار الشرق بين سنة (١٨٥٧–١٨٧٢م).

[2]: جون جوزيف، نسطوري، ألَّف كتاب النساطرة ومجاوروهم المسلمين.

هــذا يعــني أنَّ التــسمية لم تكــن مبنيــة علــى أســس عرقيــة، ولقــد عممــت الكنيــسة الكاثوليكيــة اســتعمال التــسمية "كلــدان" كمــا فعلــت البعثــة التبــشيرية الأنكليكانيــة الــتي عممــت تــسمية "آشــوريين"، وإنَّ الآشــوريين لم يدَّعوا لأنفسهم تسمية الآشوريين إلاَّ عند نهاية القرن التاسع عشر.

إنَّ النــساطرة خلــيط مــن الأقــوام، وهــذا يعــني احتمــال جريــان دمــاء آشــورية في عــروقهم وخاصــةً مجموعــة معينــة مــنهم كمــا هــو الحــال عنــد بعــض الــشعوب الأخــرى الــتي قــد تكــون فارســية أو كرديــة أو آراميــة، والوضــع نفــسه ســينطبق علــى أحفــادهم اليــوم والــذين ســيكونون عربــاً أو أكــراداً أو فُرساً، ولكنهم جميعاً مسلمون.

ويُعقِّــب المــؤرخ ميــشيل شــفالييه علــى مقالــة الأب جــان فييــه الــدومنيكي واضــعاً اللــوم علــى الــدوائر الغربيــة وخاصــةً دائــرة القنــصلية الحبريــة في رومــا في اختيــار مفردتــي كلــدان وآشــور منــذ مطلــع القــرن الــسابع عــشر وتــسميتهم لبطريــركين مخــتلفين بهــذه الأسمــاء، وهــذا خلــق فكــرة ادعــاء الانتــساب إلى شــعبين ظهــرا في التــاريخ وحمــلا هــذين الاسمــين، والــذي اخــتلط بــدوره على الآخرين مثل المبشر ساوث كيت والرحَّالة ديللافاليه وغيرهما[1].

(المؤلــف) ولأن شــفالييه استــشهد بجــزء واحــد ممــا قالــه كيــت عــن تخــبط الكلــدان وعــدم معــرفتهم أصــلهم باســتثناء قلــة كــانوا يعرفــون شــيئاً بــسيطاً وكــانوا يظنــون أنَّ أصــلهم آشــوري، لــذلك فــإنني أنقــل الــنص الإنكليــزي مــن نفــس الطبعــة والــصفحة الــتي استــشهد بهــا شــفالييه، لأنَّ بعــض القِلَّــة مــن الكلدان كان يعرف أنه سرياني أرثوذكسي الأصل، حيث يقول كيت:

---

[1]: هوراســيو ســاوث كيــت (١٨١٢-١٨٩٤م) مبــشر أمريكــي كلفــاني ثــم أصــبح أنكليكــاني، زار المنطقــة بــين ســنة (١٨٣٧-١٨٣٨م) وكانــت مهمتــه الرئيــسة التبــشير بين السريان الأرثوذكس تحديداً، وحاول جاهداً في ذلك، لكنه فشل.

the Chaldeans never use the term Nestorian excepting when necessary to distinguish sects, I heard it in only one instance, and that was when I inquired particularly for it, They call them selves as they seem always to have done, Chaldeans, Those of them who profess to have any idea concerning their origin, say, that they are descended from the Assyrians and the Jacobites from the Syrians, whose chief city was Damascus,The appropriation of the term Chaldean to the papal seceders from the Nestorian Church was.

(Nasrani) is an Arabic term, applied when used in Mesopotamia to Christians generally, and meaning apparently the same with Nazarone or followers of the Nazarone In Persia on the contrary, I had been accustomed to hear it constantly as the distinctive title of the Nestorians.

الترجمة: الكلدان لا يستعملون أبداً مصطلح النساطرة على أنفسهم إلاَّ للضرورة وحين يميزوا بين الطوائف، وقد سمعتُ هذا الاستعمال منهم مرة واحدة فقط (أي أنهم نساطرة)، وكان ذلك عندما استفسرت منهم بصورة مفصلة حول ذلك (حول الاسم)، إنهم يُسَمُّون أنفسهم دائماً كلداناً، وبعضاً من أولئك الذي يعلن أنَّ لديه أية فكرة حول أصلهم يقول: إنهم ينحدرون من الآشوريين ومن السريان اليعاقبة (الأرثوذكس) الذين كانت دمشق مدينة رئيسهم، وإنَّ مصطلح الكلدان هو الذي اعتمدته البابوية (روما) لتسمية الذين انشقوا عن الكنيسة النسطورية.

والمصطلح الآخر هو Nazarone (نصراني)، وهو مصطلح عربي يستعمل في بلاد ما بين النهرين على المسيحيين عموماً، وأيضاً في بلاد فارس بنفس المعنى، وعلى العكس من ذلك فإنني اعتدت على سماع مصطلح نصراني يُطلق باستمرار وبصورة خاصة (مميزة) على النساطرة[1].

[1]: وقائع الجولة في أرمينيا وكردستان وفارس وبين النهرين، مع ملاحظات عن الحالة المحمدية والمسيحية في تلك البلدان، طبعة لندن الإنكليزية، ١٨٤٠م، ص ١٧٨–١٨٠.

Southgate Horatio, Narrative A tour Armenia, Kurdistan, Persia ‹Mesopotamia, With Observations on The condition of Mohammedanism and Christianity in those countries.

أمَّا بالنسبة لديللافاليه يقول شفالييه: عندما يتحدث الرحَّالة الايطالي ديللافاليه عن زوجته (معاني) سليلة إحدى العائلات النسطورية القادمة إلى ايطاليا من ماردين، يصفها فيقول: "إنها آشورية قومياً وتجري في عروقها دماء أقدم المسيحيين"، ومما لا شَكَّ فيه أنَّ الرحَّالة اوتير Otter مدفوعاً بنفس العاطفة نراه في سنة ١٧٣٧م يُسَمِّي نساطرة كرمليس الواقعة قرب الموصل، آشوريين[١].

(المؤلف): هنا أيضاً ولدى مراجعتي للنص وجدتُ أنَّ ديللافاليه لم يَقُل إنها آشورية قومياً، بل كان يصف جمال زوجته وصفاً مجازياً وكأنها قصيدة غزلية إذ قال: إنها من بلاد آشور، دمها دم المسيحيين القدماء (الأب بطرس الكلداني ترجمها إلى دم الكلدان!)، شعرها اسود، أجفانها مُكحَّلة بالإثمد كما جاء في سفر (إرميا ٤: ٣٠) عيناها تشعان نوراً، أسنانها صغيرة، مشيتها حلوة...إلخ، وعندما تحدث عن أصلها، أكَّدَ بوضوح تام وبالحرف الواحد أنها سريانية شرقية أي نسطورية[٢].

ثم يضيف شفاليه: ولكل هذه الوقائع علاقة بالتقليد الذكي الذي اتبعته دائرة القنصلية الحبرية خلال المدة المحصورة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وعند التعمق في التحليل والتمحيص سنلاحظ أنَّ دائرة القنصلية الحبرية لم تستطع التمييز والتفريق بوضوح بين معنى المفردتين "كلدان وآشوريين"، لذا نراها تُسَمِّي بطريرك الآشوريين الشرقيين، بطريرك قوجانس، تمييزاً له عن منافسه المقيم في ألقوش الذي يُسَمَّى "بطريرك بابل"، وأنَّ تسمية "كلدان" بقيت تسمية تحكيمية يعتمدها السريان الشرقيون المنضمون إلى الكنيسة الكاثوليكية.

---

[1]: جان أوتير (١٧٠٧–١٧٤٨م) سويدي ترأس بعثة للمنطقة (١٧٣٤–١٧٤٤م).

[2]: رحلة ديللافاليه، ترجمة بطرس حداد ص ٦٩-٧٠. علماً أنني راجعتُ النص الفرنسي.

ويصل المؤرخ شفاليه إلى النتيجة النهائية، وهي المهمة، قائلاً: إنَّ المأساة الحقيقية المتعلقة بموضوعنا هذا هي أنَّ هذه التسمية التي خلقت الانتساب الأسطوري أو الخرافي، شجع منذ سنة ١٩١٨م على اختلاق أو افتراض قومية آشورية أو كلدو آشورية كانت ومع الأسف الشديد سبباً لشرور كبيرة وتشرذم حَلَّ بجماهير المسيحيين عامة والنساطرة والكلدان خاصةً، كانت خاتمتها مذبحة سيميل ١٩٣٣م.

ثم يختم رأيه قائلاً: ختاماً نقول بمقولة الأب جان فييه النموذجية القائلة: إنَّ تضارب الآراء وكثرة الادعاءات الحاصلة خلال القرن العشرين لدى جماهير النساطرة فضلاً عن التسميات التقليدية المعتمدة في الكتاب المقدس لعبت أدواراً قاتلة في مجرى تطور حضارة هذه الجماهير لأنها جعلتها تعيش الخيال بأسماء رنانة اتخذوها أسماءً لأبنائهم (في الوقت الحاضر) مثل سركون وسنحاريب وأسرحدون وشميرام وآشور.....إلخ، والتي صبغت تاريخ الآشوريين القدماء بطابع العظمة والافتخار[1].

وبدون أدنى شك فإنَّ الأب جان فييه وشفالييه وغيرهما من الكُتَّاب الغربيين قد استوعبوا كثيراً من تفاصيل التسميات القومية والطائفية لمسيحيِّي الشرق، ولكن، بما أنَّ هؤلاء الكُتَّاب هم غربيون فإنهم أخذوا الموضوع من وجهة نظر تاريخية ودينية عموماً كما رأينا، وإنني أرى أنَّ هناك أسباباً أخرى تتعلق بطبيعة العقلية الشرقية المتعصبة في اتخاذها الأسماء الدينية والقومية الخاصة بها، وبما أنني شرقي عشت هذا الواقع بتفاصيله، فإنني (قد) أفهم هذه العقلية أكثر، لذلك سوف أُعقِّب على هذا الموضوع في فصل لاحق بعنوان (طبيعة العقلية الشرقية).

---

[1]: ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية ص ١٧٩–١٨١.

في لغة السريان الشرقيين من الآشوريين والكلدان

الشيء الوحيد والواضح الذي يعترف به المثقفون والأدباء ورجال الدين الآشوريون والكلدان هو أنهم يتكلمون اللغة السريانية، ولو أنَّ هذا الاعتراف أحياناً يأتي على مضض، أمَّا عامة الشعب التي لا تعرف الحقائق التاريخية والثقافية، فإنهم غالباً ما يُطلقون على لهجتهم السريانية الشرقية التي يتكلمون بها "اللغة الكلدانية أو الآشورية"، ويجهلون أنه لا توجد لغة باسم آشورية أو بابلية أو كلدانية، فاللغة الآشورية والبابلية القديمة هما لهجتان جغرافيتان للغة الأكدية التي بدأت بالانقراض قبل انقراض الدولتين الآشورية والكلدانية، وكانت لغة هامشية في عهد الدولتين الآشورية والكلدانية، وأنَّ هاتين الدولتين تكلمتا الآرامية أي السريانية كما سيأتي الكلام عنهما لاحقاً[1].

إنَّ ما يُسَمَّى بلغة آشورية أو بابلية أو كلدانية خطأً، هو بالحقيقة لهجتان للغة الأكدية بأبجدية مسمارية لا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة، وقد اقتبسها الساميون البابليون أصلاً من السومريين، وكانت كتابتها قريبة في البداية من الكتابة الصينية الرمزية الصورية حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م.، ثم تطورت من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة الشبيهة بالمسامير[2]، وبحلول سنة ٢٤٠٠ ق.م. تم اعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكدية، واستُعمل نفس الخط بعدئذ في كتابة اللهجتين الآشورية والبابلية التي يُسَمِّيها المستشرقون، الكتابة الأسفينية المثلثة أو المسمارية، ولم يكن بالإمكان كتابتها على الورق أو الجلود اسوةً باللغة الآرامية والهيروغليفية المصرية، بل على الطين فقط، ثم يتم حرقه ويُسَمَّى (الآجر)، وهي كلمة بابلية قديمة بقيت مستعملة إلى الوقت الحاضر.

---

[1]: من القرن ٨ ق.م.، بدأت السريانية (الآرامية) تسود كل بلاد آشور، أمَّا بابل فكانت لغة حُكَّام دولة الكلدان من سنة ٦١٢ ق.م. وبعدها أيضاً كانت لغة البلاط الفارسي.

[2]: هناك اعتقاد أنَّ الكتابة وصلت الصين عن طريق تجار بلاد ما بين النهرين.

لـذلك بعـض الهـواة وأوائـل الرحَّالـة والمنقـبين عـن الآثـار في العـراق عنـدما نقلـوا بعـض القطـع المكتوبـة بـالخط المـسماري إلى أوربـا قبـل القـرن التاسـع عـشر، احتـاروا فيهـا وظـن الـبعض أنهـا عبـارة عـن نقـوش أو زخـارف[1]، وحتـى هنـــري لايـــارد نفـــسه لم يعـــرف في بدايـــة اكتـــشافاته الأثريـــة في نينـــوى وضـــواحيها مـــا هـــي هـــذه اللغـــة، ففـــي رســـالة أرســـلها إلى والدتـــه في نيـــسان ١٨٤٦م يقـول: يـسرني أن أقـول لـكِ إنـي قـد توصـلت إلى بعـض النتـائج مثـل أسمـاء المـدن والأشـخاص ولكـن إلى الآن لم اسـتطع فـك خطوطهـا، ولكـن بمـساعدة الميجـر روالنـصون، آمـل أن أتوصـل قريبـاً إلى حـل أبجـديتها، أمَّـا بالنـسبة للغـة فهـل هـي كلدانيـة؟، أو هـي واحـدة مـن اللـهجات المنـسية الـتي تعـود لإحـدى اللغـات الـتي لم تـزل موجـودة ويمكـن التوصـل إليهـا بالبحـث والمقارنة؟، أو هي لغة غير معروفة لا بد من إعادة بنائها من جديد؟[2].

عنـدما بـدأ المستـشرقون المتخصـصون في اللغـات في القـرن التاسـع عـشر، أمثـال الألمـاني جـورج فريـدريك جورتفنـد (١٧٧٥–١٨٥٣م) والأيرلنـدي إدوارد هـــــنكس (١٧٩٢–١٨٦٦م) وفريـــــدريش ديلـــــتش (١٨٥٠–١٩٢٢م)، وراولنـــصون أبـــو الخـــط المـــسماري، وجـــوليس اوبـــرت (١٨٢٥–١٩٠٥م) وغيرهـم، بدراسـة آثـار نينـوى وبابـل، واجهـوا صـعوبات كـبيرة في حـل رمـوز هـذه اللغـة، واسـتطاعوا التوصـل إلى حـل رموزهـا عـن طريـق مقارنـة نـص واحـد مكتـوب بلغـات أخـرى معروفـة إلى جانـب الخـط المـسماري علـى نفـس القطعـة الأثريـة كالفارسـية والعيلاميـة والآراميـة وغيرهـا، ومقارنـة ذلـك مـع المـصادر التاريخيـة وخاصـةً الكتـاب المقـدس، وأعلنـوا أخـيراً أنهـم اكتـشفوا

---

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١ ص١٢٠.

[2]: نو أكوبي، الطريق إلى نينوى ص ٢٦٩–٢٧٠.

لغـة قديمـة ميتـة واسـتطاعوا حـل رموزهـا[1].

في بدايـة الأمـر احتـار علمـاء اللغـة مـاذا يُـسَمُّون هـذه اللغـة والكتابـة فـسَمَّاها العلمـاء في البدايـة لغـة العـصر الـشبيه بالكتـابي (Proto Literate)، ثـم سَـمَّوا الكتابـة المكتـشفة "الأسـفينية أو المـسمارية Cuneiform"، لأنهـا ليـست صـورية بحتـة كالـصينية والهيروغليفيـة ولا حَرفيـة (ذات حـروف) كالآراميـة، بـل شـكلها يـشبه الأسـفين (الوتـد) أو المـسمار، ويقـول الـدكتور أحمـد سوسـة: إنَّ نقـاري مدينـة الموصـل الـذين كـانوا يعملـون في جـامع الـنبي يـونس (يونـان) بإشـراف هرمـز رسـام سـنة (١٨٨٨–١٨٩١م)، هـم أول مـن أطلـق اسـم الكتابـة المـسمارية علـى الخـط المسماري، لأنهم على بساطتهم لاحظوا أنَّ الكتابة تشبه المسامير[2].

كـان مـن الطبيعـي علـى هـؤلاء العلمـاء أن يطلقـوا اسمـاً معينـاً علـى اللغـة المكتـشفة، ولأن أغلـب الكتابـات المـسمارية اكتـشفت في نينـوى عاصـمة آشـور القديمـة، لـذلك أطلقـوا عليهـا في البدايـة اسـم اللغـة الآشـورية، ولكـن بعـد أن انجلـت آثـار بابـل في جنـوب العـراق ولاحـظ العلمـاء التـشابه الكـبير

---

[1]: حامـد عبـد القـادر، الأمـم الـسامية ص٢٢. علمـاً أنَّ مفتـاح الحـل كـان حجـر بهـستون الإيرانـي الـذي كـان مكتوبـاً بـثلاث لغـات هـي المـسمارية والفارسـية والعيلاميـة، واسـتطاع العلمـاء سـنة ١٨٥٠م مـن ترجمـة النـصين الفارسـي والعيلامـي، وبعـد مقارنـة النصوص المترجمة حُلّت رموز الخط المسماري سنة ١٨٦٠م.

[2]: أحمـد سوسـة، حـضارة وادي الرافـدين ص١٥٥. ونقـار يعـني المـشتغل بالحجـارة، علمـاً أنَّ جميـع نقـاري مدينـة الموصـل هـم مـن الـسريان تحديـداً، مثـل أسـرة معمـار باشـي النقـار، عـازار، سـكوني، عـزوز، الـسبع، بطـي، وغيرهـم، وبـذلك تكـون الـصدفة قـد مكنت هؤلاء البسطاء من السريان أن تكون لهم كلمة تاريخية في هذا المجال.

بين اللغة البابلية والآشورية، اتضح لهم أنَّ لفظة (آشور) لا تفي بالمراد، فأطلقوا على كتلة اللهجات السامية في العراق اسم اللغة البابلية الآشورية، ثم استخلص المستشرقون المحدثون من النقوش المسمارية أنَّ أهل بابل أطلقوا على لغتهم كلمة (الأكدية)، لأنَّ منطقة بابل كانت تُعرف بأرض أكد كما ورد في النقوش حيث نقرأ فيها أنَّ عدداً من ملوك بابل لُقِّبوا باسم ملوك أكد وسومر، وهو مطابق لأسماء المناطق كما في التوراة[1]، وبذلك استقر اسم التسمية الأكدية على هذه اللغة.

إنَّ اللغة التي يتكلم بها السريان الشرقيون (الكلدان والنساطرة الآشوريون)، هي: اللغة السريانية (ܣܘܪܝܝܬܐ سوريِيثا)، بلهجتها الشرقية، (ܡܕܢܚܝܐ مدنحايا).

في اللغة السريانية هناك مذكر ومؤنث، فيقال مثلاً، هذا الولد سرياني (سوريَيا ܣܘܪܝܝܐ)، أو (سورايَا ܣܘܪܝܐ)، وهذه البنت سريانية (سوريثا ܣܘܪܝܬܐ بإضافة تاء التأنيث)، وأحياناً يُستعاض عن حرف الثاء بحرف التاء لأنَّ حرف الثاء باللغة السريانية حرف ليِّن، بينما حرف التاء أصيل، فتُكتب بالتاء (سوريتا).

إنَّ كلمة (لغة) كمفردة غير موجودة باللغة السريانية الفصحى، ويقابلها كلمة (لسان)، فيقال بالسريانية بصيغة المذكر فقط (أنا أتكلم اللسان السرياني ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܐ)، ولا تُستعمل بصيغة المؤنث مثل العربية (أنا أتكلم السريانية)، لكن عامة الناس تؤنثها باللهجة المحكية مثل العربية لسهولة النطق فيقال أنا أتكلم السريانية (سوريِيثا ܣܘܪܝܝܬܐ) أو (سورث ܣܘܪܬ)، والكلمة الأخيرة سورث، معناها اللهجة السريانية

[1]: أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص٢٢ هامش١.

المحكيـــة، وهـــي اختـــصار كلمـــة (ســـوريثا بائيـــث)، ومعناهـــا، بحـــسب الـــسريانية أو هـــي الـــسريانية[1]، وينطبـق هـذا علـى تـسميات اللغـات الأخـرى فيُسَمُّون التركية (توركث)، والكردية (قوردث)، والمغولية (مغلث).

واللغـــة الـــسريانية الـــتي يـــتكلم بهـــا الـــسريان الـــشرقيون الكلـــدان والآشـوريون شـأنها شـأن أي لغـة في العـالم تـضم عـدة لهجـات محكيـة لهـا تـسميات محليـة مثـل، فَلِّيحـي أي لهجـة الفلاحـين، أو جيلوايـا أو بزنايـا نـسبة إلى قبـيلتي جيلويـا وبـاز، أو دشـتايا أي لهجـة الـسهل، وأحيانـاً تنـسب إلى اسـم المنطقـة أو القريـة مثـل ألقوشـنايا أي لهجـة ألقـوش، تلكبنايـا أي لهجـة تلكيـف.....إلخ، وكتـب الكـاهن القـانوني الأنكلكـاني آرثـر مـاكلين سـنة ١٨٩٥م يقـول: إنَّ عـدد لهجـات الـسريان الـشرقيين تـصل إلى اثـنتي عـشرة لهجـة محليـة، ولكـل قريـة أسـلوبها الخـاص في الحـديث يميزهـا عـن القـرى الأخـرى، ويُقَـسِّم مـاكلين اللـهجات الـسريانية إلى أربـع مجموعـات رئيـسة، مجموعـة سـهل أورميـا والموصـل، باسـتثناء ألقـوش الـتي تـشكل المجموعـة الثانيـة وتمتـد إلى زاخـو وبوتـان وتـشترك معهـا قريـة أشـيثا، والمجموعـة الثالثـة هـي مجموعـة عـشائر التيـاريين وبـاز وديـز وطـال ووالطـو، والمجموعـة الرابعـة هي المجموعة الشمالية لسلامس وقوجانس وكوفار وجيلو.

وهـذه اللـهجات الـسريانية لم يكـن لهـا في يـوم مـن الأيـام قواعـد أو وسـيلة للكتابـة، ومـا أكثـر الكتـب في العـالم الـتي تتحـدث عـن اللـهجات المحليـة أو الـشعر الـشعبي والقـصائد لكـل لغـة في المنـاطق المختلفـة الـتي تـصل أحيانـاً إلى لهجة مستقلة لكل قرية أو قبيلة.

---

[1]: راجـع كلمـة سـورث وسـوريتا في قـاموس دليـل الـراغبين في لغـة الآرامـيين، المطـران أوجين منا الكلداني ص٤٨٧، وقاموس روض الكلم، بنيامين حداد ص ٤٨٦.

يقـول المبـشر القـس بـادجر: إنَّ كافـة الطقـوس القديمـة للنـساطرة تـتم كتابتهـا باللغـة الـسريانية الكلاسـيكية (الفـصحى أو الكتابيـة) المـستعملة في الـشرق منـذ زمـن طويـل، أمَّـا لـسان العامـة مـن سـكان النـساطرة في الجبـال والكلـدان في الـسهول، فهـي لهجـة سـريانية تُـسَمَّى Fellehi فَلِّيحي (لهجة الفلاحين) أو سورث Soorith (بحسب السريانية)[1].

الخلاصـة: كلمـة سـورث معناهـا (بحـسب الـسريانية أو هـي الـسريانية، أو سـريانياً)، وتُـستعمل باللهجـة المحكيـة العاميـة للدلالـة علـى اللغـة الـسريانية، أي اللسان السرياني.

ولمـا كانـت أكثريـة الـشعب المـسيحي في منـاطق شمـال العـراق جاهلـة بـالقراءة والكتابـة باللغـة الـسريانية الكتابيـة (كثوبونيـا) أي الفـصحى، فقـد كـان هـدف المبـشرين والمرسـلين الغـربيين هـو كـسب هـؤلاء النـاس البـسطاء كـل لطائفتـه، وتعـريفهم بتـاريخهم الـديني ليكونـوا أكثـر وعيـاً بوضـعهم التـاريخي والروحـي، ومـن جهـة أخـرى لتـسهيل مهمـة المبـشرين للتعامـل مـع هـؤلاء النـاس، لـذلك قـام قـسم مـن المبـشرين الغـربيين بإتقـان اللـهجات الـسريانية الـتي يـتكلم بهـا مـسيحيِّو هـذه المنـاطق، ثـم ألَّفُـوا عـدة كتب وقواميس في قواعدها ونصوصها.

قبـل سـنة ١٨٣٥م جـرت بعـض المحـاولات البـسيطة في ألقـوش لكتابـة اللهجـة الـسريانية المحكيـة لكنهـا لم تـنجح، وكانـت أغلبهـا كتابـات بـسيطة باليـد لا تتعـدى بعـض القـصائد والقـصص الـشعبية، ويقـول الأب يوسـف حَبِّـي: لم يُخلِّـد لنـا التـاريخ أدبـاً قـديماً للـسورث، لأنَّ العقليـة لم تكـن

[1]: بـادجر النـساطرة وطقوسـهم أو الرحلـة إلى ميزوبوتاميـا وكردسـتان بـين سـنة (١٨٤٢–١٨٤٤م) طبعة لندن الإنكليزية ١٨٥٢م، ج٢ ص ١٤٦.

تتحمــل آنــذاك تــسجيل الــتراث الــشعبي بــشتى أصــنافه، وكانــت اللغــة السريانية الكلاسيكية هي الرسمية في التدوين[1].

وأول مـن اهـتم بهـذا الأمـر هـو القـس ديفيـد تابـان سـتودارد الـذي وضـع أول كتـاب قواعـد للهجـة الـسريانية الـتي يـتكلم بهـا مـسيحيّو أورميـا النـساطرة واحتــوى الكتــاب علــى عــشرة آلاف لفظــة، وطبــع في لنــدن ســنة ١٨٥٥م بعنـوان "Syriac language as spoken in Oroomia and Kurdstan اللغـة الــسريانية المحكيــة في أورميــا وكردســتان"، ثــم وضــع زميلــه ألــبرت لــويس هوليــداي كتــاب قــراءة في الــسورث، تبعــه ســتودارد في وضــع كتــاب آخــر في قــراءة الــسريانية المحكيــة، وواصــل العمــل بعــدهما جوزيــف كوشــران (١٨١٧–١٨٧١م) الــذي وصــل أورميــا ســنة ١٨٤٨م ووضــع كتابــاً في قواعــد الــسريانية المحكيــة، بعــد ذلــك قــام الألمانيــان سوســين وادورد ســاخو ســنة ١٨٩٦م وغيرهمــا بكتابــة بعــض الكتــب في قواعــد وخــواص اللــهجات الــسريانية المحكيــة في منطقــة أورميــا عمومــاً، والكتــاب المهــم الآخــر في هذا المجال هو الذي ألَّفَهُ آرثر جون ماكلين في سنة١٨٩٥م واسمه:

Grammar of the dialects of vernacular Syriac as spoken by the Syrians of Kurdistan, north-west Persia and the plain of Mosul.

(قواعــد اللهجــة العاميــة الــسريانية المحكيــة للــسريان في كردســتان وشمــال غــرب بــلاد فــارس وســهل الموصــل)، وهــذا هــو أول كتــاب يــصدر بخــصوص اللــهجات الــسريانية المحكيــة مــن قِبَــل الــسريان الــشرقيين الكلــدان والآشــوريين الــساكنين في المنــاطق المــذكورة وخاصــةً في الموصــل وسهل نينوى، ثم وضع قاموساً للهجات السريانية المحكية سنة ١٩٠١م.

---

[1]: مجلة المجمع العلمي– الهيئة السريانية، مجلد ١٦، بغداد ١٩٩٦م، ص ٩٨.

كـــان الغربيـــون المتخصـــصون في اللغـــات وعلـــم الأجنـــاس والقوميـــات وتلافيـاً للخلـط بـين الـسوريين والـسريان يـستعملوا أحيانـاً كلمـة Syriac بـدل كلمـة Syrian للدلالـة علـى الـسريان كـشعب وكقوميـة، خاصـةً عنـدما تـأتي كلمـة الـسريان لوحـدها غـير مقترنـة بكلمـة أخـرى كالـسريان الـشرقيين أو الـسريان الأرثـوذكس .....إلخ)[١]، لـذلك اسـتعمل آرثـر مـاكلين كلمـة Syriac لتـدل علـى لغـة الـسريان، ومـن الملاحـظ أنـه اسـتعملها لأنهـا أتـت لوحـدها، علمـاً أنَّ كلمـة Syriac نفـسها تـأتي في المعـاجم الغربيـة لتـدل على السريان كشعب وقومية.

بعـدها قـام الأب جـان ريتـوري الـدومنيكي بتـأليف كتـاب "قواعـد لغـة الـسورث أو الكلدانيـة العاميـة اعتمـاداً علـى اللهجـة المحكيـة في الموصـل والمناطق المجاورة".

Grammaire de la langue soureth ou chladéen vulgaire selon le dialecte de la plaine de Mossoul et de pays adjacents.

طُبـع الكتـاب في مطبعـة الـدومنيكان في الموصـل سـنة ١٩١٢م، وأُعيـد طبعـه ثـلاث مـرات إلى سـنة ١٩٥٠م، ومـن خـلال عملـه كأسـتاذ للغـة الـسريانية والأرمنيـة في الأعـوام (١٨٩٤–١٨٩٨م) في قـسم كليـة الكتـاب المقـدس للآبـاء الـدومنيكان، تَعمَّـقَ إلمامـه بالـسريانية وكثـرت مقالاتـه بهـذا الـشأن في مجلـة Liasse الفرنـسية الـتي كانـت تـصدر في بدايـة القـرن

---

[1]: وردت كلمـة syriac لتـدل علـى اللغـة الـسريانية وعلـى الـسريان كـشعب وأُمـة قوميـة في قـاموس longman، طبعـة لنـدن ١٩٦٨م، ص ١١٢٤، وكـذلك قـاموس المـورد طبعـة بـيروت ١٩٩٦م، ص٩٤١، وقـاموس وبـستر الأمريكـي طبعـة ٢٠٠٠م، وأيـضاً سبـستيان بروك، اللؤلؤة المخفية في تطور اللغة السريانية طبعة ايطاليا ٢٠٠١م، ج١ ص ٣٨.

العشرين، ويجب الإشارة أنَّ الأب ريتوري له مخطوطة غير منشورة تَمَّت كتابتها سنة ١٩١١م مؤلفة من ٣٠٧ صفحات بعنوان "قواعد السورث الشرقية الصحيحة" ذكرتها مجلة Liasse عدد ٢٠، يؤكِّد فيها أنَّ مفهوم اللهجة الشرقية التي يتكلم بها الكلدان والنساطرة، هي المكتوبة بالألف باء السريانية.

من الملاحظ أنَّ جميع المؤلفات في هذا المجال كانت تستعمل كلمة dialects أو vulgaire أي اللهجة المحكية أو العامية وليس الفصحى.

المهم في كل الأمر أنَّ المبشرين لم يكن هدفهم يتجاوز ترجمة الكتب المقدسة باللهجة السريانية المحكية تسهيلاً للمؤمنين، وليس لإيجاد كلمة أخرى سوف تُستغل ويتم إخراجها من سياقها لتُستعمل لإغراض أخرى، إذ أنَّ قسماً كبيراً من الآشوريين والكلدان المتعصبين استغلوا كلمة سورث التي تعني اللهجة السريانية المحكية العامة وبدؤوا يستعملون بكثرة عبارة لغة السورث في كتاباتهم ولا يستعملون عبارة اللغة السريانية محاولين قدر الإمكان الابتعاد نوعاً ما عن الاسم السرياني، وعندما سُئل كوشران ماذا كانت مساهمة المبشرين الأميركيين الرئيسة للشعب؟، قال بكل بساطة:

We wrote the grammar for their Syriac vernacular and translated the Bible for them, so they could read it in their own language.

(نحن كتبنا قواعد لغتهم السريانية العامية وترجمنا لهم الكتاب المقدس حتى يتمكنوا من قراءته بلغتهم الخاصة).



الأب جاك ريتوري الدومنيكي (١٨٤١-١٩٢١م)
صاحب كتاب لهجة السورث السريانية

التاريخ يكتبه الأذكياء على حساب البسطاء

هذا العنوان ليس من عندي، بل حَوَّرتهُ من مقالة نُشرت في مجلة Liasse عدد ١٧ في بداية القرن العشرين بعنوان "المسيحيون السذج" للأب جاك ريتوري الدومنيكي الذي أحب اللغة السريانية كثيراً وتعلمها في دير يعقوب (ياقو) مقر أسقفية سعرت الكلدانية سنة ١٨٨١م، وصار أستاذاً لها، ولعب دوراً مهماً في تعزيز استخدام كلمة لغة السورث (بدون قصد منه طبعاً).

منذ بداية القرن العشرين بدأ إلهام وخيال الاسمين الجديدين (الكلدان والآشوريين) يسري على مثقفي الكنيستين ورجال دينها، كما ذكرنا سابقاً، ويبدو أنه حتى كلمة سورث لم تعد تشبع إلهامهم، فبدؤوا بإطلاق تسمية خاصةً للغة السريانية التي تتكلم بها كل طائفة، أي أنَّ الكلدان بدؤوا يقولون إنهم يتكلمون اللغة الكلدانية، والآشوريون اللغة الآشورية، وبدون شك إنَّ ذلك انطبع على غالبية الشعب البسيط الذي بقي يعتقد أنه يتكلم الكلدانية أو الآشورية[1].

---

[1]: نتيجةً لحجب الحقيقة عن هؤلاء الناس البسطاء من قِبَل رجال الدين والمثقفين، فقد حدثت هوة ثقافية بين السريان، فعندما بدأت الهجرة إلى أوربا، تفاجأ الكلدان والآشوريون بوجود جالية من أبناء جلدتهم السريان من مدن القامشلي وطور عبدين وماردين وغيرها، وإذا سُئل آشوري أو كلداني ما هي لغة سريان القامشلي وهل تختلف عن لغتك؟، يجيب هو يتكلم السريانية وأنا أتكلم الكلداني أو الآشوري، أمَّا إذا سُئل السرياني من القامشلي بماذا يتكلم الآشوريون والكلدان؟، يجيب هم يتكلمون اللغة السريانية بلهجتها الشرقية (**ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܐ ܡܕܢܚܝܐ**)، وأنا أتكلمها بلهجتها الغربية (**ܠܫܢܐ ܣܘܪܝܐ ܡܥܪܒܝܐ**)، وهذا هو التعبير الصحيح.

إنَّ هـذا الأمـر واضـح جـداً خاصـةً عنـد الكلـدان الـذين كـانوا نـشيطين جـداً بالتـأليف والترجمـة مقارنـة بالآشـوريين، وذلـك بـسبب كثـرة البعثـات التبـشيرية الكاثوليكيـة في العـراق، ومنهـا وجـود عـدد كـبير مـن المـدارس في بدايـة القـرن العـشرين تابعـة لتلـك الإرسـاليات والـتي كـان أغلـب طُلاَّبهـا مـن الكلـدان (كنـتُ أنـا أيـضاً أحـد طُلاَّبهـا)، حيـث كـان لتلـك المـدارس أثـر كـبير في نـشر الثقافـة والعلـم لأنهـا كانـت ذات مـستوى علمـي عـال في كـل الجوانـب، وخاصـةً في مجـال اللغـات، فكانـت تُعلِّـم اللغـة الإنكليزيـة والفرنـسية مـن مرحلـة الروضـة والتمهيـدي أي قبـل المرحلـة الابتدائيـة، وقـد سـاهمت تلـك المـدارس بتخـريج باقـة ممتـازة مـن المترجمـين لعبـوا دوراً مهمـاً فيمـا بعـد سـاهم في إغنـاء المكتبـة العربيـة المـسيحية وذلـك بترجمـتهم عـدد كـبير مـن الكتـب التاريخيـة والدينيـة مـن اللغـات الأجنبيـة وخاصـةً مـن الإنكليزيـة والايطاليـة والفرنـسية إلى اللغـة العربيـة، لكـن المـشكلة كانـت في أنَّ القـسم الأكـبر مـنهم كـان ملـهماً ومغرمـاً بالاسـم الكلـداني الـدخيل علـى حـساب الاسـم الـسرياني الأصـيل، فبـدؤوا يكتبـون أنهـم يتكلمـون ويـستعملون اللغـة الكلدانيـة، وعنـدما يُترجمـون الكتـب مـن اللغـات الأجنبيـة إلى العربيـة، يترجمـون اللغـة الـسريانية أو الآراميـة إلى اللغـة الكلدانيـة، وهـذا لـيس خطـأ غـير مقـصود، بـل تَعمُّـدٌ مُـسبق لتـشويه الحقـائق التاريخيـة والالتفـاف علـى الاسـم الـسرياني الأصـيل للطائفـة واللغـة التي تتكلم وتكتب بها.

ونجـد هـذا الأمـر واضـحاً عنـد المـؤرخين في الجيـل الحـديث مثـل البطريـرك روفائيـل الأول بيداويـد الـذي قـام بإعـادة طبـع كتـاب دليـل الـراغبين في لغـة الآرامـيين للعلاَّمـة المطـران أوجـين منَّـا الكلـداني، حيـث قـام البطريـرك بكتابـة اسـم قـاموس كلـداني – عربـي علـى غـلاف الكتـاب

عند إعادة طبعه[1]، أمَّا الأب بطرس حداد والأب يوسف حَبِّي وغيرهما، فإنهم يستعملون دائماً اللغة الكلدانية بدل السريانية، وعندما يترجمون الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية، يترجمون عبارة اللغة السريانية بالكلدانية، وفي أحسن الأحوال عندما يكونون فيها مجبرين على استعمال كلمة اللغة السريانية لدواعي الترجمة أو البحث التاريخي الدقيق فإنهم يستعملون كلمة (سورث)، أمَّا عند حضورهم لمؤتمر أو إلقاء محاضرة عامة لغير الكلدان فإنهم يستعملون اللغة الآرامية والآراميين هروباً من الاسم السرياني.

في صيف سنة ١٩٩٩م التقيتُ المؤرخ القدير المرحوم الأب يوسف حَبِّي في بغداد وكان يتكلم مع بعض الرعية في فناء الكنيسة بالسرياني، فحييته بالعربية وأبديت له إعجابي به وبكتاباته وجهوده الكبيرة ومنها مجمع اللغة السريانية الذي كان هو يرأسه، فسألني إن كنتُ أتكلم (السورث) وقال لي: لازم ما تعرف تحكي سورث؟، فأجبته وماذا تقصد بكلمة سورث بالضبط يا أبونا؟، هل تقصد سرياني؟، فقال لي: يعني اللهجة المحكية بحسب السريانية، ثم سألني مبتسماً: هل أنت سرياني؟، واحتراماً لمقامه الكهنوتي لم أجرؤ أن أقول له: المهم أنك أنت سرياني لأنك تتكلم السورث التي تعني السريانية، فأجبته وقلت له أبونا: المهم إنَّ لغة السورث التي تتكلم بها أنت هي السريانية، فابتسم لي مرة أخرى وذهب لأنه كان مشغولاً.

---

[1]: أخبرني الأديب السرياني جوزيف أسمر ملكي أنَّ ابن عم البطريرك بيداويد واسمه متي بيداويد هو الذي موّل طبع الكتاب واشترط أن يكتب عليه، قاموس كلداني – عربي، لكي يطبعه على نفقته.

ولا شَـكَّ أنَّ هنـاك مـن كـانوا دقيقـي التعـبير ومنـصفي الكتابـة مثـل البطريـرك الكلـداني تومـا أودو الـذي ألَّـفَ قاموسـاً رائعـاً سـرياني – سـرياني عنـدما كـان مطرانـاً سمـاه (ܣܝܡܬܐ ܕܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ كنـز اللـسان الـسرياني ، كنـز اللغـة الـسريانية)، وكـذلك الأسـتاذ القـدير بنيـامين حـداد الـذي ألَّـفَ قاموسـاً ممتـازاً عربـي– سـرياني سَـمَّاه (روض الكلـم)، وأيـضاً الأب ألـبير أبونـا الـذي قَلَّمـا يـستعمل اللغـة الكلدانيـة بـل يـستعمل اللغـة الـسريانية وأحيانـاً الآراميـة وحـسب مقتـضيات الموضـوع، إذ أنَّ الـسريانية قبـل المـيلاد كانـت تُـسَمَّى الآراميـة، وألَّـفَ كتابـاً مهمـاً في تـاريخ الكنيـسة الكلدانية والنسطورية سَمَّاه "تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية".

في محاضـرة للكاتـب والأديـب جميـل روفائيـل بطـي أقيمـت في النـادي الثقـافي الأثـوري بتـاريخ ١٩٧١/٥/١٦م بعنـوان: "دور اللغـة الـسريانية في الحـضارة الإنـسانية"، قـال بطـي: إنَّ الأثـوريين والكلـدان المعاصـرين يتكلمـون اللغـة الـسريانية ولـيس اللغـة الآشـورية أو الكلدانيـة الـتي كانـت إحـدى اللـهجات الأكديـة وانقرضـت قبـل أكثـر مـن ألفـين وخمـسمئة سـنة، مثبتـاً ذلـك بالأدلـة اللغويـة والتاريخيـة مـن مـصادر الآشـوريين والكلـدان أنفـسهم، فـنهض أحـد الحاضـرين مـن الآشـوريين المتعـصبين، وأصَـرَّ علـى أنَّ اللغـة الـتي يـتكلم بهـا أثوريـو اليـوم، هـي الآشـورية القديمـة، وعَـدَّدَ لـه بعـضاً مـن الكلمـات، فأجابـه جميـل روفائيـل بطـي: إنَّ علاقـة هـذه الكلمـات باللغـة الآشـورية هـو كعلاقـة اللغـات الـسامية ببعـضها، وفي نفـس الوقـت نهـض أحـد الحاضـرين وكـان أثوريـاً طالبـاً في قـسم الآثـار بكليـة الآداب، وبـدأ يقـرأ في ورقـة كانـت في يـده، ثـم طلـب مـن الـسائل الآشـوري الأول (المتعـصب) أن يُبَـيِّن لـه إن كـان قـد فهمهـا أم لا؟، فَـرَدَّ عليـه "بأنـه لم

يفهمهـا"، فقـال لـه: إنَّ هـذه هـي اللغـة الآشـورية، ولـو كانـت لغتنـا، لكُنـتَ قد فَهِمتَ ما ورد في هذه الورقة[١].

يقـول الراهـب النـسطوري ثيـودوروس بركـوني الـذي عـاش سـنة ٦٤٠م تقريبـاً في كـسكر (قلعـة سـكر العراقيـة حاليـاً) وتحـت عنـوان (مـا هـو سـبب بلبلـة اللـسان): لـو قابلـتَ اللغـة البابليـة القديمـة مـع الـسريانية، فإنـك لا تجد فيها واحداً من مئة من السريانية[٢].

يكتـب الـدكتور ولـيم ويكـرام وهـو مـن المـساندين للآشـوريين: الآشـوريون الحـاليون يـستعملون اللغـة الـسريانية، واللغـة الأثوريـة الحاليـة بـلا شك هي لهجة من لهجات اللغة الآرامية[٣].

بتـاريخ ١٩٧٢/٤/٢٦ أصـدرت الحكومـة العراقيـة قـراراً بمـنح الحقـوق الثقافيـة للنـاطقين بالـسريانية مـن الـسريان والكلـدان والآشـوريين، وعلـى ضـوء ذلـك انهالـت مئـات مـن برقيـات الـشكر والثنـاء للمـسؤولين مـن قِبَـل رجـال الـدين والمـثقفين الـسريان والكلـدان والآشـوريين، وكثـرت التـصريحات الـصحفية والإعلاميـة لهـم، منهـا تـصريح بطريـرك الكلـدان بـولس الثـاني شـيخو، وبرقيـة المطـران يوسـف حنـا يـشوع وكيـل بطريركيـة الكنيـسة الـشرقية النـسطورية والـرئيس الأعلـى للطائفـة الأثوريـة في العـراق، وبرقيـة رئـيس وأعـضاء مجلـس الكنيـسة الأثوريـة الإنجيليـة

---

[1]: جميـل روفائيـل بطـي، أضـواء علـى قـرار مـنح الحقـوق الثقافيـة للمـواطنين النـاطقين بالسريانية ص ٦٤.

[2]: كتـاب التأويـل المجلـد الأول (Scholion) طبعـة بـاريس١٩١٠م، ص١١٣. طبعـه المطـران أدِّي شير بمجلدين. ويرد اسم الراهب أحياناً ثيودوروس كيواني أو ابن كوفي.

[3]: ويكرام، مهد البشرية ص٢٢٠.

(البروتستانتية)، وعمت الاحتفالات الشعبية والمسيرات كافة المحافظات العراقية التي يسكنها السريان والكلدان والآشوريون، وقد تناقلت الصحف وصفها كما يأتي: عَبَّرَ آلاف المواطنين من الأثوريين والكلدان والسريان عن فرحتهم بقرار منح الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية وذلك في مسيرة جماهيرية انطلقت صباح ١٩٧٢/٤/٢٨م من ساحة الطيران إلى وزارة الداخلية في بغداد.

وتم افتتاح قسم خاص في إذاعة بغداد تبث البرامج باللغة السريانية وتقول: (**ܠܟܐ ܐܝܠܐ ܒܪܬ ܩܠܐ ܕܒܓܕܕ ܒܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ** لخا إيلي برث قالا دبغدد بلشانا سوريايا)، أي: هنا صوت بغداد باللسان السرياني.

على إثر ذلك قام عدد من المثقفين العراقيين بإصدار الدراسات والتقارير التي تثبت أنَّ الكلدان والآشوريين هم سريان، منها دراسة مالك منصور من قسم الدراسات والتقارير في جريدة الثورة العراق بعنوان "الأقليات السريانية في مسيرة الثورة الظافرة".

المادة 196 من مدونة حمورابي

§196) šum-ma a-wi-lum i-in már a-wi-lim
uh-tab-bi-it i-in-šu u-ha-ap-pa-du

المادة 200 من مدونة حمورابي

§200) šum-ma a-wi-lum ši-in-ni
a-wi-lim me-eh-ri-šu it-ta-di
ši-in-na-šu i-na-ad-du-u

نماذج من الكتابة الأكدية لغة الآشوريين والبابليين والكلدان القديمة

١ ܟܬܒܐ ܕܝܠܝܕܘܬܗ ܕܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܒܪܗ ܕܕܘܝܕ ܒܪܗ
ܕܐܒܪܗܡ ❖

٢ ܐܒܪܗܡ ܐܘܠܕ ܠܐܝܣܚܩ ܐܝܣܚܩ ܐܘܠܕ
ܠܝܥܩܘܒ ܝܥܩܘܒ ܐܘܠܕ ܠܝܗܘܕܐ ܘܠܐܚܘܗܝ ❖

٣ ܝܗܘܕܐ ܐܘܠܕ ܠܦܪܨ ܘܠܙܪܚ ܡܢ ܬܡܪ ܦܪܨ ܐܘܠܕ
ܠܚܨܪܘܢ ܚܨܪܘܢ ܐܘܠܕ ܠܐܪܡ ❖

٤ ܐܪܡ ܐܘܠܕ ܠܥܡܝܢܕܒ ܥܡܝܢܕܒ ܐܘܠܕ ܠܢܚܫܘܢ
ܢܚܫܘܢ ܐܘܠܕ ܠܣܠܡܘܢ ❖

إنجيل متى الإصحاح الأول بالخط السرياني الأسطرنجيلي

ܫܘܒܚܐ ܠܗܘ ܕܒܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ ܒܦܘܡܗ ܩܕܝܫܐ ܢܓܗ ܘܐܠܦ.
ܘܡܠܦܢܘܬܗ ܡܚܝܢܝܬܐ ܠܫܠܝܚܘܗܝ ܛܘܒܬܢܐ ܣܘܪܝܝܬ ܐܠܦ ܘܩܡܘ.
ܐܒܗܬܐ ܒܚܝܪܐ ܘܡܠܦܢܐ ܡܗܝܪܐ ܕܥܕܬܐ ܠܡܦܫܩܘ ܡܠܬܐ ܕܦܪܘܩܢ
ܦܫܩܘ ܘܬܪܓܡܘ. ܘܛܟܣܐ ܫܦܝܪܐ ܕܥܕܬܐ ܣܕܪܘ ܒܗ ܒܗܕܐ
ܠܫܢܐ ܐܪܡܝܐ

الخط السرياني الشرقي الذي يكتب به السريان الشرقيون من الآشوريين والكلدان الحاليين

وترجمتها

المجد لذاك الذي نطق بفمه القدوس (المسيح) باللغة السريانية المجيدة وسَلَّمَ تعاليمه المحيية لرسله الطوباويين باللغة السريانية، وقام الآباء المتبحرون ومعلمو الكنيسة المهرة بتفسير وترجمة كلمة المُخلِّص (الإنجيل) ووضعوا طقوس الكنيسة الجميلة بهذه اللغة الآرامية

ܐܠܪܒ ܪܐܥܝ ܦܠܐ ܝܥܘܙܢܝ ܫܝ ܦܝ ܡܪܐܥ ܚܨܪ ܝܪܒܨܢܝ ܐܠܝ ܡܝܐܗ
ܐܠܪܐܚܗ ܝܘܪܕܢܝ ܝܪܕ ܢܦܣܝ ܝܗܕܝܢܝ ܐܠܝ ܣܒܠ ܐܠܒܪ ܡܢ ܐܓܠ
ܐܣܡܗ ܐܝܨܐ ܐܕܐ ܣܪܬ ܦܝ ܘܐܕܝ ܛܠ ܐܠܡܘܬ ܠܐ ܐܚܐܦ ܫܪܐ ܠܐܢܟ ܐܢܬ ܡܥܝ
ܥܨܐܟ ܘܥܟܐܙܟ ܗܡܐ ܝܥܙܝܐܢܢܝ ܬܪܬܒ ܩܕܐܡܝ ܡܐܝܕܗ ܬܓܐܗ ܡܨܐܝܩܝ
ܡܣܚܬ ܒܐܠܕܗܢ ܪܐܣܝ ܟܐܣܝ ܪܝܐ ܐܢܡܐ ܚܝܪ ܘܪܚܡܗ ܝܬܒܥܐܢܢܝ ܟܠ
ܐܝܐܡ ܚܝܐܬܝ ܘܐܣܟܢ ܦܝ ܒܝܬ ܐܠܪܒ ܐܠܝ ܡܕܐ ܐܠܐܝܐܡ.

مزمور ٢٣ بالكرشوني وبالخط السرياني الغربي التي يَكتب به السريان الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة

النساطرة (الآشوريون) والأسباط العشرة الضائعة من اليهود

هناك حقيقة تاريخية هي أنَّ الشعوب تهاجر وتستقر باستمرار، ومما لا شَكَّ فيه هو أنَّ النساطرة (السريان الشرقيين) هم سكان أصليون في بلاد بين النهرين منذ ما قبل الميلاد.

وقد كثرت الكتابات والدراسات التاريخية وخاصةً في القرنين الأخيرين حول أصل النساطرة الذين تَسمَّوا آشوريين مؤخراً، فهم قد عَدُّوا أنفسهم أحفاد الآشوريين القدماء، ومنهم من عَدَّهم أكراداً، وآخرون عَدُّوهم من بابل، وغيرها من الآراء، وذهبت بعض الآراء في هذه المسألة إلى أنَّ النساطرة (الآشوريين) ليسوا من سكان بلاد آشور الأصليين القدماء أصلاً، بل هم الأسباط العشرة الضائعة من اليهود الذين سباهم الآشوريون القدماء من إسرائيل وأسكنوهم في بلاد آشور، وأهم البحوث في هذا المجال هو البحث الذي قام به الدكتور والمبشر الأمريكي آشيل غرانت، فهل النساطرة (الآشوريين) هم الأسباط العشرة الضائعة أو التائهة من اليهود فعلاً؟.

وقبل أن ندخل في الموضوع ونُعلِّق عليه، علينا أن نعرف من هم الأسباط العشرة الضائعة من اليهود؟، وما هو تاريخهم في الدولة الآشورية القديمة؟.

كان اسم مملكة إسرائيل حتى وفاة الملك سليمان بن داود سنة ٩٣١ ق.م. يطلق على المنطقة التي يسكنها أسباط (أبناء) يعقوب الاثنا عشر، وهم: أشير، بنيامين، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، لاوي، نفتالي، يساكر، يهوذا، ويوسف (يذكر سبط يوسف غالباً باسم ولديه أفرايم ومنسَّى)، وكلمة سبط تعني عصا أو الرئيس الذي يحكم بعصا.

بعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى قسمين، قسم جنوبي يُسَمَّى "مملكة يهوذا"، وعاصمتها أورشليم بزعامة رحبعام بن سليمان يسكنه

سبطان رئيسان هما يهوذا وبنيامين، وقسم شمالي يُسَمَّى "مملكة إسرائيل"، وعاصمتها السامرة بزعامة يربعام نابـاط من سبط أفرايم يسكنه الأسباط العشرة الأخرى، والقسم الشمالي كان أكبر من الجنوبي بثلاثة أضعاف، واستناداً إلى سفر الملوك الأول، فإنَّ ذلك الانقسام كان بسبب شرور بني إسرائيل الكثيرة وبعدهم عن الرب، لذلك فإنَّ الله وعد بتمزيق إسرائيل، "وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط" (١ الملوك ١١: ٣١).

ونتيجة لشرور بني إسرائيل الكثيرة سَلَّط الله عليهم ظُلاَّماً مثلهم، وهم الآشوريون الذين كانوا بدورهم يمثلون الطغيان والاستبداد في العهد القديم، وأول هجوم للآشوريين على اليهود في إسرائيل كان في زمن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) الذي احتل إسرائيل وفرض الجزية عليهم، لكن الهجمات القوية وسبي اليهود إلى بلاد آشور بدأت بقيام الملك الآشوري تغلاث فلاصر الثالث (٧٤٦–٧٢٧ ق.م.) بالهجوم على مملكة إسرائيل الشمالية وتدمير كل إسرائيل عدا عاصمتها السامرة وسبى أغلب أهلها اليهود إلى آشور الذين كان يُقدَّر عددهم بأكثر من (٢٠٠,٠٠٠) نسمة، وهو السبي الذي تحدث عنه سفر الملوك الثاني، "في أيام فقح ملك إسرائيل (٧٣٧–٧٣٢ ق.م.) جاء تغلاث فلاصر ملك آشور وأخذ عيون وإبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالي وسباهم إلى آشور" (٢ ملوك ١٥: ٢٩)، ويضيف السفر: إنَّ المسبيين تم إسكانهم في شمال العراق وتركيا، "وسبى ملك آشور إسرائيل إلى آشور ووضعهم في حلح (خلكيتيس الحالية قرب التقاء الخابور بنهر الجيروجر)، وخابور نهر جوزان (غوزانا قرب تل حلف

الحاليــة) وفي مــدن مــادي (كردســتان الحاليــة)" (٢ ملــوك ١٨ : ١١)، ثــم قــام شلمنــصر الخــامس (٧٢٦–٧٢٢ ق.م.) بــالهجوم علــى الــسامرة وحاصــرها لمــدة ثــلاث ســنوات وســبى عــدداً مــن اليهــود لكنــه تــوفي قبــل أن يقتحمهــا ، بعــدها قــام خلَفــه ســرجون الثــاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) بــالهجوم علــى الــسامرة وتــدميرها والقــضاء علــى مملكــة إســرائيل نهائيــاً ، وســبى مــن اليهــود (٢٧٢٩٠) نــسمة وأســكنهم في ناحيــة حــران قــرب ضــفة الخــابور وميــديا ، ثــم قــام الملــك ســنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م.) بــالهجوم علــى مملكــة يهــوذا ســنة ٧٠١ ق.م. وســبى مــن اليهــود (٢٠٠١٥٠) شخــصاً وأســكنهم في بــلاد آشــور ، وهــو الــسبي الــذي تحــدث عنــه ســفر الملــوك الثــاني، "صــعد ســنحاريب ملــك آشــور علــى جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها" (٢ ملوك ١٨ : ١٣).

كانــت سياســة الدولــة الآشــورية هــي تــشتيت اليهــود المــسبيين علــى أرض الإمبراطوريــة الآشــورية في الجبــال المنيعــة كــي لا يتجمعــوا مــرة أخــرى ويحــاولوا العــودة إلى إســرائيل، فبقــوا منعــزلين عــن أبنــاء جلــدتهم مــن اليهــود البــاقين في المنــاطق الأخــرى، واعتقــد حاخامــات اليهــود في إســرائيل وبقيــة الــبلاد أنَّ اليهــود المــسبيين إلى آشــور قــد أصــبحوا وثنــيين، ولهــذا انقطــع الاتــصال بيــنهم وانقطعــت أخبــارهم، مــستندين بــذلك إلى ســفر الملــوك الثــاني "وســلك بنــو إســرائيل في جميــع خطايــا يربعــام الــتي عمــل، لم يحيــدوا عنهــا ، حتــى نحــى الــرب إســرائيل مــن أمامــه كمــا تكلــم عــن يــد جميــع عبيــده الأنبيــاء، فــسُبي إســرائيل مــن أرضــه إلى آشــور إلى هــذا اليــوم" (٢ ملــوك ١٧ : ١–٢٣)، وكــذلك ســفر أخبــار الأيــام الأول (٥ : ٢٦)، "وأتــى بهــم إلى حلــح وخابور وهارا ونهر جوزان إلى هذا اليوم".

وهؤلاء اليهود هم "الأسباط العشرة المفقودة" في التقاليد اليهودية.

في حقبة الدولة الفرثية (٢٤٧ ق.م.–٢٢٦م) لعب هؤلاء اليهود دوراً مهماً في إمارة حدياب (أربيل) الآرامية التي يسميها العرب (حزَّة) حين اعتنق ملكها الوثني الآرامي الأصل إيزاط (عزة) الثالث (٣٦–٦٠م) وأمه هيلانة الديانة اليهودية على يد تاجرين من اليهود (اسم أحدهم حنانيا)، وزارت هيلانة القدس سنة ٤٦م وتبرعت بالمال لإغاثة المحتاجين من المجاعة آنذاك، كما أبدت اهتمامها بصيانة الهيكل وتوفيت هناك ودفنت في المقبرة الملكية، ولا يزال قبرها موجوداً إلى اليوم قرب مدرسة المطران في القدس وفي مكان يُسَمَّى (قبور السلاطين) وعليه نقوش تعود إلى سنة ٥٠ أو ٦٠م ويزوره السياح[1].

خلال حقبة حكم اليهود لهذه الإمارة التي دامت ثمانين سنة، قَدَّمت الإمارة الدعم المادي والمعنوي لمساندة يهود إسرائيل في حربهم ضد الرومان سنة (٦٦–٧٣م)، وشارك عدد من أبنائهم بينهم اثنان من العائلة المالكة في الحرب إلى جانب اليهود، وقامت العائلة المالكة بتشييد أبنية في القدس، كما قَدَّموا مساعدات غذائية لأهل القدس أثناء المجاعة التي حلت بهم زمن الإمبراطور أغسطس كلوديوس (٤١–٥٤م)، واستمر اليهود في دفة حكم إمارة حدياب إلى أن هاجمها الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨–١١٧م) سنة ١١٦م وضمها إلى إمبراطوريته.

واستناداً إلى هذه العلاقة وغيرها بقيت فكرة أنَّ اليهود المسبيين إلى بلاد آشور هم الأسباط العشرة الضائعة لدى اليهود الباقين على مر الأجيال، ففي خطاب ملك اليهود هيرودس غريباس الأول (٣٩–٤٤م) إلى قومه يقول: "إنَّ إخوانكم في حدياب لا يستطيعون أن يساعدوكم لأنَّ

---

[1] : يقول بطرس الكلداني إنَّ ايزاط وأمه اعتنقا المسيحية لا اليهودية، وهو رأي ضعيف.

الفــرثيين لا يــسمحون بــذلك"، ويقــول المــؤرخ اليهــودي يوســيفوس (٣٧–١٠٠م): الأســباط العــشرة هــم اليهــود المــسبيون وراء الفــرات، كمــا أشــار كــثير مــن الرحّالــة اليهــود إلى أنَّ النــساطرة المــسيحيين بالــذات هــم الأســباط العــشرة الــضائعة مــن اليهــود مثــل بنيــامين التطلــي الــذي زار العــراق بــين ســنة (١١٦٥–١١٧٣م)، وبنيــامين إســرائيل جــوزف (بنيــامين الثــاني ١٨١٨–١٨٦٤م) الذي قضى خمس سنوات في الشرق ومنها العراق، وغيرهما.

وعنــد دخــول المــسيحية اعتنــق كــثير مــن ســكان بــلاد الرافــدين الديانــة المــسيحية، وكانــت غالبيــة اليهــود الــساكنين هنــاك أول المعتــنقين لهــا، ويؤكِّــد المطــران أدِّي شــير أنَّ أول الجماعــات الــتي اعتنقــت المــسيحية في هــذه المنطقة هم من اليهود[1].

ويــذهب المؤرخــون إلى أنَّ رســل المــسيح الأوائــل وتلاميــذهم الــذين جــاؤوا مــن أنطاكيــة وبــشروا بالمــسيحية في بــلاد الرافــدين مثــل مــار تومــا وأدِّي ومــاري وآحــاي وغيرهــم، انطلقــوا بالتبــشير هنــاك ابتــداء مــن الــشمال، أي مــن مــدن الرهــا وصــولاً إلى الموصــل وأربيــل وبــاجرمي وأورميــا وغيرهــا، لثلاثــة أســباب، الأول هــو أنَّ الرســل كــانوا تاريخيــاً مــن نفــس جلــدة اليهــود عرقــاً ونــسباً، وإنَّ الرســل كــانوا علــى معرفــة بوجــود هــؤلاء الأســباط العــشرة منــذ الــسبي الآشــوري، والثــاني هــو أنَّ اليهــود المــسبيين حــافظوا علــى لغــتهم الآراميــة (الــسريانية) بلــهجتها في الترجــوم، وهــي نفــس اللغــة الــتي تكلــم بهــا الــسيد المــسيح ورســله، فكــان مــن الــسهل علــى الرســل والمبــشرين التفــاهم معهــم، والــسبب الثالــث والمهــم هــو اقتنــاع اليهــود بمــا جــاء في النــاموس والأنبيــاء بمجــيء المــسيح المخلــص لينقــذهم مــن الــوثنيين الــذين كــانوا يــضطهدونهم،

---

[1]: أدِّي شير، تاريخ كلدو وأثور ج٢ ص ٨.

وأنَّ تعاليم المسيح والديانة الجديدة لم تنقض الشريعة الموسوية، فكان الرسل والمبشرون مختونين مثل اليهود، وبقي احترام يوم السبت قائماً، فلم تُجرِّد المسيحية قيمة السبت كيوم عبادة بل بقيت قيمته كناموس أدبي، فكان السيد المسيح هو رب السبت (متى ١٢ : ٨)، وذهب إلى المجمع للصلاة يوم السبت (لوقا ٤ : ١٦ و ١٣ : ١٠)، وكان المسيحيون الأوائل يجتمعون للصلاة يوم السبت، "وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة تقريباً لتسمع كلمة الله" (أع: ١٣ : ٤٤)[1]، كل هذه الأمور ساعدت على اعتناق أغلب اليهود المسيحية أكثر وأسهل من الوثنيين في البداية، لذلك أغلب أساقفة مدينة أربيل في القرون الثلاثة الأول كانوا من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، ولهذا يرى أغلب الباحثين أنَّ هؤلاء الأسباط العشرة من اليهود عاشوا قبل المسيح كيهود وبعد المسيح كمسيحيين إلى اليوم، وهم السريان الشرقيون الذين خضعوا لكنيسة أنطاكية السريانية منذ اعتناقهم المسيحية ولغاية القرن الخامس الميلادي حيث اعتنق أغلبهم العقيدة النسطورية.

يقول ويكرام: إنَّ هناك يهوداً كثيرين في كردستان ترجع أصولهم إلى السبي الذي قام به الملك سرجون الآشوري من بلاد السامرة في القرن الثامن قبل الميلاد، وقسم من هؤلاء يسكنون أراضي برواري القريبة من إقليم التياريين[2].

---

[1]: كان المسيحيون الأوائل يحترمون يوم السبت، ثم أصبح بعضهم يحفظ السبت كناموس والأحد كيوم للرب، واستمرت هذه العادة إلى القرن الرابع الميلادي، أي إنَّ يوم الأحد حلَّ تدريجياً محل السبت (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٤).

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص٧١، ٢٥٣.

وقد أشار الرحَّالة بنيامين التطلي إلى أنَّ الأسباط العشرة الضائعة من اليهود الذين سباهم الآشوريون قبل الميلاد لا زالوا موجودين في مناطق العمادية وأنهم يتكلمون اللغة السريانية، ويقدر عددهم بخمسة وعشرين ألف يهودي[1].

وأول من قال بكون النساطرة المسيحيين (الآشوريين) هم من بقايا الأسباط الضائعة العشرة من اليهود، هو الدكتور والمبشر الأمريكي آشيل غرانت (١٨٠٧–١٨٤٤م) Asahel Grant الذي وصل هو وزوجته إلى مناطق النساطرة سنة ١٨٣٥م واتخذ من أورميا مركزاً له وبقي يتجول في المنطقة مدة ست سنوات عاشر خلالها النساطرة واليهود والأكراد، واكتسب شهرة واسعة وكانوا يُلقِّبونه "حكيم صاحب"، واستطاع تَعلُّم اللغة الكردية والسريانية بلهجة الترجوم التي يستعملها النساطرة، وجلبَ مطبعة سريانية وترجم قسماً من الكتب من ضمنها أقسام من الكتاب المقدس، وأسس للنساطرة عشر مدارس للبنين ومدرسة واحدة للبنات[2].

وبعد دراسة تاريخ وتقاليد وطقوس النساطرة واليهود ولقاءاته العديدة معهم ومع البطريرك النسطوري في مقره في قرية قوجانس، توصل غرانت إلى أنَّ النساطرة واليهود في المنطقة هم من الأسباط العشرة الضائعة من

---

[1]: رحلة بنيامين التطلي ص ١٨٦، علماً أنَّ المُترجم عزرا حداد تَرجم اللغة السريانية كما وردت في النص الإنكليزي إلى كلمة (الترجوم)، ثم شرحها في الهامش على أنها تعني الآرامية الشرقية.

[2]: بعد تقديم غرانت لدراسته، لم يَعُد يتمتع بمكانة لائقة من قِبل الكُتَّاب والمثقفين الآشوريين حديثاً.

اليهـود الـذين سـباهم الآشـوريون، والنـساطرة هـم القـسم الأكـبر مـن أولئـك الأسـباط الـذين اعتنقـوا المـسيحية فيمـا بعـد وشـكلوا كنيـسة في أورميـا الـتي تعتـبر مـن أقـدم الكنـائس في العـالم، وبقيـت القلـة الباقيـة مـن الأسـباط علـى يهـوديتهم، مـستنداً بـذلك علـى عـدة أدلـة علميـة وتاريخيـة نـشرها في كتابـه النـساطرة أو الأسـباط الـضائعة The Nestorians or The Lost Tribes، المطبـوع في لنـدن سـنة ١٨٤١م، وأهـم تلـك الأدلـة الـتي اسـتند عليهـا غرانت، هي:

١: النـساطرة واليهـود يتكلمـون نفـس اللغـة الـسريانية بلهجـة الترجـوم، وهـي ذات اللهجـة الـتي تكلـم بهـا الـسيد المـسيح ويهـود إسـرائيل، ويؤكِّـد أنَّ الطـرفين يتفاهمـان بـسهولة، وغرانـت نفـسه كـان يتفـاهم مـع الطـرفين بـسهولة، وقـد أكَّـدَ لـه عـدد مـن دارسـي اللغـة الـسريانية مـن الطـرفين أنهـم يتكلمون نفس اللهجة السريانية.

٢: إنَّ عـادات وتقاليـد اليهـود والنـساطرة في كردسـتان مـشتركة مثـل الانعـزال وعـدم الاخـتلاط بـالآخرين، ويعيـشون بـشكل قبَلـي ولكـل قبيلـة اسمهـا الخـاص، ويؤمنـون بأخـذ الثـار، وهـذه العـادات هـي عـادات أسـباط اليهـود في إسـرائيل، والنـساطرة واليهـود منعزلـون حتـى فيمـا بيـنهم بـالرغم مـن أنَّ أصـولهم واحـدة، وهـذه مـن تقاليـد أجـدادهم الـتي ورثوهـا عـن العـداء التقليـدي بـين المـسيحية مـع اليهوديـة، بـل النـساطرة منعزلـون حتـى عـن إخـوانهم في الـدين مثـل الأرمـن، وهـذا يـشبه العـداء الـذي كـان في إسـرائيل بـين اليهـود والـسامريين، ولـدى النـساطرة عـادة تعميـد الأطفـال في اليـوم الثـامن، وهـي نفـس عـادة الختـان اليهـودي الـتي اسـتبدلها النـساطرة بعـد أن اعتنقـوا المـسيحية، كمـا أنَّ الحِـرف والملابـس والزينـة والـضيافة.....إلخ مشتركة بين اليهود والنساطرة.

٣: أكثـر أسمـاء النـساطرة وبطـاركتهم هـي أسمـاء يهوديـة وردت في التـوراة، كـذلك أسمـاء النـساء النـسطوريات، ومركـز البطريـرك كـان سـابقاً مركـز الربـانيين اليهـود، وطريقـة ممارسـة البطريـرك لـسلطته الدينيـة والدنيويـة مـع رعيتـه تـشبه مـا كـان سـائداً بـين الأسـباط العـشرة، وهـذا يـدل علـى صـلتهم بالأجـداد، وبنيـة النـساطرة واليهـود الجـسدية واحـدة، بحيـث يـصعب التمييـز بيـنهم، وغرانـت نفـسه لم يكـن يـستطيع التمييز بينهما، ويستشهد بأسماء أشخاص من المبشرين يؤكِّدون ذلك.

٤: كـثير مـن مثقفـي النـساطرة واليهـود والعـارفين في التـاريخ علـى حـد سـواء أكَّـدوا لغرانـت أنهـم مـن أصـل واحـد، ففـي اللقـاء الـذي حـضره غرانـت بتـاريخ ٦ آذار ١٨٤٠م والـذي ضـم يهـوديين مـن أورميـا همـا حزقيـال ودانيـال وعـدد مـن النـساطرة مـن ضـمنهم أسـقفان نـسطوريان همـا يوسـف وإيليـا، قـال حزقيـال ودانيـال: النـساطرة هـم إخـوان اليهـود الـذين اعتنقـوا المـسيحية، وهـذه التفـصيلات كانـت مـسجلة لـدى الأحبـار اليهـود لكنهـا فُقـدت بمـرور الـزمن، ويـضيف غرانـت بـأنَّ الحاخـام الأكـبر في أورميـا وغـيره مـن اليهـود قـد أيَّـدوا هـذا الكـلام، والنـساطرة أنفـسهم يعترفـون بـأنهم مـن سـلالة بـني إسـرائيل، ويُـسَمُّون أنفـسهم "أهـل الناصـرة"، وقـد شـاهد غرانـت بنفـسه بعـض الرسـائل مـن النـساطرة موجهـة إلى البطريـرك يُلقِّبونـه فيهـا "بطريـرك جميـع أهـل الناصـرة"، وهـذا الاسـم يعـني النـساطرة فقـط دون غيرهـم مـن المـسيحيين الآخـرين، وهـو مـصطلح يُطلـق علـى اليهـود المرتـدين أي الـذين اعتنقـوا المـسيحية، ويقـول غرانـت إنـه شـاهد مخطوطـاً بالـسريانية لـدى البطريـرك يرجـع تاريخـه إلى سـبعمئة سـنة يؤيـد كـون النـساطرة مـن أحفـاد الأسـباط الـضائعة العـشرة، والبطريـرك قـد أكَّـدَ لـه أنَّ عائلـة أبونـا الـتي ينتمـي إليهـا البطريـرك النـسطوري، تنحـدر مـن سـبط نفتـالي الـتي سـباها

تغلاث فلاصر الثالث إلى بلاد آشور، وهذا الأمر كان مُوثَّقاً لدى البطريرك في مخطوطة قديمة غرقت مع مخطوطات كثيرة قبل ستين سنة عندما فاض نهر الزاب.

يتفق الرحَّالة اليهودي الروماني الأصل بنيامين إسرائيل جوزيف (بنيامين الثاني) الذي زار معظم أنحاء كردستان ومناطق اليهود والنساطرة بين سنتي (١٨٤٦–١٨٥١م) بحثاً عن أبناء جلدته من اليهود، يتفق مع نظرية آشيل غرانت بأنَّ النساطرة هم يهود من بقايا الأسباط العشرة المفقودة، فيسأل ويقول:

من أين جاء يهود ونساطرة كردستان؟، فإذا سُئل أي من اليهود والنساطرة عن موطنه الأصلي قبل مجيئه إلى هنا، يجيب: إنهم طردوا من فلسطين وجيء بهم كأسرى وأُسكنوا هذه المناطق قبل هدم الهيكل الأول، كما يذكر بنيامين التطلي أنَّ الأسباط العشرة يعيشون في الجبال المظلمة بعد طردهم من فلسطين قبل هدم الهيكل من قِبَل الملوك الآشوريين، ويؤكِّد اليهود أنَّ أجدادهم جيء بهم كأسرى إلى هذه الأماكن، ونجد إشارة أخرى من قِبَل الملوك الآشوريين وهي أنَّ الملك الآشوري تغلاث فلاصر استولى على شعب إسرائيل وحملهم بعيداً كأسرى إلى بلاد آشور وإقليم كردستان هو جزء منها، وإلى الآن هو تابع إلى باشوية الموصل التي لا تزال عاصمتها تحمل الاسم القديم نينوى، ولكن المُبشِّر الأمريكي (غرانت) الذي درس المنطقة وسكانها قال: إنَّ مجموعة من المسيحيين النساطرة الذين يعيشون في كردستان هم بقايا الأسباط العشرة التي أُسرت وأُسكنت في كردستان واعتنقت المسيحية فيما بعد، وأستطيع التأكد من ذلك للأسباب الآتية:

١ : أكثرية النساطرة يقولون إنهم من أصل اليهود الذين طردوا من فلسطين ولكنهم لا يعلمون متى ولا يعرفون من أي سبط انحدروا ، مستندين على ما ورثوه شفاهاً عن الآباء والأجداد.

٢ : النساطرة يتعاملون مع اليهود بكل حب وصداقة في الوقت الذي يتجنبون التعامل مع الكرد الذين يمتازون بالخشونة والبداوة.

٣ : كان النساطرة ينادون اليهود بالقريب، ونفس الشيء بالنسبة لليهود.

٤ : النساطرة واليهود مضطهدون من قِبَل الأكراد المسلمين.

٥ : النساطرة يتجمعون في مجتمعات خاصة لأداء فرائضهم الدينية كما يفعل اليهود في تجمعاتهم[1].

ويُعلِّق وحيد كوريال ياقو على كتاب رحلة بنيامين الثاني الذي عَدَّ النساطرة يهوداً من بقايا الأسباط العشرة المفقودة، قائلاً :

إنه مجرد رأي لا أكثر ولا أقل، وسبب ذكري لهذا الرأي هو أنني تذكرت ما سمعته قبل ما يقارب العشرين عاماً ، ففي تسعينات القرن الماضي عندما كان يتجمع في محل عملي في بغداد مساء كل يوم بعض المتقاعدين وكبار السن المثقفين، يتحاورون في مواضيع مختلفة من تجاربهم في الحياة، كل حسب خبرته وما تعلمه من عمله، ومن المواضيع

---

[1] : رحلة بنيامين الثاني أو خمس سنوات في الشرق ص١٥٥–١٦١، علماً أنَّ جوزيف إسرائيل يذكر نقطة أخرى غير صحيحة وهي، أنه ليس للنساطرة رموز دينية كالصلبان والنواقيس في كنائسهم، ويقدسون يوم السبت، وفي هذه الحالة يقتربون من اليهود المسبيين، ولذلك يُعلِّق مترجم الكتاب قائلاً : إنَّ هذا الكلام غير دقيق لأنَّ النساطرة يُقدِّسون الصليب، وكنائسهم لا تخلو من النواقيس، ويُقدِّسون يوم الأحد وليس السبت، وبلا شك فإنَّ هذا التعليق صحيح تماماً وفي محله (المؤلف).

الـتي كانـت تُثـار دائمـاً، كـان موضـوع التـسميات العديـدة لأبنـاء شـعبنا وأصـولهم، وكـان أحـدهم يـصر علـى أننـا مـن بقايـا اليهـود المـسبيين الـذين اعتنقـوا المـسيحية فيمـا بعـد، وكانـت حجتـه التقـارب الكـبير بـين المـسيحيين واليهـود في العـراق، والتـشابه في عـاداتهم وتقاليـدهم وممارسـاتهم اليوميـة، ويـذكر لنـا أمثلـة كـثيرة مـن مـشاهداته مـن خـلال معايـشته لليهـود خـلال منتـصف القـرن العـشرين ومـا سمعـه عـن ذلـك مـن قبـل، ولـست أدري إن كـان رأيـه هـذا مبنيـاً علـى مـصدر مـا، أو علـى كتـاب قـرأه أم لا، ولكـني متأكـد أنـه لم يكـن قـد اطلـع علـى هـذا الكتـاب الـذي نحـن بـصدده (يقصد كتاب رحلة بنيامين الثاني).

يـدعم المـؤرخ والباحـث الأمريكـي اليهـودي يعقـوب نيـوزنر (١٩٣٢م –) المتخـصص في تـاريخ اليهـود خـارج فلـسطين نظريـة غرانـت ويقـول: النقـاط الـتي سـاقها غرانـت هـي دليـل قـوي لتقبُّـل نظريـة كـون النـساطرة هـم مـن اليهود الذين سباهم الآشوريون[١].

تقـول الباحثـة د. حنـان أخمـيس في كتـاب أصـل الأكـراد: إنَّ قـسماً كـبيراً مـن الأكـراد المـسيحيين ينتمـون إلى طائفـة النـساطرة الـذين يَعـدُّون أنفسهم أحفاد بني إسرائيل.

يؤكِّـد القـس بطـرس الكلـداني أنَّ قبائـل جيلـو النـسطورية (الآشـورية) هي من اليهود الذين سباهم الآشوريون[٢].

---

[1]: Jacob Neusner, A History of the Jews in Babylonia، تـاريخ اليهـود في بابـل، طبعة ليدن الإنكليزية ١٩٦٥م، ج٣ ص١٥–١٦.

[2]: أصـل النـساطرة الحـاليين وأحـوالهم الدينيـة والمدنيـة، مجلـة المـشرق ١٩١٣، ١٦م، ص٤٩١–٥٠٤.

يعترف هرمز رسام ممثل الأثوريين في المحافل السياسية بكل صراحة أنَّ النساطرة (الآشوريين) جاؤوا مع يهود بابل[١].

وللتعليق على هذا الموضوع نقول:

ندعم نظرية غرانت بأنَّ أصل النساطرة هم من الأسباط الضائعة بعدة نقاط، ونعترض على بعض النقاط التي ذكرها هو ومن بعده كالرحَّالة بنيامين الثاني، وبخصوص دعمنا لنظرية غرانت نقول:

١: اليهود الذين سباهم الآشوريون، لم يكونوا على اتصال مع يهود إسرائيل اسوةً باليهود الذين سباهم الكلدان في بابل، ولا نجد إلاَّ إشارة واحدة ضعيفة في الكتاب المقدس وردت في (عز ٨: ١٨) تدل على ذلك.

٢: إنَّ اليهود المسبيين كانوا أكثر انفتاحاً من يهود إسرائيل ولهذا تقبلوا الدين المسيحي بسهولة أكبر، ولا يزال إلى اليوم يهود الشتات أكثر انفتاحاً من يهود فلسطين، ولذلك فقد تَفهَّمَ اليهود المسبيون فكرة زرادشت الذي ولد في منطقة أورميا وتعاطفوا معه في البداية، حتى إنَّ قسماً منهم عَدُّوه تلميذ النبي إرميا الذي كان معاصراً له، وهناك إشارات في كتاب الزرادشتيين (الآفستا) تتنبأ بمجيء المسيح المنتظر.

٣: أغلب الذين اعتنقوا المسيحية من بلاد بين الرافدين في البداية كانوا من اليهود، ويُركِّز سفر أعمال الرسل على أنَّ أغلبهم كان من الشمال أي من يهود بلاد آشور السابقة، "وكان اليهود رجالا أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم، فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأنَّ كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته، فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض ترى أليس جميع هؤلاء المتكلمين

---

[1]: سجلات وزارة الخارجية البريطانية (Fo 371/16889/1538/7/93,23/333)

جليليين، فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها، فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا" (أع ٢: ٥-٩)، ومن المعروف أنَّ النسطورية انتشرت وتمركزت في هذه الأماكن.

٤: يُوجِّه القديس يعقوب رسالته إصحاح ١، إلى الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات.

٥: عندما رجع عزرا الكاهن من السبي البابلي إلى أورشليم سنة ٤٠٠ ق.م. تقريباً، اصطحب معه ألفاً ومئتين وثمانية وثلاثين شخصاً، ويُعلِّق المؤرخ يوسيفوس اليهودي على ذلك بالقول، وبعد أن أخذ عزرا القرارات من الملك ارتحششتا الفارسي بالرجوع، قرأها على اليهود الذين في أورشليم، كما أرسل نسخاً منها لبقية الشعب الذي كان في أرض ميديا، وحينما عرف اليهود تقوى ذلك الملك نحو الله ولطفه وإحسانه لعزرا، فاضت قلوبهم بالسرور، بل أنَّ كثيراً منهم رجعوا إلى بابل تمهيداً لعودتهم إلى أورشليم، لكن غالبية أمة إسرائيل بقيت هناك في أرض الماديين، أي دولة مادي، ومعروف دولة مادي قد تكونت من اتحاد مملكة آشور بمملكة مادي.

٦: يقول القديس جيروم (٣٤٧-٤٢٠م) في شرحه لنبوءة هوشع: إنَّ الأسباط العشرة يعيشون حتى يومنا الحاضر خاضعين لسلطان ملوك فارس، وإنَّ سَبيهم لم ينته بعد، وما زالوا يسكنون المدن والمناطق الجبلية في أرض الماديين (آشور).

٧: إنَّ لهجة الترجوم السريانية التي يتكلم بها اليهود والنساطرة تقتصر عليهما فقط دون المسيحيين الآخرين.

٨: إنَّ البطريـــرك النـــسطوري تاريخيـــاً مـــن أكثـــر بطاركـــة الكنـــائس المـسيحية تـدخلاً في الـسياسة، فهـو يمثـل الـسلطة الدينيـة والدنيويـة، وهـو الملـك والأسـقف للمملكـة الجبليـة في آن واحـد، وهـو في تفكـيره يـسلك كـزعيم قـوم أكثـر مـن سـلوكه بطريركـاً، وإن شـئت الدقـة فهـو في أعمـاق ضـميره لا يفـصل بـين هـذين المنـصبين[1]، وقـد مـنح الـروس في نيـسان سـنة ١٩١٧م البطريـرك بنيـامين إيـشاي وسـام صـليب القديـسة حنـة تقـديراً لخدماتـه في الميـدانين العـسكري والمـدني مـع كميـة مـن الأسـلحة، وكـان البطريـرك يجلـس إلى جانـب الأمـير الكـردي ويناقش الأمـور التـشريعية للأكـراد والنـساطرة، هـو الـرئيس الأعلـى للأمـة ويخـضع لـه رؤسـاء العـشائر الـذين لا زالـوا يـستعملون كلمـة ملـك للدلالـة علـى رئيـسها، وهـذه الأمـور هـي مـن عـادات اليهـود، فطريقـة وراثـة الأسـقفية مـستندة إلى العهـد القـديم المحـصورة في سـبط اللاويـين حـسب سـفر العـدد (٨ : ١١–١٩)، وطريقـة نـذر الأطفـال مـن بطـون أمهـاتهم لخدمـة الـرب مـستندة إلى سـفر صـموئيل الأول (١: ١١)، وفي حالـة عـدم رغبـة الطفـل عنـدما يكـبر تنفيـذ النـذر بالبتوليـة، عليـه دفـع مبلـغ مـن المـال للكنيـسة وحـسب العمـر والحالـة المادية استناداً إلى سفر اللاويين ٢٧ [2].

وفي إحـدى الرسـائل الـتي وجهتهـا سـورما خـانم إلى مـدام مـاركوليوث Margoliouth زوجـة الأسـتاذ ديفيـد صـمؤئيل مـاركوليوث مـن الكنيـسة الأنكليكانيـة سـنة ١٩١٥م تـشكو لهـا وضـعية شـعبها ومآسـيهم، شَـبَّهت

---

[1]: ويكرام، مهد البشرية ص ٢١٨، ٢٢٧.

[2]: في سـنة ١٩٩٤م لاحظـت بنفـسي زوجـة أحـد أصـدقائي النـساطرة قـد نـذرت مـا في بطنها قائلة: إن كان ذكراً فسوف أُربِّيه ليصبح مطراناً، وكانت تفتخر بذلك.

الآشوريين (النساطرة) بالإسرائيليين وأخيها البطريرك بنيامين بموسى النبي وأخيها داوود بهارون وهي نفسها بمريم أخت موسى وهارون، حيث تقول سورما: نحن اليوم ومعنا البطريرك بَدو رُحَّل حقيقيون تماماً كما كان وضع الإسرائيليين تحت قيادة موسى، وإني أُشَبِّه أخي داوود بهارون العبرانيين بلحيته البيضاء، أمَّا أنا فأُشَبِّه نفسي بمريم أخت موسى وهارون، وعوضاً عن مبنى الكنيسة، هناك خيمة لإقامة الصلوات الطقسية والقداديس، خيمتنا تشبه خيمة تابوت العهد لذا أُسمِّيها (خيمة تابوت العهد الآشورية)، تاريخنا يتحدث عن معارك مع الأعداء كما كان للإسرائيليين معارك مع الكنعانيين، أعداؤنا يمنعوننا من العودة إلى أرض آبائنا وأجدادنا[١].

٩: إنَّ كثيراً من النساطرة واليهود لا ينكرون أصولهم المشتركة، ويقول المبشر هنري هول وهو أحد أعضاء البعثة الأنكليكانية للآثوريين إنه سأل أحد أحبار اليهود عن رأيه في النساطرة فكان جوابه: "إنهم إخواننا، أبناء جنسنا، لكننا لا نريد الاعتراف بهم لانحرافهم عن الشريعة الموسوية منذ العصور القديمة (أي منذ اعتناقهم المسيحية)"، ولهذا السبب يُعَدُّ يهود العمادية من أشد المعادين للمسيحيين النساطرة، حتى أنَّ قسماً منهم لا يلفظون اسم المسيح، بل يقولون ذاك الدجال الذي جاء بديانته الجديدة[٢]، وأثناء حضور أحد الأمريكيين قداس النساطرة بدأ الكاهن يشرح الفرق بين المسيحية النسطورية والمسيحية الغربية فقال: أنَّ تاريخنا يمتد إلى العصور المسيحية الأولى، فنحن من بني إسرائيل، ولذلك نتمسك

---

[1]: سورما خانم ص ١٠٩.

[2]: إريك براوَر، يهود كردستان ص ٦٤.

بكل الفرائض والطقوس التي تَمَّسَكَ بها أجدادنا قديماً، أمَّا أنتم يا أبناء الغرب فلا تجدون أنفسكم ملتزمين بتقاليدنا والسير في ركابنا[1].

١٠: النساطرة هم من أكثر المسيحيين تمسكاً بعادات العهد القديم، وهناك عادات في الناموس الموسوي تُنفَّذ إلى اليوم بحذافيرها عندهم، وهذا دليل على أصولهم اليهودية، ومنها أخذ الثار، ويُسَمَّى الشخص الذي يقوم بذلك "ولي الدم"، ويستطيع القاتل أن يلجأ إلى الكنيسة التي تمثل مدن الملجأ في الشريعة الموسوية ويبقى هناك دون أن يمسه ولي الدم إلى أن يأتي كهنة الكنيسة وشيوخ القبيلة ويفحصون الحالة، فإنَّ كان بسوء نية، يُسلَّم إلى ولي الدم ليُقتل استناداً إلى سفر يشوع (٢٠: ٣-٩)، وإن كان بدون قصد، تُحدد دية نقدية، والنساطرة عموماً أشداء في القتال وفي بعض الحالات يبررون القتال بشراسة استناداً إلى سفر الملوك الثاني (٢٣: ١٦)، الذي يقول: إنَّ الملك يوشيا أباح لشعبه إحراق عظام عبدة الأصنام[2].

في زواج النساطرة يذهب والد العريس عادةً إلى خطبة الفتاة، وإذا كانت العروس بعيدة يحق لقريب أو وكيل أن يقوم بذلك تشبهاً بإرسال إبراهيم أليعازر الدمشقي ليخطب فتاة لابنه إسحق (تكوين ٢٤: ٢-٣)، وهم يأخذون المهور بكمية ليست بسيطة استناداً إلى سفر التكوين (٣٤: ١٢)، والزواج عندهم يدوم أسبوعاً كاملاً استناداً لسفر القضاة (١٤: ١٧-١٨)، وعند وصول العروس إلى بيت العريس ينثرون على رأسها القمح والزبيب استناداً إلى سفر هوشع (٣: ١-٢)، ثم يقوم العريس بقذف ثلاث تفاحات على العروس من إناء فيه فواكه وتمر استناداً إلى سفر نشيد

---

[1]: الدكتور عزت زكي كنائس المشرق ص ١١٨-١١٩.

[2]: ويكرام، مهد البشرية ص٢٥٣.

الأنـشاد (٧: ٥–١٣)، والخطوبـة عنـد النـساطرة أشـبه بـالزواج، حيـث تـصبح الخطيبـة شـبه زوجـة حتـى وإن لم يـدخل عليهـا اسـتناداً إلى سـفر صـموئيل الثـاني (٣: ١٤)، ويَعـدُّون طقـس الخطوبـة نـصف إكليـل، ويـتم فـسخ الخطوبـة بوثيقـة مثـل وثيقـة الطـلاق أحيانـاً، وعنـدما يولـد الطفـل يُمـسح بـالملح اسـتناداً إلى سـفر حزقيـال (١٦: ٤)، وحـين تتجـب المـرأة لا يحـق لزوجهـا الاقـتراب منهـا مـدة أربعـين يومـاً إذا كـان المولـود ذكـراً، وسـتين يومـاً إذا كانـت أنثـى اسـتناداً إلى سـفر اللاويـين (١٢: ١ –٤)[1]، وعنـد تقـديم الذبيحـة الحيوانيـة مثـل ذبيحـة الـسلامة هنـاك حـصة للكـاهن كالـصدر والكتـف اسـتناداً إلى سـفر التثنيـة (١٨: ٣)، وقـسم كـبير مـنهم لا يأكـل لحـم الخنزيـر والأرنـب وخاصـةً مـن عـشيرة التيـاريين اسـتناداً إلى سـفر اللاويـين (١١: ٦–٧)، وإذا مَـسَّ نـسطوري ميتـاً مـن اليهـود أو غـير المـسيحيين فعليه أن يتطهر بالماء استناداً إلى سفر العدد (١٩: ١٣).

١١: بالنـسبة ليـوم الـسبت فـلا شَـكَّ أنَّ النـساطرة اسـتبدلوه بيـوم الأحـد، ولكـن مـع ذلـك بقيـت الطقـوس اليهوديـة حاضـرة في صـلاة النـساطرة ليـوم الـسبت، فهـم يـصلون المزمـور ٩٥ يـوم الجمعـة عـصراً لاسـتقبال الـسبت كمـا

[1]: الحـالات الأخـيرة الـثلاث كنـتُ شـاهداً عليهـا مـع ثلاثـة مـن أصـدقائي النـساطرة (الآشـوريين)، الأول خطـب فتـاة مـن طائفـة الـسريان الأرثـوذكس، وعنـدما أرادت الفتـاة فـسخ الخطوبـة، اعـترض أهـل الولـد قـائلين إنَّ صـلاتهم تعتـبر شـبه زواج، والثـاني أخبرنـي بأنـه تم غـسل ابنـه المولـود بـالملح، والثالثـة نـصحه والـده أمـامي بهـذه النـصيحة، علمـاً أنَّ المعمـول بـه حاليـاً هـو أربعـون يومـاً للـذكر والأنثـى، والحقيقـة أنَّ قـسماً كـبيراً مـن تلـك العـادات مثـل الـذبائح والأكـل والـتطهير وغيرهـا قـد قَلَّـتْ أو أُلغيـتْ منـذ منتـصف القـرن الماضي، ولكننا نأخذ الموضوع تاريخياً.

هـو عنـد اليهـود ولم ينقلـوه إلى عـصر الـسبت لاسـتقبال الأحـد، كمـا أنهـم يـستعملون نفـس الكلمـات والطقـوس الـتي يـستعملها اليهـودي في الـصلاة للتمييـز بـين الـنجس والطـاهر مـن الأكـل وغـسل الآنيـة في الكنيـسة والـتي وردت في سـفر التكـوين والتثنيـة، مثـل كلمـة "حـف دالا" المـشتقة مـن كلمـة هيفيـديل العبريـة و بيركيتـا الـتي تعـني الـصلاة والبركـة، أمَّـا الألحـان في الكنيـسة النـسطورية فتعتمـد بـشكل رئـيس علـى المقامـات الـتي يـستعملها اليهـود مثـل مقـام النهاونـد وهـو المقـام الـذي اسـتعمله يهـود أورميـا الإيرانيـة الـتي كانـت المـوطن الـرئيس للقـرائين اليهـود، وهـو يختلـف مـن حيـث الفواصل عن مقام النهاوند الذي يستعمله السريان[١].

١٢: بـالرغم مـن أنَّ المـسيحيين يتَـسَمَّون بأسمـاء مـن العهـد القـديم، لكـن هـذه الأسمـاء محـدودة عنـد الطوائـف المـسيحية الأخـرى وبـصيغة تختلـف عـن الـصيغة اليهوديـة البحتـة الـتي يـستعملها النـساطرة، مثـل يـاقو (يعقـوب)، أبراهـوم (إبـراهيم)، داويـذ (داود)، إيـشاي (إشـعيا)، إيزريـا (لعـازر)، شـليمون (سـليمان)، وغيرهـا، وهـذه الأسمـاء اليهوديـة كـثيرة جـداً عنـد النـساطرة مثـل، ابـشالوم، يوناثـان، يونـاداب، حزقيـال، روئيـل، رأوبـين، شاول، شمشون، شموئيل، رفقة، ثامار، مرتا، راحيل، استير.....إلخ.

بالنـسبة لـبعض الأدلـة الـتي سـاقها غرانـت ليثبـت أنَّ اليهـود والنـساطرة مـن أصل وعرق واحد، فنعترض على ثلاث نقاط منها ولا نَعدُّها دليلاً قوياً:

الأولى قولـه: النـساطرة مثـل اليهـود منعزلـون ولا يختلطـون حتـى مـع بـني دينـهم كـالأرمن، فنقـول: معظـم طوائـف المـسيحيين الـشرقيين في العـراق منعزلـة، فـالأرمن كـذلك منعزلـون عـن غيرهـم، وأول سـؤال يُـسأل للـشخص

---

[1]: جي. سي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون– الكلدان ص١٠٠–١٠١.

المتقدم لخطبة فتاة إذا كان غريباً، من أي طائفة أنت؟، أمَّا الاعتزاز بالقبيلة والعشيرة والمنطقة فهو سِمَة ملحوظة لدى الجميع.

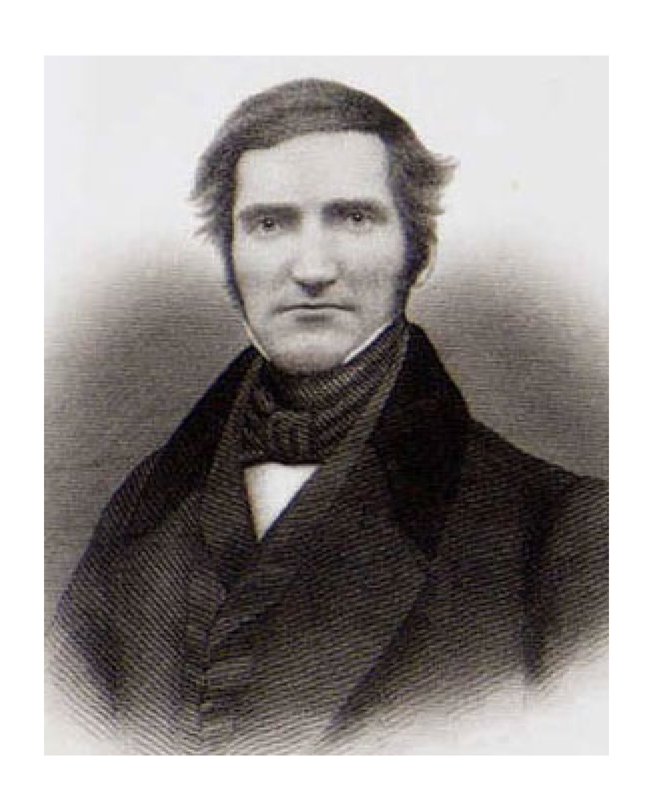
الثانية قوله: إنَّ حِرف وملابس وزينة وضيافة اليهود والنساطرة مشتركة، فنقول: معظم الحِرف والملابس والزينة والضيافة مشتركة في هذه المناطق بمن فيهم الأرمن والأكراد واليزيديين، وغيرهم.

والثالثة قوله: تقارب شكل وملامح الوجه والتركيب الجسدي لليهود والنساطرة، فنقول: يشترك الجميع في ذلك كالأرمن والأكراد، علماً أنَّ قسماً من النساطرة كانوا من سهول وادي الرافدين كالحيرة وميسان وكشكر وغيرها، أي أنَّ أصلهم عرب، ولأسباب كثيرة جاؤوا واستقروا بجانب أقرانهم في الجبال المنيعة في كردستان بعد الإسلام وعلى مدد متعاقبة كان آخرها في القرن الثالث عشر، ناهيك عن تأثير الطبيعة على مدى آلاف السنين والتي تجعل من يعيش في المنطقة يحمل نفس الملامح، وعلى أية حال فهذا الأمر يحتاج إلى دليل علمي تقني لإثباته.

أمَّا اعتراضنا على ما ذكره الرحَّالة بنيامين الثاني كأدلة على كون اليهود والنساطرة من أصل واحد، فنعترض على نقطتين:

الأولى قوله: النساطرة يُنادون اليهود بالقريب، وكذلك يفعل اليهود، فنقول: لا ينطبق ذلك على الجميع، وعلى الأقل على يهود العمادية، حيث كانوا يكرهون النساطرة كما ذكرنا.

الثانية قوله: إنَّ النساطرة واليهود مضطهدون من قِبَل الأكراد المسلمين على حدٍ سواء، فنقول: هذا ليس دليلاً على أنَّ المسلمين يَعدُّون النساطرة واليهود من عرق أو أصل واحد، فطريقة تعامل المسلمين في المجتمعات الإسلامية عموماً مع غير المسلمين هي واحدة بغض النظر عن الأصول والانتماءات العرقية لغير المسلمين.



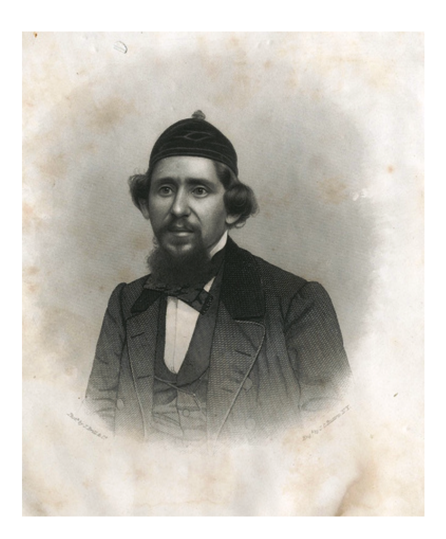
الدكتور آشيل غرانت (١٨٠٧–١٨٤٤م) في سنة ١٨٤١م

صاحب كتاب النساطرة أو الأسباط الضائعة

الذي عَدَّ فيه النساطرة هم الأسباط العشرة الضائعة من اليهود



الرحَّالة اليهودي بنيامين التطلي (١١٣٠–١١٧٣م)



الرحَّالة اليهودي بنيامين إسرائيل جوزيف أو بنيامين الثاني

(١٨١٨–١٨٦٤م)

داعم نظرية آشيل غرانت

في أصل الآشوريين والكلدان القدماء

قلنا إنَّ (الكلدان والآشوريين) هم السريان الشرقيون الذين بسبب اعتناقهم مذهب نسطور انفصلوا عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية سنة ٤٩٧م وتَسَمَّوا بالكنيسة النسطورية، ثم انشق قسم منهم سنة ١٥٥٣م واعتنقوا الكاثوليكية وتَسَمَّوا بالكلدان في سنة ١٨٣٠م تشبهاً بكلمة استعملها المطران النسطوري طيمثاوس والبابا أوجين الرابع لإطلاقها على مجموعة من العراقيين النساطرة في قبرص الذين أرادوا اعتناق الكثلكة سنة ١٤٤٥م، لكنها ماتت في حينها، وهي كلمة عامة تطلق على أي عراقي من منطلق تاريخي بغض النظر عن دينه وجنسه، أمَّا الذين بقوا نساطرة فقد بدؤوا يتَسَمَّون بالآشوريين بعد سنة ١٨٧٦م من قِبَل الرحَّالة والمبشرين الإنكليز ومن قِبَل رئيس أساقفة كارنتربري تحديداً، ثم تعززت التسمية لأغراض سياسية في مطلع القرن العشرين.

لذلك لا توجد أية علاقة بين الآشوريين والكلدان الجدد وبين الآشوريين والكلدان القدماء سوى الاسم، وإنَّ اختيار هذه التسمية من قِبَل الآشوريين والكلدان، هو ما يُطلق عليه (Eponyms)، ومعناها الذي يأخذ (ينتحل) اسم غيره، والأصل الإغريقي لهذه الكلمة (Nameseke).

ولو كان طيمثاوس والبابا أوجين قد اختارا اسم السومريين مثلاً بدل الكلدان للذين انشقوا عن النساطرة، لكان اسمهم اليوم السومريين، ولو كان رئيس أساقفة كارنتربري قد اختار للذين بقوا نساطرة اسم الأكديين مثلاً بدل الآشوريين لكان اسمهم اليوم الأكديين.

ولكي تكون الصورة واضحة لا بد لنا من معرفة أصل الآشوريين والكلدان القدماء، وقبل أن ندخل في الموضوع علينا أن نعرف حقيقة تاريخية مهمة جداً، هي: إنَّ تاريخ الدولة الآشورية والبابلية والسلالة

الحادية عشرة والأخيرة من الدولة البابلية وهي الدولة الآرامية الكلدانية، والدويلات الآرامية وغيرها، لم تكن معروفة للعالم كثيراً، ولم تكن تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام المؤرخين قبل الاكتشافات الأثرية للمنطقة التي بدأت منتصف القرن التاسع عشر، باستثناء ما ورد عن تلك الدول والأقوام في الكتاب المقدس وأسفار اليهود في التلمود وغيرها، وبعض الكتابات التاريخية القليلة لبعض المؤرخين الذين زاروا المنطقة أو وجدوا أخبارها في الكتب التي بقيت في المعابد، ومن هؤلاء هيكاتيوس الملتي (القرن السادس ق. م.)، هيرودوتس (٤٨٠–٤٢٥ ق.م.)، اكسنيفون (زينفون ٤٣٠–٣٥٥ ق.م.)، بروسيوس البابلي (٣٠٠ ق.م. تقريباً)، ديودورس الصقلي (٨٠–٣٠ ق.م.)، سترابو (٦٣ ق.م.–٢١م)، وبلينوس الأكبر (٢٣–٧٩م)، وغيرهم، وكانت كتاباتهم مستندة بعضها إلى البعض الآخر، أو ما ورد عن تلك الدول في بعض القصص والأساطير التي نُسجت في وجدان وذاكرة الناس عبر الأجيال، وحتى كتابات أولئك المؤرخين وتلك الأساطير كان أغلبها يستند أساساً إلى الكتاب المقدس، وإنَّ التنقيبات الأثرية كانت تُقارن بالكتاب المقدس، لدرجة أنَّ عالم الآثار الأمريكي اليهودي نيلسون غلووك (١٩٠٠–١٩٧١م) قال: "أُنقِّب منذ ثلاثين سنة عن الآثار ممسكاً الكتاب المقدس بيد ومجرفة الحفر باليد الأخرى، ولم أجد يوماً ما يخالف الكتاب المقدس في المسائل التاريخية".

لذلك فإنَّ الكتاب المقدس وأسفار اليهود لعبت دوراً رئيساً في شهرة الآشوريين والكلدان بسبب استعمالها من قِبَل اليهود والمسيحيين على مر التاريخ، ولعل سبب ذلك هو أنَّ تلك الحضارتين لم تُخلفا آثاراً بارزة فوق الأرض مثل أهرامات مصر أو سور الصين لكي تجلب اهتمام المؤرخين، أمَّا بعد الاكتشافات الأثرية فقد أصبح تاريخ أغلب تلك الدول واضحاً.

(١) في أصل الآشوريين القدماء

في الألف الثالثة قبل الميلاد، هاجرت أقوام سامية من جنوب العراق الحالي والبادية والخليج وسكن قسم منهم سهل شنعار وهم الأكديون، والبقية هاجرت إلى الشمال وسكنت المنطقة الواقعة شمال العراق الحالي بين شرق وشمال نهر دجلة والزابين وعلى جانبي خط عرض ٣٧ تقريباً، ويتفق ذلك مع ما جاء في سفر التكوين (١٠: ١١)[1].

كان في المنطقة الشمالية شعب جبلي أقدم منهم يدعى السوبارتيون أو سوبر (Subir)، وتُسَمَّى بلادهم سوبارتو، وكانت منطقتهم تشمل غرب جبال زاكروس وبلاد عيلام شرقاً إلى منابع الخابور وحتى تل حلف وجبلة البيضا غرباً، وشمالاً كانت تمتد إلى حدود أرمينيا والأناضول، ويعتقد أنَّ مدينة آمد (دياربكر) كانت ضمن منطقتهم، أمَّا جنوباً فكانت تصل تخومهم إلى الخط الواصل بين ديالى وجبال سنجار تقريباً.

كان هؤلاء السوبارتيون معروفين من قِبَل السومريين والأكديين فقد ورد ذكرهم في نصوص قديمة منذ عصر فجر السلالات، وظهر هذا الاسم لأول مرة في أخبار حاكم لكش أيانتم (٢٤٧٠ ق.م. تقريباً)، ويذكر الملك السومري حاكم مدينة آدابا (تل بسماية) لوكال آني موندو في الربع الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد أنه استطاع السيطرة على عدة مناطق من بينها سوبارتو في الشمال[2]، كما يرد ذكرهم في

---

[1]: الساميون، اصطلاح أطلقه الألماني شولتسر سنة ١٨٧١م على الأقوام الشرقية مثل العبرانيين والعرب والآراميين والآشوريين وغيرهم، مستنداً إلى سفر (تك١٠: ٢١–٣١).

[2]: محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم ص٢٢٧، ٢٦٤–٢٦٦. ومدينة آدبا سبقت مملكة ماري.

نص مسماري يتحدث عن فتوحات سرجون الأكدي (٢٣٣٤–٢٢٧٩ ق.م.)، ويتكلم النص عن قسم من مناطقهم مثل مدينة آنشان الواقعة قرب سوسة عاصمة عيلام وكركوك وغيرهما، ويُحدد مساحتها "١٢٠ بيرو" (وحدة قياس مساحة تقدر بألف كيلومتر)، وقد ناصب السوبارتيون بقيادة ملكهم "أوي أولا" العداء للملك أور شولجي (٢٠٩٥–٢٠٤٨ ق.م.) مما حدا بشولجي إلى إرسال مبعوث اسمه "إيرمو" إلى منطقة السوبارتيين لتثبيت سلطانه عليهم، ويقول إيرمو في رسالته إلى شولجي "لقد عهدتَ إليَّ أن أذهب إلى أرض سوبير لأجعل حدود بلادك مستقرة ولأنصح العقلاء من حاشية "أوي أولا" أن يصبحوا ضده وأجعل الشعب طيَّعاً"، ويبدو أنَّ إيرمو لم ينجح في إقناع أو إخضاع السوبارتيين، وهذا ما دعا شولجي أن يتهم مبعوثه بالتقصير ومجاملة السوبارتيين إذ يكتب شولجي لإيرمو: "إذا كنتَ تحبني حقاً فلا تنضم إليهم، لقد أصبحت منفوخاً بالإطراء ولم تعد تعرف جنودك، فاحذر من السوبريين ومن بطولتي"، ويُستفاد من نص الخطابين المتبادلين بين شولجي ومبعوثه إلى السوبارتيين بأنَّ السوبارتيين كانوا ذوي قوة عسكرية كبيرة حيث كان يحيط بالملك السوبارتي حوالي خمسة آلاف جندي، كما كانوا أغنياء جداً حيث كان قصر ملكهم مزيناً بالذهب والفضة والعقيق، وإنَّ ملكهم كان يجلس على كرسي يغطيه قماش فخم ويضع قدميه على طاولة من ذهب[1]، واستعمل اسم سوبارتو والسوبارتيين في عهد مملكة أشنونا، فها هو ملك أشنونا (داداوشا) يذكر أنَّ جيش الملك الآشوري أدد الأول (١٨١٣–١٧٨١ ق.م.) جَمعَ السوبارتو وخانه، وقد قام الملك البابلي

[1]: محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم ص٣٢٠–٣٢١.

حمــورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م.) بغــزو منطقــة ســوبارتو بــين ســنتي (٣٦–٣٨) مـن حكمـه[١]، ويـرد ذكـر الـسوبارتيين أيـضاً في نفس المدة عنـدما قـام الملـك الآشـوري إيـشمي داجـان ملـك أشـنونا (١٧٨٠–١٧٤١ ق.م.) الـذي تحـالف مـع الكـوتيين بزعامـة الملكـة "سـيدة نـاوار" وإمـارة كـوردا بزعامـة "حمـورابي ملـك كـوردا" واسـتطاع قهـر قـوات سـوبارتو الـتي كانـت تعـادي حمـورابي البـابلي وحليفـه ملـك مـاري زيمـري لـيم، ويخبرنـا خطـاب "باخـدي" مـدير قـصر الملـك زيمـري لـيم الموجـه لـسيده ينبهـه ويُعلِمـه بـأنَّ إيـشمي داجـان وحمـورابي ملـك كـوردا أمـرا جيـشيهما قـائلين "امـسكا أرض سـوبارتو في أيـديكما ولا تـسلما قـوات إمـداد إلى بابـل"، وفيمـا بعـد عثـر علـى قـسم مـن الآثـار في مكتبـة آشـور بانيبـال (٦٦٨–٦٢٧ ق.م.) وهــي عبـارة عـن لوحـات جغرافيـة قديمـة تعـود للعـصر البـابلي القـديم تـسمي بلادهـم بـبلاد الـسوبارتيين، كمـا ورد اسـم سـوبار (Subir) في نـصوص الملـك الكنعـاني دريمـي (١٥١٠–١٤٨٠ ق.م.)، ملـك الالاخ (تـل العطـشانة)، وفي نـصوص أوغاريـت (شمـال اللاذقيـة) ورد بـصيغة (شـبر sbr)، وتـذكر المـصادر التاريخيـة أنَّ تغـلاث فلاصـر الأول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م.) حاصـر مدينـة شـهريش الـسوبارتية ولقـي مـن السوبارتيين مقاومة شرسة[٢].

يقـول الآثـاري الألمـاني فـن أوبنهـايم (١٨٦٠–١٩٤٦م) الـذي قـام بالتنقيـب ودراسـة آثـار منطقـة شمـال سـوريا والعـراق بـين سـنة (١٨٩٩–١٩٣٣م): إنَّ الآثـار المكتـشفة الـتي تعـود إلى ٣٥٠٠ سـنة ق.م. تـدل علـى أنَّ الـسوبارتيين كـانوا ذوي حـضارة قديمـة خاصـة بهـم، وكانـت مهمـة في حينهـا مثـل أهميـة

[1]: محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم ص ٢٢٦.

[2]: أحمد تاج الدين، الأكراد ص٢٠، مستنداً على تاريخ آشور القديم.

حضارة بابل ومصر لاحقاً، لكنهم اضمحلوا بعد استقرار الآشوريين في المنطقة واندمجوا معهم خاصةً بعد احتلال الحثيين والماتيين للمنطقة.

ويُعتقد أنَّ قسماً من الأكراد والحوريين والماتيين هم فرع من السوبارتيين.

أمَّا لغتهم فكانت لغة خاصة لم يحدد لحد الآن إن كانت من عائلة اللغات الهندو أوربية أو السامية أو غيرها، وكانت منتشرة بين مناطق سامراء وكركوك وأربيل والموصل وكفري وخورماتو، وقد وصل منها الشيء القليل، منها كتاب فيه صلوات وترانيم دينية عثر عليه في منطقة بوغازكوي في تركيا أرسله توشراتا ملك الماتيين (١٣٨٨–١٣٧١ق..م.) إلى أمينوفيس الثالث ملك مصر (١٤١٩–١٣٨٤ ق.م.)، ويعتقد قسم من الباحثين أنَّ السوبارتيين كانت لهم ديانتهم الخاصة التي تعتقد بوجود حياة أخرى بعد الموت وكانوا يكرمون الموتى بوضع أشياء الميت معه في القبر من سلاح ومؤن وما يمكن أن يحتاج إليه، ويستند الباحثون بذلك إلى القبور والكهوف القديمة التي اكتشفت في المنطقة، ويؤكِّد معجم الحضارات السامية أنَّ السوبارتيين كانت لهم خصائصهم العرقية واللغوية والدينية والفنية التي زالت معالمها نتيجةً للحروب واختلاط العناصر البشرية، والأكديين هم أول من أطلقوا عليهم اسم سوبارتو[1].

وكشف المُنقِّبون عن الآثار في مدينة زيبار شمال العراق عن أنقاض مدرسة تعود إلى أربعة آلاف سنة وجدت فيها لوحات لتدريس الحساب والهجاء، واكتشفوا رسائل وهي عبارة عن صكوك وقيود ومسائل رياضية وأرصاد فلكية ونصوص تاريخية وغيرها، كما عثر العلماء على

---

[1]: هنرس س. عبودي، معجم الحضارات السامية ص ٤٩٩.

بعض الأدعية الدينية، وتُظهر تلك الوثائق أنَّ المرأة كانت لها مكانة محترمة لدى المجتمع السوبارتي وكانت تتمتع بنوع من الحرية والاستقلال، كما دلت بعض الآثار على أنَّ بعض النسوة كُنَّ يعملن في الأعمال الكتابية.

وتدل الوثائق التاريخية على أنَّ هؤلاء القوم كانوا يزاولون التجارة بشكل كبير وكانت لديهم علاقات تجارية مع كثير من بلدان آسيا المجاورة، ويبدو أنه كانت لديهم جاليات تسكن جنوب بلاد الرافدين لمزاولة الأعمال التجارية والصناعية، وتشير بعض اللوحات التي عثر عليها إلى أنهم كانوا يسجلون معاملاتهم التجارية وزبائنهم وبضائعهم وحوالاتهم مع الأقطار المجاورة، ومن ضمن البضائع التي كانوا يبيعوها، الجلود والأقمشة وبعض المواد الغذائية، وكانوا يستعملون الدواب والنقل النهري في طرق نقلهم التجاري بين الشمال والجنوب عِبرَ دجلة والفرات وفي الجزيرة السورية عبر الفرات والخابور، وتدل هذه الأمور على أنَّ بلاد (سوبارتو) كانت غنية، وهذا هو سبب قيام الحملات العسكرية عليها من منطقة الرافدين الجنوبية.

لذلك فإنَّ شمال العراق هي الموطن الثالث للأقوام السامية التي جاءت من الجنوب والتي ستُسَمَّى فيما بعد بالآشورية والتي استطاعت القضاء على قسم من السوبارتيين وإزاحة قسم آخر منهم إلى سفوح المناطق الجبلية المجاورة، واندمج القسم الذي بقى منهم مع الآشوريين الذين احتلوا المنطقة وأسسوا فيها مملكة صغيرة على نسق المدن السومرية الجنوبية تلك التي اقتبسوا منها مدنيتهم الأولى حيث كانوا على اتصال دائم مع المدن السومرية، وربما كان السومريون في عداد من استوطنوا

المدينة معهم[1]، ومما لا شَكَّ فيه أنَّ أقواماً سامية أخرى دخلت في التركيب القومي للآشوريين مثل البابليين والأكديين وأقوام غير سامية مثل الحثيين والماديين والكوتيين (الأكراد) وغيرهم[2]، وإنَّ الحوريين هم الذين أعطوا للآشوريين الملامح التي تميزهم عن أبناء عمهم الساميين[3].

يؤكِّد قاموس الكتاب المقدس أنَّ الآشوريين كانوا مزيجاً من أجناس عدة قطنت البلاد في حقب مختلفة، السومريون والحوريون والميتانيون، وفي النهاية سادت العناصر السامية وبخاصة الأكديون والبابليون وامتلكوا البلاد[4].

كان المهاجرون الجدد (الآشوريون) يتكلمون في بداية مجيئهم اللغة الأكدية، وهناك من يَعدُّ الآشوريين قسم أو شعبة من البابليين هاجروا الجنوب وبابل وحولها بعد أن ضاقت الأمور بهم، مستنداً على التشابه الكبير بين اللغتين الآشورية والبابلية والتي هي لغة أكدية[5]، وذهب بعض الباحثين إلى أنَّ الآشوريين من أصل أكدي لأنَّ لغة دولة آشور القديمة كانت اقرب إلى الأكدية من البابلية القديمة، وكذلك يقال بالنسبة إلى احتفاظ أسماء الأعلام وألقاب الملوك الآشورية بالصيغ الأكدية القديمة، مثل ملك جميع العالم، وحتى اسم آشور كان بصيغه أكدية (گاسر)[6].

---

[1]: جيمس برستد، العصور القديمة ص١٥٢.

[2]: ول ديورانت، قصة الحضارة ج٢ ص٢٦٥.

[3]: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة ص١٦٣.

[4]: قاموس الكتاب المقدس ص٧٨.

[5]: حامد عبد القادر: الأمم السامية، مصادرها وتاريخها ص٢٧.

[6]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١ ص٤٧٦–٤٧٧.

تـأثر الآشـوريون بالـسوبارتيين في النـواحي القوميـة واللغويـة والدينيـة حتـى أنَّ بعـض الآلهـة الـسوبارتية بقيـت في عبـادتهم فيمـا بعـد، وقـد تَـسَمَّى الآشـوريون في بدايـة الأمـر بالـسوبارتيين، لكـنهم تحاشـوا إطـلاق تـسمية سـوبارتو علـى أنفـسهم وعلـى بلادهـم لأنَّ تلـك التـسمية كانـت تنطـوي علـى مـدلول مُهـين لأنهـا تعـني باللغـة الأكديـة مفهـوم العبـد (subrum)، وكـان البـابليون يطلقونهـا علـى الآشـوريين مـن بـاب الانتقـاص مـنهم، لـذلك أطلقـوا علـى أنفـسهم اسـم الآشـوريين نـسبة إلى إلههـم القـومي آشـور بـدل الاسـم الأصـلي الأقـدم وهـو سـوبارتو (شـوبارتو) أو سـوبر نـسبة إلى القـوم الـذين سـكنوا هـذه المنطقـة مـن شمـال العـراق منـذ أبعـد العـصور التاريخيـة، كمـا أطلقـوا علـى عاصـمتهم الأولى اسـم آشـور (مدينـة الـشرقاط حاليـاً)، ثـم عـمَّ اسم إلههم القومي آشور فأطلقوه على باقي البلاد.

بقـي البـابليون يطلقـون علـى الآشـوريين وعلـى مـوطنهم اسـم سـوبارتو، وبقيـت هـذه التـسمية ملازمـة للآشـوريين حتـى أيـام الدولـة الآشـورية، إذ نجـد الملـك البـابلي مـردوخ بـلادان الآرامـي (٧٢١–٧١١ ق.م.)، لا يـسمي خـصمه الملـك الآشـوري سـرجون الثـاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) ملـك الآشـوريين، بـل ملـك الـسوبارتيين، ويـسمي جيـشه بجمـوع الـسوبارتو، وورد هـذا الاسـتعمال في كتابـات ملـوك الدولـة البابليـة الأخـيرة (الآراميـة الكلدانيـة ٦١٢–٥٣٩ ق.م.)، وحتـى الآشـوريين كـانوا يُـسَمُّون أنفـسهم "سـوبارتو" أحيانـاً، مثـل التقريـر الـذي قدمـه أحـد المـنجمين الآشـوريين إلى الملـك الآشـوري قـائلاً: إذا شـوهد القمـر في اليـوم الـثلاثين مـن شـهر نيـسان فـإنَّ بـلاد سـوبارتو سـوف تغلب قبيلة أحلامو الآرامية، ثم يضيف قائلاً: نحن السوباريين[1].

---

[1]: طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١ ص٧٧، ٤٧٢–٤٧٣.

إنَّ الإلـه القـومي للآشـوريين الـذين أخـذوا اسمهـم منـه هـو "آسـور أو آشـور" وقـد أتـى معهـم مـن الجنـوب، فهـو نفسه كـان إلـه الـشمس في بابـل الـتي عظمتـه لدرجـة الإلوهيـة، وقـد فَـسَّرَ الـبعض اسمـه علـى أنـه تحريـف لاسـم الإلـه الكـوني القـديم "آن اسـار"، أي الإلـه أو الـسيد العلـوي أو الإلـه الأول أو إلـه البدايـة، أو أنـه أتـى مـن الكلمـة الـسريانية (شـوريو ܫܘܪܝܐ) الـتي تعـني البداية، والذي كان يُنطق "آسور" في العصر البابلي الجديد.

أصـبح الإلـه "آسـور" يرمـز إلى قائـد الحـرب ولـذلك صـوَّروهُ إلـه حـرب مُـسلَّحاً بقـوس، وصـفة آسـور كإلـه حـرب جعلتـهُ الإلـه القـومي لأمـة عـسكرية، فكـان جنـود الجـيش هـم "جنـود آسـور" والأعـداء هـم "أعـداء آسـور"[1]، وكـان الإلـه آشـور في أيـام شمـشي أدد الأول (١٨١٤–١٧٨٢ ق.م.) يُعَـدُّ مثـيلاً للإلـه الـسومري (إنليـل)، وفي عهـد سـرجون الثـاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) أصبح يُعَـدُّ مثـيلاً للإلـه (أنـشار والـد آنـو)، وفي عهـد سـنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م.) أصبح مماثلاً للإله مردوخ البابلي.

يقسِّم المؤرخون الأدوار التاريخية لبلاد آشور إلى ثلاثة أقسام، هي:

١: العصر الآشوري القديم (٢٥٠٠ تقريباً–١٥٠٠ ق. م.).

ينقـسم هـذا العـصر إلى طـورين، طـور التكـوين الحـضاري لـبلاد آشـور مـن العـصور القديمـة إلى سـنة ٢٠٠٠ ق.م.، وطـور التكـوين الـسياسي مـن (٢٠٠٠–١٥٠٠ ق.م.).

كـان العـصر الآشـوري القـديم مـضطرباً ولم يكـن للآشـوريين فيـه كيـان سياسـي ثابـت لأنهـم خـضعوا للـسومريين والأكـديين والبـابليين، ثـم اسـتقل بعـض أمـراء المنطقـة جغرافيـاً وكوّنـوا بعـض الإمـارات المـستقلة، إلاَّ

[1]: دائرة المعارف الكتابية ج١ ص ٣٣٦–٣٣٧.

إنــه بعــد ظهــور حمــورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م.) قُـضي علــيهم، ولم يــستطيعوا الظهــور مــرة أخــرى إلاَّ في القــرن الخــامس عــشر قبــل المــيلاد تقريبــاً وفي عهــد الملــك "أداســي" الــذي وصــفته أخبــار الملــوك الــذين جــاؤوا بعــده بأنــه خَلَّــصَ بــلاد آشور من العبودية[1].

لهــذا يُعــدُّ هــذا العــصر آشــورياً بالاســم فقــط، وقــد أثبتــت الاكتــشافات الأثريــة الحديثــة أنَّ المــدن في بــلاد آشــور كانــت في منــشئها عبــارة عــن بــلاد مــستقلة الواحــدة عــن الأخــرى[2]، وأنَّ الآشــوريين أنفــسهم كــانوا يُــسَمُّون ســكان منــاطق الحثــيين ســابقاً بــالحثيين[3]، علمــاً أنَّ قــسماً مــن ملــوك هــذا العــصر لم يكونــوا مــن الآشــوريين أصــلاً كالــسوبارتيين مثــل الملــك أوشــبيا وكيكيــا، والأكــديين مثــل الملــك ســرجون الأكــدي (٢٣٣٤–٢٢٧٩ ق.م.)، ورمــوش (٢٢٧٨–٢٢٧٠ ق.م.)، وغيرهــم، أو أمــوريين مثــل شمــسي أدد الأول (١٨١٤–١٧٨٢ ق.م.) وولديه أشمي وداكان (١٧٨٠–١٧٤١ ق.م.)، وغيرهم.

٢: العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠–٩١١ ق.م.).

يَعــدُّ الكــثير مــن المــؤرخين بدايــة تــاريخ الآشــوريين الــسياسي الحقيقــي مــن العــصر الوســيط وتحديــداً مــن عهــد الملــك آشــور أوبــالط الأول (١٣٦٥–١٣٣٠ ق.م)[4]، ويَعــدُّون المــدة الــتي قبلــها حقبــة ســومرية وأكديــة وبابليــة، ولم تكــن آشــور فيهــا ذات شــأن كــبير قبــل أن يتــزوج الملــك البــابلي الكــشي

---

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٤٣٢.

[2]: المطران سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ج١ ص١٢.

[3]: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة ص ١٦٨.

[4]: المعجــم الموســوعي للــديانات والعقائــد والفــرق والطوائــف والنحــل في العــالم منــذ فجــر التاريخ حتى العصر الحالي، تعريب وتصنيف الأستاذ الدكتور سهيل زكار ص٧٥ .

بورنابورياش الثاني من ابنة الملك الآشوري أوبالط الأول موبلليت شرووا[1]، وبدأت الدولة الآشورية بالتعاظم والقوة منذ عهد أوبالط الأول[2]، وبما أنَّ الدولة الآشورية منذ هذا العصر وبعده أصبحت قوية ومشهورة جداً، فقد أصبح يطلق على المنطقة وسكانها فيما بعد بالآشوريين، بل إنه لشهرتها فإنَّ قسماً من المؤرخين يطلقون تسمية الآشوريين على سكان المنطقة منذ فجر السلالات أي حتى قبل مجيء الآشوريين إلى المنطقة عندما يتحدث بصورة عامة غير مُفصَّلة عن تاريخ المنطقة، وهذا ليس دقيقاً، والدليل هو أنَّ اسم آشور لم يقترن بأسماء ملوكهم قبل سنة ١٤٥٤ ق.م.، بل كان اسماً عابراً وقليلاً وبمدد متباعدة، إذ نرى أنَّ أول تسعةٍ وعشرين ملكاً من قائمة الملوك الآشوريين التي تبدأ بتوديا سنة ٢٣٠٠ ق.م. تقريباً والتي تشمل مئة وسبعة عشر اسماً، لم يكن اسم واحد منهم مقترن بآشور، وأول ملك اقترن اسمه بآشور هو بوزر آشور الأول١٩٥٠ ق.م. تقريباً الذي يحمل الرقم ٣٠، ثم دوكال (١٧٣٥–١٧٢٩ ق.م.) وخلَفه أبلا إيدي اللذان يحملان الرقم ٤١ و٤٢، ثم نيراري الأول (١٥٢٨–١٥٠٣ ق.م.) الذي يحمل رقم ٦٠، بينما نرى اسم آشور بدأ يتعزز ويصبح مشهوراً ومقترناً بأسماء ملوكها فيما بعد، حيث نجد نصف أسماء ملوك آشور تقريباً (أربعة وعشرين من مجموع ثلاثة وخمسين) ملكاً منذ عهد آشور شدوني ١٤٥٤ ق.م. الذي يحمل رقم ٦٤ إلى آخر ملك وهو آشور أوبالط الثاني (٦١١–٦٠٩ ق.م.) الذي يحمل الرقم ١١٧، كان اسمهم مقترناً بآشور.

---

[1]: د. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ص ٧٣٦. يذكره باسم كاروانداش والصحيح بورنابورياش.

[2]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة ص٤٦٠.

جـاء بعـد أوبـالط الأول أدد نـيراري الأول (١٣٠٧–١٢٧٥ ق.م.) الـذي وسّـع المملكـة غربـاً إلى كـركميش، أعقبـه شلمنـصر الأول (١٢٧٤–١٢٤٥ ق.م.) الـذي يُعـدُّ مـن أقـوى ملـوك العـصر الوسـيط حيـث حـارب الكـوتيين وأرمينيـا ومنـاطق الحـوريين ووسَّـع المملكـة شـرقاً وغربـاً، وهـو الـذي شَـيَّد مدينـة النمـرود (كـالح)، ثـم انتكـست الدولـة الآشـورية إلى أن جـاء تغـلاث فلاصـر الأول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م.) الـذي ضـاهى شلمنـصر الأول قـوة، واشـتهر بمحاربـة الآرامـيين وتوسَّـعت فتوحاتـه شـرقاً وغربـاً، ويُعـدُّ أول مـن أعطـى الدولـة الآشـورية مكانـة سياسـية مهمـة في العـصر الوسـيط لأنَّ كـثيراً مـن أخبـاره قـد وصـلت، ثـم خلَفـه ملـوك ضـعفاء، فـانتهز الآراميـون الفرصـة وشـكلوا دويـلات آراميـة في العـراق وسـوريا وبـسطوا نفـوذهم في المنطقة ودامت قوة الآشوريين إلى سنة ٩١١ ق.م.

٣: العـصر الآشـوري الحـديث (٩١١–٦١٢ ق.م.)، يُعـدُّ هـذا العـصر مـن أهـم أدوار دولـة آشـور وأشـهرها، وهـذا العـصر هـو الـذي أعطـى لدولـة آشـور اسمـاً ومكانـة وقـوة وشـهرة في المنطقـة والتـاريخ حيـث بلغـت أوج قوتهـا، ويقـسِّم المؤرخون العصر الآشوري الحديث إلى:

آ– الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١–٧٤٤ ق.م.).

بمجـيء أدد نـيراري الثـاني (٩١١–٨٩١ ق.م.) اسـتعادت الدولـة الآشـورية هيبتهـا وصـارت قويـة مـرة أخـرى خاصـةً أنَّ الحـظ حـالف الآشـوريين حيـث كانـت معظـم الممالـك حـولهم ضـعيفة مثـل البـابليين والآرامـيين والمـصريين، فوسّـع الآشـوريون مملكـتهم، وخلَـف أدد ابنـه تـوكلتي أو ننورتـا الثـاني (٨٩٠–٨٨٤ ق.م.) الـذي حـارب الآرامـيين وأخـضع البـابليين واهـتم بالبنـاء، خلَفـه آشـور ناصـر بـال الثـاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م.) وكـان فاتحـاً قاسـياً وإداريـاً

مُنظَّماً، جاء بعده شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) وكان محارباً واهتم بالبناء، بعده ضعفت الدولة الآشورية وحدثت ثورات داخلية، خلَفه خمسة ملوك ضعفاء كان آخرهم آشور نيراري الخامس (٧٥٤–٧٤٤ ق.م.).

ب – الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤–٦١٢ ق.م.) وهي التي تسميها المصادر التاريخية بالإمبراطورية السرجونية نسبة إلى الملك سرجون (٧٢١–٦١٢ ق.م.) الذي ازدهرت الدولة الآشورية في عهده وعهد أولاده من بعده.

وأول ملوك هذا الدور هو تغلاث فلاصر الثالث (٧٤٤–٧٢٧ ق.م.) الذي احتل دمشق وقتل ملكها رصين، ثم توجه إلى إسرائيل وسبى أهلها من السامرة، خلَفه شلمنصر الخامس (٧٢٧–٧٢٢ ق.م.) الذي حاصر السامرة ثلاث سنوات، ليحتلها ويقضي عليها بعده الملك المشهور سرجون (٧٢٢–٧٠٥ ق.م.) الذي لا يُعرف اسمه الأصلي ولا أصله وإنما هذا لقبه ومعناه الملك العادل أو الصادق، خلَفه ابنه سنحاريب (٧٠٥–٦٨١ ق.م.) الذي قاد حملة أخرى على مملكة يهوذا وحاصر أورشليم التي كانت تساندها مصر، ثم جاء بعده ابنه أسرحدون (٦٨١–٦٦٩ ق.م.) فجهز حملتين على مصر تمكن في الثانية من احتلال مصر العليا ومنها الدلتا وعاصمتها منفيس، ثار بعدها ترهاقة ملك مصر على الآشوريين فجهز آشور بانيبال (٦٦٩–٦٢٦ ق.م.) جيشاً واحتل منفيس مرة أخرى وطارد ترهاقة حتى مصر العليا واستولى على طيبة عاصمة مصر السفلى.

ضعفت الدولة الآشورية بعد آشور بانيبال في عهد ابنه آشور آطل إيلاني (٦٢٦–٦٢٤ ق.م.)، وحدثت اضطرابات على العرش، فاستغل ضعف الدولة الآشورية حاكم بابل وزعيم قبيلة كلدة الآرامية نبو بلاصر (أبو نبوخذ نصر) وتحالف مع ملك الماديين كيخاسر الذي زوَّج ابنته لنبوخذ نصر، وزحف على آشور واحتلها وأسقط عاصمتها نينوى سنة ٦١٢ ق.م.

من الأسباب القوية التي أضعفت الآشوريين كانت سياستهم في تهجير الشعوب وإسكانهم في القرى والمدن والعواصم الآشورية وخاصةً الآراميين، هذه السياسة غيّرت من الوضع السكاني في الدولة الآشورية وأضعفت قوميتها، لذلك ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد انتشر الآراميون في بلاد آشور وأصبحوا أعداداً كبيرة في المدن الآشورية موزعين على كل مرافق الحياة المدنية والعسكرية، حتى أنَّ عددهم فاق مع الزمن عدد الآشوريين، واستطاع علماء الآشوريات في العقود الماضية كشف كثير من الحقائق بخصوص الوجود الآرامي في الدولة الآشورية غيّرت المفاهيم القديمة عن ديموغرافية الدولة الآشورية وهويتها، منهم العالم أندره لومير المختص بقراءة النقوش القديمة فكتب سنة ٢٠٠٤م بحثاً بعنوان "الآراميون شعب ولغة وكتابة خارج حدود الإمبراطوريات":

Les Araméens, un peuple, une langue, une écriture, au-delà des empires

يُعلِّق فيه على سياسة الآشوريين في توطين الآراميين في آشور ويقول: "بالحقيقة لقد حول الملوك الآشوريون دولتهم إلى إمبراطورية آشورية – آرامية عندما دمجوا فيها أعداداً كبيرة من الآراميين"، وكذلك العلاّمة "ح. تدمر"، الذي ذكر في بحثه "كيف أصبحت آشور آرامية "قائلاً: إنَّ قلب آشور كان قد تحول إلى شبه آرامي Semi Aramean[1].

منذ القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً بدأت اللغة الآرامية تحل محل اللغة الأكدية (الآشورية) القديمة التي كانت صعبة وتُكتب على الطين، وقد وجدت نقوش بالمسمارية الأكدية إلى جانب الآرامية مكتوبة على طين، وأصبحت الآرامية في القرن الثامن قبل الميلاد اللغة الرسمية لبلاد آشور،

[1]: مجلد مسوبوتاميا وجيرانها ص٤٥٠ Mesopotamien und seine Nachbarn

ويوجد على الأقل أربعة نماذج لرسائل ملوكية آشورية مكتوبة بالآرامية، وفي إحدى الرسائل الموجهة من شخص يدعى سين- أدينا في مدينة أور إلى الملك سرجون الثاني يقول له: كتبتُ لك بالآرامية على رسائل ملفوفة، فيجيبه سرجون مؤنباً له: لماذا لا تكتب لي رسائلك بالأكدية على قطعة من طين[1]، واستناداً إلى نص الرسالة يذهب المؤرخون إلى أنَّ الملك سرجون كان يريد أن تأتيه الرسائل الخاصة بالبلاط الملكي من المناطق البعيدة بالأكدية المسمارية لكي تكون سرية ولا تقرأ من قِبَل الآخرين بسهولة لأنَّ الآرامية كانت قد طغت على الأكدية الآشورية القديمة وأصبحت لغة الشعب الرئيسة، ووردت في نصوص آشورية منذ القرن الثامن قبل الميلاد مصطلحات تدل على استعمال الآرامية، منها قوائم بأسماء تسليم حصص النبيذ في مدينة نمرود.

وهناك أسماء آرامية كثيرة كانت تعمل في البلاط الملكي وردت على منحوتات كانت تزين القصور الملكية في عهد تغلاث بلاصر وسرجون وسنحاريب وآشور بانيبال حيث يظهر في أغلبها شخصان أحدهما آشوري والآخر آرامي يقفان جنباً إلى جنب[2]، كما عثر على رسالة مهمة باللغة الآرامية تعود إلى عهد آشور بانيبال تُسَمَّى "صدفية آشور"، وجهها موظف آشوري يدعى براتير إلى موظف آشوري آخر يدعى فيراور[3]، وهناك أدلة كثيرة منها اكتشاف نقوش باللغة الآرامية على الأوزان الرسمية وعلى أوراق عمليات البيع والشراء وغيرها، وعندما أرسل الملك الآشوري

---

[1]: أ. د يوسف متي قوزي، محمد كامل روكان، آرامية العهد القديم ص ١٨.

[2]: اندريه بارو، بلاد آشور ونينوى وبابل، ترجمة عيسى سلمان، الأشكال ١٧، ٣٨٤.

[3]: أ. دوبون سومر، الآراميون، ترجمة الأب ألبير أبونا ص ١٠٨.

سنحاريب قائد جيشه ربشاقي إلى ملك اليهود حزقيا يطلب منه الاستسلام، أصر ربشاقي على التحدث بالعبرية لكي يفهم كل الشعب بغية إثارته على القيادات اليهودية وإحداث انشقاق وحرب أهلية بينهم، فطلب المسئولون عن قصر حزقيا الذين تفاوضوا مع ربشاقي أن يكلمهم بالآرامية (السريانية) التي كانت لغة الدولة الآشورية: "فقال الياقيم بن حلقيا وشبنة ويواخ لربشاقى كلم عبيدك بالآرامي لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودي في مسامع الشعب الذين على السور (٢ ملوك ١٨: ٢٦)، وهذا دليل واضح على أنَّ ربشاقي كان يتكلم الآرامية.

أقام الآشوريون في أربع عواصم، هي:

١: آشور (قلعة الشرقاط)، مدينة قديمة جداً يعود تاريخها إلى ٣٥٠٠ ق.م. تقريباً، وكان سكانها من السومريين وربما سكنها الحثيون، أعاد بناءها أوبالط الأول (١٣٦٥–١٣٣٠ق.م)، اكتشفت آثارها سنة ١٨٢١م.

٢: كالح (النمرود) شَيَّدها شلمنصر الأول (١٢٧٤–١٢٤٥ ق.م.)، ثم وَسَّعها آشور ناصر بال الثاني (٨٧٩ ق.م.) واتخذها عاصمة له.

٣: نينوى التي اتخذها سرجون (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) عاصمة له.

٤: دور شوركين (خرسباد)، ومعناها مدينة سرجون شَيَّدها سرجون واتخذها عاصمة له.

أشهر هذه العواصم هي الأخيرة وهي نينوى، ولا يُعرف من شَيَّدها لأول مرة، فقد دَلَّت التحريات على أنها كانت قرية في عصور ما قبل التاريخ، واسمها سومري الأصل يطابق اسم مدينة سومرية باسم ننوا ninua أو نينا nina، وهي قرية تل سرغل التابعة لمحافظة ذي قار (الناصرية) اليوم[1]،

---

[1]: طه باقر، معجم الدخيل في اللغة العربية ص١٧٢.

وكانت تتبع دولة لكش في الألف الثالثة قبل الميلاد، وفي الألف الثانية قبل الميلاد قام شمشي أدد الأول (١٨١٤–١٧٨٢ ق.م.) بتجديد أحد معابدها الذي كان قد أقامه الملك الأكدي مانشستو (٢٣٠٦–٢٢٩٢ ق.م.)، وبدأ اسمها يُعرف في العصر الآشوري الحديث، في عهد الملك سنحاريب سنة ٦٩١ ق.م. ويُبالغ عالم الآثار هنري راولنصون في مساحة نينوى وعدد سكناها في عهد النبي يونان، حيث يقول: كانت مساحتها مئتين وستة عشر ميلاً مربعاً، وعدد نفوسها مليوناً ومائتي ألف نسمة (ولعله يقصد كل دولة آشور).

بعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م. كان سكانها آراميون[1]، وسَمَّوها بالآرامية (السريانية): (حصنا عبرايا ܚܨܢܐ ܥܒܪܝܐ)، ومعناها الحصن العبوري أو القلعة، ودعاها الفرس، نواردشير، وبقيت نينوى والمنطقة الجغرافية المحيطة بها مثل النمرود تُسَمَّى "آشور أو أثور"، وهو اسم جغرافي استعمله بعض المؤرخين السريان واليونان واليهود وغيرهم الذين احتفظوا بالأسماء القديمة، ثم شاع اسم الموصل على نينوى بعد الإسلام، وهناك من يرى أنَّ اسم الموصل آرامي Mespila يعني مصب الإله[2].

منذ القرن الثاني الميلادي تَمتَّع اليهود في نينوى وحولها بنوع من المكانة المهمة، وكان لهم سجنهم الخاص وكانوا يؤدون نصف الضريبة وغيرها، لذلك فإنَّ تسمية الموصل بآشور هي التسمية الجغرافية المتعارف عليها بين اليهود إلى يومنا هذا[3]، ويَطلق الرحَّالة اليهود مثل بنيامين

---

[1]: المطران سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ج١ ص ٣٨.

[2]: تؤكِّد الأبحاث حديثاً أنَّ نينوى اشتهرت في عهد سنحاريب الملك الذي اتخذها عاصمة سنة ٦٩١ ق.م.، وقبلها كانت معسكراً أو سجناً صغيراً لا أهمية له اسمه، أديا، ونبوءة يونان كانت حوالي سنة ٨٦٥-٨٠٩ ق.م.، لذلك هناك من يَشكُّ في حقيقة قصة يونان، ويعتبرها رمزية.

[3]: إريك براوَر، يهود كردستان ص٣٢.

التطلــي (١١٦٥–١١٧٣م)، الحـــاريزي الاســـباني (١١٩٠–١٢٣٥م)، بيتاحيـــا الرتسبوني (١١٧٥–١١٩٠م)، وغيرهم، على مدينة الموصل اسم، آشور.

وهكـــذا ورد اســـم مدينـــة الموصـــل "ܐܬܘܪ" (أتـــور أو أثـــور) في المعجـــم الـــسرياني لحـــسن بـــن بهلـــول (+٩٦٣م)، ويقـــول كـــل مـــن يـــاقوت الحمـــوي وصـفي الـدين البغـدادي: إنَّ أثـور أو أقـور (بالقـاف) هـو اسـم مدينـة الموصـل، وتوجـد قـرب قريـة الـسلامية شمـال الموصـل بليـدة خـراب يقـال لهـا أقـور وكـأن الكـــورة كانـــت مُـــسماة بهـــا (يقـــصد نمـــرود)[1]، ويقـــول المعلـــم لومـــون الفرنساوي: أثور هي المدينة التي تُسَمَّى الموصل[2].

يقـول المطـران أدِّي شـير: ولمـا اكتـسبت الموصـل أهميـة كـبرى في تـاريخ الكنيـسة أُدمجـت مـع أبرشـية أربيـل واتحـدتا فقيـل لهـا أبرشـية حـدياب وأثـور (أي أربيل والموصل، المُؤلِّف)[3].

كـــان يوحنـــا ســـولاقا يحمـــل لقـــب بطريـــرك آشـــور أي الموصـــل، وأنَّ خلَفــهُ عبـد يـشوع مـارون الجـزري كتـب صـيغة إيمانـه في ٧ آذار ١٥٦٢م قـائلاً: "أنـا عبـد يـشوع ابـن يوحنـا مـن عائلـة مـارون المُنتخـب بطريركـاً علـى مدينـة الموصـل في أثـور الـشرقية"[4]، وفي تقريـر مطـران صـيدا ليونـاردو هابيـل إلى بابـا رومـا سـنة (١٥٨٣–١٥٨٥م) يقـول: إنَّ أولئـك النـساطرة الـذين يـسكنون

---

[1]: البغـدادي، مراصـد الاطـلاع ج١ ص٢٧. والحمـوي، معجـم البلـدان، مـادة أثـور. علمـاً أنَّ مدينـة نمـرود سُـمِّيت أحيانـاً قليلـة أثـور أيـضاً كمـا في قـصة بهنـام وسـارة أولاد سـنحاريب ملـك أثـور، أي ملـك الموصـل أو نمـرود في القـرن الرابـع المـيلادي، علمـاً أنَّ المقـصود بـسنحاريب هـو سـابور، حيـث تَـرجم القـصة المـؤرخ الرهـاوي المجهـول +١٢٣٤م مـن اليونانيـة إلى السريانية، فكتب اسم سنحاريب بدل سابور، واستمر هذا الخطأ إلى اليوم.

[2]: المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة ص١٧٧.

[3]: أدِّي شير، تاريخ كلدو و أثور ج٢ ص١٥ ترقيم سرياني ܝܗ.

[4]: الأب شموئيل جميل، علاقات الكلدان والكرسي الرسولي جميل ص٦٣.

مدينة آمد وسعرد والمدن القريبة تمردوا على بطريركهم الذي كان يسكن في دير الربان هرمز قرب مدينة أثور وهي تُسَمَّى اليوم الموصل[1].

ويُطلق هذا الاسم الجغرافي الدلائلي (أثور) بالسريانية على كل من سكن مدينة الموصل بغض النظر عن قوميته أو جنسه، سواء كان عربياً أم كردياً أم سريانياً، فيُسَمَّى، "أثوري أي موصلي أو نينوي"، مثلما كانت لفظة بابل وبابليين تطلق على مدينة بغداد كما مر بنا.

في تقرير الكردينال أموليوس في المجمع التريدنتيني الكاثوليكي في ١٩ آب ١٥٦٢م، قَدَّمَ لهم بطريرك مدينة الموصل المنتخب حديثاً عبد يشوع الجزري الذي خَلَفَ يوحنا سولاقا، بالصيغة الآتية: "السيد المحترم عبد يشوع بطريرك الأثوريين"، (نيسكو: واضح أنه يقصد الموصليين، فالجزري هو بطريرك السريان النساطرة المتكثلكين الذين سُمِّيوا كلداناً فيما بعد)، ويؤكِّد ذلك البابا بيوس الرابع الذي كتب سنة ١٥٦٥م إلى الجزري ولقَّبه "بطريرك الآشوريين أو الموصل"[2].

وبهذا المعنى سُمِّي البطريرك إغناطيوس بطرس الرابع الموصلي (١٨٧٢–١٨٩٤م) أثوري كما جاء في نقش سرياني على باب مذبح كنيسة مار إلياس في قرية باقسيان في طور عابدين يعود لسنة ١٨٩٣م، (ܒܝܘ̈ܡܝ ܐܒܘܢ ܕܝܠܢ ܪܘܚܢܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܦܛܪܘܣ ܡܘܨܠܝܐ ܥܕܬܐ ܐܬܚܕܬܬ ܐܬܘܪܝܐ، رُممت الكنيسة أيام أبينا الروحي البطريرك بطرس الأثوري، "أي الموصلِّي")، وكذلك سُمِّي البطريرك السرياني أفرام الأول برصوم وغيره "أثوري"، أي مُوصلِّي، لأنه كان من مواليد مدينة الموصل.

---

[1]: المصدر السابق، شموئيل ص١١٥–١١٦.

[2]: المصدر السابق، شموئيل ص ٦٦.

(٢) في أصل الكلدان الآراميين القدماء
(قبيلة كلدة الآرامية)

منذ سنة ١٨٩٤ ق.م. إلى سنة ٥٣٩ ق.م. قامت في مدينة بابل إحدى عشرة سلالة من الممالك، أقواها وأشهرها الأولى والأخيرة، وأعظم ملوك السلالة الأولى حمورابي الأموري (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م.)، كما قامت سلالة بابل الثانية على رأس الخليج العربي والتي تُسَمَّى سلالة القطر البحري أو سلالة أمراء الخليج (١٧٤٠–١٥٠٠ ق.م. تقريباً)، ثم السلالة الثالثة وهي سلالة الكاشيين (١٥٩٥–١١٥٧ ق.م.)، فالسلالة الرابعة (١١٥٦–١٠٢٥ ق.م.) وكان ملكها الثامن هو أدد أبال أدن الآرامي (١٠٦٧–١٠٤٦ ق.م.)، بعدها قامت سلالات ضعيفة ومتفرقة هي الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة باتفاق وتعاون البابليين مع الآراميين (١٠٢٤–٧٣٢ ق.م.)، وخلال هذه المدة استطاعت القبائل الآرامية السيطرة على معظم وادي الفرات جنوب بابل، ثم سيطر الآشوريون على سلالة بابل التاسعة، فقام نابو موكين زيري الآرامي زعيم إمارة بيث أموكاني الآرامية بطرد الآشوريين سنة ٧٣١ ق.م. وإقامة السلالة البابلية العاشرة (٧٣١–٧١١ ق.م.) وأشهر ملوكها مردوخ بلادان الآرامي (٧٢١–٧١١ ق.م.) زعيم إمارة بيث ياكيني الآرامية، وهو ملك بابل المذكور في سفر (إشعيا ٣٩:١)، وسفر (٢ ملوك ٢٠ : ١٢)، ولعب هذا الملك دوراً بارزاً في مؤازرة البابليين ضد الآشوريين، لكن الملك الآشوري سرجون أسقط مدينة بابل مرة أخرى، إلى أن قام نبو بلاصر زعيم قبيلة كلدة الآرامية (أبو نبوخذ نصر) الذي كان حاكماً على بابل بالتحالف مع ملك الماديين كيخاسر والزحف على مناطق آشور ابتداء من سنة ٦٢٦ ق. م.، وتم إسقاط نينوى عاصمة

الدولــة الآشــورية ســنة ٦١٢ ق. م. وإقامــة الدولــة أو الــسلالة البابليــة الحاديــة عــشرة، والــتي عُــدَّت انتــصاراً للآراميــة[1]، وهــذه هــي الــسلالة البابليــة الأخــيرة الــتي اشــتهرت بملكهــا نبوخــذ نــصر والــتي أســقطها كــورش الفارســي ســنة ٥٣٩ ق.م.

تُــسمَّى هــذه الــسلالة: الدولــة البابليــة الثانيــة أو الأخــيرة أو الحديثــة أو ســلالة بابــل الحاديــة عــشرة[2]، أو تُــسَمَّى الدولــة الكلدانيــة نــسبة إلى مؤســسها نــابو بلاصــر شــيخ قبيلــة كلــدة الآراميــة، اســوةً بالإمبراطوريــة الــسرجونية الآشــورية الأخــيرة (٧٤٤–٦١٢ ق.م.) الــتي سُــمِّيت نــسبة إلى الملــك ســرجون، وهذا الاسم (الكلدانية) هو أشهرها.

دامــت الدولــة الكلدانيــة ثلاثــاً وســبعين ســنة فقــط (٦١٢–٥٣٩ ق.م.)، لــذلك فــإنَّ جميــع المــؤرخين وذوي الاختــصاص يُــسَمُّون الــسلالات الــتي قامــت في بابــل قبــل قيــام الدولــة الكلدانيــة ســنة ٦١٢ ق.م. بالــسلالات أو الــدويلات البابليــة، ولــيس الكلدانيــة، وحكــم الدولــة الكلدانيــة ســتة ملــوك هــم: نــابو بلاصــــر (٦١٢–٦٠٥ ق.م.)، نبوخـــذ نـــصر (٦٠٤–٥٦٢ ق.م.)، اويـــل مـــردوخ (٥٦١–٥٦٠ ق.م.)، نرجـــال شـــار آوصـــر (٥٥٩–٥٥٦ ق.م.)، لباشـــي مـــردوخ (٥٥٦ ق.م.)، ونبونيدس (٥٥٥–٥٣٩ ق.م.).

---

[1]: علــي أبــو عــساف، الآراميــون ص٢٢. كــذلك د. أنطــوان موتكــارت، تــاريخ الــشرق الأدنى القديم ص ٣٤٨.

[2]: يُقــسِّم بعــض المــؤرخين ســلالات بابــل الإحــدى عــشرة إلى ســلالتين هــي الأولى في عــصر حمــورابي والثانيــة الكلدانيــة، وأحيانــاً إلى ثــلاث أو أربــع ســلالات حيــث يختــصرون الــسلالات مــن (٢–١٠) بواحــدة أو اثنــتين لأنهــا كانــت ضــعيفة، لــذلك تُــسَمَّى الــسلالة الكلدانية أحياناً بالثالثة أو الرابعة، لكن تسميتها بالحادية عشرة هو أدق.

إنَّ معنى كلدة وكلداني بالسريانية هي: فلكي، مُنجِّم، ساحر، عرَّاف[1]، ولذلك فإنَّ الكلدانيين قبيلة آرامية اختصت بالتنجيم والسحر، ويوضح سفر دانيال ذلك لدرجة أنَّ نبوخذ نصر جعل دانيال النبي رئيساً للمنجمين (دا ٥: ١١)، ويقول ابن العبري: اسم نبوخذ نصر سرياني معناه عطارد ينطق، وفي قاموس الحسن بن بهلول معناه "صورة عطارد"[2].

يُجمع المؤرخون والباحثون وأساتذة التاريخ الثقاة على أنَّ الكلدان (عائلة نبوخذ نصر) آراميون، ولأن هذا الأمر لا يختلف عليه اثنان من المؤرخين الثقاة، واختصاراً للقارئ الكريم فإننا لن نعرض أقوالهم وإنما نذكر قسماً من المؤرخين الذين يؤكِّدون أنَّ الكلدان هم آراميون ومنهم: سبستو موناكي، المطران أدِّي شير الكلداني الأثوري، جيمس برستد، أدون بفن، إسرائيل ولنفسون، المعلم لومون الفرنساوي، المطران أوجين منا الكلداني، رفائيل بابو إسحق، الأب ألبير أبونا، فيليب حتي، خريسوستمس بابادوبولس، أ. دوبون سومر، كارل بروكلمان، جورج رو، د. أنطوان موتكارت، د. رمضان عبده علي، طه باقر، د. عبد العزيز صالح، د. حلمي محروس، روبنس دوفال، د. نجيب ميخائيل، إبراهيم السامرائي، الأب أنستاس الكرملي، د.عفيف بهنسي، أحمد سوسة، فوزي رشيد، أحمد أمين سليم، حامد عبد القادر، د. الشحات زغلول، د. مراد كامل، د. علي أبو عَسَّاف، وغيرهم كثيرون.

---

[1]: المطران الكلداني أوجين منا، دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ٣٣٨.

[2]: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص٤٣. كذلك الحسن بن بهلول قاموس سرياني–عربي ص١٢١٢. راجع أيضاً دليل الراغبين حول اسم نبو ص٤٢٧.

ويُفصِّل القسم الأكبر من هؤلاء المؤرخين بالقول إنَّ نابو بلاصر أبو نبوخذ نصر هو زعيم قبيلة (كلدة) الآرامية، لذلك فإنَّ الباحثين يَعدُّونهم ذوي صلات وثيقة وأقرباء وقبيلة وجلدة واحدة ومن منبع واحد، بل إنَّ هناك بعض الكتاب والمؤرخين حين يتكلمون عن الدولة الكلدانية يذكرونها بصيغة الدولة الكلدانية الآرامية[1].

وإنني أرى أنَّ عائلة نبوخذ نصر تنحدر من قبيلة بيث ياكيني الآرامية التي قامت دولتها بين الناصرية والبصرة جنوب العراق (تل اللحم حالياً)، وأشهر ملوكها مردوخ بلادان الآرامي (٧٢١–٧١١ ق.م.).

يقول علماء الآثار والتاريخ: إنَّ موطن الكلدان الأصلي هو شواطئ الخليج العربي في جنوب العراق، ويرى البعض الآخر من الباحثين مثل فيليب دوغورتي وغيره، أنَّ الكلدان هم أقوام خرجت من شبه الجزيرة العربية واندفعوا من هذه المنطقة ودخلوا العراق خلال الألف الأولى قبل الميلاد متخذين طريق ساحل البحر العربي ثم الخليج العربي، ويشاركهم في ذلك الرأي الأب أنستاس الكرملي، وينقل لنا الباحث جواد علي عن سترابو (Strabo) أنَّ مدينة الجرها (Gerrha) التي تقع عند العقير (الإحساء حالياً) (Alhasa) في ساحل الخليج العربي في السعودية هي موطن الكلدان الأصلي حيث كانت تتمتع بعلاقات جيدة مع بلاد بابل.

ولا توجد علاقة بين تسمية الدولة الكلدنية التي أسسها زعيم قبيلة كلدة الآرامية نابو بلاصر وابنه نبوخذ نصر وبين تسمية أور الكلدانيين التي وردت في العهد القديم أربع مرات فقط للدلالة على منطقة كسديا

---

[1]: انظر موتكارت، تاريخ الشرق الأدنى القديم، إمبراطورية الكلدان انتصار الآرامية ص ٣٤٨. وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، (الكلدانيون الآراميون) ص ٢٠٩.

الـتي خـرج منهـا إبـراهيم أبـو الأنبيـاء، ويقـول المتخصـصون بتـاريخ الآشـوريين والكلـــدان: إنَّ معلمـــي الكتـــاب المقـــدس أعطـــوا اســـم الكلـــدان دون أن يكــون لــديهم دليــل علمــي يؤكِّــد ذلــك[1]، ويؤكِّــد البرفــسور نــاحوم ســارنا أســتاذ الدراســات التوراتيــة ورئــيس قــسم الترجمــة العبريــة في جامعــة برانــديز بولايــة بوســطن الأمريكيــة: إنــه مــن الخطــأ أن نقــول أور الكلــدانيين، لأنَّ أور أساساً كانت مدينة سومرية.

الحقيقــة هــي أنَّ اليونــان نتيجــة إعجــابهم الكــبير بالدولــة البابليــة الأخــيرة (الآراميــة الكلدانيــة) الــتي وصــلت فيهــا بابــل أوج عزهــا بعــد ركــود دام أحــد عــشر قرنــاً (مــن عــصر حمــورابي)، وورود أحــداث الدولــة الكلدانيــة كــثيراً في الكتــاب المقــدس بــسبب وجــود اليهــود المــسبيين وظهــور أنبيــاء مــنهم كتبــوا أخبــارهم وقــسماً مــن الأســفار في كنــف الدولــة الكلدانيــة، فــإنهم أي اليونــان حــين ترجمــوا الكتــاب المقــدس ســنة ٢٨٠ ق.م في أيــام الملــك بطليمــوس الثــاني فيلادلفــوس مــن العبريــة الــتي كُتبــت بهــا أســفار العهــد القــديم إلى اليونانيــة، والــتي تُــسَمَّى الترجمــة الــسبعينية، ترجمــوا كلمــة كــسديا أو كــسديم العبريــة الــتي وردت في الأســفار الــتي كُتبــت قبــل الدولــة الكلدانيــة بقــرون، ترجموهــا إلى كلــديا أو كلــدان، وأطلقــوا علــى بابــل بــلاد الكلــدانيين، ولكــن الكلــدانيين أنفــسهم لم يكونــوا مــن ســكان بابــل الأصــليين، ولم يعثــر العلمــاء علــى اســم كلــديا أو الكلــدانيين إلاَّ في القــرن التاســع قبــل المــيلاد وفي مــدونات الملــك الآشــوري آشــور ناصــر بــال الثــاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م.) حيــث كــان هــذا الاســم يُطلــق علــى قبيلــة كانــت تقــيم في الأحراش المحلية على مقربة من الخليج العربي[2].

---

[1]: Fleisch العدد٢، ١٩٤٧م، ص١١، وكتاب Rosenthal ١٩٣٩م، ص٧٢–٧٣.

[2]: حامد عبد القادر، الأمم السامية، مراجعة د. عوني عبد الرؤوف ص٨٠.

ويُـــرجِّح العلاَّمـــة الألمـــاني هـــوك ونكلـــر Winkler (١٨٦٣–١٩١٣م)، أنَّ نبوخـذ نـصر وعائلتـه القويـة هـي الـتي أعطـت للكلـدانيين مكانـة رفيعـة في بابـل وطغـت علـى غيرهـا مـن الأسمـاء القديمـة، حتـى أنَّ مـؤرخي اليونـان والرومـان لم يعتـدوا بـسواهم مـن حكـام بابـل، فكـانوا يطلقـون اسـم الكلـدان علـيهم وبـذلك أحيـوا اسـم الكلـدان وأمـاتوا أسمـاء غيرهـم مـن سـكان بابـل، لـذلك نـرى أنَّ البـابليين يُـسَمَّون "الكـسديين" في النـصوص العبرية القديمة، لكن اليونان سَمَّوهم كلداناً في الترجمة السبعينية[1].

بقيـت كلمـة الكـسدانيين تُـستعمل فيمـا بعـد مـن قِبَـل الـبعض بـشكل قليـل مثـل ابـن خلـدون إذ يـستعملها في تاريخـه أكثـر مـن مـرة، وابـن وحـشية الكـسداني (٩١٤م) الـذي يـذكر أنـه تـرجم أحـد كتـب الكـسدانيين المكتـوب في القـرن الثـاني قبـل المـيلاد إلى العربيـة (كتـاب الفلاحـة النبطيـة) ويقول: كانت لغة الكسدانيين هي السريانية القديمة.

وكلمـة (الكـسدانيون) هـي نـسبة إلى اسـم منطقـة كاسـد في جنـوب بـلاد الرافـدين أو النهـرين (العـراق)، الـتي تُـسَمَّى "كـسديا"، ويُـسَمَّى أهـل المنطقـة "كاسـديون أو كاسـيون"، نـسبة إلى كاسـد بـن نـاحور مـن امرأتـه مِلْكـة بنـت هـاران، الـوارد في سـفر (التكـوين ٢٢ : ٢٢)، وكـذلك (يـشوع ٢٤ : ٢)، وناحور هو أخو إبراهيم بن تارح، أي إبراهيم هو عم كاسد.

لـذلك فـإنَّ كلمـة أور الكلـدانيين الـواردة في العهـد القـديم للكتـاب المقـدس باللغـة العبريـة الـتي كُتِـب بهـا، هـي أور الكاسـدين وليـست أور الكلـدانيين، لاحـظ عمـود اللفـظ في قـاموس سـترونغ (Dictionary Strong) للكتـاب المقـدس في الجـدول الآتـي كيـف تُنطـق كلمـة (أور الكلدانيين) بكلمة (أور الكاسديين) باللغة العبرية.

---

[1]: المـصدر الـسابق ص٨١. علمـاً هنـاك مـن يـرى أنَّ منطقـة كاسـد تقـع شمـالاً قـرب بـلاد آشور وحولها، وأنَّ اسم الكاسديين نسبةً لأرفكشاد بن سام.

تكـــوين ١١–٢٨ : ومـــات هـــاران قبـــل تـــارح أبيـــه في أرض مـــيلاده في أور الكلدانيين، וַיָּמָת הָרָן עַל־פְּנֵי תֶּרַח אָבִיו בְּאֶרֶץ מוֹלַדְתּוֹ בְּאוּר כַּשְׂדִּים.

الأصل العبري	رقم سترونغ	اللفظ	الترجمة الصوتية	الترجمة العربية
אב	H1	*awb*	'âb	-
אור	H218	*oor*	'ûr	-
ארץ	H776	*eh'-rets*	'erets	-
הרן	H2039	*haw-rawn'*	hârân	-
כשדימה כשדי	H3778	*{kas-dee'}* *kas-dee'-maw*	kaώdîy kaώdîymâh	-

כשדימה כשדי (kaώdîy kaώdîymâh)

{kas-dee'} kas-dee'-maw

(Occasionally shown as the second form with enclitic; meaning *towards the* Kasdites); patronymic from H3777 (only in the plural); a *{*Kasdite*}* or descendant of Kesed; by implication a *Chaldaean* (as if so descended); also an *astrologer* (as if proverbial of that people): into {Chaldea}) patronymicallyn. from H3777 (only in the plural); a Kasdite; or descendant of Kesed; by implication a Chaldan (as if so descended) also an astrologer (as if proverbial of that people):{Chaldeans}{Chaldees}inhabitants of Chaldea.

وينطبـــق هـــذا علـــى الآيـــات الثلاثـــة الباقيـــة مـــن ســـفر التكـــوين (١٥ : ٩ كذلك ١١–٣١)، وسفر نحميا (٩ : ٧). (راجع نفس القاموس).

معلوم أنَّ إبراهيم وعشيرته وأخوته ونسلهم جميعاً حسب الكتاب المقدس، كانوا كلهم آراميين نسبة إلى عمهم البعيد آرام بن سام[1].

فاستناداً إلى سفر الثنية (٢٦: ٥) كان إبراهيم آرامياً: "آرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة"، وأوصى إبراهيم أن يتزوج ابنه اسحق من بنت آرامية من عشيرته: "إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق (تك ٢٤: ٤)"، وفعلاً تزوج اسحق رفقة ابنة بتوئيل الآرامي، "وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان آرام (تك ٢٥: ٢٠)"، وبتوئيل هو أخو كاسد بن ناحور (تك ٢٢: ٢١–٢٣)، أي بتوئيل هو ابن أخي إبراهيم أيضاً، ثم تزوج يعقوب راحيل وليئة ابنتي لابان الآرامي ابن بتوئيل الآرامي: "فصرف اسحق يعقوب فذهب إلى فدان آرام إلى لابان بن بتوئيل الآرامي أخي رفقة أُم يعقوب وعيسو (تك ٢٨: ٥)".

أمَّا ناحور أبو كاسد فهو: ناحور أخو إبراهيم بن تارح، وتزوج من مِلْكة ابنة هاران في أور، ثم أقام في مدينة ناحور(حاران) في آرام النهرين (حاران)، وهي المدينة التي أرسل إليها إبراهيم عبده ليجلب رفقة زوجة لابنه اسحق، وأنجب ناحور من ملكة ثمانية أبناء هم، عوصا، بوزا، قموئيل، كاسد، حزو، فلداش، يدلاف، بتوئيل، وأصبح هؤلاء الثمانية فيما بعد أجداد القبائل الآرامية[2].

---

[1]: إبراهيم هو ابن تارح من نسل قينان بن أرفكشاد أخو آرام بن سام. والحقيقة أنَّ أور معناها مدينة، وكلدان منجمين، وأور الكلدان هي منطقة الرها، أورهاي، أورفا، حاران، آرام نهرين، ناحور، في تركيا حالياً، وإبراهيم نفسه يؤكِّد أنَّ مسقط رأسه وأرض ميلاده هناك، وليس في أور العراق (تك ٢٤: ١-١٠)، انظر أيضاً (يشوع ٢٤: ٢).

[2]: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٤.

يقول الأب بولس الفغالي: إنَّ ناحور أخو إبراهيم وأبو كاسد صار بواسطة نسائه جَدّاً لاثنتي عشرة قبيلة أو مستوطنة آرامية، ثمان منها تنحدر من زوجته مِلْكة وأربع من سريته رؤومة، وفي النصوص المسمارية المتأخرة نجد اسم ناحور كاسم شخص (ناحيري، ناحور) وكاسم مكان (نحور، تل نحيري)، وهي مدينة في منطقة حاران شمال بلاد الرافدين على الضفة اليمنى لنهر خابور، اتخذت أهمية في الألف الثاني قبل الميلاد، وقد تعني العبارة مدينة ناحور الذي هو أخو إبراهيم، وذُكرت في اللوحات الكبادوكية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ويبدو أنها لعبت دوراً هاماً في مراسلات مملكة ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت عاصمة مقاطعة آشورية أيضاً، وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد هاجمها الآراميون ودَمَّروها، فولدت مدينة باسم تل نحيري في القرن السابع، وبين تلك المدتين قامت في المنطقة قبائل آرامية تذكرهم التوراة[1].

لهذا تُسَمَّى منطقة الكاسديين في جنوب بلاد الرافدين في المصادر المسيحية (بيث آراماي) أي بيت الآراميين[2].

يؤكِّد روبنس دوفال (١٨٢٩–١٩١١م) أنَّ الآراميين كانوا يُشكِّلون غالبية سكان بلاد ما بين النهرين وبابل وأربيل وكركوك وأورميا وبلاد الأهواز وأطرافها[3].

---

[1]: الأب بولس الفغالي، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ص١٢٨٧.

[2]: راجع الأب يوسف حَبِّي كنيسة المشرق الكلدانية الآشورية ص٣١، كذلك راجع خارطة المنطقة في كتاب مجامع كنيسة المشرق لنفس المؤلف ص٧.

[3]: روبنس دوفال، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة الأب لويس قصاب ص٢٢.

يذكر المطران الكلداني سليمان الصائغ أنَّ بعض المحققين ذهب إلى أنَّ اسم الآراميين كان شاملاً للكلدان والآشوريين[1].

يقول المطران أوجين منا الكلداني: إنَّ جميع القبائل الساكنة قديماً في البلاد الفسيحة الواسعة المحدودة ببلاد الفرس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وبلاد الأرمن وبلاد اليونان في آسيا الصغرى شمالاً وحدود جزيرة العرب جنوباً كانت قاطبة معروفة ببني آرام أو الآراميين، نعم إنَّ بعضاً من هذه القبائل كانت تُسَمَّى أيضاً بأسماء خصوصية كتسمية أهل بابل وما يجاورها بالكلدانيين وتسمية سكان مملكة أثور بالأثوريين وتسمية أهل الشام بالآدوميين، ولكن مع ذلك كانت تسمية الآراميين تشملهم جميعاً، كما أنَّ تسمية الطي وقريش وحميَّر وكنانة لا تخرج هذه القبائل من كونهم عرباً[2].

لذلك وكما رأينا، فالكلدان هم قبيلة آرامية، ويؤيد ذلك جميع المؤرخين، ويخلص المطران صليبا شمعون إلى القول: أمَّا كون قبيلة كلدو هي آرامية، فأمر يكاد يجمع عليه الباحثون، لاسيما التوراة التي تشير إلى آراميتها[3].

لهذا لغة حُكَّام الدولة الكلدانية الآرامية، كانت اللغة الآرامية (السريانية)، علماً أنَّ اللغة الأكدية القديمة ذات الأبجدية المسمارية فكانت قد اضمحلت واقتصرت على بعض الناس القليلين وخاصةً الجيش والطبقة الحاكمة الذين كانوا يستعملونها كلغة عسكرية سرية

---

[1]: المطران الكلداني سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ج٢ ص ٦.

[2]: المطران أوجين منا الكلداني، دليل الراغبين في لغة الآراميين ص١٣.

[3]: المطران صليبا شمعون، الممالك الآرامية ص ١٣٦.

أحيانـاً، ويؤكـد الكتـاب المقـدس علـى أنَّ نبوخـذ نـصر وشـعب الدولـة الكلدانيـة كـان يـتكلم الآراميـة "فكلـم الكلـدانيون الملـك نبوخـذ نـصر بالآرامية" (دانيال ٢ : ٤).

الملاحـظ أنَّ الكتـاب المقـدس عنـدما ذكـر اللغـة الآراميـة الـتي تكلـم بهـا الـشعب الكلـداني مـع الملـك نبوخـذ نـصر، لم يـذكر معهـا اسـم لغـة أخـرى، أي لم يقـل إنَّ الـشعب كلـم الملـك بالآراميـة ولـيس بالكلدانيـة أو العبريـة أو الأكديـة أو غيرهـا، اسـوةً بالآيـة (٢ ملـوك ١٨ : ٢٦) عنـدما طلـب اليهـود مـن ربـشاقي أن يكلمهـم بـالآرامي ولـيس بـاليهودي أي العـبري، "فقـال اليـاقيم بـن حلقيـا وشـبنة ويـواخ لربـشاقي كلـم عبيـدك بـالآرامي لأننـا نفهمـه ولا تكلمنـا بـاليهودي"، كمـا لم يـرد في كـل الكتـاب المقـدس اسـم اللغـة الكلدانيـة بـالرغم مـن ورود اسـم الدولـة الكلدانيـة وملوكهـا مئـات المـرات، وهـذا دليـل علـى أنَّ اللغـة الأكديـة القديمـة الـتي كانـت قـد اضـمحلت وماتـت تقريباً لم يكن لها اسم معروف أصلاً أيام الدولة الكلدانية.

والـدليل الآخـر الـذي لا يقبـل الـشك علـى أنَّ اللغـة الـسريانية الآراميـة كانـت منتـشرة في الدولـة الكلدانيـة، هـو أنَّ آلاف اليهـود الـذين سـباهم نبوخـذ نـصر عنـدما عـادوا إلى أورشـليم بعـد الـسبي، تكلمـوا اللغـة الآراميـة ولـيس غيرهـا، فكيـف تَعَلَّـمَ جميـع هـؤلاء اليهـود الآراميـة إن لم تكـن هـي اللغـة معروفـة ومتداولـة؟[1]، بـل اليهـود تعلموهـا بطلاقـة بحيـث تركـوا لغـتهم القديمـة وأصـبحت الآراميـة (الـسريانية) لغـتهم الرئيـسة والـتي كتبـوا بهـا الترجـوم، وعنـدما عـاد اليهـود المـسبيين أرادوا إعـادة بنـاء الهيكـل، فمـنعهم

---

[1]: حـسب سـفر (نحميـا ٧: ٦٦) كـان عـدد العائـدين (٤٢٣٦٠) عـدا الـذين بقـي مـنهم في بابل لأنهم تأقلموا ودخلوا الحياة العامة كموظفين وعمال وغيرها.

الملــك الفارســـي أرتحشـــشتا (٤٦٥–٤٢٤ ق.م.) مـــن ذلـــك، وكتـــب موظفـــو أرتحشـشتا في أورشـليم رسـالة لـه بالآراميـة: "كتـب بـشلام ومثـرداث وطبئيـل وســـائر رفقـــائهم إلى أرتحشـــشتا ملـــك فـــارس، وكتابـــة الرســـالة مكتوبـــة بالآرامية ومترجمة بالآرامية (عز ٤: ٧)"[1].

لهـذا وكمـا ذكرنـا سـالفاً، أنَّ قبيلـة كلـدة الآراميـة نتيجـة شـهرتها وقوتهـا بـرز اسمهـا الخـصوصي (كلـدان) علـى حـساب اسمهـا العرقـي الآرامـي، وهـذا أمـر أكثـر مـن طبيعـي في التـاريخ، وخاصـةً مـع القبائـل الآراميـة، حيـث نجـد أنَّ أغلـب الممالـك الآراميـة الـتي نـشأت ومنهـا تلـك الـتي قامـت في جنـوب بـلاد النهـرين كانـت تُـسَمَّى باسـم قبائلـها مثـل، فقـودو، بيـث يـاكيني، كمبولـو، بيـث شـيلاني، وغيرهـا كمـا سـيأتي، وينطبـق هـذا الكـلام أيـضاً علـى الدولـة البابليـة الأولى الـتي اقـترن اسمهـا بحمـورابي لـشهرته، حيـث تـرد في بعـض المـصادر دولـة حمـورابي وعاصـمة حمـورابي، بـل بعـض المـصادر لـشهرة حمـورابي عَدَّتـه مؤسـس مدينـة بابـل، بـالرغم مـن وجـود مدينـة بابـل قَبلـهُ، وكـذلك الأسـرة الـسرجونية الآشـورية الأخـيرة الـتي تـرد في كـثير مـن المـصادر التاريخيـة باسـم الإمبراطوريـة الـسرجونية بـالرغم من أنها آشورية وغيرها

---

[1]: للدقـة العلميـة فقـد نَقَّحنـا ووضَّـحنا في طبعتنـا الثانيـة هـذه، مـا توصَّـلنا إليـه لاحقـاً وذكرنـاه في كتابنـا (اسمهـم سـريان، لا آشـوريون ولا كلـدان) وهـو: في عـصر الدولـة الكلدانيـة كانـت الآراميـة (الـسريانية) لغـة الطبقـة الحاكمـة في بابـل، أي عائلـة نبوخـذ نـصر وأبيـهِ وخلفائـهِ لأنهـم عائلـة آراميـة، وكـذلك اليهـود المـسبيين لأنهـم آراميـون، وربمـا عـدد قليـل مـن الـشعب، أمَّـا لغـة الـشعب عمومـاً، فكانـت الأكديـة بلهجـة بابـل الجغرافيـة، وبالنـسبة لتـسمية الكلـدان فـالنبي دانيـال هـو الـذي سَـمَّى سـلالة بابـل الأخـيرة، أي دولـة نبوخذ نصر "كلدانية"، أمَّا نبوخذ نصر وأبيه وخلفائه، فلم يقولوا قط، إنهم كلدان.

آشور وبابل في الكتاب المقدس

هناك بعض الحقائق حول آشور وبابل في الكتاب المقدس، مثل نسب الآشوريين والكلدان من الناحية العرقية في العهد القديم، وموقف الكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد من الآشوريين والكلدان، وبعض أسماء المدن والآلهة وغيرها، لا بد من توضيحها فنقول:

أولاً: إنَّ اسم الآشوريين الوارد في الكتاب المقدس ليس له علاقة عرقية أو أثنية بآشور أخي آرام بن سام بن نوح، بل يتعلق بإله الآشوريين القومي، وبالرغم من حقيقة أنه لا يوجد من المؤرخين من قال إنَّ الآشوريين ينتسبون لآشور عرقاً إلاَّ ما ندر، بمن فيهم الآشوريين الحاليين أنفسهم، إلاَّ أننا سوف نُفصِّل الأمر أكثر، ونقول:

حسب الكتاب المقدس فإنَّ نمرود الصياد عندما كان في أرض شنعار شَيَّد مدن (بابل، أرك، أكد، وكلنة)، ثم انتقل إلى أرض آشور ليبني مُدناً أخرى: "وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض، الذي كان جبار صيد أمام الرب، لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب، وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار، من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى ورحوبوث عير وكالح، ورسن بين نينوى وكالح هي المدينة الكبيرة (تكوين ١٠: ٨–١٢)"[1].

يجب ملاحظة أنَّ الآية (١١) القائلة: (من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى.....إلخ)، لا تعني أنَّ شخصاً اسمه آشور خرج من بابل، بل تعني أنَّ

---

[1]: شنعار تعني نهرين، بابل (باب الإله)، أرك وأكد (مستقيم)، كلنة (حصن)، رحوبوث عير (الساحات المتسعة) وكانت جزءاً من نينوى التي تعني بيت الإله نين، رسن هي بخديدا أو قره قوش حالياً، كالح تعني (الشيخوخة) وهي مدينة النمرود.

نمـرود خـرج مـن بـلاد بابـل وجـاء إلى بـلاد آشـور وبنـى نينـوى ورحوبـوث عـير وكـالح علـى أرض آشـور، وفي كـل الترجمـات ومنهـا العبريـة واليونانيـة والإنكليزيـة والفرنـسية ....إلخ (عـدا العربيـة)، تـأتي بـالمعنى الأخـير، أي أنَّ نمـرود لم يكتـف بأرضـه فخـرج كجبـار يفـتح مـدناً أخـرى في أرض آشـور، والكتـاب المقـدس يُفـرِّق بـين أرض آشـور ونمـرود فيقـول: فيرعـون أرض آشـور بالـسيف وأرض نمـرود في أبوابهـا فينقـذ مـن آشـور إذا دخـل أرضـنا وإذا داس تخومنا (ميخا ٥: ٦).

يؤكِّـد الكتـاب المقـدس بـشكل واضـح أنَّ نمـرود هـو مـن نـسل كـوش بـن حـام ولـيس مـن نـسل سـام: "وبنـو حـام كـوش ومـصرايم وفـوط وكنعـان، وبنـو كـوش سـبا وحويلـة وسـبتة ورعمـة وسـبتكا.وبنـو رعمـة شـبا وددان، وكـوش ولـد نمـرود الـذي ابتـدأ يكـون جبـارا في الأرض (تكـوين ١٠: ٦–٩)"، ولا مجـال لـذكر آشـور بـن سـام وسـط أبنـاء حـام في الآيـة، لأنَّ الكتاب المقدس يُفصِّل ذرية أبناء نوح سام وحام ويافث كل على حدة.

وقـد صَـوَّرَ الكتـاب المقـدس نـسل حـام وهـم: كنعـان وكـوش ونمـرود، كـأمم ظالمـة ومقاومـة لعمـل الله، ورمـزاً لعمـل الـشر، لـذلك عـاقبهم الله باللعنـة وجعلـهم مـستعبدين لـسام الـذي أعطـاه البركـة، إذ يقـول: قـال ملعـون كنعـان عبـد العبيـد يكـون لإخوتـه، وقـال مبـارك الـرب إلـه سـام ولـيكن كنعـان عبـداً لهـم، ليفـتح الله ليافـث فيـسكن في مـساكن سـام، ولـيكن كنعـان عبـداً لهـم (تكـوين ٩: ٢٥–٢٧)، لهـذا فـإنَّ الكتـاب المقـدس قَـدَّمَ كـشفاً عـن عمـل الـشر مـن خـلال نـسل حـام الـذي جَـسَّدَهُ كـل مـن نمـرود وكنعـان، لكـن الله لم يتركهـم بـلا رجـاء، بـل كـشف عـن عمـل الخـير مـن خـلال نـسل سـام المبـارك، وأعلـن لهـم الميثـاق الإلهـي بمجـيء كلمـة الله

متجسداً من نسل سام بن إبراهيم ممثلاً بالسيد المسيح الذي به تتهيأ هذه الشعوب للحياة الأبدية.

ونمرود هو ابن كوش بن حام بن نوح، وهو أبو أمرافل ملك شنعار الوارد ذكره في سفر التكوين (١٤ : ١)، ولا يَتطرَّق الكتاب المقدس إلى تفاصيل حياة نمرود، لكن التلمود اليهودي يَتطرَّق بتفصيل أكثر لحياة نمرود، ويقول إنه عذب إبراهيم ورماه في النار لكن الله نجاه، ولذلك خاف نمرود وأهدى إبراهيم الخادم اليعيزر الدمشقي الوارد ذكره في سفر التكوين (١٥ : ٢)، ومن شدة ظلم نمرود لإبراهيم، رحل إبراهيم من أور إلى حاران، وكان لنمرود مُفسر أحلام يدعى أنوكي، وعاش نمرود مئتين وخمس عشرة سنة، ثم قتله عيسو بن اسحق بن إبراهيم الذي كان صياداً ماهراً مثله، ونُقلت جثته إلى بابل ودفن هناك.

وربَطَ بعض المفسرين بين شخصية جلجامش وعَدُوُّهُ نمرود، كما ربطوا بين أنكيدو رفيق نمرود وأنوكي مُفسر أحلام نمرود، ويرى بعض علماء الآثار أنَّ نمرود عاش زمن حضارة العبيد العراقية (٣٨٠٠ ق.م. تقريباً)، وكلمة "نمرود" تعني جبار أو متمرد، وقد اشتهر بجبروته حتى صار مضرباً للأمثال فيقال كنمرود الجبار أو الصياد، وذكره الله بالقول "جبار صيد أمام الرب"، أي أنه كان متمرداً أمام الله يعتز بقدراته على الصيد في مقاومته للرب، وكثير من مقاومي الرب كانوا صيادين للوحوش مثل عيسو، ولهذا يقول القديس جيروم، عيسو أيضاً كان صياداً وكان خاطئاً، وفي كل الكتاب المقدس لا نجد صياداً مؤمناً باستثناء صيادي السمك[١]، وحتى ابن نمرود كان شريراً مثل أبيه ولذلك

[1]: أنطونيوس فكري وتادرس يعقوب، تفسير الكتاب المقدس للآيات الواردة سالفاً.

صار مضرباً للمثل القائل: وهل يُخلِّف الشرير إلاَّ أشراراً[1].

ثانياً: بالنسبة لآشور أخي آرام بن سام، فإنَّ اسم آشور ασσουρ كشخص ورد مرتين في الكتاب المقدس في (تك ١٠: ٢٢، و١ أخ ١: ١٧)، ومن غريب الأمور أنه الشخص الوحيد في الكتاب المقدس الذي لم تُذكر ذريته، حيث يتكلم الكتاب المقدس بوضوح وإسهاب أحياناً عن ذرية أولاد سام الثلاثة، آرام وعيلام وأرفكشاد، وبدرجة أقل عن ابن سام الرابع لود، باستثناء الابن الخامس آشور، الذي لا يتكلم عن ذريته ونسله أي شيء، "بنو سام عيلام وآشور وأرفكشاد ولود وآرام (تكوين ١٠: ٢٢)"، لذلك الكتاب المقدس لا يذكر من هم أبناء آشور أو أين انتشروا، وهل بقي آشور ونسله في المنطقة أم رحلوا إلى مكان آخر؟، خاصةً أنَّ قسماً من الحاميين قد رحلوا غرباً وسكنوا مصر وحولها، وإذا كان لآشور أولاد فعلاً فإنهم انتشروا في بقاع الأرض، وإذا كان احتمال أنَّ قسماً منهم قد سكن منطقة شمال العراق الحالي وحولها التي سُمِّيت آشور فيما بعد، فقطعاً كان هؤلاء هم السوبارتيون سكان البلاد الأصليين قبل مجيئ الأقوام السامية والسكن في المنطقة واتخاذ اسم الآشوريين فيما بعد.

علماً أنَّ اسم أرفكشاد بن سام الوارد في (تك ١٠: ٢٢-٢٤) يرد أيضاً في منطقة شمال العراق التي سُمِّيت بلاد آشور، ويظن البعض أنَّ قسماً من المناطق القريبة من نهر الزاب شمالي شرقي نينوى قد سُمِّيت باسم أرفكشاد، وقد ورد هذا الاسم في المدونات الآشورية بصيغة "أرباخا"[2]،

---

[1]: أحمد بيش، التلمود، تقديم سهيل زكّار ص ٧٦-١٠٤.

[2]: قاموس الكتاب المقدس ص٥١.

ويُظَـنُّ أن أرباخـا هـي مدينـة كركـوك الحاليـة، كمـا ورد أرفكـشاد اسمـاً لأحـد ملـوك مـادي الـتي كانـت عاصـمتها مدينـة أحْمَتـا (سـفر يهـودت ١ : ١)، وأحْمَتـا اسـم آرامـي، والاسـم الفارسـي القـديم لهـا هـو (هجمتانـا)، وسَـمَّاها اليونان أكبتا، وهي اليوم مدينة همدان الإيرانية[1].

الـشيء الآخـر هـو أنَّ المقـصود بـبلاد آشـور في سـفر التكـوين (٢ : ١٤) "واسـم النهـر الثالـث حـداقل وهـو الجـاري شـرقي آشـور"، هـي ليـست نفـس بـلاد آشـور التقليديـة الـتي تقـع شـرق نهـر دجلـة وإنمـا هـي (قلعـة الـشرقاط) فقـط الـتي كانـت عاصـمة الآشـوريين والـتي يقـع نهـر دجلـة شـرقها، أمَّـا بـلاد آشـور فنهـر دجلـة يقـع غربهـا ولـيس شـرقها، وكاتـب وحـي الكتـاب المقـدس عنـدما سَـمَّى هـذه الـبلاد، آشـور، لا يعـني أنَّ تـسميتها منـذ أقـدم العـصور كانـت بـلاد آشـور، أي أنَّ كاتـب وحـي سـفر التكـوين عنـدما كَتَبَـهُ في القـرن الخـامس عـشر قبـل المـيلاد (١٤٥٠ ق.م. تقريبـاً)، كَتَـبَ أسمـاء المنـاطق المعروفـة في زمانـه، ولم تكـن مهمتـه الرجـوع إلى الأسمـاء القديمـة لـبلاد آشور مثل سوبارتو أو غيرها.

ثالثـاً: بخـصوص رسـالة مـار بطـرس الـتي ذكـر فيهـا أنَّ هنـاك سـيدة ترسـل تحيـة وتُـسلِّم علـى المـؤمنين مـن بابـل، "تُـسلِّم علـيكم الـتي في بابـل المختـارة معكـم ومـرقس ابـني (١ بطـرس ٥ : ١٣)"، فـإنَّ بابـل هـذه هـي قريـة أو محلـة في الـسامرة، سـكنها أهـل بابـل الـذين أتـى بهـم الملـك الآشـوري سـرجون الثـاني سـنة (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) مـع غيرهـم مـن الـشعوب مـن بابـل وغيرهـا، وأسـكنهم في مـدن الـسامرة مكـان اليهـود الـذين سـباهم إلى آشـور، كانـت

---

[1]: الأب بولس الفغالي، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ص ١٢٨.

مدينة كوث إحدى المدن الشهيرة في بابل قديماً وكان أهل كوث من أبرز هؤلاء الأقوام التي سكنت السامرة، حتى ظل السامريون يُدعون باسم الكوثيين زمناً طويلاً[1]، علماً أنَّ اليهود العائدين من بابل بعد السبي شكلوا قوة كبيرة أيضاً وكونوا مجمعات ومراكز ثقافية باسم بابل، وحتى المؤرخ يوسيفوس (٣٧–١٠٠م) أصدر نسخة خاصة من دراساته التاريخية لهم، وهناك رأي آخر هو أنَّ الرسالة كُتبت من روما التي كانت توصف مثل بابل بالشر والزنى والفسق والخطيئة، وهؤلاء ذُكروا في سفر الملوك الثاني (١٧: ٢٤–٣٠) القائل:

وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها، وكان في ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب، فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم، فكلموا ملك آشور قائلين: إنَّ الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم في مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض،

---

[1]: دائرة المعارف الكتابية ج٦ ص ٤٠٩. و (كوث) مدينة مشهورة في بابل قديماً، ولعلها كانت عاصمة الإمبراطورية السومرية الأولى (حالياً تل إبراهيم على بعد ٢٠ ميل شمال شرق بابل)، اكتشفها هرمز رسام (١٨٨١–١٨٨٢م)، يبلغ محيطها ٣،٠٠٠ قدم وارتفاعها ٢٨٠ قدم، ووجدت فيها ألواح عليها اسم "جودوا أو كوتا"، ويوجد بالقرب منها تل يعلوه معبد تذكاراً لإبراهيم، وكان فيها معبد باسم "إشدلوم"، كان مكرساً لإله الشمس البابلي "نرجل"، ونرجل اسم سومري معناه "ملك المدينة العظيمة"، وكان إله الحرب وسيد العالم السفلي، ووجدت لنرجل آثار كثيرة في بلاد الرافدين، وكانت كوث مركز عبادته. وحول نقل هؤلاء اليهود إلى كوثي، راجع طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ص٥١٣.

فأرسل عليهم السباع فهي تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض، فأمر ملك آشور قائلاً ابعثوا إلى هناك واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض، فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن في بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب، فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون كل أمة في مدنها التي سكنت فيها، فعمل أهل بابل سكوث بنوث، وأهل كوث عملوا نرجل (٢ ملوك ١٧ : ٢٤–٣٠)[1].

ونتيجة لورود اسم مار مرقس في هذه الرسالة مع السيدة أولاً، ولعلاقة مرقس بالديار المصرية لأنه أتى إلى مصر سنة ٦٢م تقريباً، فإنَّ الرسالة كُتبت أثناء اضطهاد نيرون (٥٤–٦٨ م) ثانياً، ولعلاقة مار بطرس بمرقس حيث كان تلميذه وابنه الروحي ثالثاً، فإنَّ الإسكندريين استنتجوا أنَّ مار بطرس قد أتى لزيارة مرقس في مصر، وأنَّ الرسالة كُتبت في قرية أسسها اللاجئون من بابل قرب القاهرة باسم بابليون، وكانت في وقت كتابة الرسالة معسكراً حربياً رومانياً لا تزال آثاره قائمة إلى اليوم، والسيدة ربما تكون زوجة مار بطرس لأنها كانت بنت عم والد مرقس، ويقول كليمانوس الإسكندري إنها كانت شخصية معروفة في الكنيسة الأولى وقد اصطحبها مار بطرس معه في رحلاته التبشيرية (١ كورنثوس ٩ : ٥)، واستشهدت أمام عيني بطرس حيث كان يشجعها بقوله "اذكري الرب".

---

[1]: سكوث بنوث: اسم صنم أقامه البابليون في السامرة، معناه بالعبرية "مظلات البنات"، كان يمارس فيه البغاء، أو أنها كانت مظالاً تحوي تماثيل بعض الآلهة (دائرة المعارف الكتابية ج٤ ص ٣٩٨).

رابعـاً: ذكرنـا سـابقاً أنـه لا توجـد أيـة علاقـة تاريخيـة أو أثنيـة أو عرقيـة بـين السـريان الـشرقيين (الآشـوريين والكلـدان مـن المـسيحيين الحـاليين) وبـين الـدولتين الآشـورية والكلدانيـة الـتي قامـت في العـراق القـديم، سـوى أنَّ الطـائفتين السـريانيتين الـشرقيتين اتخـذتا هـذين الاسمـين في القـرن التاسـع عـشر، ونريـد أن نُبـيِّن رأي الكتـاب المقـدس وشـهادته مـن الـدولتين لنؤكـد أنَّ هـاتين الـدولتين قـد أبيـدتا وانتهتـا ولم يعـد لهمـا ذكـر فيمـا بعـد، لا همـا ولا شـعبيهما، سـوى أنهمـا كانتـا موجـودتين سـابقاً كـدولتين جغـرافيتين سياسـيتين لا قـوميتين ولا عـرقيتين، ولم يكـن في زمـن السـيد المـسيح شـعب اسمـه آشـوري أو كلـداني، والكتـاب المقـدس بعهـده الجديـد لم يـذكرهما مطلقـاً، بـالرغم مـن أنـه ذكـر شـعوباً وأقوامـاً عديـدة كانـت حاضـرة في يـوم الخمسين أي يوم حلول الروح القدس.

يقـول سـفر أعمـال الرسـل (٢: ١–١١): ولمـا حـضر يـوم الخمـسين كـان الجميـع معـاً بـنفس واحـدة، وصـار بغتـة مـن الـسماء صـوت كمـا مـن هبـوب ريـح عاصـفة ومـلأ كـل البيـت حيـث كـانوا جالـسين، وظهـرت لهـم ألـسنة منقـسمة كأنهـا مـن نـار واسـتقرت علـى كـل واحـد مـنهم، وامـتلأ الجميـع مـن الـروح القـدس وابتـدؤوا يتكلمـون بالـسنة أخـرى كمـا أعطـاهم الـروح أن ينطقـوا، وكـان يهـود رجـال أتقيـاء مـن كـل أمـة تحـت الـسماء سـاكنين في أورشـليم، فلمـا صـار هـذا الـصوت اجتمـع الجمهـور وتحـيروا لأنَّ كـل واحـد كـان يـسمعهم يتكلمـون بلغتـه، فبهـت الجميـع وتعجبـوا قـائلين بعـضهم لـبعض تـرى ألـيس جميـع هـؤلاء المـتكلمين **جليلـيين**؟، فكيـف نـسمع نحـن كـل واحـد منـا لغتـه الـتي ولـد فيهـا؟، **فرتيـون ومـاديون وعيلاميـون والـساكنون مـا بـين النهـرين واليهوديـة وكبدوكيـة وبنـتس وآسـيا، وفريجيـة وبمفيليـة ومـصر ونـواحي ليبيـة الـتي نحـو القـيروان والرومـانيون**

المستوطنون يهود ودخلاء، كريتيون وعرب، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله.

فهل كان الكريتيون والعرب أشهر من الآشوريين والكلدان؟.

ويُسَمِّي الكتاب المقدس بشكل واضح سكان هذه المنطقة بسكان بين النهرين، وذَكرَ أسماء بلدان هؤلاء الأقوام، ولم يذكر آشور وبابل.

فهل كانت كبدوكية وفريجية أشهر من آشور وبابل؟.

خامساً: إنَّ أغلب شعب الدولتين الآشورية والكلدانية كان آرامياً من الناحية القومية والعرقية، والدليل على ذلك هو أنَّ الكتاب المقدس يذكر أكثر من اسم لأشخاص عاديين يُلقَّبَون بالآرامي لم يكونوا ملوكاً ولم تكن لديهم دولة آرامية قوية تساعد في انتسابهم إليها، مثل بتوئيل ولابان ونعمان الآراميين، وكذلك هناك نساء آراميات كما جاء في (١ أخ ٧: ١٤)، فقد كان لمنسَّى سريَّة آرامية، كما أنه فضلاً عن آرام بن سام نجد أن كثيرين قد تَسَمَّوا باسم آرام مثل، آرام بن حصرون (راعوث ٤: ١٩، ومتى ١: ٣)، وآرام بن قموئيل (تك ٢٢: ٢١)، وأيضاً بنو شامر أخي آرام (١ أخ ٧: ٣٤)، بينما لا نجد هناك اسماً واحداً لشخص لقبه الكلداني أو الآشوري في الكتاب المقدس، باستثناء مرة واحدة لُقِّب فيها نبوخذ نصر بالكلداني لأنه كان من قبيلة كلدة الآرامية وملكاً للدولة الكلدانية التي كانت آرامية القومية والعرق، كما أننا نجد هناك تجمعات سكنية خاصة بالآراميين في كنف الدولتين الآشورية والكلدانية تدل على طابعها القومي والعرقي: "إذا قلنا ندخل المدينة فالجوع في المدينة فنموت فيها وإذا جلسنا هنا نموت، فالآن هلم نسقط إلى محلة الآراميين فإن استحيونا حيينا، وإن قتلونا متنا، فقاموا في

العشاء ليذهبوا إلى محلة الآراميين فجاؤوا إلى آخر محلة الآراميين فلم يكن هناك أحد (٢ ملوك ٧: ٤–٥)"، كذلك راجع آية (١٠ و ١٦) من السفر، بينما لا نجد مثل ذلك مع الآشوريين والكلدان.

كما وجدنا أنَّ إحدى أهم مقومات القومية والعرقية وهي اللغة الآرامية (السريانية) واضحة جداً وفي أكثر من موضع في الكتاب المقدس كما في (عز ٤ : ٧) و (دانيال ٢ : ٤) و (٢ ملوك ١٨ : ٢٦)، لكننا لا نجد ذكراً للغة اسمها الآشورية أو الكلدانية.

الخلاصة: إنَّ الدولتين الآرامية الكلدانية والسلالة السرجونية الأخيرة من الدولة الآشورية)، كانتا جغرافيتين سياسيتين لا قوميتين ولا عرقيتين وانتهى اسمهما بسقوطهما، وكانتا تتكلمان اللغة الآرامية (السريانية)[1].

---

[1] : بالنسبة للدولة الآرامية الكلدانية، كان ملوكها مثل نابو بلاصر وابنه نبوخذ نصر وخلفائهم، يجيدون اللغة الآرامية لأنهم آراميون، أمَّا شعب بابل فكانت لغته لا تزال الأكدية، وانتشرت الآرامية فيه وأصبحت لغة البلاط الفارسي بعد سقوط دولة الكلدان سنة ٥٣٩ ق.م.

مكانة الآشوريين والكلدان في الكتاب المقدس

لا يتمتع الآشوريون والكلدان في العهد القديم من الكتاب المقدس بمكانة محترمة، بل بسمعة سيئة، وبالرغم من أنَّ اللّه كان قد استعمل قوة الآشوريين كسياط لمعاقبة مخالفي شريعته، لكن ملوكهم كانوا ظالمين وقساة على البلاد والعباد، ويربط الكتاب المقدس دائماً وصف هاتين الدولتين بالسوء والشر والفسق والزنى والدم والسحر... إلخ، ويتوعد بمعاقبة الآشوريين والبابليين، لدرجة أنَّ الرب يُقسم بهلاكهما الأبدي وتحطيمهما وقطع نسلهما وذريتهما، حيث يقول:

فأقوم عليهم يقول رب الجنود وأقطع من بابل اسماً وبقية ونسلاً وذرية يقول الرب، وأجعلهم ميراثاً للقنفذ وآجام مياه وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود، قد حلف رب الجنود قائلاً: إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت، أن أحطم آشور في أرضي وأدوسه على جبالي فيزول عنهم نيره ويزول عن كتفهم حمله، هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم (إشعيا ١٤: ٢٢–٢٦).

معاقبة الآشوريين

لقسوة الآشوريين يطلب الشعب من اللّه أنَّ يخلصهم من ظلمهم لكي يعرف العالم أنه رَبٌّ قوي، إذ يقول:

حقاً يا رب إنَّ ملوك آشور قد خربوا كل الأمم وأرضهم، ودفعوا آلهتهم إلى النار لأنهم ليسوا آلهة بل صنعة أيدي الناس خشب وحجر فأبادوهم، والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك (إش ٣٧: ١٨–٢٠).

ويصور الله كيف يفرح أبناؤه بالدفوف عندما يضرب ويحارب الآشوريين ويقضي عليهم فيقول: من صوت الرب يرتاع آشور، بالقضيب يضرب، ويكون كل مرور عصا القضاء التي ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان، وبحروب ثائرة يحاربه (إشعيا ٣٠: ٣١–٣٢).

وعندما يعاقب الله الآشوريين ويكسرهم، لن يجعل جراحهم تشفى، وستفرح وتصفق الأمم لذلك حيث يقول: نعست رعاتك يا ملك آشور، اضطجعت عظماؤك، تشتت شعبك على الجبال ولا من يجمع، ليس جبر لانكسارك، .جرحك عديم الشفاء، كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك لأنه على من لم يمر شرك على الدوام (ناحوم ٣: ١٨–١٩).

يبدأ الرب بمعاقبة الآشوريين قائلاً: إني أعاقب ثمر عظمة ملك آشور وفخر رفعة عينيه (إشعيا ١٠: ١٢).

ويُنفِّذ الرب وعده ليبيد آشور ويجعلها خراباً إذ يقول: ويمد يده على الشمال ويبيد آشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقفر، فتربض في وسطها القطعان كل طوائف الحيوان القوق أيضاً، والقنفذ يأويان إلى تيجان عمدها، صوت ينعب في الكوى، خراب على الأعتاب لأنه قد تعرى أرزيها، هذه هي المدينة المبتهجة الساكنة المطمئنة القائلة في قلبها أنا وليس غيري، كيف صارت خراباً مربضاً للحيوان، كل عابر بها يصفر ويهز يده (صفنيا ٢: ١٣–١٥).

ثم يقول الرب لنينوى عاصمة آشور إنه لن يقوم اسمها بعد اليوم: ولكن قد أوصى عنك الرب لا يزرع من اسمك في ما بعد (ناحوم ١: ١٤).

ويضيف: إنَّ نينوى لن تقوم لها قائمة ولن يكون لها رسل في الأرض يسمع صوتهم فيقول: أين مأوى الأسود ومرعى أشبال الأسود، حيث

يمشي الأسد واللبوة وشبل الأسد وليس من يخوف، الأسد المفترس لحاجة جرائه والخانق لأجل لبواته حتى ملأ مغاراته فرائس ومآويه مفترسات، ها أنا عليك يقول رب الجنود فأحرق مركباتك دخاناً وأشبالك يأكلها السيف وأقطع من الأرض فرائسك ولا يسمع أيضاً صوت رسلك (ناحوم ٢: ١١–١٣).

ويجعل الرب من معاقبة آشور مثلاً لمعاقبة بابل فيقول: هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هأنذا أعاقب ملك بابل وأرضه كما عاقبت ملك آشور (إرميا ٥٠: ١٨).

معاقبة بابل عاصمة الكلدانيين

فعلاً ينتقل الرب لمعاقبة بابل بسبب كبريائها وينتزع الله اسمها ولا يترك فيها بقية ولا ذرية كما يقول الكتاب المقدس: فقل أنت يا رب قد تكلمت على هذا الموضع لتقرضه حتى لا يكون فيه ساكن من الناس إلاّ البهائم بل يكون خرباً أبدية (إرميا ٥١: ٦٢)، وكذلك لتكون بابل مثلاً أمام العالم كله حيث تصير خراباً ومأوى البهائم وتكنس بمكنسة الهلاك فيقول: ويسكنها القنفذ والبهائم وآجام مياه ليكنسها بعد ذلك بمكنسة الهلاك (إشعيا ١٤: ٢٣).

يُشَبِّه الكتاب المقدس بابل بالمرأة الزانية وأُم الرجاسات حيث يقول: فمضى بي بالروح إلى برية فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزي مملوء أسماء تجديف له سبعة رؤوس وعشرة قرون، والمرأة كانت متسربلة بأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب في يدها مملوءة رجاسات ونجاسات زناها، وعلى جبهتها اسم مكتوب سر بابل العظيمة أُم الزواني ورجاسات الأرض (رؤيا ١٧: ٣–٥).

ثـم يتوعـد الكتـاب المقـدس بهـلاك بابـل وبأنـه سيـشبه هـلاك سـدوم وعمـورة قـائلاً: وتـصير بابـل بهـاء الممالـك وزينـة فخـر الكلـدانيين كتقليـب الله سـدوم وعمـورة، لا تعمـر إلى الأبـد ولا تـسكن إلى دور فـدور ولا يُخـيِّم هنـاك أعرابـي ولا يـربض هنـاك رعـاة، بـل تـربض هنـاك وحـوش القفـر ويمـلأ البـوم بيـوتهم وتـسكن هنـاك بنـات النعـام وتـرقص هنـاك معـز الـوحش، وتـصيح بنـات آوى في قـصورهم والـذئاب في هياكـل التـنعم ووقتهـا قريـب المجيء وأيامها لا تطول (إش ١٣: ٢٠–٢٢).

وصـدقت نبـؤة الـنبي إشـعيا الـذي تـوفي بـين سـنة (٦٩٠ و٦٨٠ ق.م.)، بـأنَّ مملكـة بابـل الأخـيرة الـتي سُـمِّيت كلدانيـة سـوف تقـوم قريبـاً وتـسقط سريعاً إذ يقول: ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول (إش ١٣: ٦–٢٢).

وفعـلاً فقـد قامـت الدولـة الكلدانيـة في بابـل سـنة ٦١٢ ق.م.، ثـم سـقطت في يد كورش الفارسي سنة ٥٣٩ ق.م.، حيث دامت ٧٣ سنة فقط.

ويُـصَوِّر الكتـاب المقـدس سـقوط بابـل أخـيراً بـسبب زناهـا حيـث سـخطَ الـرب عليهـا وأشـربها خمـرة غـضبه لتـصبح خرابـاً أبـدياً إذ يقـول: سـقطت سـقطت بابـل المدينـة العظيمـة لأنهـا سـقت جميـع الأمـم مـن خمـر غـضب زناهـا (رؤيـا ١٤: ٨)، ويـضيف: سـقطت وبابـل العظيمـة ذُكـرت أمـام الله ليعطيهـا كـأس خمـر سـخط غـضبه (رؤيـا ١٦: ١٩)، ويقـول أيـضاً: فقـل أنـت يـا رب قـد تكلمـت علـى هـذا الموضـع لتقرضـه حتـى لا يكـون فيـه سـاكن مـن الناس إلى البهائم بل يكون خرباً أبدية (إرميا ٥١: ٦٢).

بقيـت بابـل في العهـد الجديـد رمـزاً لكـل الـصفات الـسيئة فهـي مـسكن الـشياطين والأرواح النجـسة والممقوتـة والزانيـة والخاطئـة...إلخ، إلى أن جـاءت سـاعة دينونتهـا، ويقـول القـديس أغـسطينوس: صـارت بابـل تـشير إلى جماعة الأشرار ومملكة الدجال.

وينقل لنا سفر الرؤيا إصحاح (١٨) ذلك بشكل مُفصَّل، حيث يقول:

بعد هذا رأيت ملاكاً آخر نازلاً من السماء له سلطان عظيم واستنارت الأرض من بهائه، وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت مسكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت، لأنه من خمر غضب زناها قد شربَ جميع الأمم وملوك الأرض زنوا معها وتجار الأرض استغنوا من وفرة نعيمها، ثم سمعت صوتاً آخر من السماء قائلاً اخرجوا منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها، لأنَّ خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها، جازوها كما هي أيضاً جازتكم وضاعفوا لها ضعفاً نظير أعمالها في الكأس التي مزجت فيها امزجوا لها ضعفاً، بقدر ما مَجَّدت نفسها وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحزناً لأنها تقول في قلبها أنا جالسة ملكة ولست أرملة ولن أرى حزناً، من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأنَّ الرب الإله الذي يدينها قوي، وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون دخان حريقها، واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل المدينة العظيمة بابل المدينة القوية لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك، ويبكي تجار الأرض وينوحون عليها لأنَّ بضائعهم لا يشتريها أحد فيما بعد، بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم واللؤلؤ والبز والأرجوان والحرير والقرمز وكل عود ثيني وكل إناء من العاج وكل إناء من أثمن الخشب والنحاس والحديد والمرمر، وقرفة وبخوراً وطيباً ولباناً وخمراً وزيتاً وسميذاً وحنطة وبهائم وغنماً وخيلاً ومركبات وأجساداً ونفوس الناس، وذهب عنك جنى شهوة نفسك وذهب عنك كل ما هو مشحم وبهي ولن تجديه في ما بعد، تجار هذه الأشياء الذين استغنوا منها

سيقفون من بعيد من أجل خوف عذابها يبكون وينوحون، ويقولون ويل ويل المدينة العظيمة المتسربلة ببز وأرجوان وقرمز والمتحلية بذهب وحجر كريم ولؤلؤ، لأنه في ساعة واحدة خرب غنى مثل هذا، وكل ربان وكل الجماعة في السفن والملاحون وجميع عمال البحر وقفوا من بعيد، وصرخوا إذ نظروا دخان حريقها قائلين أية مدينة مثل المدينة العظيمة، وألقوا تراباً على رؤوسهم وصرخوا باكين ونائحين قائلين، ويل ويل، المدينة العظيمة التي فيها استغنى جميع الذين لهم سفن في البحر من نفائسها لأنها في ساعة واحدة خربت، افرحي لها أيتها السماء والرسل القديسون والأنبياء لأنَّ الرب قد دانها دينونتكم، ورفع ملاك واحد قوي حجراً كرحى عظيمة ورماه في البحر قائلاً: هكذا بدفع سترمى بابل المدينة العظيمة ولن توجد فيما بعد، وصوت الضاربين بالقيثارة والمغنين والمزمرين والنافخين بالبوق لن يسمع فيك فيما بعد، وكل صانع صناعة لن يوجد فيك فيما بعد وصوت رحى لن يسمع فيك فيما بعد، ونور سراج لن يضيء فيك فيما بعد، وصوت عريس وعروس لن يسمع فيك فيما بعد لأنَّ تجارك كانوا عظماء الأرض، إذ بسحرك ضلت جميع الأمم، وفيها وجد دم أنبياء وقديسين وجميع من قتل على الأرض[1].

---

[1]: من طريف الأمور، ونتيجة الصراع بين الكلدان والآشوريين الحاليين الذين لا علاقة لهم بالآشوريين والكلدان القدماء أصلاً، فقد اقترح عليَّ أحد مثقفي الطائفة السريانية الشرقية النسطورية التي سُمِّيت آشورية، تشكيل هيئة دينية لحذف أو تبديل فقرات الكتاب المقدس التي تصف الآشوريين بالسوء، وعندما طرحتُ هذا الرأي والاقتراح على مثقف من الطائفة التي سُمِّيت كلدانية، كان رأيه مماثلاً، لكن بحذف ما يشير بالسوء للكلدان وبابل فقط، وإبقاء ما يخص الآشورية.

السريان (ܣܘܪܝܐ) والسريانية (ܣܘܪܝܝܐ ؟)

لزمت هذه التسمية كنيسة أنطاكية منذ فجر المسيحية، وفي بداية الأمر لم يكن لهذه الكلمة مدلول قومي أو سياسي بل مدلول ديني بحت[1]، يشير إلى أبناء كنيسة أنطاكية الرسولية من المسيحيين فقط دون غيرهم من أبناء الكنائس الأخرى مثل روما والإسكندرية، أي كل سرياني مسيحي، ولكن ليس كل مسيحي سرياني، لذلك من الخطأ إطلاق كلمة (سورايا) على المسيحي الفرنسي مثلاً، بل يُطلق عليه (مشيحايا) بمعنى مسيحي، إلاَّ إذا انتمى هذا الفرنسي إلى كنيسة أنطاكية، عندئذ يُسَمَّى: سريانياً (**ܣܘܪܝܐ** سوريُيا أو **ܣܘܪܝܐ** سورايا).

إنَّ الاسم السرياني هو اسم كنيسة أنطاكية الديني ورعاياها أينما وجدوا بغض النظر عن بلدهم أو جنسهم، وإن سألت أحداً من أهل القرى المسيحية في الشام والعراق وتركيا وإيران وغيرها ما هو دينك؟، أجاب على الفور بالسريانية: أنا سورايا، أي أنا مسيحي.

أمَّا سبب تسمية السريان والسريانية فتعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وتأصلت في القرن الثالث قبل الميلاد، حيث كان السريان قديماً يُسَمَّون آراميين نسبة إلى آرام الابن الخامس لسام بن نوح، وهم الشعب الذي كان يسكن المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى وجبال طورس شمالاً إلى صحراء سيناء وشمال الجزيرة العربية جنوباً، ومن البحر المتوسط غرباً إلى الصحراء السورية وحتى نهر الفرات شرقاً، وهذا هو تحديد الجغرافيين القدماء مثل سترابو وغيره لسوريا الكبرى وكذلك الجغرافيين العرب، أمَّا علماء الكتاب المقدس وكثيرون غيرهم فإنهم

---

[1]: المطران إسحق ساكا، كنيستي السريانية ص٢٧.

يفصلون بين سورية وفلسطين ويَعدُّون سوريا هي قوس الهلال الخصيب، يحدها من الغرب جبال لبنان التي تفصل سورية عن ساحل البحر المتوسط، ومن الجنوب ما يعرف الآن بالجليل وباشان، ومن الشرق الصحراء السورية، ومن الشمال نهر الفرات وجبال أمانوس، وكانت تضم في بعض الأحيان فينيقية[1].

منذ الألف الأولى قبل الميلاد قامت عدة ممالك آرامية في هذه المنطقة مثل مملكة آرام نهرين (أي نهري الفرات والخابور)، آرام معكا في الجولان، فدان سهل أو آرام في حران، آرام صوبا في البقاع، آرام بيت رحوب (عند مفرق الليطاني)، آرام بين ياحون (جنوب لبنان) آرام معكة (في حماة)، آرام بيت بخياني (تل حلف حاليا)، آرام حلب، آرام كركميش (جرابلس حاليا)، آرام بيت عديني (بور سيبيا في العراق)، آرام لاراك، آرام بيت أموكاني، آرام بيت شيلاني، آرام بيت ياكيني في جنوب العراق، آرام دمشق التي كانت اكبر الممالك الآرامية، وغيرها.

أول من أستعمل كلمة السريان بدل الآراميين في الكتب القديمة هم اليونان، علماً أنَّ اليونان لم يخترعوا هذا الاسم من عندهم بل سمعوه من السريان أنفسهم من خلال مخالطتهم ومعاشرتهم لهم[2]، ففضلاً عن تواجد اليونان في بلدان الشرق التي كان أغلب سكانها آراميين، فإنَّ الثقافة الآرامية (السريانية) كانت قد وصلت إلى اليونان سنة ١٥٩٠ ق.م. عن طريق طائفة سريانية (آرامية) بقيادة رجل يدعى قدمو أو قادم جاءت من مدينة صور في فينيقية التي كانت تعتبر آخر بلاد السريان كما جاء في

---

[1]: دائرة المعارف الكتابية ج٤ ص٤٦٠. كذلك الموسوعة العربية مج١١ ص ٢٥٤.

[2]: اقليميس يوسف داود، اللمعة الشهية ص٢٤.

التـــــــــواريخ اليونانيـــــــــة[1].

إذن أول مــن اســتعمل كلمــة ســوريا وســريان بــدل آرام هــم اليونــان وذلــك في القــرن الخــامس قبــل المــيلاد ومــنهم الــشاعر اشــيل والمــؤرخ هيرودوتــس في تاريخــه الــشهير[2]، وعنــد ترجمــة العهــد القــديم مــن الكتــاب المقــدس مــن العبريــة إلى اليونانيــة ســنة ٢٨٠ ق.م.، والــتي سُــمِّيت، الترجمــة الــسبعينية، تُرجمــت كلمــة آرامــي إلى ســوريو συρου أي ســرياني (ســوري)[3]، وتُرجمــت كلمــة آرام إلى συριια ســوريا أو συριας ســورياس أي بــلاد ســوريا[4]، مــع ملاحظــة الــسين المــضافة في نهايــة الاســم في اللغــة اليونانيــة تُــسَمَّى "الــسين الشائعة"، أي أنها ليست ضرورية اللفظ في بقية اللغات.

عنــدما احتــل الإســكندر الكــبير المنطقــة ســنة ٣٣٤ ق.م.، ثــم بَــسطَ خلفــاؤه الــسلوقيون نفــوذهم علــى بــلاد فــارس وعــيلام وبابــل وآشــور وســومر وســوريا وآســيا الــصغرى وفلــسطين، كــان الآراميــون قــد انتــشروا انتــشاراً كــبيراً مــن البحــر المتوســط إلى مــشارف الهنــد وأصــبحت لغــتهم دوليــة، ولمــا كانــت ســوريا وعاصــمتها أنطاكيــة في ذلــك الوقــت مــن أهــم الولايــات وأكبرهــا وأحبهــا إلى الــسلوقيين، لهــذا فقــد شمــل الاســم الــسرياني جميــع مناطق الإمبراطورية السلوقية.

---

[1]: الخوري يوسف داود الموصلي، كتاب التمرنة في الأصول النحوية ج٢ ص٣٠.

[2]: راجــع تــاريخ هيرودوتــس الــشهير، الكتــاب الأول ص١٤، ٦٣. ك ٢ ص١١٣، ١٥٤–١٥٥. ك ٣ ص ٢٣٤، ١٩٦.

[3]: انظــر الترجمــة الــسبعينية اليونانيــة ٢ ملــوك ٥: ٢٠، ومواضــع أخــرى، علمــاً أنَّ الترجمــة اليونانية للعهد الجديد، تُترجم كلمة آرامي إلى συρος سرياني (إنجيل لوقا ٤: ٢٧).

[4]: انظر (١ أخ ١٨: ٦، قض٣: ٨–١٠، و٢ ملوك ٦: ٨)، وبقيه المواضع الأخرى.

يقول المؤرخ والفيلسوف اليوناني بوسيدونيوس (١٣٥–٥١ ق.م.) الذي عاش في سوريا في مدينة أفاميا على نهر العاصي في سوريا: إنَّ السريان هم الآراميون[1]، ويقول المؤرخ والجغرافي اليوناني الشهير سترابو الذي كان معاصراً للسيد المسيح (٦٣ ق.م.–٢٤م): الذين نطلق عليهم نحن اليونان اسم السريان، فإنهم يُسَمُّون أنفسهم "آراميين"[2].

لما سقطت الدولة السلوقية سنة ٦٤ ق.م. بيد القائد الروماني بومباي استعمل الرومان نفس الاسم سوريا.

وبما أنَّ كثيراً من لغات العالم تضيف حرف نون النسبة إلى الاسم مثل اللغة اليونانية واللاتينية والإنكليزية والعبرية والعربية والأرمنية وغيرها، ففي اللغة اليونانية تضاف كلاحقة إعرابية إلى نهاية الاسم في حالة المفعول مع أنها ليست من أصل الكلمة مثل يسوع ιησουν (يسوعن) الواردة في إنجيل (متى ١: ٢١، ٢٥، وإنجيل لوقا ١: ٣١)، وكذا الحال في اللغة العبرية حيث وردت siryon سيريون (تثنية ٣:٩ وغيرها)، وينطبق ذلك على صيغة الانتساب لبعض البلدان في لغات أخرى أيضاً كالإنكليزية مثل Egypt، Egyptian مصريٌ، Irak، Irakian عراقيٌ، Syria، Syrian سوري، ونفس الحالة في اللغة العربية كما في كلمة نوراني نسبة إلى (النور) إذ القياس (نُوريٌّ)، ومنها: صيدلانيٌّ، طبرانيٌّ، صمدانيٌّ، ويقول ابن منظور: والنون من زيادات النسب، ويقول ابن الأثير في البداية والنهاية:

---

[1]: كتاب بوسيدونيوس.

Posidonius, (Cambridge Classical Texts and Commentaries 1988) vol. 2, pp. 955-956 .

[2]: سترابو، الجغرافيا، الكتاب الأول، فصل ٣٤.

وزيادة الألف والنون للتأكيد، ويرى سيبويه هذه الزيادة للتخصيص[1]، لذلك فقد تُرجمت كلمة آرامي إلى سرياني مثل نعمان السرياني الوارد في إنجيل لوقا (٤: ٢٧).

عندما دخلت المسيحية فلسطين وأنطاكية والمناطق المجاورة، كانت تسمية سوري أو سرياني قد ترسخت لدى الناس، وأصبحت كلمة سوريا نفسها مرادفة لسرياني ومعناها مسيحي، وإنَّ مار إغناطيوس النوراني ثالث وأشهر بطاركة الكنيسة السريانية يُسَمِّي الكنيسة السريانية عدة مرات "الكنيسة التي في سوريا"، ويقول: اذكروا في صلاتكم الكنيسة التي في سوريا[2]، وكثير من كُتَّاب تاريخ الكنيسة يستعملون أحياناً كلمة الكنيسة السورية بدل الكنيسة السريانية، وهذا دليل واضح على أنَّ كلمة سوري وسرياني كانت في البداية شيئاً واحداً.

وبما أنَّ السيد المسيح وأمه العذراء ورسله كانوا من سكان المنطقة وتكلموا وبشروا بالسريانية، فكانوا سرياناً، ولما كان المسيحيون الأوائل شديدي التمسك بمسيحيتهم، لذلك آثروا اتخاذ اسم السريان ورفضوا التسمية الآرامية لكي يميزوا أنفسهم عن بني جنسهم من الآراميين الذين بقوا وثنيين، وأضحى اسم السريان يعني الآرامي المسيحي فقط، وصارت لفظة آرامي تقابل لفظة وثني أو جاهلي وتطلق على غير المسيحيين كالأنباط أو الحرانين وغيرهم، وبعبارة أخرى (كما أنَّ المسلمين أخذوا يعتزون بالعروبة بعد أن كانت كلمة عرب قبل الإسلام تعني البدو الصحراويين سكان الخيام الجاهليين بغض النظر عن جنسهم

---

[1]: يوسف الصّيداوي، كتاب الكفاف ج١ ص ٣٧٩.

[2]: الآباء الرسوليون، رسالة أغناطيوس إلى أهل مغنيسية، تراليان، رومية ١٠٧م.

أو عرقهم، ثم التصقت العروبة وانصهرت بالإسلام، وأصبحت اسماً قومياً لأنَّ رسولهم عربي)، هكذا تَسَمَّى المسيحيون الأوائل سرياناً لأنَّ السيد المسيح وأمه ورسله كانوا سرياناً، وشيئاً فشيئاً أخذ الاسم السرياني يصبح شاملاً ليضم غير الآراميين الذين اعتنقوا المسيحية في كنيسة أنطاكية الرسولية، فأصبحوا جميعهم سرياناً، وبعد سنة ٣١٣م عندما توقف الاضطهاد ضد المسيحيين من قِبَل الإمبراطورية الرومانية وصدور مرسوم ميلانو الشهير للتسامح الديني، ازداد عدد المسيحيين وأصبحت غالبية سكان الشرق مثل سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وتركيا مسيحيين سريان.

لذلك فإنَّ اسم السريان أصبح اسماً قومياً لكل مسيحيِّي كنيسة أنطاكية في بلاد الشام وبلاد بين النهرين وكل آسيا بغض النظر عن جنسهم أو انتمائهم العرقي منذ بداية المسيحية وإلى مجيء الإسلام.

كان اسم السريان بالنسبة للرومان يعني كل شخص يتكلم السريانية في المنطقة وخاصةً بلاد الشام وما جاورها، وإنَّ كلمة السريان باللغة اللاتينية واليونانية تعني أهل الشام[١]، وبقي اسم Syrian يستعمل من قِبَل الغرب كتسمية عرقية حتى نهاية الدولة العثمانية سنة ١٩٢٠م[٢].

لهذا كثير من كُتَّاب ومؤرخي العرب والمسلمين مثل المسعودي واليعقوبي والطبري وأبي الفداء وغيرهم، عَدُّوا السريان أُمة قومية، وسَمَّوا سكان المنطقة "سرياناً"، وعَدَّ قسم منهم جميع الأمم القديمة مثل

---

[1]: راجع المعجم اللاتيني والفرنسي تأليف ل، كيشبرة و ا. داملوي (طبعة باريس ١٨٧٢م) ج٢ ص١٥١، والمعجم اليوناني الفرنسي م. ا بابي (باريس) ١٨٩٤م ص١٩٤٧.

[2]: فيليب حتي ص٦٣. ورمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ص٢٣٥.

دولـتي بابـل وآشـور وغيرهمـا سـرياناً، وسَـمَّوا ملـوكهم "ملـوك الـسريان"، وأنَّ آدم أبـو البـشرية تكلـم باللغـة الـسريانية، والملـوك الأوائـل بعـد الطوفـان كـانوا سـرياناً، وسَـمَّوا شـهور الـسنة بـشهور الـسريان[1]، وسَـمَّوا بعـض البلـدان بـبلاد الـسريان، وأطلقـوا علـى بعـض المنـاطق الـتي يـسكنها الـسريان مثـل الـشام والعـراق بـسورستان[2]، وهنـاك مـن حـدد منـاطق سورسـتان مثـل منطقة سورستان العراق التي عَدُّوها من الموصل إلى آخر الكوفة[3].

في القـرن الخـامس المـيلادي بـدأت اللغـة العربيـة المتـأثرة باللغـة الـسريانية والمنحـدرة مـن أصـولها أصـلاً تتبلـور وتأخـذ شـكلها شـبه النهـائي إلى مجـيء الإسـلام، وعنـدما جـاء الإسـلام جعـل كلمـة عـرب تعـني اسمـاً قوميـاً[4]، لـذلك عنـدما اعتنـق الكـثير مـن سـكان سـوريا الـدين الإسـلامي صـاروا عربـاً وفقـد الاسـم الـسرياني مدلولـه القـومي وأصـبح اسمـاً دينيـاً يعـني المـسيحيين[5]، أي أنـه بمجـيء الإسـلام عـاد اسـم الـسريان كبدايتـه وأصـبح اسمـاً دينيـاً يخـص المـسيحيين فقـط، ولم يـستطع الـسريان كغيرهـم مـن القوميـات اتخـاذ اسـم قـومي لهـم في هـذه المـدة باسـتثناء محـاولات بـسيطة إبـان الدولـة

---

[1]: تاريخ أبي الفداء ج١ ص١٣٢، مروج الذهب ج١ ص٢٠٧، تاريخ اليعقوبي ج١ ص٨١.

[2]: الحمـوي، معجـم البلـدان، مـادة سورسـتان. وأيـضاً صـفي الـدين البغـدادي، مراصـد الاطلاع ج٢ ص ٧٥٤.

[3]: أبو زيد البلخي، البدء والتاريخ ج٢ ص١٥.

[4]: (عـرب) كلمـة سـريانية معناهـا الغـرب، أطلقهـا سـكان وادي الرافـدين القـدماء علـى سـكان غـرب الفـرات الـصحراويين وأصـبحت تعـني بمـرور الـزمن البـدو، وبعـد الإسـلام صارت كلمة عرب اسماً قومياً، وأطلقت كلمة أعرابي على البدو الصحراويين.

[5]: محمد عبده، السريان، المسيحيون – المسلمون ص ٢٤.

العثمانيــة حينمــا صــدر نظــام المِلَّــة في ١ كــانون الثــاني ١٤٥٤م في عهــد الـسلطان محمـد الفـاتح، لكـن هـذا النظـام لم يـسمح لهـم بـالكثير لأنـه بُـني علــى أُســس إســلامية مــستنبطة مــن المــذهب الحنفــي الرسمــي للدولــة العثمانية، وكان ضعيفاً في كثير من الأمور ومهيناً أحياناً أخرى.

منــذ أن بــدأ الــسريان في الــشرق الأوســط بــالهجرة إلى أوربــا في أواســط القــرن العــشرين، لم يَعُــد بالاســتطاعة التمييــز بــسائر اللغــات الغربيــة بــين ســوري كمــواطن للدولــة الــسورية، وســرياني مــسيحي ينتمــي للكنيــسة الـسريانية، ونتيجـة لهـذا التـداخل بـين سـرياني وسـوري اضـطر الكـثير مـن أبنــاء الكنيــسة الــسريانية في الغــرب اســتعمال كلمــة syriac كمــا وردت في المعــاجم والقــواميس اللغويــة الأجنبيــة وخاصــةً الإنكليزيــة للدلالــة علــى الــسريان كقوميــة وشــعب، لكــي يميــزوا أنفــسهم كمــسيحيين عــن بقيــة رعايــا الجمهوريــة الــسورية (الــسوريين)، واســتعمل الــسريان أيــضاً صــيغة syriansk للدلالـة علـى قـوميتهم ولغـتهم[1]، كمـا بـرزت مجموعـات أخـرى مـن الـسريان تريـد اعتمـاد الاسـم الآرامـي القـديم كاسـم قـومي للـسريان مـع بقـاء الاسم السرياني كاسم ديني كنسي.

ينتــشر الــسريان اليــوم في بــلاد ســورية والعــراق ولبنــان والأردن وفلــسطين وتركيـا وإيـران والهنـد وقـسم قليـل في مـصر وأرمينيـة، فـضلاً عـن انتـشارهم في بــلاد المهجــر في القــرن العــشرين، وكــانوا يخــضعون جميعــاً في البدايــة لــسلطة بطريــرك أنطاكيــة الــسرياني الأرثوذكــسي، وبمــرور الــزمن انقــسموا إلى عــدة طوائــف هــم، الــسريان الغربيــون (غــرب الفــرات) وهــم

[1]: ذكرنا في فصل "في لغة السريان الشرقيين من الآشوريين والكلدان"، أنَّ كلمة syriac تدل على اللغة السريانية والسريان كشعب وأمة قومية.

السريان الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة والسريان الملكيين (اتبعوا العقيدة التي فرضها ملك الروم سنة ٤٥١م) وهم الروم الأرثوذكس والكاثوليك، والسريان الشرقيون (شرق الفرات) وهم الكلدان والآشوريين، كما يوجد في جنوب الهند (الملبار) جالية سريانية كبيرة.

أمَّا عن أصل كلمة سريان، فقد طرح الكُتَّاب والمؤرخون عدة أراء قسم منها لأغراض قومية وسياسية، وقسم آخر استندت إلى بعض المؤرخين القدماء مثل هيرودوتس اليوناني وغيره الذين أعطوا في كتاباتهم اسماً معيناً إلى منطقة ما، أو إعطاء اسم واحد لمنطقتين، أو اسم منطقة بدل أخرى وغيرها، فمثلاً كان المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس قد استعمل اسم آشور استعمالاً خاطئاً إذ أطلقه على بلاد بابل والبابليين مع أنَّ بلاد بابل واسمها كانا معروفين لدى اليونان فضلاً عن الآشوريين[1]، كما خلط هيرودوتس أيضاً بين آشور وسورية والسريان وعَدَّهما شيئاً واحداً، وعَدَّ قبدوقية التي تقع في آسيا الصغرى داخلة في سوريا وغيرها[2].

الرأي الأول: حول أصل كلمة سريان هو أنها لفظة أعجمية وضعها اليونان، وهذا الزعم لا أصل له وهو بلا سند أو بَيِّنة، فإنَّ السريان الأقدمين في بلاد أثور وكردستان وبلاد الشام إلى يومنا هذا يُسَمُّون لغتهم بلسانهم "سريانية"، وليس عندهم اسم آخر للسانهم، فأهل كردستان

---

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٤٧١-٤٧٢.

[2]: ليس هدف المؤرخين والرحَّالة التركيز في كتاباتهم بصورة دقيقة لإيجاد تسميات قومية وسياسية أو أثنية لأجيال قادمة سوف تختلف فيما بينها على التسمية بعد آلاف أو مئات السنين، إلاَّ إذا كان موضوع المؤرخ هو تحديد اسم وهوية ومنطقة شعب بالذات، وليس كلاماً جغرافياً أو تاريخياً عاماً.

يقولــون بلــسانهم: **ܣܘܪܬ** سُــورَتْ بفــتح الــراء، وهــو تحريــف: **ܣܘܪܝܐܝܬ** سُــوريُيت بـضم اليـاء وكـسر الإلـف، وأهـل الجزيـرة يقولـون: **ܣܘܪܝܬ** سُـوريَت بفـتح اليـاء، والـشاميون يقولـون: **ܣܘܪܝܢ** سُـوريُن بـضم اليـاء، وكيـف يُـصَدَّق أنَّ أمــة صــحيحة منتــشرة في جانــب عظــيم مــن الأرض، تــترك اســم لــسانها وجنـسها وتـستبدله باسـم أخـر أعجمـي، لـذلك اليونـان لم يخترعـوا الاسـم مـن عندهم، بل سمعوه من السريان من خلال مخالطتهم ومعاشرتهم لهم[1].

إنَّ العــرب نقلــوا اســم ســوريا مــن الــسريان لا مــن اليونــان ولا مــن الرومــان فقــالوا ســوريا ولم يقولــوا ســيريا وآســيريا كمــا يلفظهــا اليونــان وغيرهــم[2]، ويؤكِّـد ذلـك القلـشقندي بقولـه عـن اسـم سـوريا، فيقـول: واسمهـا القـديم سُــورِيَا بــسين مهملــة مــضمومة، وواو ســاكنة، وراء مهملــة مكــسورة، ويــاء مثنـاة مفتوحـة، وألـف في الآخـر، وبـه كانـت تُـسَمِّيها الـروم[3]، علمـاً أنَّ الألـف قـد حـذفت مـن وسـط كلمـة سـورايا لأنهـا حـرف مـد يـأتي في حـشو (وسـط) الكلمـة، وتلـك قاعـدة مطـردة في الـسريانية، ومـن الـسريانية أخـذت العربيـة هــذه القاعــدة واســتعملتها كمــا ورد في القــرآن مثــل كلمــات (إسمعيــل، الـــرحمن، الخـــسرون، الملئكـــة، إبـــرهيم، اســـحق...إلخ)، بـــدلاً من،(إسماعيل، الرحمان، الخاسرون، الملائكة، إبراهيم، اسحاق..إلخ).

الـرأي الثـاني: هـو مـا قالـه المعلـم رينـان الفرنـساوي وغـيره، مـن أنَّ كلمـة سـريان syrian أتـت مـن كلمـة آشـور Assyrian، والحقيقـة هـذا الـرأي تَميَّـزَ

---

[1]: اقليمـيس يوسـف داود، اللمعـة الـشهية ص٢٣. علمـاً أنَّ كلمـة أغريـق هـي آراميـة سريانية (عريقو) ومعناها النازح، الفار، الهارب.

[2]: المطران اسحق ساكا، كنيستي السريانية ص٢٧.

[3]: القلشقندي، صبح الأعشى ج٤ ص ١١٦.

بـه الكتـاب والمؤرخـون الأرمـن أكثـر مـن غيرهـم مثـل أغـاثغيلوس في القـرن الخـامس المـيلادي ومـوزيس تـشوريني في القـرن الثـامن المـيلادي؟، وغيرهمـا، وهـذا الـرأي غـير صـحيح لعـدة أسـباب أهمهـا: إنَّ حـرف الألـف هـو حـرف رئـيس في كـل اللغـات لا يحـذف مـن الكلمـة عمومـاً، بـل بـالعكس يـضاف إلى الكلمـة في حالـة تعريفهـا أو يـستبدل الحـرف الأول مـن الكلمـة بحـرف الألـف عنـدما لا يوجـد ذلـك الحـرف في اللغـة كمـا في كلمـة (عـدنان) مـثلاً إذ يمكـن كتابتهـا (أدنـان)[1]، وقـد أتـت كلمـة آشـور مُعرَّفـة في المـصادر الآشـورية بـصيغة A-usar (آ– آوسـار) أو بـصيغة أكديـة ki–ashur (گاسـر)[2]، وحتـى كلمـة آشـور الـتي أصـبحت اسمـاً جغرافيـاً فقـط لمدينـة الموصـل فقـد اختلـف الكُتَّـاب في ضـبطها، حيـث كتبهـا الـبعض بـصيغة، "أثـور"، وبعـضهم بـصيغة "أقـور"، وجـاء المحـدثون فكتبوهـا "آشـور و أثـور"[3]، لذلك لا توجد أي علاقة اشتقاق بين كلمتي سريان وآشور.

إنَّ الكتـاب المقـدس أثبـت لفظـة سـوريا بـالألف، ولـيس سـيريا وآسـيريا وأثوريـا المنـسوبة إلى سـيري وأثـور كمـا وردت في كتـب اليونـان والرومـان لتعني بلاد آشور.

والكتـاب المقـدس باللغـة العبريـة الأصـلية يُميِّـز بـين كلمـة (שור شـور) الـتي لا تبـدأ بحـرف الألِـف، وبـين كلمـة (אשור آشـور) الـتي تبـدأ بحـرف الألِـف (سـفر التكـوين ٢٥: ١٨)، والترجمـة الـسبعينية اليونانيـة أيـضاً تُميِّـز

---

[1]: هناك بعض الكلمات القليلة تحذف فيها الألف، لكن القاعدة العامة عدم حذفها.

[2]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٤٧١.

[3]: كـوركيس عَـوَّاد، الـذخائر الـشرقية ج٣ ص٢٢٣. علمـاً أنَّ كلمـة أكـد أيـضاً، تُكتب في بعض المصادر التاريخية، "أقد".

بـين كلمـة (σουρ سـور) وبـين كلمـتي (ασσυρ آشـور) و (ασσυριους آسـيريا)، الـتي تعـني بـلاد آشـور، كمـا تُميِّـز أيـضاً بـين كلمـة (συρου سـوريو) الـتي تعـني سـرياني، وبـين كلمـة (συρια سـوريا)، وحتـى الترجمـة العربيـة تُميِّـز ذلـك حيـث يقـول سـفر التكـوين (٢٥ : ١٨)، "وسـكنوا مـن حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور".

يقـول العـالم الألمـاني إينـو ليتمـان: إنَّ لفظـة سـورية هـي مـن شـورا، ويؤكِّـد أنها ليست من آشور[1].

يتفـق الـدكتور فيليـب حـتي وغـيره علـى عـدم وجـود صـلة بـين آشـور و(آسريا) وسريان[2].

يقـول فولـوس غبريـال وكميـل البـستاني: إنَّ اليونـان الـسلوقيين مَيَّـزوا بـين كلمـة سـرياني وآسـوري، فعنـدما ثـار علـيهم الأمـير الفرثـي أرشـاك سـنة ٢٤٧ ق.م. وخـسروا أطـراف الإمبراطوريـة شـرق الفـرات، كـانوا يطلقـون كلمـة الـسريان أو الـسوريين علـى الآرامـيين الـذين بقـوا تـابعين لهـم غـرب الفـرات، وبـين الآسـوريين (الآشـوريين) الـذين خرجـوا عـن سـلطانهم في شـرق الفـرات، ثـم مـا لبـث أن حـصل الالتبـاس بـين اللفظـتين، فـدوَّن قـدامى المـؤرخين الـسوري والآسـوري علـى الـسواء وكأنهمـا مترادفتـان، وأنَّ الترجمـة اللاتينيـة للكتـاب المقـدس وهـي الترجمـة العامـة، اعتمـدت لفظـة سـورية للدلالـة علـى موطن الآراميين[3].

---

[1]: أسد رستم، تاريخ اليونان ص٧٠ مستنداً على littman,e, amer.Exp,IV,181

[2]: فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص٦٢.

[3]: فولـوس غبريـال أسـتاذ الدراسـات الـسريانية وكميـل أفـرام البـستاني رئـيس قـسم الفنون والآثار في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في بيروت، الآداب السريانية ج١ ص ٩.

علماً هناك من يقول العكس أي كلمة آشور وآشوريين مشتقة من السريان مثل الدكتور شاكر خصباك وغيره، أو أنها مشتقة من الكلمة السريانية (شوريو ܫܘܪܝܐ) التي تعني البداية وهو اسم إله الآشوريين القومي الذي كان يُنطق "آسور" في العصر البابلي الجديد، وهذه الآراء أيضاً ليست لها سند تاريخي وأساس لغوي متين، وباعتقادي ما هي إلاَّ تخريجات لغوية، لأنَّ الآشوريين القدماء كانوا يطلقون على منطقة سوريا الواقعة غربي الفرات "أرض الأمورو" (أي الأموريين).

أمَّا لفظة "آشوري أو أثوري"، فأصبحت تأتي في أدب اللغة السريانية منذ القرن الرابع الميلادي بمعنى "عدو"، وبهذا المعنى استعملها الكُتَّاب السريان القدماء أمثال مار أفرام السرياني ويوحنا الأفسسي والزوقنيني وميخائيل السرياني الكبير وغيرهم، والدليل الأقوى هو أن اللغوي المشهور حسن بن بهلول السرياني (القرن العاشر الميلادي) وهو نسطوري يستعمل كلمة أثوري بمعنى، "عدو"، بقوله: (ܐܬܘܪܝܐ الأثوريين تعني ܒܥܠܕܒܒܐ الأعداء)، انظر معجمه السرياني، العمود ٣٢٢.

وحملت لفظة "آشوري" اسم دلائلي جغرافي آخر بالسريانية وهو اسم مدينة الموصل العراقية التي تُسَمَّى بالسريانية "أثور أو آشور" كما مر بنا.

وهناك رأي حديث يقول: إنَّ كلمة السريان والسريانية أتت من cyres كورش الملك الفارسي الذي أسقط الدولة الآرامية الكلدانية سنة ٥٣٩ ق.م.، وأول من قال وانفرد بهذا الرأي الغريب، هو السيد كبرئيل أسعد، وهو أحد أدباء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والأغرب من ذلك أنَّ البطريرك الأنطاكي السرياني مار إغناطيوس يعقوب الثالث (١٩٥٧–١٩٨٠م)، أخذ بهذا الرأي الشخصي الذي لا يستند إلى مصدر

تــاريخي ســوى التخريجــات اللغويــة الشخــصية، علمــاً أنَّ الــسيد كبرئيــل أسـعد لم ينـشر هـذا الـرأي عنـدما أخـذ بـه البطريـرك بـل كـان مخطوطـاً[1]، وقـد فـات البطريـرك إغنـاطيوس يعقـوب الثالـث وهـو المـؤرخ المحقـق الـذي يـشار إليـه بالبنـان في هـذا الـشأن، أنَّ اليونـان وغيرهـم مـن الأمـم كتبـوا أسمـاء الـشعوب والمـدن والقبائـل كمـا سمعوهـا ولـيس كمـا قرؤوهـا، وأنَّ اسـم كـورش بحـسب الترجمـة الـسبعينية اليونانيـة هـو بالكـاف (κυριος) أو (κυρου) ولــيس بالــسي (c) cyres الــتي هــي باللغــة اللاتينيــة والــتي اعتمــدها هــذا الــرأي الخــاطئ كتخريجــه لغويــة، ناهيــك عــن أنَّ اســم كـورش قـد ورد مئـات المـرات في تـاريخ هيرودوتـس الكـبير ولم تـرد عبـارة الكورشيين، بل ورد اسم سوريا مستقلاً عنه مرات كثيرة.

وهنـاك آراء أخـرى لقـسم مـن المـؤرخين تـستند إلى اسـتنتاجات شخـصية أو لغويـة مثـل: كلمـة سـوريا وسـريان أتـت مـن كلمـة (خـارو، أو أشـارو، أو كاسـر) المـصرية القديمـة، وهـذا لـيس أكيـداً أيـضاً، لأنَّ هـذه الكلمـة تعـني الحـوريين، وقـد تعـني الآشـوريين ولـيس سـوريا أو الـسريان، وحتـى إن عَنَـت أحـداهما، فهـي ليـست المـصدر لتـسمية الـسريان أو الآشـوريين، أو كلمـة سـريان أتـت مـن كلمـة سـيري الـتي تعـني في الكتابـات القديمـة معنـى الـسيدة، أو كمـا قـال الأب ديكـارا إنهـا تعـود إلى آسـوريم أو آشـوريم بـن دادان بن يقشان بن إبراهيم الوارد في سفر التكوين (٢٥ : ٣)، وغيرها.

والـرأي الآخـر أنهـا أتـت مـن مدينـة صـور اللبنانيـة، أو أنهـا أتـت مـن كلمـة siryon سـريون الـتي أُطلقـت علـى إقلـيم لبنـان ثـم أُطلقـت علـى جميـع بـلاد الشام في المصادر العبرية.

---

[1]: أغناطيوس يعقوب الثالث، كنيسة أنطاكية سورية ص١٢.

والـرأي المعـول عليـه في أصـل كلمـة سـريان هـو مـا جـاء في تـاريخ سـرياني قـديم يُـسَمَّى "تـاريخ ديـوقليس أو أقليـدس الحكـيم"، محفـوظ في مخطوطـة المتحـف البريطـاني بـرقم (١٢١٥٢) يعـود تـاريخ استنـساخه إلى سـنة ٨٣٧ م، قـام العلاَّمـة لاكـارد بنـشره، كمـا يـذكره ولـيم رايـت (١٨٣٠–١٨٨٩م) في فهرسـه للوثـائق الـسريانية بـرقم (٤٩٨)[1]، وهنـاك نـسخة أخـرى مخطوطـة للتـاريخ المـذكور تعـود للقـرن الرابـع عـشر عثـرَ عليهـا الباحـث زوتنـبرك (١٨٣٤–١٩١٤م) في كركــوك وأهــداها إلى العــالم نولدكــه (١٨٣٦–١٩٣٠م) الــذي أرســلها إلى العلاَّمــة بــروكس (١٨٦٣–١٩٣٨م؟) في رومــا، فقــام بــروكس بتحقيــق النــصين الأول والثــاني وضــبطهما، ثــم قــام إغنـاطيوس غويـدي (١٨٤٤–١٩٣٥م) بنـشر الجـزء المحقـق في الجـزء الثالـث من التواريخ السريانية الصغيرة (ص٣٦٠–٣٧٠) مع مقدمة لاتينية ص ٣٥٩.

يقـول هـذا التـاريخ: إنـه بعـد انقـسام الألـسنة أيـام فـالج (سـفر تـك ١١: ١٧–١٨) فـإنَّ رجـلاً مـن الـشرق اسمـه أغنـور أو جعـور سـكن سـواحل البحـر وابتنـى لـه مدينـة سماهـا غنـور وهـي فينيقيـة سـوريا، وتـدعى باللغـة الـسريانية صـور، وصـار لـه ثلاثـة أولاد سـورس البكـر وقليقـوس وفونيقـوس، وملـكَ والـدهم جعـور ثـلاث عـشرة سـنة، وقبـل موتـه قَـسَّمَ المملكـة بـين بنيـه، فأعطى فونيقوس فينيقية، وقليقوس قلقيلية، وسورس سوريا كلها.

هـذا مـا أكَّـدَهُ مؤرخـو الـسريان وعلمـاؤهم ومـنهم المـؤرخ البطريـرك مـار ميخائيـل الـسرياني الكـبير (١١٦–١١٩٩م) مـن أنهـا متأتيـة مـن (سـورس) الملـك ابـن أرعـو وأخـي قليقـوس الـذي ظهـر قبـل الـنبي موسـى وشَـيَّد مدينـة أنطاكيـة قبـل أن يعتريهـا الخـراب ويبنيهـا الـسلوقيون مـن جديـد، وحكـم

---

[1]: المجمع العلمي العراقي، يوسف حَبِّي، تواريخ سريانية من القرن ٧–٩ ص٢٩٥–٣١٦.

سورس في منطقة أنطاكية وبين النهرين أي غرب بابل، فسُمِّيت باسمه سوريا كما سُمِّيت قلقيلية باسم أخيه قليقوس، ويتفق مع هذا الرأي، المؤرخ الرهاوي المجهول من القرن الثالث عشر ويحدد زمان سورس الملك حوالي (١٧٠٠ ق.م.).

يقول مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي المتوفى سنة ١١٧١م في كتاب المجادلة في الفصل الرابع عشر وفي رده على اليونانيين: إنَّ اسم السريان أتى من سوروس الذي مَلَكَ أنطاكية، فدعيت باسمه سوريا، وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور، وسُمِّينا سرياناً من اسم سوروس الذي عَمَّرَ أنطاكية والبلاد المجاورة لها فسُمِّيت باسمه سوريا[١]، وكذلك قال صاحب كتاب جنة النعيم، وهو كتاب يشرح فيه فصول الكتب المقدسة مرتبة على مدار السنة حسب طقس السريان الشرقيين.

---

[1]: إنَّ ابن الصليبي أكَّدَ أنَّ اسم السريان من سورس، لكن بسبب قيام الغربيين دائماً بالاستهزاء بالسريان وإحراج بعض آبائهم وتعييرهم بأن السريان لا أهمية لهم لأنهم لم يُشكِّلوا دولة سياسية في التاريخ، ولم يقم منهم ملك، لذلك اضطر ابن الصليبي لمخاطبة اليونانيين معتزاً بالاسم الآرامي كاسم عرقي وقومي للسريان قائلاً: رغم أنَّ اسم السريان هو ليس من الأسماء المحترمة، لكنكم سلبتمونا هذا الاسم وسَمَّيتمونا يعاقبة بدل السريان استهجاناً بنا، لذلك نقول لكم: نحن من بني آرام وباسمه كنا نُسَمَّى يوماً آراميين، ولنفس السبب صرح التلمحيري وميخائيل السرياني وغيرهما من آباء السريان أحياناً، بأن السريان هم أبناء حضارات مثل الآشورية والكلدانية وغيرهما، وإلى هذه التصريحات يستند السريان الشرقيون (الآشوريون والكلدان الحاليون) أحياناً لتبرير تسميتهم الحديثة بأنهم أحفاد أولئك القدماء، علماً أنَّ قصد الآباء السريان هو أنَّ أحفاد الحضارتين الآشورية والكلدانية هم آراميون (سريان).

وقـال ابـن علـي في قاموسـه "يـراد بـسوريا كـل الـبلاد الممتـدة مـن أنطاكيـة إلى الرهـا ، وإنمـا دعيـت سـوريا نـسبة إلى سـوروس الـذي قَتـل أخـاه وملـك بـين النهـرين"، وذكـر الحـسن بـن بهلـول في قاموسـه الـشهير أنَّ اسـم سـوريا هـو مـن سـوروس سـواء كـان حيـاً أم ميتـاً ، وسـوروس هـذا كـان قـد قَتَـلَ أخـاه وملـك بـين النهـرين فـسُمِّيت مملكتـه كلـها سـوريا ، وأنَّ الـسريان قـديماً كانوا يُسَمَّون "آراميين"، وإذ ملك فيهم سوروس فحينئذ سُمُّوا "سرياناً"[1].

أمَّا رأينا في هذا الموضوع فيكمن في نقطتين، والنقطة الأولى، هي:

١: مـصدر اسـم الـسريان هـو: سـورس أو سـور الملـك (بـدون الـسين الأخـيرة اليونانيـة)، واليونـان كتبـوا اسـم شـخص آرام بـن سـام (آرام αραμ)[2]، بينمـا اسـتعملوا كلمـة (سـوريو συρου) المـأخوذ مـن سـور الملـك للدلالـة علـى الـسريان الآرامـيين، وإنَّ سـور مـن نـسل سـروج بـن رعـو بـن فـالج، وعـاش سـنة ١٧٠٠ ق.م. تقريبـاً، وكلمـة سـورس أو سـور، فينيقيـة معناهـا الـصخرة أو الـسور أو الـدرع، وقـدموس (قـدمو، قـادم، أي الأول) الـذي تـذكره المـصادر التاريخيـة أنـه وصـل إلى اليونـان سـنة ١٥٩٠ ق.م. وشَـيَّد مدينـة طيبـة اليونانيـة (ثيفـا Thebes)، هـو مـن عائلـة سـور الملـك وهـو أخـوه واحتمـال أقـل أنـه ابنـه، وإنَّ عائلة سور سكنت أولاً مدينة صيدا قبل أن تسكن مدينة صور.

٢: إنَّ اسـم الملـك سـور مـرتبط بمدينـة صـور اللبنانيـة، وإنَّ اسـم مـدينتي صـور وصـيدا تكتـب في العبريـة بالـسين ولـيس بالـصاد، وإنَّ بعـض الـسريان الآرامـيين كـانوا يلفظـون حـرف الـسين أحيانـا، طـاء أو تـاء، كمـا في كلمـة

---

[1]: يـذكر مؤرخـو الـسريان أنَّ سـورس قتـل أخـاه قليقـوس، أمَّـا تـاريخ ديـوقليس فإنـه يذكر بأن الذي قتل أخاه هو شخص آخر اسمه روملس عاش في زمن الملك سورس.

[2]: سفر التكوين ١٠: ٢٢–٢٣.

أتـور أو أثـور، ويقـول العلاَّمـة كـارل بروكلمـان: إنَّ الآرامـيين (الـسريان) هـم المـسؤولون عـن تـسمية مدينـة صـور باسـم طـور (Tyre) كمـا تـرد في المـصادر الغربيـة، بينمـا بقيـت كلمـة صـيدا تُكتـب بالـصاد، وذلـك لأنَّ الإغريـق سمعـوا مـنهم صـوتين مخـتلفين، فـسمعوا اسـم صـور بالطـاء واسـم صـيدا بالصاد، والمعروف أنَّ علاقة اليونان التجارية كانت قوية بصيدا وصور[1].

٣: إنَّ عائلـة الملـك سـور تفرقـت بعـد مقتـل أخيـه، فـسكن سـور أولاً في منطقـة جبـل حمـرون في سـوريا، الـتي سُـمِّيت باسمـه سـيريون siryon في المـصادر العبريـة، وهـو الاسـم الـذي كـان أهـل صـيدا يُطلقونـه علـى جبـل حرمـون، وقـد ورد هـذا الاسـم في سـفر التثنيـة (٣: ٩)، ومزمـور (٢٩: ٦)، ويهـودت (٣: ١)، ومـن الملاحـظ أنَّ هـذا الاسـم يـدل علـى سـورية وجـاء مقترنـاً باسـم لبنـان في مزمـور ٢٩، وفي سـفر يهـودت أيـضاً أتـى مقرونـاً باسـم بـلاد سـوريا، ثـم بعـد ذلـك سـكن سـور الملـك أنطاكيـة وضـواحيها، فعَـمَّ اسمـه جميـع بـلاد الـشام، وقـد وردت كلمـة (shryn) في النـصوص الـتي عثـر عليهـا في غرانيـت (رأس شمـرة) الـتي تعـود إلى القـرن الرابـع عـشر قبـل المـيلاد، كمـا سَـمَّى البـابليون أحـد أقـاليم الفـرات الأعلـى باسـم "su-ri سـو – ري"، و "سـر – ري"[2]، وفي نـشيد اخنـاتون (١٣٨٠–١٣٦٢ ق.م.) عنـدما يمـدح أتـون الـشمس يـرد اسـم سـوريا[3]، ويقـول أدلـف إرمـان: إنَّ اسـم سـوريا يـرد في كـثير مـن المـصادر التاريخيـة منـذ الألـف الثـاني قبـل المـيلاد[4]، كمـا ذكـر المـؤرخ

---

[1]: كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية ص٢١.

[2]: الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر وسورية في العصور القديمة ص٧.

[3]: ول ديوارنت، قصة الحضارة ج٢ ص١٧٢.

[4]: أدلف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ص٧٢.

هيرودوتس سوريا بالاسم عدة مرات، بل إنه كان يطلق كلمة سوريا على كل قارة آسيا أحياناً[1].

ما يعزز هذا الرأي أيضاً هو ورود اسم الملك سور في بعض المصادر العربية بعدة صيغ، فقد جاء اسمه سيمورس في الفهرست لابن النديم، كما جاء أنَّ السريان ينتمون إلى سوريان بن نبيط بن ماش بن آرام، وأنَّ سوريان كان أحد ملوك بابل وهو خال موصل بن جرموق الذي حكم منطقة الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات شمال شرق سورية وجنوب شرق تركيا وإلى جنوب مدينة الموصل[2].

أمَّا النقطة الثانية وهي المهمة في كتابنا هذا هي: بغض النظر عن أصل التسمية سواء كانت من سورس أو من غيره، فإنَّ جميع مسيحيِّي كنيسة أنطاكية وآسيا قد عُرفوا في التاريخ بأنهم سريان، وهذا هو المهم، وبالاسم السرياني اشتهروا لا بغيره، وبهذا الاسم احتُرموا بين الشعوب مدة ألفي سنة لما قدموه من خدمة للإنسانية في مجال العلوم والفلسفة والترجمة والدين ...الخ.

وليس بالضرورة أن يُعرف أصل تسمية الشعوب وبلدانها لكي تكون دليلاً على رقيها، وإنَّ كثيراً من دول وشعوب العالم لا تُعرف مصدر تسميتها بالضبط، ولن نذهب بعيداً فها هو اسم العراق صاحب أقدم حضارات العالم لم يتفق المؤرخون على أصل تسميته حتى الآن، وينطبق

---

[1]: انظر تاريخ هيرودوتس الكتاب الثاني، عندما يصف أنهار أفريقيا التي يسميها ليبيا وأنهار آسيا التي يسميها سوريا.

[2]: تاريخ ابن خلدون ج٢ ص ٧٨. والقلشقندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٦. وكذلك سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص٣٢.

ذلك على اسم عاصمته بغداد التي هناك ما لا يقل عن خمسة عشر رأياً في أصل تسميتها، وغيره من البلدان والأعراق.

لذلك صدق قول الشاعر المتنبي حين قال:

ليس الفتى من قال كان أبي إنَّ الفتى من قال هأنذا



اللغة السريانية

تُعرف اللغة السريانية بالآرامية أيضاً، وقد أخطأ من فصل بين التسميتين أو عَدَّ السريانية فرعاً أو لهجة للآرامية، ولكن بمرور آلاف السنين برزت عدة لهجات وخطوط عديدة لكتابة اللغة السريانية، فالآرامية والسريانية اسمان للغة واحدة، وكل ما في الأمر هو أنَّ الآراميين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية سَمَّوا أنفسهم سرياناً، ولغتهم سريانية، كي يميزوا أنفسهم كمسيحيين عن بني جنسهم من الآراميين الذين بقوا على الديانة الوثنية، وعليه فمنذ مجيء السيد المسيح وانتشار الديانة المسيحية ارتبط اسم السريان بالديانة المسيحية، وبما أنَّ جميع الآراميين لم يعتنقوا المسيحية بل بقي منهم وثنيون أو اعتنقوا ديانات أخرى فيما بعد، فقد أصبحت لفظة آرامي في أذهان العامة المسيحيين ذات مدلول وثني يشبه لفظة (جاهلي) عند المسلمين[1]، لذلك يمكن أن تُسَمَّى اللغة السريانية الآرامية أيضاً، لكن لا يمكن تسمية الكنيسة السريانية بالآرامية لأنَّ في ذلك مدلول وثني، وباختصار، فإنَّ اسمها هو: اللغة الآرامية قبل الميلاد، واللغة السريانية منذ الميلاد وإلى اليوم.

والآرامية نسبة إلى آرام الابن الخامس لسام بن نوح الجد الأعلى لجميع الشعوب السامية.

كانت لغة الآراميين قديماً لغة الذين استوطنوا بلاد آرام الشام وآرام النهرين وغيرها منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وفي الألف الأولى قبل الميلاد امتدت إلى شمال وشرق الجزيرة العربية وشمال شرق مصر، وانتشرت في العالم القديم انتشاراً واسعاً، وكُتبت بها بعض مقاطع

---

[1]: الدكتور حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ص١٠٠.

أسفار الكتاب المقدس مثل سفر دانيال، طوبيا، يهودت، استير، عزرا، وكذلك إنجيل متى، وصارت حروفها حروف هجاء للغات شرقية عديدة، فكانت لغة الدولة الآشورية وبلاد الرافدين وما بين النهرين بعد اضمحلال لغتها الأكدية وكتابتها بأبجديتها المسمارية القديمة في القرن الثامن قبل الميلاد، ولغة البلاط البابلي سنة (٦٢٥–٦٠٥ ق.م.) على عهد الملك نابو بلاصر، وكانت لغة اليهود بعد عودتهم إلى فلسطين، هؤلاء الذين نسوا لغتهم العبرية واختفت تقريباً في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد حيث أصبحت لغة محدودة ومقتصرة على بعض الطقوس الدينية وحلَّت محلها الآرامية، وكُتِبَ تلمود القدس (الترجوم) باللغة الآرامية، كما كتب الصابئة المندائيون في جنوب العراق أسفارهم وكتابهم (كنز ربَّا) بالآرامية، وأصبحت الآرامية في عهد داريوس الكبير (٥٢١–٤٨٦ ق.م) اللغة الرسمية بين مقاطعات الإمبراطورية الفارسية وما جاورها، وجمعَ تلاميذ زاردشت الإيراني أقواله بعد موته في كتابهم المُسَمَّى (أفستا أو الابستاق)، الذي كان مكتوباً بالآرامية، وكان رجال الدين البوذيون يستخدمونها في مواعظهم الدينية في مناطق الحدود الإيرانية الهندية، وبلغت الصين ومنغوليا بواسطة الرهبان السريان الشرقيين (النساطرة) بعد الميلاد حيث أصبحت أبجديتها تُستعمل في الكتابات الويغورية والمغولية والمانشوية والكالموكية واليوتارتية والكورية، ومن خلالها أعطيت صيغة أخرى للكتابات الخروشتية والبرهمانية والتبتية، وهناك كتابات أخرى مستعملة في الهند وأندونيسيا والجنوب الشرقي من قارة آسيا اشتقت من الخط السنسكريتي المشتق من الآرامية، وكانت الآرامية لغة دولة تدمر والأنباط التي ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد، والخط النبطي الآرامي هو الخط الذي كُتب به القرآن وتطور عنه الخط

العربي الحديث، كما أخذ الفرس والهنود خطوطهم من أصول آرامية[1]، وتطور عن الخط العربي الخط التركي والأوردي والمالوي، واستعمل الأرمن الأبجدية السريانية في أدبياتهم وطقوسهم الدينية إلى سنة ٤٠٤م، وعنها تطورت الكتابة الجورجية والقفقاسية، أي كانت الآرامية لغة دولية في الشرق كله زمناً طويلاً، ولم تضاهها أية لغة أخرى في الانتشار آنذاك ولا اليونانية اللهم إلاَّ اللغة الإنكليزية في العصر الحديث، وحتى اليونان والرومان تعلموا صناعة خط الكتابة للحروف الهجائية من الطائفة السريانية التي وصلت إليهم بقيادة رجل يدعى قدمو أو قادم (أي الأول) سنة ١٥٩٠ ق.م.، علماً أنَّ صور حروف اليونان قريبة جداً من الخط السرياني القديم الذي بقيت آثاره في القلم التدمري والعبراني، ثم أخذ اللاتين الرومان والأقباط صور حروفهم من اليونان فيما بعد[2].

في فجر المسيحية كانت اللغة السريانية لغة أهل أنطاكية الأصليين لاسيما القاطنين في ضواحيها، كما كانت لغة سائر بلاد سوريا الداخلية والبادية، وكانت لغة اليهود المهاجرين إلى أنطاكية أيضاً، أمَّا اللغة اليونانية فكانت لغة المُستَعمِر ولغة الجالية اليونانية التي استقدمها السلوقيون، وقد تكلم السيد المسيح وأمه العذراء ورسله بالسريانية، ونزل بها جانب من الكتاب المقدس واستعملتها كنيسة أنطاكية في طقوسها الدينية، وبها أُقيمت خدمة أول قداس أقامه مار يعقوب أسقف

---

[1]: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص ١٦٤.

[2]: لاحظ ترتيب الأبجدية السريانية وقارنها باليونانية، (أبجد) ألفا، بيتا، جَمَّا، دلتا، (هَوّز) ها، زيتا، واو، حيتا، وهكذا، ثم قام اليونان ببعض التغيرات البسيطة كتأخير بعض الحروف مثل الواو حيث يستعملون عدداً يشير إلى الواو وغيرها.

أورشليم، ولا تزال جميع الكنائس السريانية في العالم حتى اليوم تتلوه بالسريانية إلى جانب لغاتها المحلية الوطنية، وبها تكلم وتناقش المجتمعون في أول مجمع كنسي في القدس سنة ٥١م، وكتب بها آباؤها كتبهم الدينية والتاريخية والعلمية، كما قاموا بترجمة مئات الكتب العلمية والفلسفية والتاريخية والدينية من اللغة اليونانية إلى السريانية، ومنها ترجمت بعد ذلك للعربية، فمن السريانية ترجمت هذه الكتب إلى اللغة العربية وليس من اليونانية للعربية مباشرة.

العجيب الغريب في هذه اللغة أنها انتشرت هذا الانتشار المذهل بدون مساندة من سلطة سياسية أو عسكرية لدولة قوية، بل أنَّ الدولة الفارسية الأخمينية القوية آنذاك والتي أسقطت آخر كيان سياسي آرامي هو الدولة الكلدانية، اعتمدت اللغة الآرامية كلغة رسمية لها بحيث اخترع الفرس عدة أنظمة للكتابة بالحروف الآرامية مثل نظام (نامه دبيريه، وهام دبيريه، وراز سهريه، والنهروارش أو وزوارشن)، وهي أن تُكتب الكلمة بالآرامية وتلفظ بالفارسية، فكانوا يكتبون كلمة (بسرا ܒܣܪܐ) بالآرامية ويلفظونها (كوشت) بالفارسية ومعناها لحم، أو يكتبون (لحما، ܠܚܡܐ) بالآرامية ويلفظونها (نان) بالفارسية ومعناها خبز[1]، وقد سَمَّت بعض المصادر التاريخية الألف الأول قبل الميلاد بعصر اللغة الآرامية.

يُعلِّق الباحث خزعل الماجدي في كتابه المعتقدات الآرامية قائلاً: ويثير فينا هذا المشهد الروحي الواسع لانتشار الآرامية (السريانية) واستعمالها كلغة دينية لليهود والصابئة والزرادشتيين والمسيحيين سؤالاً هاماً وخطيراً

---

[1]: حامد عبد القادر، الأمم السامية ص١٠٧، والفهرس الكلام عن القلم السرياني.

سنعلقه في ذمة التاريخ لتجيب عليه الأجيال القادمة هو: ما سر هذه اللغة؟، وما سر هذا النبض الروحي العميق في داخلها والذي جعلها لغة أهم عقائد المنطقة قبل الإسلام؟، وهل كانت الآرامية بعيدة عن لغة العرب والإسلام؟، أم كانت هي جذورها؟[1].

ونحن نجيب الباحث الماجدي على هذا السؤال المهم وخاصةً بشقه الثاني بالقول: إنَّ هذا الانتشار الكبير للغة (الآرامية) السريانية في العهد القديم وفي الشرق كله لم يكن بعيداً عن العرب والمسلمين، فقد فرضت اللغة السريانية نفسها كتابياً وشفهياً بالتواتر على مؤرخي العرب والمسلمين، فلا يكاد يوجد كتاب تاريخي لمؤرخ عربي أو إسلامي لا يذكر أنَّ اللغة السريانية كانت لغة جميع الناس في العهود القديمة، أي لغة آدم وشيت وإدريس ونوح وإبراهيم واسحق وإسماعيل وغيرهم[2]، وإنَّ مسألة تَعلُّم العرب الكتابة من السريان هي مسألة متأصلة في التاريخ العربي والإسلامي[3]، فالخط العربي الحيري الذي سُمِّي لاحقاً بالكوفي اشتقه من الخط الأسطرنجيلي السرياني ثلاثة مسيحيين من قبيلة طي بولان هم، مرار بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، ونقلوه من مدينة الأنبار إلى الحيرة، ومن الحيرة نقله أكيدر أخو بُشر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل الذي كان مسيحياً، فتعلَّم حرب وجماعة من قريش

---

[1]: المعتقدات الآرامية ص٤٧.

[2]: الطبري ج١ ص٧٧، ١١١. واليعقوبي ص ١٩. والأخبار الطوال ص٣٣. والطبقات الكبرى ج١ ص ١٨-١٩. والجامع لأحكام القرآن آية ٢٦، ٣٠. والتنبيه والإشراف ص٨٥. وأبي الفداء ص١٣٢. والسيرة الحلبية ج١ ص ٢٩. وغيرهم.

[3]: ابن عبد ربه، العقد الفريد ج٤ ص ١٥٦.

الكتابة من أكيدر، ومنهم أبو قيس بن مناف وغيلان بن سلمة الثقفي وعمرو بن زرارة بن عدس[1].

جاء في كتاب كشف الأسرار في بيان قواعد الأقلام الكوفية "إنَّ القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري (السرياني)"، وقال: إنَّ آل طسم وقحطان وحمير كانوا يكتبون به[2]، ويقول ابن النديم في كتاب الفهرست: إنَّ القلم الذي كُتب به المصحف (القرآن) هو نظير القلم الأسطرنجيلي السرياني[3]، وكان مار يعقوب الرهاوي (٦٣٣–٧٠٨م) يُعلِّم أولاد العرب الكتابة، وكان مالك بن مرة الرهاوي أحد أصحاب رسول الإسلام محمد سريانياً، ويُرجَّح أنَّ رسول الإسلام محمد نفسه كانت له معرفة بسيطة وسطحية باللغة السريانية بدليل ما ورد في الحديث من أنه قال لزيد بن ثابت "أتحسن السريانية"؟، فإنه يأتيني كتب بها، قال لا، قال له الرسول: فتعلَّمَها، قال زيد: فتعَلَّمتُها في سبعة عشر يوماً، وكنت أُجيب عن رسول الله، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأُجيب إذا كَتَب"[4]، وهذا دليل على أنَّ زيد وغيره كانوا يعرفون المبادئ الأساسية للسريانية أصلاً، وإلاَّ كيف تعلَّمها في سبعة عشر يوماً؟، وإنَّ أبا الأسود

---

[1]: البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٧٩. إنَّ أكيدر هو زوج الصهباء بنت حرب أخت أبو سفيان أي عمة معاوية. علماً أنَّ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية كان لها ثلاثة أديرة في الأنبار وهي، يوناثان وصموئيل ويوحنا العمودين، وقد قام البطريرك السرياني سويريوس (٥١٨–٥٣٨م) بمراسلة رؤساء تلك الأديرة ورعيتهم.

[2]: الأب لويس شيخو اليسوعي، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٥٩.

[3]: ابن النديم، الفهرست، الكلام عن القلم السرياني.

[4]: صبح الأعشى ج١ ص٢٠٢. والترمذي كتاب الاستئذان، باب تعليم السريانية.

الـدؤلي الـذي درس في الحـيرة وتلميذيـه نـصر بـن عاصـم ويحيـى بـن يعمـر العـدواني هـم الـذين قـاموا بوضـع نقـاط الإعجـام في المـصحف الإسـلامي علـى غـرار الكتابـة الـسريانية، ويقـول الأسـتاذ الـدكتور أحمـد علـي: إنَّ الـدؤلي اسـتعان بطريقـة الـسريان في وضـع هـذه الرمـوز إذ كـان كـثير المخالطـة بهـم وربما درس على أيدي أساتذة منهم[1].

وارتـأى العلاَّمـة سلفـستر دي ساسـي (١٧٥٨–١٨٣٨م) أنَّ مـسيحيِّي الـشمال كـانوا يـترددون إلى الـيمن وأدخلـوا بـين إخـوانهم في الـدين الكتابـة الـسريانية بـدلاً مـن الخـط المـسند الـشائع عنـدهم، وروى الـسمعاني في المكتبـة الـشرقية (Assemani, BO, III 2 ٦٠٣) أنَّ الـسريانية دخلـت في جهـات عديـدة مـن الـيمن، وذكـر المـؤرخ فيلوسـترجيوس نهايـة القـرن الرابـع، أنـه في زمانـه كـان قـسم مـن سـكان سـواحل أفريقيـة إزاء بـلاد العـرب يتكلمون بالسريانية.

باختـصار: اللغـة العربيـة لغـة سـامية أصـلية اقتبـست وتطـوَّرت خطوطهـا مـن الـسريانية، وتأثرت لهجتهـا وألفاظهـا بالـسريانية كـثيراً، وربمـا لـولا مجـيء الإسـلام لكـان اسمهـا اليـوم اللغـة الـسريانية بلـهجتها القريـشية أو الحجازيـة أو السريانية الجنوبية اسوةً بلهجيتي السريانية الشرقية والغربية.

للغـة الـسريانية لهجتـان شـرقية وغربيـة، وعنـدما نقـول شـرقية وغربيـة نقـصد شـرق وغـرب نهـر الفـرات، ويـتكلم باللهجـة الـشرقية للفـرات طوائـف الـسريان الـشرقيون (الآشـوريون والكلـدان) ويـستعملون الخـط الـشرقي، بينمـا يـتكلم باللهجـة الغربيـة للفـرات الـسريان الأرثـوذكس والكاثوليـك والموارنـة وتُـسَمَّى لهجـتهم بالرهاويـة أحيانـاً نـسبة إلى مدينـة الرهـا، ويـستعملون الخـط الغربـي الـذي يُـسَمَّى أحيانـاً خـط الـسرطا، كمـا

---

[1]: د. أحمد علي، تاريخ الفكر العربي الإسلامي ص ١١٤.

استعملت كنيسة السريان الملكية (الروم الأرثوذكس والكاثوليك) اللغة السريانية في طقوسها ومؤلفاتها إلى القرن السادس عشر، ولا توجد إلاَّ فروق بسيطة في اللفظ بين اللهجتين، فالشرقيون يلفظون الضمة بالفتح، أمَّا الغربيون فيلفظونها بالضم المرفوع، فمثلاً لفظة (اللّٰه، المسيح) (ܐܠܗܐ، ܡܫܝܚܐ) ينطقها الشرقيون (آلاها، مشيحا) أي بجعل الضمة التي على الهاء في اللّٰه والحاء في المسيح فتحة، بينما ينطقها الغربيون (الوهو، مشيحو) بالضم، ويُشَدِّد الشرقيون الحرف المتحرك إذا سبقه متحرك، بينما ينفي الغربيون التشديد مثل كلمة سماء (ܫܡܝܐ) فيلفظها الشرقيون شمْيَّا بتشديد الياء، بينما يلفظها الغربيون (شمايو) وبعض الفروق الأخرى في حركات الإعراب، وغيرها[1].

استمرت اللغة السريانية سائدة عند قسم كبير من الشعوب الشرقية حتى أواخر القرن السابع للميلاد حيث انتشرت اللغة العربية التي تطورت وتفرعت منها أساساً وتعززت بعد مجيء الإسلام وأخذت اللغة السريانية تتقلص رويداً رويداً، لكنها لم تَمُتْ، فلا تزال لهجاتها محكية حتى اليوم في طور عبدين وماردين وبقية مناطق القرى المسيحية في تركيا وقرى الموصل وأربيل ودهوك وغيرها في شمال العراق، وفي بعض القرى الإيرانية المسيحية، وقرى سوريا في الحسكة والقامشلي والجزيرة وحمص وغيرها، بل أنَّ بعض سكان القرى السورية المسلمين لا يزالون يتكلمون بهذه اللغة إلى اليوم مثل سكان قرية بخعا أو نجعة وجبعدين ومعلولا المجاورة لدمشق في سورية[2].

---

[1]: حرف الألف عند الغربيين يتخذ حركة ما قبله دائماً.

[2]: لا يزال سكانها يستعملون السريانية فيُسَمّون السوق شوقا والبيت بيتا...إلخ.

في لبنان بقيت اللغة السريانية محكية في كثير من القرى إلى نهاية القرن الثامن عشر، وروى الراهب الفرنسيسكاني غريفون الذي زار لبنان في القرن الخامس عشر أنه سمع الموارنة يتكلمون بلغة أجدادهم السريانية، ولما زار شاتايل لبنان سنة ١٦٣٢م سمع أهالي حصرون يتكلمون بالسريانية، وكان البطريرك الماروني جرجس عميرة (١٦٣٣–١٦٤٤م) يتكلم السريانية، وروى الكاهن الماروني مرهج بن نمرون الباني (+ ١٧١٢م)، أنَّ أهالي بشري و ثلاث قرى مجاورة لها يتكلمون بالسريانية رجالاً ونساء، وعندما قام العلاَّمة اللبناني سمعان يوسف السمعاني بزيارة لبنان سنة ١٧٣٦م بصفته موفداً بابوياً، زار والدته في بلدة حصرون في جبة بشري وتكلم معها بالسرياني، وأثبت الأب مارتن اليسوعي أنَّ رهبان الروم الكاثوليك كانوا يُقيمون طقوس كنيستهم بالسريانية إلى أوائل القرن الثامن عشر[1].

لا تزال كثير من أسماء المدن والقرى والأشخاص وكثير من الكلمات باللهجة المحكية في لبنان، سريانية، ناهيك عن أنها اللغة الدينية الرسمية للكنيسة المارونية السريانية، علماً أنَّ كتب الليتورجيا والكتاب المقدس المسموح باستعماله طقسياً في الكنيسة المارونية كانت تصدر باللغة السريانية فقط حتى مطلع القرن العشرين.

أمَّا في مصر فكانت اللغة السريانية منتشرة بشكل واسع، وهناك الآلاف من المخطوطات السريانية الموجودة في كثير من الأديرة والكنائس والمكتبات والجامعات أشهرها دير السريان، واستمرت اللغة السريانية

---

[1]: فيليب دي طرازي، أصدق ما كان عن تاريخ لبنان ج١ ص٣، مستنداً على اسحق أرملة، وتاريخ الكنيسة السريانية، ومجلة المشرق، ونوابغ المدرسة المارونية، وغيرها.

منتشرة هناك إلى نهاية القرن السابع عشر والدليل على ذلك أنه عندما احتل نابليون بونابرت مصر سنة ١٧٩٨م كان يصدر أوامره بثلاث لغات هي الفرنسية والعربية والسريانية، وجلب عدة مطابع من ضمنها مطابع باللغة السريانية[1]، ومعروف أنَّ الأديب العربي الكبير طه حسين (١٨٨٩–١٩٧٣م) كان يتقن اللغة السريانية التي تعلمها في جامعة القاهرة على يد البروفسور الألماني إينو ليتمان (١٨٧٥–١٩٥٨م)، وكان حسين يحفظ كثيراً من النصوص السريانية على ظهر القلب، وقبل أن يغادر ليتمان عائداً إلى بلاده سنة ١٩١٤م أقامت له جامعة القاهرة حفلاً وداعياً في أحد فنادق مصر الجديدة، وألقى المحتفون كلماتهم، وعندما جاء دور طه حسين فاجأ الجميع حيث ألقى كلمة الوداع لأستاذه باللغة السريانية نالت إعجاب الجميع، وفَرِحَ ليتمان جداً لأنه نجح برؤية أحد طلابه المصريين يخطب بهذه اللغة القديمة المقتصرة على عدد قليل من الناس وبعض الكنائس والجامعات[2].

كما أنَّ آثار وتراث اللغة السريانية ظاهر في أسماء مئات من المدن والقرى العديدة في الشرق الأوسط وفي اللهجات العامية المحكية.

نظراً لأهمية اللغة السريانية عالمياً حيث تُعدُّ الكتب والمخطوطات المكتوبة بالسريانية والمنتشرة في المكتبات والجامعات والمتاحف العالمية مصدراً تاريخياً مهماً وموثوقاً به لدى الباحثين والمؤرخين ورجال الاختصاص، لذلك تُدرَّس اللغة السريانية اليوم في جامعات ومعاهد عالمية

---

[1]: فيليب دي طرازي، السلاسل التاريخية في أساقفة الأبرشيات السريانية ص٣٨١ مستنداً على تاريخ فرنسا الحديث المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٤م، ص١٥٢.

[2]: طه حسين، الأيام ج٣ ص ٥٤–٥٥.

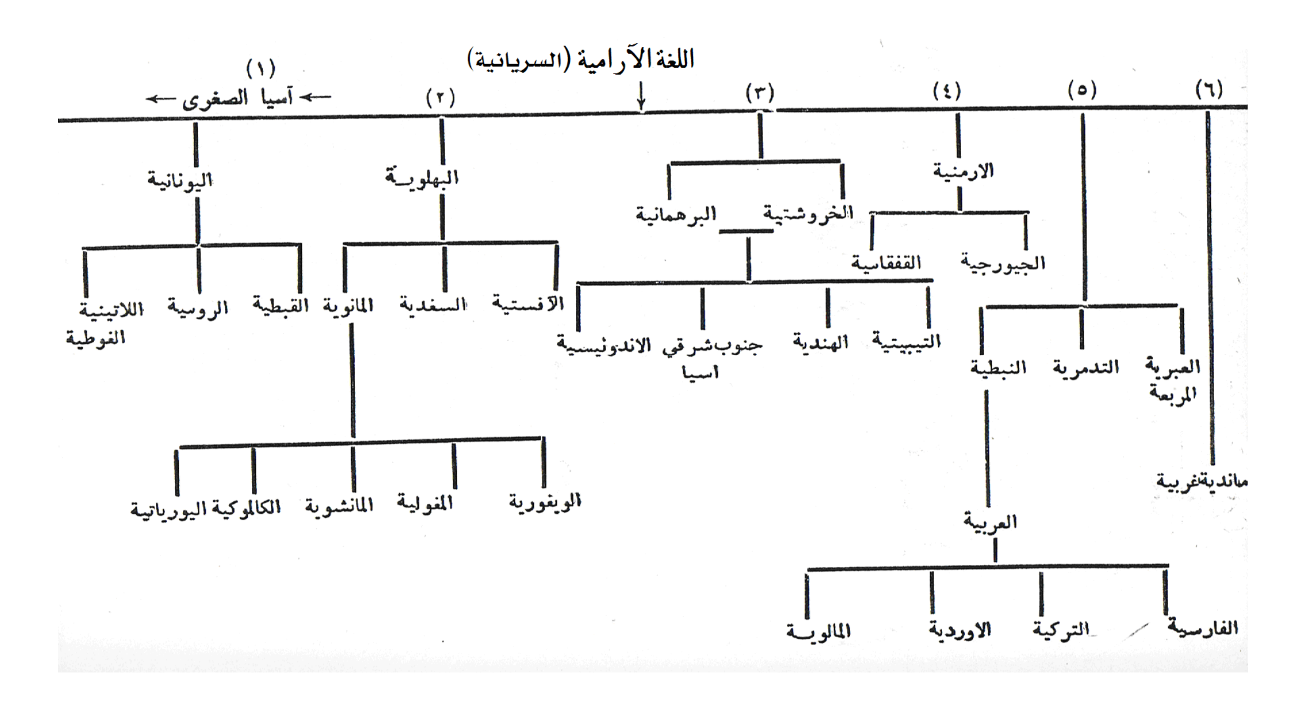
كثيرة في الدول العربية والأجنبية، كالعراق وسوريا وتركيا ولبنان وانكلترا وألمانيا وغيرها، وفي مصر وحدها هناك أكثر من مئة أستاذ ومتخصص في اللغة السريانية رجالاً ونساء (كلهم مسلمون) وقسم منهم بدرجة دكتوراه من ضمنهم ستة أساتذة على الأقل يُدرِّسون اللغة السريانية في جامعة الأزهر الإسلامية مثل الأستاذ أحمد محمد علي الجمل أستاذ اللغة السريانية لقسم البنين وزمزم سعد هلال وبسيمة مغيث سلطان أستاذتا قسم البنات في جامعة الأزهر وغيرهم.

يقول الأب ألبير أبونا معرباً عن إعجابه الشديد باللغة الآرامية (السريانية):

أودُّ أن أطرح سؤالاً قد يكون خطيراً في الظروف الراهنة: ألا يكون هؤلاء الناس من أجدادنا الذين خلفوا لنا هذه اللغة التي طغت على اللغة الآشورية نفسها، وتبناها الآشوريون أنفسهم، كما تبناها الفرس وغيرهم من الأقوام الذين قاموا بأدوار رئيسة في هذه المنطقة؟، وربما خلف لنا الآراميون الكثير من صفاتهم وعادتهم وتقاليدهم أيضاً، ألا تكون هذه من مكونات القومية الحقيقية؟[1].

---

[1]: ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ ص٥.



اللغة الآرامية (السريانية)
(١)
آسيا الصغرى
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)
(٦)
اليونانية
البهلوية
الخروشتية
البرهمانية
الارمنية
القفقاسية
الجيورجية
اللاتينية الغوطية
الروسية
القبطية
المانوية
السغدية
الافستية
جنوب شرقي اسيا
الاندونيسية
الهندية
التيبيتية
النبطية
التدمرية
العبرية المربعة
ماندية غربية
الكالموكية اليورياتية
المانشوية
المغولية
الويغورية
العربية
المالوية
الاوردية
التركية
الفارسية

الآراميون

شعب سام استوطن وانتشر في منطقة الهلال الخصيب تشير أغلب الدراسات إلى أنَّ سكنهم الأصلي كان جنوب البادية بين العراق والشام، وتسمية آرامي نسبة إلى آرام الابن الخامس لسام بن نوح الوارد في سفر التكوين (١٠: ٢٢–٢٣)، ومعنى آرام الأرض المرتفعة أو العالية، وأقدم ذكر للآراميين هي قبيلة سوتو ومعناها البدو، وقبيلة خبيرو أو عبيرو ومعناها العابرين، وأشهر وأقوى قبيلة آرامية هي أحلامو وهي كلمة سريانية معناها الشباب (أغلام) أو الأحلاف أو الرفاق، وأول إشارة لقبيلة سوتو في التاريخ وردت من مصر نحو سنة ٣١٠٠ ق.م.، وأطلقت الوثائق الأكدية عليهم اسم سوتو في نحو سنة ٢٧٠٠ ق.م.[1]، وذُكر الآراميون في عهد الملك الأكدي نرام سين (٢٢٥٤–٢٢١٨ ق.م.)، وورد ذكرهم مُركَّباً (أحلامو– آرام) في النصوص التي اكتشفت في مملكة ماري قرب مدينة البوكمال السورية وتعود للقرن الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد دخل الآراميون بصورة واضحة في المنطقة، وثبت أنَّ بطوناً منهم استوطنوا مناطق جنوب الفرات بالقرب من الخليج العربي في هذه الحقبة[2]، ويظهر أن قبيلة سوتو الآرامية استوطنت شمال الهلال الخصيب قبل قبيلة أحلامو، فقد ورد في رسالتين بابليتين أنَّ قبيلة أحلامو البدوية تركت موطنها الأصلي في الجنوب وجاءت إلى الشمال لما سمعته من نجاحات حققها إخوانها السوتو هناك، لذلك يرد اسمهم مترادفاً لاحقاً (سوتو– أحلامو) كما في أحد نصوص الملك

---

[1]: ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية ص١٢.

[2]: أ. ولنفسون، تاريخ اللغات السامية ص١٥.

الآشوري أرك دن إيلي (١٣١٩–١٣٠٨ ق.م.)، ويمكن تتبع حركتهم من حوليات الملك الآشوري أدد نيراري الأول (١٣٠٧–١٢٧٥ ق.م.) الذي ذكر أنَّ أباه حارب الأحلامو في شمال بين النهرين، ومن حوليات حاتوشيلي الثالث حوالي (١٢٧٥–١٢٥٠ق.م)، تؤيد ذلك الوثائق المعروفة برسائل تل العمارنة في مصر (أخيت – أتون) وتقول: إنَّ قبائل الآراميين كانت تتجول على ضفاف الفرات من عهد إخناتون (١٣٨٠–١٣٦٢ ق.م.)، ومنذ عهد الملك الآشوري تغلات فلاصر الأول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م.) ظهر اسم (أحلامو– آرام) حيث يتباهى هذا الملك بأنه حارب الآراميين من مدينة عانة (العراق) وكركميش (جرابلس سوريا) إلى مدينة ربيقو (الرمادي العراق)، قائلاً: "بقوة سيدي آشور زحفتُ بجنودي إلى الصحراء لمقارعة قوات الأحلامو الآرامية وطاردت فلولهم ثمان وعشرين مرة"، ومنذ هذا التاريخ بدأ الآراميون بتشكيل كيانات سياسية قوية نوعاً ما، وأخذ الاسم الآرامي يطغى على بقية الأسماء المُركَّبة القديمة وأصبح مألوفاً في الحوليات الآشورية، وبقيت أسماء طلائع الآراميين في بلاد الهلال الخصيب مثل سوتو وأحلامو أسماء وصفية تعني (البدو أو الشباب أو الأحلاف أو الرفاق).

يُعدُّ الكتاب المقدس مصدراً رئيساً لأخبار الآراميين، فقد ورد ذكرهم فيه عشرات المرات، كما ذُكرت أسماء عدة ممالك آرامية وأسماء ملوكها مثل رشعتايم ملك آرام نهرين، وابن هدد وحزائيل ملكا آرام دمشق وغيرهم، وأهم ما يميز الآراميين عن الآشوريين والبابليين في الكتاب المقدس هو أنَّ الله أرسل إيليا النبي ليمسح ملكاً آرامياً هو حزائيل قائلاً لإيليا النبي: "ادخل وامسح حزائيل ملكاً على آرام" (١ ملوك ١٩ : ١٥). كما أنهم لم يوصفوا بالسوء كثيراً مثل الآخرين.

تَمكّـن الآراميـون مـن تأسـيس عـدة ممالـك سـيطرت علـى منـاطق واسـعة مـن بـلاد الرافـدين والـشام، وباسـتثناء الدولـة الكلدانيـة الآراميـة الـتي اشـتهرت باسـم قبيلتهـا الآراميـة (كلـدة) ومملكـة آرام دمـشق، لم تـتمكن الممالـك الآراميـة الأخـرى مـن تكـوين كيانـات كـبيرة وقويـة علـى غـرار الـدولتين البابليـة والآشـورية بـالرغم مـن امتـدادها علـى مـساحات شاسـعة مـن بـلاد عـيلام شـرقاً إلى البحـر المتوسـط غربـاً، ومـن جبـال الأمـانوس شمـالاً إلى تخوم الخليج والحجاز جنوباً، ويعود السبب في ذلك إلى ثلاثة عوامل هي:

١: عامـل تـاريخي: إنَّ الآشـوريين عُرفـوا تاريخيـاً بمعـاداتهم للآرامـيين، في حـين أنَّ الآرامـيين كـانوا يكـافحون مـن أجـل حـريتهم ومـن أجـل الاسـتقرار وحيـاة أفـضل، وكانـت الدولـة الآشـورية قاسـية جـداً في التعامـل معهـم مستعملة العنف والسبي والإعدام ونهب الثروات وأخذ الجزية وغيرها[1].

٢: عامـل خـارجي: كانـت الممالـك الآراميـة تقـع بـين دول كـبيرة تحـاول تجنـب الـدولتين الآشـورية والبابليـة مثـل دولـة عـيلام والحثـيين ومـصر، فكانـت هـذه الـدول تُحـرِّض الآشـوريين والآرامـيين وتُغيِّـر تحالفاتهـا دائمـاً بحيث تجعل الممالك والقبائل الآرامية في مواجهة الآشوريين لتجنب شرهم.

٣: عامـل داخلـي: إنَّ كـثيراً مـن القبائـل الآراميـة كانـت تحبـذ الـولاء القبَلـي الـداخلي علـى الـولاء الـسياسي للدولـة الموحـدة[2]، ونـستطيع القـول: شَـكَّلَ الآراميـون مجتمعـات متحـضرة ومـستقرة، ويلاحـظ أنَّ الممالـك الآراميـة لم تكـن ملتزمـة كـثيراً بنظـام الخلافـة أي الملكيـة الوراثيـة[3]، ولهـذا فالثقافـة

---

[1]: المطران غريغوريوس صليبا شمعون، الممالك الآرامية ص ١٦.

[2]: سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش تيماء الآرامية ص٣٢.

[3]: ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ ص ١٤٩.

الآراميــة كانــت أرقــى مــن غيرهــا ، والآراميــون كــانوا ذوي عقــل تجــاري وزراعــي متطــور ، وكــانوا أغنيــاء قياســاً بالبقيــة ، ومهــتمين بــشؤون حيــاتهم الداخليــة أكثــر مــن اهتمــامهم بالــسياسات الخارجيــة ، والــدليل الآخــر علــى ثقــافتهم الراقيــة هــو انتــشار لغــتهم الــتي أصــبحت لغــة دوليــة للجميــع دون مساندة من دولة سياسية قوية.

وســنذكر باختــصار أهــم الممالــك الآراميــة الــتي تخــص موضــوعنا وهــي تلــك الــتي قامــت في وادي الرافــدين وفي شــرق (بــلاد الــشام)، فــضلاً عــن أقــوى مملكة آرامية قامت في غرب الشام وهي آرام دمشق.

أولاً: الممالك والقبائل الآرامية في بلاد الرافدين

مــن الملاحــظ أنَّ الآرامــيين في بــلاد الرافــدين وصــلوا إلى دفــة الحكــم الــسياسي قبــل آراميــي ســوريا ، ومــا ميَّــزَ آراميــي جنــوب بــلاد الرافــدين عــن شمالــه، هــو أنَّ الــشماليين كــانوا مــسالمين أكثــر مــن الجنــوبيين عمومــاً[1]، والــسبب هــو أنَّ الآرامــيين كــانوا علــى العمــوم مــساندين لحكــام بابــل نتيجــةً لقسوة الغارات الآشورية عليهم.

أقــدم ذكــر لاســم آرام كــإقليم في وادي الرافــدين كــان في عهــد الملــك الأكــدي نــرام ســين (٢٢٥٤–٢٢١٨ ق.م.) بــصيغة Ara–Am في نــسخة بابليــة لكتابــة أكديــة تتحــدث عــن انتــصار نــارام ســين علــى شــيخ آرام اسمــه خرشــاماتكي، وفي وثيقــة أخــرى اكتــشفت في مدينــة خفاجــة العراقيــة تقــول إنَّ الأحــداث المــذكورة وقعــت في مــدينتي (ســيموروم وآرامــي)، ويــستدل مــن الــوثيقتين أنَّ المــدينتين تقعــان شــرق دجلــة بــين نهــري ديــالى والــزاب الأســفل،

---

[1]: سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش تيماء الآرامية ص١٥–١٦.

كما ظهرت وثيقة تجارية في مدينة دريهم العراقية مؤرخة في سنة ست وأربعين لحكم الملك الأكدي شولجي (٢٠٩٤–٢٠٤٧ ق.م.) من سلالة سومر الثالثة، كُتب عليها اسم (آرامي)، ووثيقة أخرى من عهد الملك شوشن (٢٠٣٧–٢٠٢٩ ق.م.) ذُكر فيها اسم (آرامو)[١]، ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد تشير الوثائق إلى انتشار الآراميين في جنوب العراق، فقد اشتكى حاكم دلمون (البحرين) إلى والي مدينة نفر العراقية (عفك قرب الديوانية) من أنَّ الأحلامو نهبوا تمور بلاده.

استوطن قسم من الآراميين شمال الخليج العربي وحوض دجلة الأدنى (سوسة عاصمة عيلام، جنديسابور، شوشتر في خوزستان، الأحواز، وغيرها)، واستقروا في القسم الجنوبي الشرقي من دجلة على امتداد ضفتي شط العرب وفي السهول الممتدة بين نهري الكرخة والكارون.

في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد شكل الآراميون قوة لا يستهان بها ويُحسب لها ألف حساب، فقد استولى أمراء آراميون على عرش بابل ومنهم نابو مكين زيري (٧٣١–٧٢٩ ق.م) ومردك أبلا إدينا (٧٢١–٧٠٣/٧٠٥ ق.م)، وفي خضم هذه النزاعات طارد وشرد الآشوريون حوالي (٢٠٨,٠٠٠) آرامي في مختلف أرجاء الهلال الخصيب، وقام تغلاث فلاصر الثالث (٧٤٤–٧٢٧ ق.م.) بتهجير خمس وثلاثين قبيلة قائلاً: لقد أخضعتُ كل أبناء الشعب الآرامي المتواجدين على ضفاف دجلة والفرات حتى نهر الكرخة[٢]، لكن الآراميين لم يقروا بالهزيمة، فأعيد بناء بابل التي سرعان ما استأنفت تصديها لمطامع الآشوريين، واستطاع أمير قبيلة

---

[1]: علي أبو عساف، الآراميون ص١١.

[2]: أ. دوبون سومر، الآراميون ص١٢٢.

كلدة الآرامية نابو بلاصر (٦٢٦–٦٠٥ ق.م) أن يعلن نفسه ملكاً على بابل ويشن على آشور حرباً لا هوادة فيها متحالفاً مع أعدائها الميديين المحيطين بها من الشرق والشمال، وانتهت الحرب بالقضاء على مملكة آشور سنة ٦١٢ ق.م.، وقامت على أنقاضها الدولة الآرامية الكلدانية والتي كان من العسير التفريق فيها بين الكلدانيين والآراميين فضلاً عن البابليين، فقد اختلط الجميع وتمازجوا بقوة وعمق في إطار ثقافة آرامية كانت اللغة الآرامية أهم عناصرها، وتزوج الملك الآشوري بل كالا (١٠٧٤–١٠٥٧ ق.م.) ابنة أدد أبال أدن الآرامي (١٠٦٧–١٠٤٦ ق.م.)، وتزوج الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤–٦٨١ ق.م.) من آرامية اسمها فقيا ومعناها (النقية أو الطاهرة) التي تُسَمِّيها المصادر الآشورية (زاكوتو)، وبَرزَ كثير من الكُتَّاب والمثقفين ذوي الكفاءات في البلاط الآشوري مثل أحيقار، وعَيَّن شلمنصر الثالث شاشي الآرامي حاكماً على إحدى مقاطعة قلقيلية التابعة له، وبقي الأمر على هذا النحو إلى أن سقطت الدولة الآرامية الكلدانية على يد الفرس الأخمينيين سنة ٥٣٩ ق.م.، وذهب كثير من المؤرخين والمحققين إلى أنَّ اسم الآراميين كان شاملاً للكلدان والآشوريين كما مر بنا، وأهم الممالك الآرامية في بلاد الرافدين هي:

١: دويلة آرام: وهي أقدم ذكر لدويلة باسم آرام في العراق، ورد ذكرها في كتابات قديمة تشير إلى أنها كانت تقع قرب مملكة أشنونا (حوالي٢٠٠٠ ق.م.) التي كانت تمتد من شمال بغداد إلى ديالى[١].

٢: الآراميون في مملكة ماري، قامت مملكة ماري سنة ١٨٢٠ ق.م. في غرب العراق على بعد ١١ كم من مدينة البوكمال تل الحريري حالياً،

---

[1]: أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ص١٦٠، مستنداً على موسكاتي.

وحاربها حمورابي البابلي سنة ١٧٦٠ ق.م.، وأشهر ملوكها هو آخرهم زيمري ليم (١٧٨٢–١٧٦٠ ق.م.)، وتُعدُّ مملكة ماري همزة الوصل بين الشام وجنوب العراق، ويكتب باخدي ليم مدير قصر ماري إلى زيمري بأنَّ قبائل سوتو أقامت في توتول (هيت) ورابيقو (الرمادي)، واشتهر هؤلاء الآراميون بالشدة فكانوا نواة جيش مملكة ماري، ومن شدة قوتهم استعان حمورابي بقسم منهم في حروبه ثم أُعيدوا، جاء ذلك في رسالة كتبها حمورابي إلى باخدي ليم مدير قصر زيمري ملك ماري طالباً منه إيصال الرسالة إلى زيمري ليم[1]، كما وجدت وثائق تشير إلى أنَّ تجاراً من قبائل أحلامو– آرام كانت تأتي إلى مملكة ماري لغرض البيع والشراء.

٣: سلالة بابل الرابعة (١١٦٢–١٠٤٦ ق. م.) كان ملكها الثامن هو أدد أبال أدن الآرامي (١٠٦٧–١٠٤٦ ق.م.) الذي تُسَمِّيه المصادر الآشورية بالمغتصب الآرامي، حيث تمكن من أن يأخذ السلطة من ملك بابل مردوخ شابك زيري (١٠٨٠–١٠٦٨ ق.م.) لصالح الآراميين، واحتل قسم من الآراميين مدينة دور "كوريكالزو" (عقرقوف٣٢ كم جنوب بغداد)، ولما رأى الملك الآشوري آشور بل كالا (١٠٧٤–١٠٥٧ ق.م.) أنَّ أدد أبال قوي، اعترف به وتزوج من ابنته بعد أن قَدَّمَ له مهراً ثميناً.

٤: في السلالة البابلية الثامنة (٩٩٠–٧٤٧ ق.م.) التي أسسها الملك البابلي نابو موكين بال (٩٩٠–٩٥٥ ق.م.) نجح الآراميون في احتلال وادي الفرات قرب مدينة "كاربلماتاتي" وظل تحت سيطرتهم تسع سنوات استطاعوا خلالها قطع طريق الاتصال بين مملكتي بابل وبورسيبا (برس نمرود ١٥كم جنوب بابل)، وعندما أراد الملك الآشوري شمشي أدد الخامس

---

[1]: محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات مملكة ماري ص٦٠.

(٨٢٣–٨١١ ق.م.) غـزو بابـل لاحـظ أنَّ ملكهـا عـضو في تحـالف آرامـي قـوي، واسـتمرت سـيطرة القبائـل الآراميـة خـلال حكـم هـذه الـسلالة حتـى بلغـوا مدينـة بابـل وضـيقوا الخنـاق عليهـا، ومـن طريـف مـا جـاء في الأخبـار البابليـة عـن الـضغط الآرامـي علـى المنطقـة في عهـد الملـك الأخـير لهـذه الـسلالة نـابو شـم أشـكن (٧٦٢–٧٤٧ ق.م.)، أنَّ الإلـه مـردوخ وابنـه الإلـه نـابو لم يـستطيعا الخروج من معبديهما للاشتراك في أعياد رأس السنة الجديدة في نيسان[١].

٥: بيـث يـاكيني، مؤسـسها يـاكين، تعتـبر هـذه المملكـة مـن أقـوى وأكـبر الممالـك الآراميـة بعـد الدولـة الكلدانيـة، وأرى أنَّ نبوخـذ نـصر وخلفـاءه في الدولـة الكلدانيـة ينحـدرون مـن سـلالة أبنـاء هـذه المملكـة، وكانـت تقـع جنـوب التقـاء دجلـة والفـرات في شـط العـرب بـين الناصـرية والبـصرة، وكانـت عاصـمتها دور – يـاكين (تـل اللحـم حاليـاً)، و أشـهر ملوكهـا مـردوخ بـلادان الآرامـي (٧٢١–٧١١ ق.م.) وهـو ملـك سـلالة بابـل العاشـرة (٧٣٢–٧١١ ق.م.) المـذكور في التـوراة (إش ٣٩: ١)، وبعـد مـوت مـردوخ بـلادان تحـالف ابـن بـلادان مـع العيلامـيين وأعلـن العـصيان علـى الآشـوريين فقـام الملـك الآشـوري أسـرحدون الثـاني (٦٨٠–٦٦٩ ق.م.) بـشن حملـة عليـه، لكـن المملكـة عـادت وشـقت عـصا الطاعـة علـى الآشـوريين، فقـام آشـور بانيبـال (٦٦٨–٦٢٧ ق.م.) بـالزحف عليهـا ودَمَّـرَ قلعتهـا المعروفـة (شـفي– بـل)، ونتيجـة لقـوة هـذه المملكـة أطلـق الملـك الآشـوري شلمنـصر الثالـث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) على منطقة جنوب بابل بأكملها "بيث ياكين".

٦: كمبولـو، عاصـمتها دور ابيهـار، قامـت شـرق نهـر دجلـة بـين مـدينتي العمـارة والكـوت وامتـدت إلى نهـر الكرخـة، اشـتهرت بمـساندتها ملـوك

---

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ٤٦٤.

بابل ضد الآشوريين حيث ساندت مردوخ بلادان زعيم قبيلة بيث ياكيني، فاضطر سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م.) إلى التوجه إليهم واقتحم مدنهم المحصنة وضمها إلى الدولة الآشورية، ومع ذلك ظلوا يشقون عصا الطاعة إلى أن قام آشور بانيبال (٦٦٨–٦٢٧ ق.م.) بغزوها وقبض على ملكها واقتاده إلى نينوى وذبحه كالخروف، ونقل أمراءهم الآخرين إلى أربيل، حيث قطع ألسنتهم وسلخ جلودهم وهم أحياء.

٧: الفقوديون: استوطنت شمال دويلة كمبولو على ضفاف دجلة الشرقية المقابلة لعيلام في بلاد فارس على نهر الكرخة، ويبدو أنها كانت ذات شأن حيث ورد ذكرها في سفر إرميا (٥٠: ٢١) وحزقيال (٢٣: ٢٣)، استطاع سرجون الثاني إخضاعها له بعد قضائه على دولة كمبولو.

٨: بيث عديني: كانت هذه المملكة غنية جداً، وقامت في الجهة الغربية من ساحل الخليج العربي جنوب العراق، وقد تكون هذه المملكة أحد فروع قبيلة بيث عديني الشمالية التي كانت عاصمتها تل برسيب على المنعطف الكبير لنهر الفرات والتي احتلها الملك آشور ناصر بال وسبى منها ألفين وخمسمئة آرامي وأسكنهم في كالح (نمرود)، اشتهرت بيث عديني في جنوب العراق بمواقفها المناهضة لدولة آشور، مما جعل شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) يغزوها ويأخذ الجزية منها.

٩: بيث إيتوع: قامت في وادي ديالى على ضفاف دجلة وانتشرت بين نهري العظيم والزاب الأسفل، ذكرها توكلتي ننورتا الثاني (٨٩٠–٨٨٤ ق.م.) عندما سار إلى جبال زاغروس، من مدنها سيموروم وآرامي اللتان اكتشفتا في وثيقة في مدينة خفاجة، وأزعجت هذه القبيلة الدولة الآشورية فشن عليها تغلات فلاصر الثالث حملة سنة ٧٤٤ ق.م. تقريباً.

١٠: قبيلة لاكي: قامت في بداية القرن العاشر في الجزء الجنوبي من حوض الخابور والفرات وامتد نفوذها إلى جنوب سنجار في العراق الحالي.

١١: بيـث شـيلاني: عاصـمتها سـر أنابـا، هاجمهـا تغـلاث بلاصـر الثالـث سـنة ٧٣٢ ق.م. وقتل ملكها وسبى خمسة وخمسين ألفاً من أبنائها إلى آشور.

١٢: ملكــة بيــث دكّــوري: امتــدت مــن مدينــة بورســيبا جنــوب مملكــة بابــل (بــرس نمــرود جنــوب الحلــة حاليــاً) إلى مدينــة أوروك (الوركــاء)، هاجمهــا الملك الآشوري أسرحدون الثاني وسلبها وأسر ملكها شمشي- ابني.

١٣: بيـث موكـاني: عاصـمتها شـيبيا، كانـت تقـع في حـوض دجلـة الأسـفل، كـان حاكمهـا موشـلم مـردوخ، وكـان نـابو مـوكن زيـري مؤسـس سـلالة بابل العاشرة أحد أبنائها.

١٤: بيـث شـعالي: عاصـمتها دور ايلاتـا، هاجمهـا تغـلاث فلاصـر الثالـث سـنة ٧٣٢ ق.م. وسبى خمسين ألفاً وأربعمئة من سكانها إلى بلاد آشور.

١٥: الكلــدان: قبيلــة كلــدة الآراميــة الــتي اســتوطنت جنــوب العــراق وحكمـت بابـل في عهـد نبوخـذ نـصر وهـي أشـهر وأقـوى مملكـة آراميـة، وقد تكلمنا عنها بشكل مُفصَّل في كتابنا.

١٦: وإمــارات آراميــة لقبائــل أخــرى مثــل، إمــارة البحــر الــشمالية (مــات تيـامتيم)، كـان فيهـا قبيلتـا ليتـاو وخينـدارو سـكنتا بـالقرب مـن الفوقـوديين وكمبولـو واشـتهرتا بقوتيهمـا وشـدة بأسـهما، وأيـضاً قبيلـة الجوراسـيميون الـتي سـكنت شمـال غـرب مدينـة أور، وكـذلك قبائـل بيـث لاراك، راهيقـو، هاكــارنوا، كرامايــا، وأكوتــو وغيرهــا، علمــاً أنَّ قبيلــة كلــدة الآراميــة كانـت ذات صـلات قويـة وعرقيـة مـع هـذه القبائـل، ونتيجـة لكثـرة القبائـل الآراميـة الـتي سـكنت المنطقـة الواقعـة مـن بابـل وحتـى الخلـيج العربـي، فقـد سُـمِّيت هـذه المنطقـة بـاسمهم "بـلاد آرام"، ناهيـك عـن القبائـل الـتي اسـتوطنت في الـشمال، وعمومــاً فإنــه فـضلاً عــن وجـود الآرامـيين داخـل بــلاد بابــل وآشور، فإنَّ بابل وآشور كانتا مطوقتين بالممالك والقبائل الآرامية.



نصب حجري لعلامة الحدود يظهر فيها الملك مردوخ بلادان الآرامي (٧٢١-٧١١ ق.م.) يَمنح أحد أعوانه بعض الأراضي وقد نُقشت على تاجه المخروطي كتابة تقول ملك بابل الآرامي

بعد سقوط الدولة الآرامية الكلدانية، لم ينته دور الآراميين، فبعد احتلال الإسكندر الأكبر للمنطقة سنة ٣٣١ ق.م.، ثم قيام الدولة الفرثية فيما بعد، قامت عدة إمارات آرامية، أشهرها أربع إمارات مستقلة في بلاد الرافدين هي:

١: إمارة ميسان الآرامية: سَمَّاها الآراميون وتعني المدينة المنورة، امتدت من المحمَّرة ومدينة كرخا التي تعني بالآرامية المستوطن، إلى جزيرة فيلكة، استقلت عن السلوقيين في عهد انطوخيوس الكبير (٢٢٣-١٨٧ ق.م.)، امتلكت علاقة قوية مع إمارتي حدياب والحضر الآراميتين، ويؤكِّد طه باقر والباحث نولدمان (أنَّ جُلَّ سكان ميسان كانوا من الآراميين)[1]، كما سكنها قسم من الأنباط الآراميين وكان لهم فيها معبد خاص.

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ٥٩٨. وشيلدن نولدمان (ميشان، دراسة تاريخية أولية، مجلة الأستاذ، مج ١٢(٦٣-١٩٦٤م).

٢: إمارة حدياب (أربيل) الآرامية: بالسريانية (أربا إيلو) معناها الآلهة الأربعة، نشأت في القرن الأول قبل الميلاد، وصلت إلى أوج مجدها سنة ٣٦م في عهد ملكها عزت الثالث الذي اعتنق اليهودية، غزاها وأسقطها الإمبراطور تراجان الروماني سنة ١١٦م، كان معظم سكانها آراميين[1].

٣: إمارة الحضر الآرامية: بالسريانية (حاترا) ومعناها الرحى لأنه كان لها سوران كالرحى، كان ملكها يُسَمَّى (ربا– بيثا) أي صاحب البيت، غزاها تراجان فصالحه ملكها نصرو الثالث (١١٥–١٣٥م)، أسقطها شابور الأول سنة ٢٤١م، وجِد فيها ثلاثمئة نقش آرامي ونقش واحد يوناني.

٤: إمارة سنجار الآرامية: بالسريانية (شنغار) وتعني سن الأرض أو الجبل، أصبحت إمارة آرامية قوية سنة (٥٠–١١٦م)، أسقطها تراجان في زمن ملكها منعو، ربطها بالحضر طريق خاص سلَكه تراجان عندما غزاها.

ثانياً: الممالك والقبائل الآرامية في غرب بلاد الرافدين

في غرب بلاد الرافدين (شرق الشام) تَبسَّط الآراميون منذ عهد الملك شاول (١٠٤٤–١٠٢٩ ق.م.) وأقاموا عدة دويلات في السهل الكلكيلي مثل جرجر، ملز، عمق، وكثر عددهم حول أرفاد وأعزاز، وتأسست مملكة بيت أجوشي في منطقة حلب، كما انتشروا في حوض نهر العاصي وصارت حماة في أيدي حكام آراميين، وقامت مملكة صوبا على أراضي سهل البقاع الجنوبي وجزءاً من وادي بردى وعين جر (عنجر)، وقرب نهر الليطاني قامت مملكة بيت رحوب، وقامت مملكة بيت معكة شرق نهر الأردن على سفوح جبل الشيخ السورية، وبين دمشق واليرموك قامت مملكة جشور، وغيرها من الإمارات الصغيرة في حوض بردى وسفوح قاسيون وغوطة دمشق، وأهم تلك الممالك الآرامية:

---

[1]: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص ٦٠١.

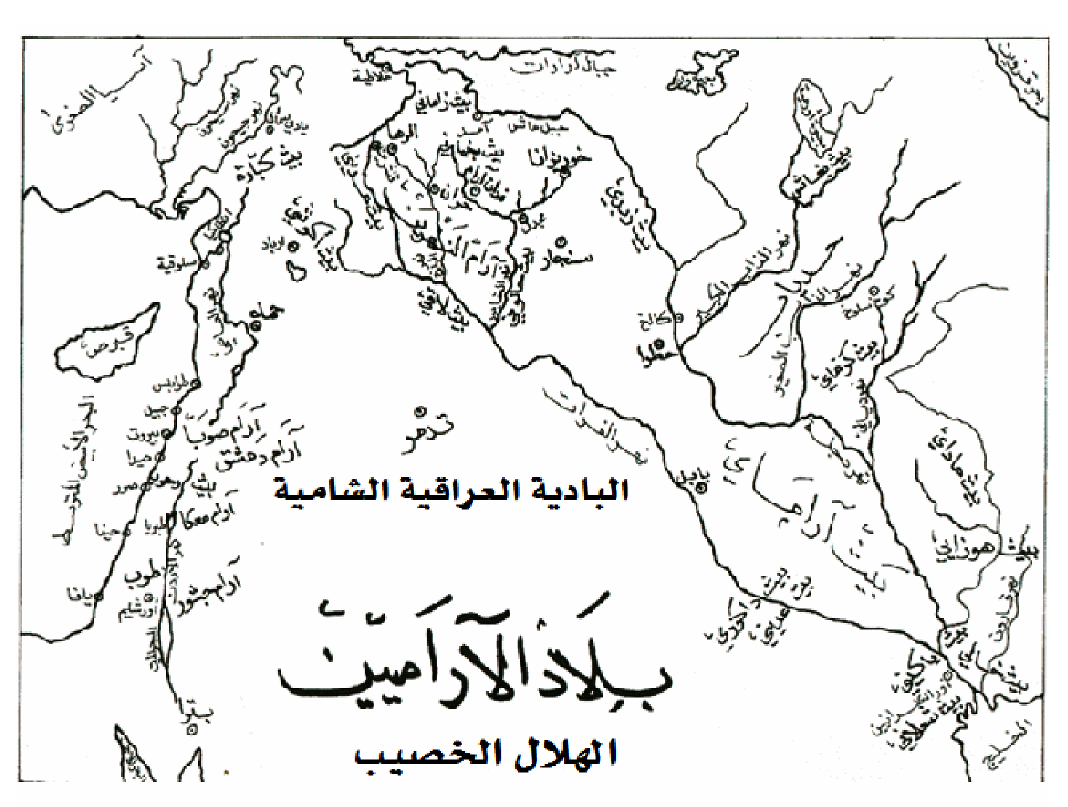
١: مملكة سوحي: قامت أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد بين نهر الخابور ومصب نهر البليخ، ومن مدنها عانة (العراق) وسورا وخاريدي (في سوريا حالياً)، شن عليها الملك الآشوري تغلاث فلاصر الأول حملة عسكرية سنة ١١١٢ ق.م. يقول فيها مفتخراً إنه دَمَّرَ بلاد سوحي، ثم عادت إلى العصيان بالتحالف مع القبائل الآرامية في عهد ملكها حاباني، وتحالف حاباني مع سادس ملوك السلالة الثامنة البابلية نابو بلادان وأرسل له قوة بقيادة أخيه زيدان لمحاربة الآشوريين، لكن آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م.) استطاع أن يدحرهم ويسوق زيدان أسيراً إلى نينوى، لكنهم لم ينتهوا فساق عليهم آشور حملة قاسية سنة ٨٧٨ ق.م. واحتلها وشَيَّد حاميتين آشوريتين الأولى على الضفة اليمنى باسم نيبارت آشور والثانية على الضفة اليسرى باسم كرخ آشور ناصر بال.

٢: مملكة نصيبين (القامشلي) وخومرينا (سلطان تبه): قامت شمال حران وجيدارا جنوب غربي ماردين، استقرت فيها قبيلة تيمانيا، من أشهر أمرائها نور هدد الذي كان يعادي الآشوريين مما حدا بالملك الآشوري أدد نيري الثاني (٩١١–٨٩١ ق.م.) إلى احتلالها وأسر نور هدد ونقله مع عائلته إلى نينوى.

٣: بيث زماني: قامت شمال طور عبدين على ضفاف دجلة، عاصمتها آمد (ديار بكر)، غزاها الملك الآشوري تيكولتي نينورتا الثاني (٨٩٠–٨٨٤ ق.م.) وعَيَّن عليها الحاكم الآرامي "عمي بعلي" الذي تمرد فيما بعد على الآشوريين، فجرد آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣–٨٥٩ ق.م.) حملة عليه واستبدله بأخيه "إيلانو" وصار عميلاً له، لكن الآراميين من جماعة "عمي بعلي"، ثاروا على الحاميات الآشورية، فعاد آشور ناصر بال وهجم عليهم وأسر منهم ألفاً وخمسمئة شخص وسباهم إلى بلاد آشور.

٤ : بيت بحياني: عاصمتها (جوزن مدينة تل حلف حالياً)، قامت في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، احتلها الملك الآشوري أدد نيري الثاني (٩١١–٨٩١ ق.م.) سنة ٨٩٤ ق.م. وأرغم حاكمها "أبي سلامو" على دفع الجزية، ثم ثارت هذه الدولة على الآشوريين، فهجم عليها الملك الآشوري أدد نيري الثالث (٨١٠–٧٨٣ ق.م.) سنة ٨٠٨ ق.م. وأخضعها لحكمه.

٥ : ممالك أخرى مثل بيث لاقي وعاصمتها سورو (تل صورا حالياً) شمال مصب الخابور بالفرات، (لا تزال إلى اليوم قرية بهذا الاسم)، آرام نهرين أو فدان آرام الواردة في سفر التكوين (٢٤ : ١٠) وقامت في حران بين نهري الفرات والخابور وهي مدينة إبراهيم أبي الأنبياء، وشمأل وعاصمتها زنجرلي التي قامت قرب غازي عينتاب وسفوح جبال الأمانوس، وغيرها.



مملكة آرام دمشق

دمشق لفظة سريانية (آرامية) معناها الحديقة المزهرة[1]، وتُعدُّ مملكة آرام دمشق وريثة مملكة صوبا الآرامية التي شملت البقاع وجبال لبنان الشرقية وغوطة دمشق وحوران، وورد ذكر ملكها (هدد عزر) في وثائق الدولة الآشورية، وأول ملوك مملكة آرام دمشق هو (رزون بن إيل يدع، نحو ٩٦٥–٩٢٥ ق.م.)، الذي كان قائداً في جيش ملك صوبا التي هُزمت على يد الملك داود (النبي)، فانتهز روزن بن إيل الفرصة وأعلن نفسه ملكاً على آرام دمشق، وأول عمل قام به هو التوجه لمحاربة الملك سليمان بن داود لرد اعتبار الآراميين، فانتصر عليه وحرر دمشق من نير إسرائيل ورفع الجزية عنها.

خلَف رزون ملكان ضعيفان[2]، ثم جاء برهدد الأول (٨٨٠–٨٦٥ ق. م تقريباً) الوارد ذكره في سفر الملوك الأول (١٥ : ١٨) والذي استطاع أن يستغل حقبة من الهدوء الآشوري شرقاً، والخلاف بين ملك يهوذا (آسا ٩٠١١–٨٧٠ ق.م.) وملك إسرائيل (بعشا ٩٠٩–٨٨٦ ق.م.) غرباً، فوسَّعَ سلطانه على الممالك الآرامية شرقاً إلى حماة وحلب وحتى غرب الفرات، وفرض نفوذه على يهوذا وإسرائيل غرباً، خاصةً بعد أن أرسل (آسا) ملك يهوذا هدايا ثمينة من أورشليم إلى برهدد طالباً مساعدته للقضاء على (بعشا) ملك إسرائيل، فاستجاب له وهجم على بعشا وألزمه بالكف عن مضايقة آسا، ثم قام برهدد بعد ست سنوات تقريباً بإجبار ملك إسرائيل عمري (٨٨٥–٨٧٤ ق.م.) بفتح أسواق السامرة أمام منتجات بلاده.

---

[1]: محمد كرد، مقدمة كتاب دمشق مدينة السحر والجمال.

[2]: حسب الكتاب المقدس هما حزيون وابنه طبريمون، وبرهدد هو ابن طبريمون.

خلَـفَ برهــدد الأول ابنــه برهــدد الثــاني نحــو (٨٦٥–٨٤٢ ق. م.) الــذي لَــمَّ شمــل الآرامــيين وســار لمحاربــة ملــك إســرائيل (آخــاب ٨٧٤–٨٥٣ ق.م.) ســنة ٨٥٧ ق.م. برفقــة اثــنين وثلاثــين أمــيراً (شــيخاً) آراميــاً كمــا جــاء في (١ ملــوك ٢٠ : ١)، لكنــه فــشل وخــسر المعركــة، فعقــد آخــاب معاهــدة أجــبره فيهــا علــى أن يفــتح أســواق دمــشق أمــام منتجاتــه رداً علــى مــا فعلــه أبــوه ســابقاً، وسـبب عـدم قتـل آخـاب لبرهـدد الثـاني هـو أنَّ أخبـار الملـك الآشـوري شلمنـصر الثالــث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) الــذي بــدأ يزحــف إلى ســوريا كانــت قــد وصــلت إليـه، لـذلك حـاول آخـاب أن يكـسب برهـدد لعلـه يقـف بوجـه شلمنـصر، ولم تـستمر المعاهـدة أكثـر مـن ثـلاث سـنين حيـث اتفـق آخـاب مـع ملـك يهـوذا بيهوشــافط وهجــم علــى الآرامــيين واســترد الأراضــي الــتي احتلــها برهــدد الأول، وأصــيب آخــاب في المعركــة ومــات، والجــدير بالــذكر أنَّ نعمــان الـسرياني المـذكور في سـفر (٢ ملـوك ٥) هـو قائـد جـيش برهـدد الثـاني، ثـم قــام شلمنــصر في بدايــة عهــده بــالهجوم علــى ســوريا قاصــداً آرام دمــشق، لكنــه لم يــستطع الوصــول بــسبب وجــود الممالــك الآراميــة الــصغيرة في الطريــق والــتي اســتطاعت إنهاكــهُ، وفي ســنة ٨٥٣ ق.م. عــاد شلمنــصر للزحـف إلى سـوريا واجتـاز الفـرات قاصـداً دمـشق، فقـام برهـدد الثـاني بجمـع تحــالف ضــخم ضــم اثــني عــشر ملكــاً (حــسب لائحــة كــورخ ١١ملكــا) و٧١٩٠٠ مقــاتلاً، وحــوالي ٤٠٠٠ مركبــة و٢٠٠٠ حــصاناً و١٠٠٠ جمــلاً[1]، وتقـدم برهـدد بهـذا الجـيش والتقـى مـع جـيش شلمنـصر في موقعـة (قرقـر) الـشهيرة بـين حلـب وحمـاة، وخـسر الآراميـون ١٤٠٠٠ مقاتـل حـسب الحوليـات الآشـورية، ولم يـستطع شلمنـصر التقـدم إلى حمـاة ودمـشق فرجـع إلى بـلاده

[1]: الجمال عائدة لملك العرب جنديب، وهي المرة الأولى في التاريخ يرد فيها اسم العرب.

مـع بعـض الغنــائم، ولم يــذكـر شلمنــصر في حولياتــه عــدد خــسائره، ويبــدو أنــه قــد بــالغ في حجــم جــيش الآرامــيين لتبريــر فــشله[1]، ثــم عــاود شلمنــصر غزواتـــه في غـــرب الفـــرات في الأعـــوام (٨٤٩ و٨٤٨ و٨٤٥ ق. م.) وكبـــد الآرامــيين خــسائر كــبيرة، ومـع هــذا صـمدت كــثير مـن الممالــك ومنهـا دمـشق بزعامــة برهــدد وحليفــه ملــك حمــاة "آرخــوليني" أمــام المــد الآشــوري، ثــم تــوفي برهــدد الثــاني مريــضاً فخلَفــه أحــد رجــال بلاطــه وهــو (حزائيــل)، ويُلمِّــح (٢ ملـوك ٨: ٧–١٥) بـأنَّ حزائيـل قتـل برهـدد وهـو مـريض، وهنـاك مـن يقـول إنَّ حزائيل هو ابن برهدد.

يُعَــدُّ الملــك الآرامــي حزائيــل (٨٤٢–٨٠٥ ق.م.) مــن أعظــم وأشــجع ملــوك آرام علــى الإطــلاق ومــن أشــد الملــوك شــأناً في القتــال، ولا تقـل قوتـه ورباطـة جأشـه عـن ملـوك آشـور وبابـل، وهـو الـذي أرسـل الله إيليـا الـنبي ليمـسحه ملكـــاً علـــى آرام (١ ملـــوك ١٩: ١٥)، وفي عهـــده ازدهـــرت مملكـــة آرام دمـشق وأصـبح سـيد الموقـف وأخـذ يـصول ويجـول في الـبلاد، وبـسط سـلطانه علـى كـل بـلاد الـشام تقريبـاً، واسـترجع جميـع المنـاطق مـن إسـرائيل، وكـان خــصماً عنيــداً لشلمنــصر الثالــث، ودلــت الاكتــشافات الأخــيرة علــى أنــه اسـتطاع أن يعـبر الفـرات شـرقاً ويتخـذ موقفـاً هجوميـاً ضـد الدولـة الآشـورية في نهايـة حكـم شلمنـصر، وبـذلك يكـون هـو ملـك آرام دمـشق الوحيـد الـذي عــبر الفــرات لمواجهــة الآشــوريين، ولتــأثير شخــصيته القويــة، فقــد ولَّــدَ انطباعــاً مثاليــاً في نفـوس رعايـاه حتـى لَقَّبـوهُ "سـيدنا حزائيـل"، وهـذا اللقـب يعـني الـرب، وكـان معروفـاً بعداوتـه الـشديدة لليهـود، فهـو الـذي تحـدث عنـه (٢ ملـوك ٨: ١٢) قـائلاً: إنَّ اليـشع الـنبي بكـى أمـام حزائيـل، فـسأله حزائيـل

[1]: ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ ص١١٧.

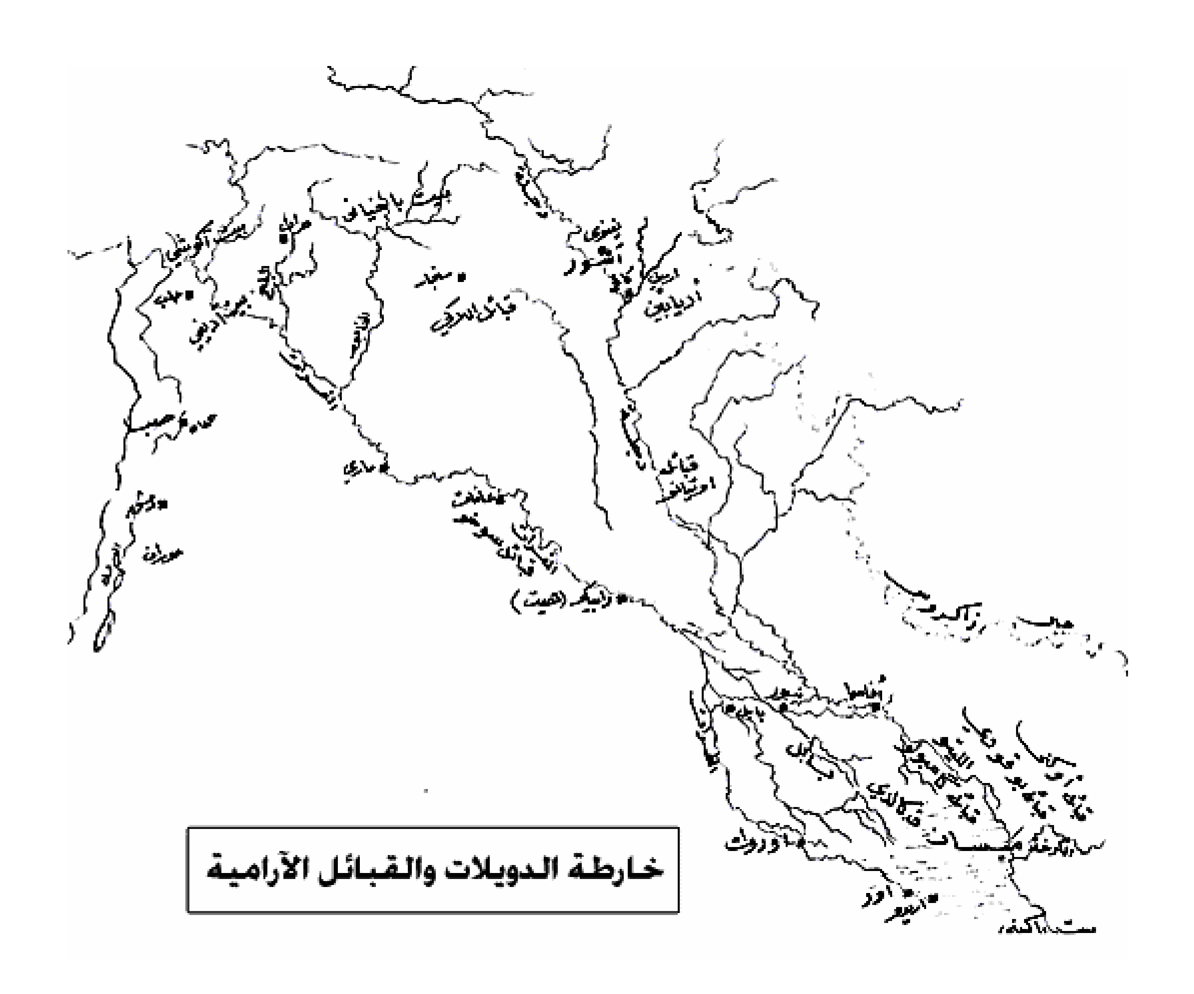
لماذا تبكي؟، أجاب اليشع (لأني علمت ما ستفعله ببني إسرائيل من الشر، فإنك تطلق النار على حصونهم وتقتل شبانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم)، وفعلاً فقد خاض حروباً مُدمِّرة ضد إسرائيل ويهوذا وقتل منهم الكثير حتى لم يبق لإسرائيل سوى خمسين فارساً وعشرة مراكب وعشرة آلاف راجل، أمَّا ملك يهوذا (يواش ٨٣٥–٧٩٦ ق.م.) فقد جمع كل الذهب الموجود في أورشليم منذ عهد آبائه وأسلافه وقدمه هدية لحزائيل ليصرفه عنه (٢ ملوك ١٢ : ١٨).

كانت الانتصارات والشهرة التي أحرزها حزائيل تصل شلمنصر الثالث فتقُضُّ مضجعه باعتبار أنَّ حزائيل منافس له، فصمم على محاربته لكسر شوكته، وقام بحملة على دمشق سنة ٨٤١ ق.م. والتقى مع جيش حزائيل عند جبل الشيخ (حرمون)، وتمكن شلمنصر من قتل ستة آلاف آرامي وغنم ١١٢١مركباً و٤٧٠ حصاناً، فتحصن حزائيل في جبل سنير (صيدنايا)، ثم التجاء إلى دمشق، فلحقه شلمنصر لكنه لم يستطع اقتحام أسوار دمشق، فرجع إلى بلاده مع الغنائم، وفي سنة ٨٣٨ ق.م. قام شلمنصر بحملة أخرى، واحتل بعض المناطق القريبة من دمشق، لكنه لم يستطع أن يصل دمشق، وبقيت دمشق في عهد حزائيل حتى وفاته سنة ٨٠٥ ق.م. تتمتع باستقلالها رغم تقلص نفوذها.

خلَفَ حزائيل ابنه برهدد الثالث الذي تُسَمِّيه المصادر الآشورية (ماري)، واتَّبَعَ سياسة قاسية في فرض الجزية على الممالك التابعة له، فاستاءت هذه الممالك وضعفت سيطرته عليها، وتمرد (زكُّور) ملك مملكة حماة الآرامية وأخذ يتوسَّع على الممالك المجاورة فضم مملكة "لعش" وأقام في عاصمتها "خزرك"، فشكل برهدد حلفاً وهاجمه وطوق

زكُّور، وفي هذه الأثناء تدخل الملك الآشوري أدد نيري الثالث وشن حملة على برهدد الثالث وحلفائه سنة ٨٠٥ ق.م. انسحب برهدد على إثرها إلى دمشق، تلتها حملات أخرى كان آخرها سنة ٧٩٦ ق.م. استطاع فيها أدد نيري إخضاع برهدد وأخذ الجزية منه، وتوفي برهدد سنة ٧٧٣ ق.م. تقريباً.

بقي الأمر هكذا إلى أن اعتلى الملك رصين (٧٥٠–٧٣٢ ق. م.) مملكة آرام دمشق، وخاض هذا الملك عدة حروب مع إسرائيل والآشوريين، إلى أن قام تغلاث فلاصر الثالث بسلسلة من الحملات نحو الغرب بدأت سنة ٧٤٣ ق.م.، ثم سنة ٧٣٨ ق.م.، لكنه لم يستطع دخول دمشق، وفي خضم هذه الأحداث استغل ملك يهوذا فقح بن رمليا (٧٣٧–٧٣٢ ق.م.) الفرصة وطلب النجدة من تغلاث فلاصر الثالث لحمايته من مملكة آرام دمشق بزعامة رصين، فاستجاب تغلاث للطلب وتحرك جنوباً واجتاح المقاطعات الآرامية الستة عشرة التابعة لآرام دمشق، وعاث في الأرض خراباً، فدَمَّرَ ٥٩١ قرية ومدينة تابعة لمملكة دمشق، وخرب جميع بساتين الغوطة، وأرهب السكان وسبى عدداً كبيراً من الآراميين، ثم حاصر الملك رصين لمدة خمسة وأربعين يوماً، وأخيراً دخل دمشق وقبض على رصين وقتله، وبذلك سقطت مملكة آرام دمشق سنة ٧٣٢ ق.م. بعد أن دامت أكثر من ثلاثمئة سنة.



خارطة الدويلات والقبائل الآرامية

العرب

لم يكن اسم العرب والعروبة تاريخياً ذا مدلول قومي لأمة أو جنس أو عرق أو أثنية معينة، لذلك فإنَّ الجغرافيين المتأخرين لما اضطروا أن يضعوا اسماً لبلاد العرب سَمَّوها "جزيرة العرب".

إنَّ كلمة عرب هي سريانية (آرامية)، معناها سكان الغرب (الغربيون)، وقد أطلق الآراميون اسم عرب (عُربا، بالسريانية (ܥܪܒܐ) على سكان غرب الفرات أي الغربيين، وعندما أضاف العرب إلى الأبجدية السريانية (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) ستة حروف هي (ثخذ ضظغ) التي كانت تُستعمل في النطق من قِبل العرب سابقاً والتي تُسَمَّى "الروادف"، استُعملت كلمة غرب للدلالة على الغرب لأنَّ حرف الغين لَيِّن وغير أصيل في الأبجدية السريانية.

بقيت كلمة عرب تطلق على سكان غرب الفرات، وكان يوم الجمعة يُسمَّى في الجاهلية "يوم العروبة"[1]، وأول من سَمَّاهُ يوم الجمعة هو كعب بن لؤي، ويوم الجمعة بالسريانية هو (عروبتو ܥܪܘܒܬܐ) أي يوم الغروب، بمعنى غروب وانتهاء الأسبوع قبل السبت والأحد، لذلك كانت قريش تجتمع في هذا اليوم وكان العرب يتبضعون فيه قبل نهاية الأسبوع، وبما أنَّ منطقة غرب الفرات كانت عبارة عن بادية صحراوية قاحلة، لهذا فقد اقترن اسم العرب بالبادية والخيمة والجمل والمواشي دائماً، وقبل ظهور الإسلام بقليل أصبح هناك فرق بين كلمة عربي وهم سكان المدن (الحضر)، وكلمة أعرابي وهم سكان بطون البادية (البدو) أو أهل الوبر[2]، أمَّا سكان الريف فكانوا يتأرجحون بين العرب والأعراب.

---

[1]: تاج العروس ص٣٧٣. وكذلك لسان العرب ج٩ ص ١١٨.

[2]: أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤.

وأطلق البابليون القدماء لفظة ماتو أرابي ومعناها أرض العرب على البدو ساكني غرب الفرات، أي الغربيون وهو اسمهم القديم في اللغة السامية، وأطلق الآشوريون القدماء اسم العرب أيضاً على سكان غرب الفرات، وأقدم نص آشوري ذكر كلمة عرب يعود للملك شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م.) الذي قاد حملة على الملك الآرامي جندب حيث يقول: أنا خربتها أنا دَمَّرتها أنا أحرقت ١٢٠٠ مركبة بالنار و١٠٠٠٠ جمَل لجندب العربي[1].

وفي النصوص الفارسية التي وجدت في قرية بهستون في همذان والتي تعود للملك داريوس ت ٤٨٦ ق.م. جاءت لفظة عرب بمعنى، البلاد الصحراوية المتاخمة لبلاد فارس، ومعلوم أنَّ البابليين والآشوريين والفرس استعملوا اللغة الآرامية (السريانية) منذ القرن الثامن قبل الميلاد، لذلك فإنَّ مراد البابليين والآشوريين والفرس من استعمال كلمة عرب وبلاد العرب هو سكان البادية التي تقع غرب نهر الفرات وإلى تخوم بلاد الشام، ولم ترد كلمة عرب علماً على جنس أو قوم في كل هذه النصوص[2]، لأنَّ العرب كانوا يُعرفون بمدنهم وقبائلهم مثل الحميَّريين الكنديين، التغلبيين، اللخميين، القريشيين، الطائيين، وغيرها.

في الكتاب المقدس وردت لفظة عرب في العهد القديم في أكثر من مكان، وكلها تأتي بمعنى البداوة وتقترن بالصحراء أو بالخيمة والجمل والماشية دائماً، وأقدم نص في التوراة ورد في سفر إرميا (٣: ٢) الذي يعود إلى سنة ٥٨٠ ق.م. تقريباً، يتحدث عن شعب تائه في الصحراء، "قعدتُ لهم

---

[1]: يُعلِّق الدكتور فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب ص ٦٦ تعليقاً طريفاً قائلاً: ومن بديع الصدف أن يكون اسم أول عربي يسجله التاريخ مقروناً بالجَمل.

[2]: جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص ١٨، ١٤–١٩.

في جوانب الطرقات كالأعرابي في الصحراء"، وكذلك في سفر إشعيا (١٣: ٢٠) "ولا يُخيِّم هناك أعرابي ولا يربض هناك رعاة"، وأيضاً إشعيا (٢١: ١٣-١٤) "وحيٌ على العرب بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الددانيين، هاتوا ماء للعطشان يا سكان تيماء"[1]، كما أُطلق على العرب اسم الأنباط في سفر المكابيين حوالي القرن الأول قبل الميلاد، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أنَّ خالد بن الوليد سأل عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة، أعرب أنتم أم نبط؟، فقال عرب استنبطنا ونبط استعربنا، وأطلق اليهود على العرب اسم الإسماعليين نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم، أو الهاجريين سكان الخيام نسبة إلى هاجر أُم إسماعيل، كما أطلقوا عليهم اسم القودمنيين أي بني قدمة بالعبرية (قدمونيت)، أو بني قيدار نسبة إلى قدمة وقيدار ابنا إسماعيل، ودائماً كان اسم العرب مرتبطا بالبادية والخيمة أو المواشي في كل النصوص، وجاء في سفر حزقيال (٢٧: ٢١) "العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدِك بالخرفان والكباش والأعتدة"، وأيضاً مزمور (١٢٠: ٥) "ويلي لغربتي في ماشك لسكني في خيام قيدار"، كذلك في سفر نشيد الأنشاد (١: ٥) "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار"، وبما أنَّ بني قيدار وقدمة كانوا يسكنون شرق فلسطين في بادية الشام فقد سَمَّاهم اليهود أبناء إبراهيم الشرقيين أو أبناء المشرق، أي الساكنين شرقاً بالنسبة للشعب العبري الساكن في فلسطين، وجاء في سفر إرميا (٤٩: ٢٨-٢٩) "قوموا واصعدوا إلى قيدار ودَمَّروا أبناء المشرق إنهم يأخذون خيامهم

---

[1]: الدَّدانيون: اسم شعب من نسل إبراهيم من زوجته قطورة، كان يسكن وادي القرى شمال الحجاز قرب تيما، وتُسَمَّى المنطقة حالياً (العُلا).

وغـنمهم ويأخـذون لأنفـسهم شـققهم وكـل آنيـتهم وجمـالهم"، ومـن اليهـود أخـذ اليونـان كلمـة شـرقيون (سـرقينوس) واسـتعملوها للدلالـة علـى العـرب، وعـن اليونـان سَمَّى بعـض مـؤرخي العـرب مثـل المسعودي العـرب "سـرقينوس"، ولا تـزال إلى اليـوم تُـستعمل هـذه الكلمـة في العـراق (شـرجية) أي شـرقية الـتي تقابـل قـدمونيت العبريـة، ومنهـا يـستعمل العراقيـون كلمـة "شـروكي جمـع شـروكية أو شـراكوة" للدلالـة علـى البـداوة وعـدم التمـدن، وهـي مرادفة لكلمة عْرُبي جمع عْربان التي يستعملها العراقيون بنفس المعنى.

في العهـد الجديـد وردت كلمـة عـرب في سـفر أعمـال الرسـل يـوم حلـول الـروح القـدس حيـث كـان هنـاك عـرب مـن بـين النـاس المجـتمعين (كريتيـون وعـرب نـسمعهم يتكلمـون بألـسنتنا بعظـائم الله (أع ٢: ١١)، كمـا يُـسَمِّي الرسول بولس جبل سينا بأنه يقع في بلاد العرب (غلاطين ٤: ٢٥).

حتـى القـرآن لا يـستعمل لفظـة عـرب للدلالـة علـى أُمـة أو قـوم أو جـنس معـين، ووردت كلمـة عربـي إحـدى عـشرة مـرة، وكلـها تـدل علـى اللغـة فقـط كمـا في سـورة (النحـل آيـة ١٠٣) "ولقـد نعلـم أنهـم يقولـون إنمـا يعلمـه بـشر، لـسان الـذي يلحـدون إليـه أعجمـي وهـذا لـسان عربـي مـبين"، أو في سـورة (الزخـرف آيـة ٣) "إنـا جعلنـاه قرآنـاً عربيـاً لعلكـم تعقلـون"، وسـورة (الأحقـاف آيـة ١٢) "وهـذا كتـاب مـصدق لـساناً عربيـاً"، وغيرهـا، أي أنَّ القـرآن نـزل بغـير لغـات العجـم كاليونانيـة أو العبريـة أو غيرهـا، وكلمـة عجـم في اللغـة العربيـة تعـني كـل مـا هـو غـير عربـي، أي حتـى اللغـة الإنكليزيـة تُعـدُّ لغـةً أعجميـة، ويـرى القـرآن الأعـراب جماعـة موصـوفة بالحيـاة البدويـة ويـصفهم أحيانـاً بالمنـافقين، كمـا في سـورة (التوبـة آيـة ١٠١) "ومـن حـولكم الأعـراب منـافقون"، و (آيـة ٩٧) "الأعـراب أشـد كفـراً ونفاقـاً وأجـدر ألاَّ يعلمـوا حـدود

مـا أنـزل الله علـى رسـوله والله علـيم حكـيم"، وأيـضاً سـورة (الفـتح ١١) "سـيقول لـك المخلّفـون مـن الأعـراب شـغلتنا أموالنـا وأهلونـا فاسـتغفر لنـا يقولـون بألـسنتهم مـا لـيس في قلـوبهم"، وغيرهـا، ناهيـك عـن الأحاديـث الـتي غالبـاً مـا تـصف الأعرابـي بالبـداوة، مثـل مـا روي عـن عائـشة مـن أنهـا قالـت "قَـدِم نـاس مـن الأعـراب علـى الرسـول"[1]، ومـن الكبـائر الـسبعة في الإسـلام التبـدي أي التَعَـرُّب بعـد الهجـرة، وهـو عـودة الـشخص إلى الباديـة للإقامـة مـع الأعـراب بعـد أنَّ هـاجر إلى المدينـة سـابقاً[2]، أي إذا عـاد الإنـسان للتعـرب والبـداوة بعـد الهجـرة، يُعَـدُّ وكأنـه مُرتـد، وبعـد مجـيء الإسـلام تخصـصت كلمـة عـرب لتـصبح علمـاً لقـوم معيـنين وهـم النـاطقون باللغـة العربيـة، ويُقَـسِّم النـسابون العـرب إلى ثلاثـة أقـسام وهـم: أولاً العـرب البائـدة، وهـم الأقـوام الـذين كـانوا في نظـر النـسابين سـكان الجزيـرة العربيـة الأصـليين، وهـم عـاد وثمـود والعمـاليق وجـرهم وطـسم وجـديس وأمـيم وعبيـل ووبـار، وهـي أقـوام انقرضـت قبـل ظهـور الإسـلام لـذلك فالمعلومـات عـنهم عمومـاً قليلـة وغامـضة، وثانيـاً العـرب العاربـة، وهـم القحطـانيون في الجنـوب مثـل حميَّـر وكهـلان وسـبأ وغيرهـم، وثالثـاً العـرب المـستعربة، وهـم سـكان الـشمال مثـل الإسمـاعليين أو العـدنانيين والنـزاريين والمـضريين وغيرهـم، وليس بالضرورة وجود علاقة قومية أو عرقية أثنية بين الثلاثة.

ولا بـد لنـا مـن الإشـارة إلى أنَّ اسـم بـني طـي أصـبح علمـاً في اللغـة الـسريانية للعـرب والمـسلمين عمومـاً[3]، والـسريان هـم أول مـن أطلـق كلمـة طـي أو طـيء

---

[1]: أبو داود، ابن ماجة، كتاب الأدب، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل.

[2]: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات.

[3]: دائرة المعارف الإسلامية مج١٥ ص ٤٠٤.

(طايو أو تايو) على العرب لأنَّ هذه القبيلة كانت من أقوى وأكثر القبائل انتشاراً في منطقة البادية الصحراوية، وشاعت هذه التسمية في القرون الأولى للميلاد في الكثير من المؤلفات السريانية، فذكر برديصان وغيره العرب باسم طي، ومن السريان أخذ اليهود كلمة طي واستعملوها في التلمود وكتاباتهم الأخرى فأطلقوا على العرب لفظة (طيايا أو طياية)، كما أخذ الفرس هذه الكلمة واستعملوها في كتاباتهم بصيغة (تاجك أو تاجيان) لتعني عندهم العرب، ولما كانت هذه الكلمة قريبة من كلمة تازك الفارسية التي تعني الصحراء فقد استعملوا أحياناً كلمة تازك للدلالة على العرب، واستعملها الأرمن أيضاً، ثم انتشرت هذه الكلمة إلى الصين واستعملوها بصيغة (تشي)، علماً أنَّ أكثر الأسماء العربية التي يذكرها مؤرخو ونسابو العرب في كتبهم التي أخذوها من الكتاب المقدس أو الكتب التاريخية الأخرى قبل الإسلام هي أسماء بصيغة سريانية باللهجة الشرقية مثل: إيليا، إرميا، يوحنا، أو اللهجة الغربية التي تنتهي بالضم أي بلفظ حرف الواو مثل: قدمو (قدامة)، قدرو (قيدار)، دومة الجندل (دومو)، طي (طايو)، قصيو بر كلبو (قصي بن كلاب).

خلاصة القول: كلمة عرب سريانية (عربو أو عربا) ومعناها (غرب) وقد أُطلقت على ساكني البادية الواقعة غرب الفرات ولم تكن تعني اسماً علماً لقوم أو جنس اثني محدد.

منذ مجيء الإسلام وانتشاره وإلى اليوم تخصصت كلمة عَرب عند المسلمين قومياً لتدل على الناطقين باللغة العربية التي نزل بها القرآن، فجميع سكان البلدان الناطقة باللغة العربية يُسَمَّون عرباً بغض النظر عن جنسهم حتى وإن كانوا غير إسماعليين أو غير ساميين، بل حتى وإن كانوا غير مسلمين أحياناً.

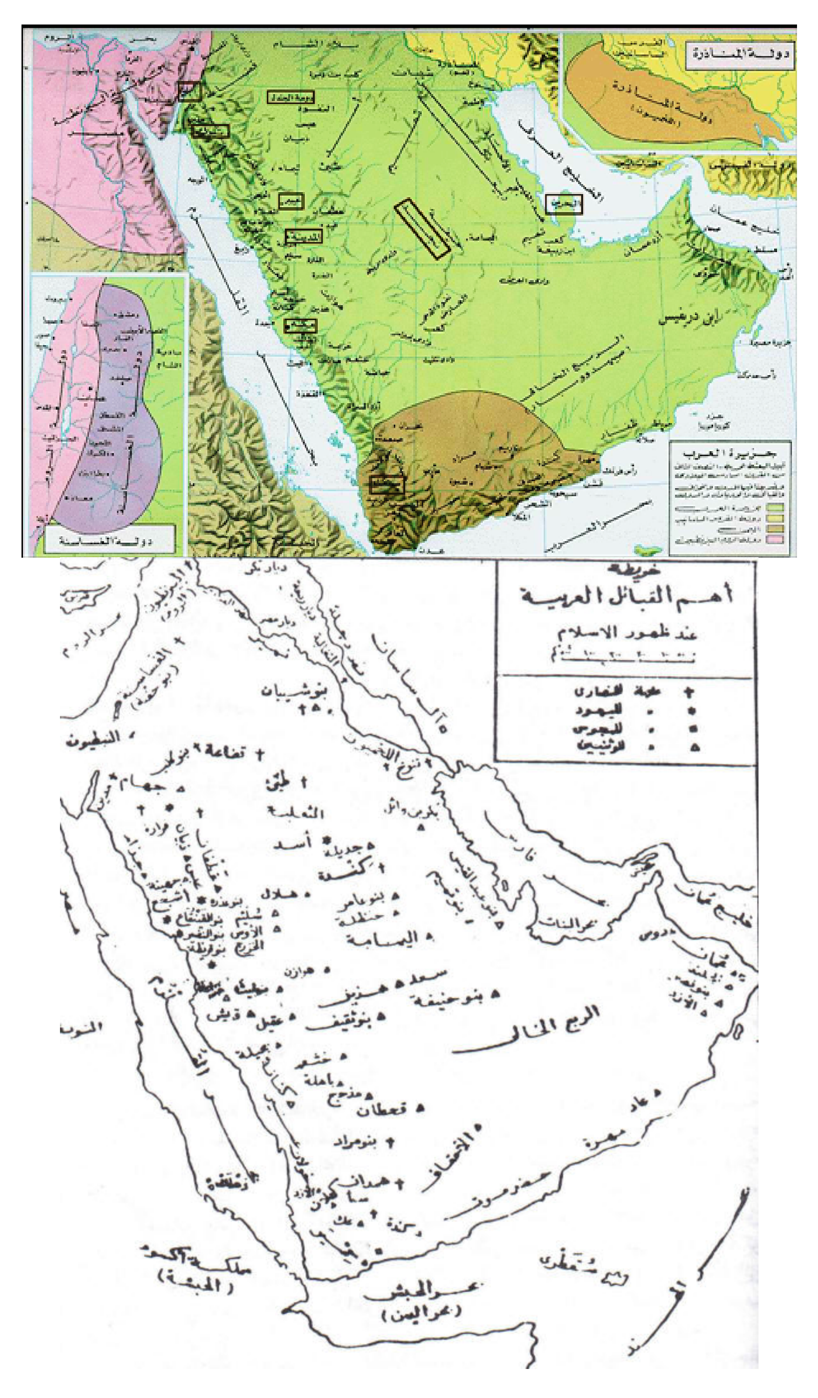
وقد حاول كثير من الكتاب المتعصبين للعروبة أن يجعلوا جميع العرب من جنس واحد، أو أن يجعلوا جميع ساكني الشرق الأوسط عرباً بمن فيهم السريان بمختلف الطوائف التي انفصلت عنهم كالآشوريين، الكلدان، الموارنة، والروم وغيرهم، وهذا بعيد عن الواقع ولا يُعدُّ ذلك إلاَّ من باب العاطفة القومية التي لا تستند إلى البحث العلمي التاريخي ولا إلى المنطق، ولا يستطيع أي شخص إطلاقاً أن يَعدَّ شعباً كاملاً كله من عرق واحد خاصةً إذا مضى على ذلك الشعب مئات السنين، فكم بالحري آلاف السنين.

وإذا نظرنا إلى نتائج فحوص بعض علماء (الأنثروبيولجي) وعلماء الآثار وعلماء الحياة لبقايا الجماجم والعظام التي عثروا عليها من عهود ما قبل الإسلام وإلى فحوصهم لملامح العرب الأحياء وأجسامهم، فإنها تشير إلى وجود أعراق متعددة بين سكان جزيرة العرب، الأموات منهم والأحياء، الجاهليين منهم والإسلاميين، وإلى وجود اختلاف في نفسيتهم وقابليتهم العقلية، وقد وجدت إحدى البعثات الأمريكية التي جاءت إلى العراق للبحث عن السلالات البشرية أنَّ في دماء القبائل العربية التي ترى نفسها أنها عربية خالصة نسباً مختلفة من الدماء الغريبة[1].

لذلك حتى في العصر الحديث فإنَّ إطلاق تسمية عربي لا تعني أنَّ جميع العرب من عرق واحد حتى وإن تكلموا العربية، ويقول الشاعر مُخلَّد الموصلي في هذا الصدد:

أنت عندي عربي ليس في ذاك الكلام
عربي عربي عربي والسلام

[1]: جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١ ص٢٣٢.



جزيرة العرب في القرن السادس الميلادي وأهم القبائل العربية

الآشوريون والكلدان والسريان والقوميات والأديان الأخرى

حاول بعض من المثقفين الآشوريين والكلدان أن يَعدُّوا قسماً من غير المسيحيين الذين يعيشون في العراق أو بالقرب منه بأنهم آشوريون أو كلدان، كالأكراد واليزيدية والصابئة المندائيين وقبائل المحلَّمية التي تسكن في شرق سوريا وتركيا وغيرها.

قبل أن ندخل في أصل هذه القوميات وانتماءاتها العرقية والدينية نقول: إنَّ منطقة الهلال الخصيب ومنها بلاد الرافدين كانت مهداً للبشرية، ومن الطبيعي أن تكون هذه المنطقة قد سكنها منذ البداية أقوام عديدة كالسومريين والأكديين والسوبارتيين والميديين والكاشيين والحوريين والحثيين وغيرهم، كما قامت فيها عدة دول وحضارات عُرفت بعدة أسماء في التاريخ، وقسم من تلك الحضارات أو الدول، حملت اسم المدينة التي قامت فيها كالسلالات البابلية أو الأكدية، وقسم آخر حمل اسم إلهه القومي كالآشوريين، وبعض الشعوب حمل اسم شخص كالآراميين، والبعض منهم حمل اسم القبيلة كالكلدانية، أو أنَّ تلك الشعوب حملت أسماء الدول المجاورة التي احتلتها كالفرثيين والساسانيين وغيرهم، ولذلك نقول:

إنَّ مسألة أصل الشعوب وتكوين القوميات من المسائل المعقدة في التاريخ، ومن الصعب جداً بل من المستحيل "على الأقل تاريخياً لا علمياً" إثبات أنَّ قومية معينة هي من عرق واحد، فالشعوب تتزاوج وتتصاهر فيما بينها وتهاجر وتستقر وتتكلم لغات وتعتنق ديانات، ونتيجة لذلك تولد القوميات، وهناك قسم من الشعوب لا يزال أصلها غامضاً لدى المؤرخين مثل السومريين والسوبارتيين والحوريين والكاشيين، وغيرهم.

وفيما يخص موضوع كتابنا سوف نتكلم عن الانتماء العرقي وديانة وهجرة وسمات الأقوام التي عاشت وتعيش مع السريان وطوائفهم من السريان الشرقيين (الكلدان والآشوريين)، أو بالقرب منهم لكي تكون الصورة واضحة لدى القارئ بأنَّ هذه القوميات والأديان والطوائف لا تدعي أنها آشورية أو كلدانية، فقسم منهم سريان أو كانوا سرياناً سابقاً مثل قبائل المحلَّمية العربية، والقسم الآخر ليسوا سرياناً ولا آشوريين ولا كلداناً، ولكنهم يمتلكون علاقات قوية ومتينة تاريخية وجغرافية واجتماعية مع السريان مثل الأكراد بمن فيهم اليزيديين، لأنَّ اليزيديين هم أكراد من الناحية القومية، وقسم آخر هم آراميون يتكلمون الآرامية ويمتلكون علاقات لغوية وثقافية مع السريان، لكنهم ليسوا سرياناً مثل الصابئة المندائيين.

وسوف نُركِّز في بحثنا هذا على أربع قوميات رئيسة هي اليزيدية والمحلّمية والصابئة والأكراد.

اليزيديون (الأيزيديون)

اليزيديون سكان قدماء في شمال العراق وما جاورها في تركيا وسوريا وإيران وروسيا، وأغلب الكتب التي تحدثت عنهم تناولتهم من منظور ديني لا قومي، والسبب هو عدم توثيق اليزيديين لتاريخهم المدني والديني القديم إلى أن ظهر اليزيديون بشكل واضح بعد القرن الحادي عشر الميلادي، وهم من الناحية العرقية أكراد- آريون، لأنَّ غالبيتهم يتكلم الكردية وكتبهم الدينية وأغلب صلواتهم هي بالكردية، وديانتهم هي ديانة الأكراد القديمة (دوموزي)، وتقول دائرة المعارف الإسلامية إنَّ سكان سنجار هم أكراد من الطائفة اليزيدية[1]، وعَدَّت السالمانة العثمانية اليزيديين أكراداً من الناحية القومية[2]، ويقول مارك سايكس: يتكلم اليزيديون اللغة الكردية، ويتعبدون بها، ويعتقدون أنَّ إلههم (اللّه) نفسه يتكلم الكردية[3]، وفي الخارطة التي طبعتها الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية سنة ١٩١٠م، يظهر الكرد واليزيدية بنفس اللون، وقال التقرير الذي قدمته لجنة مشكلة الموصل إلى عصبة الأمم المتحدة سنة ١٩٢٥م: يعتقداليزيديون أنَّ لغة الجنة كردية[4]، ويقول الآثاري الألماني الدكتور فن أوبنهايم (١٨٦٠-١٩٤٦م): إنَّ اليزيديين هم أكراد[5]، ويتفق معه كوركيس عَوَّاد على أنَّ اليزيديين هم أكراد بكل معنى

---

[1]: دائرة المعارف الإسلامية ج١٢ ص٢٤٥.

[2]: موصل ولايتي، سمانة رسميسيدر٥١٣٣٠، ص٢٢٣.

[3]: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٢٧-٢٨.

[4]: إحسان نوري، تاريخ ريشة ص٥٠.

[5]: كوركيس عَوَّاد، اليزيدية في كردستان، مخطوطة دار صدام ٣٩٩١٨، ورقة ٣.

الكلمة، ويقول الأب أنستاس الكرملي: إنَّ المؤرخين الأقدمين يَعدُّون اليزيديين واحدة من خمس طوائف كردية[1]، ويذكر عبد الرزاق الحسني أنه من المعروف أنَّ اليزيديين هم من الشعب الكردي وهم يتكلمون الكردية إذا كانوا في صقع كردي، ويتكلمون العربية إذا كانوا في صقع عربي[2]، ويقول الباحث والشاعر العراقي علي الشرقي (١٨٩٠–١٩٦٤م): إنَّ اليزيديين هم أكراد باقون على قِدمهم.

يستدل على قِدم اليزيديين من موروثاتهم الدينية التي تتحدث عن عدد من ملوك المنطقة مثل نبوخذ نصر وأحشورش وشابور وآحاب وبعض ملوك الآشوريين والسومريين وغيرهم، وعن وجود صلة وثيقة بين زرادشت الذي توفي في دولة ميديا شمال غرب إيران سنة ٥٨٣ ق.م. تقريباً وبين الديانة اليزيدية، ويؤكِّد الباحث اليزيدي درويش حسو أنَّ الدين اليزيدي هو الدين الأزهيدي الزرادشتي[3]، ولذلك ربط الكثير من الباحثين اسمهم بالزرادشتية أو الطوائف التي تفرعت منها مثل المزدكية نسبة إلى مزدك (٤٨٧–٥٣١م)، أوالميثرائية أحياناً نسبة إلى ميثرا وهو كائن علوي كان يُعبد في الديانة الزرادشتية والهندوسية، أو الزروانية نسبة إلى طائفة زاردشتية ظهرت بين سنتي (٢٢٤–٦٤٢م)، وهناك تسمية أخرى سَمَّاهم بها الأتراك استهجاناً بهم وهي السالجية أو الصالجية ومعناها ذو شعر،

---

[1]: الأب أنستاس الكرملي، اليزيديون، مخطوطة مركز لالش في دهوك ٣٤، ورقة ٥.

[2]: عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً ص٤٧. علماً أنَّ جميع سكان القرى اليزيدية يتكلمون الكردية باستثناء سكان بعشيقة وبحزاني حيث يتكلمون العربية لقربهما من الموصل، وحتى هؤلاء يعرفون اللغة الكردية، ولكن ليس بشكل مطلق.

[3]: درويش حسو، الأزداهيون اليزيدية ص٦٥.

ووردت هـذه الكلمـة (الـساجرتية) في تـاريخ هيردوتـس لإحـدى القبائـل في ميـديا[1]، وهنـاك مـن ربطهـم بالمانويـة نـسبة إلى مـاني (٢١٦-٢٦٦م)، أو بالـصابئة المنـدائيين، لكـني لا أرى أيـة علاقـة دينيـة لليزيـديين بالمنـدائيين سـوى التـداخل بـين العقائـد والأديـان القديمـة الـذي اخـتلط بـدوره علـى بعـض المؤرخين والباحثين.

ويعـود أصـل تـسميتهم باليزيديـة إلى يـزدان وهـو أحـد أسمـاء اللّه عنـدهم، ولـذلك فتـسميتهم الـصحيحة هـي الأيـزدانيين أو الأزداهـيين ومفردهـا أيزيـدي بالكرديـة (ئزيـدي)، ويـرى قـسم مـن البـاحثين الأكـراد أنَّ كلمـة يـزدان هـي كرديـة بمعنـى الخـالق أو اللّه، وهنـاك مـن يعتقـد بوجـود صلة بـين اسـم الأيزيديـة والكلمـة الـسومرية (A-ZI-DA) المكتوبـة بـالخط المسماري الـتي كـشف عنهـا عـالم الآثـار الكـردي لافـار نـابود، وحـسب مـا جـاء في القـاموس الـسومري لجامعـة بنـسلفانيا الأمريكيـة لـسنة ١٩٩٤م، فـإنَّ هـذه الكلمـة مقاربـة لماهيـة اليزيـديين[2]، وورد هـذا الاسـم في النـصوص السنسكريتية الهندية[3].

واسـتناداً إلى الاكتـشافات الأثريـة الحديثـة فعلاقـة أغلـب العقائـد والطقـوس والأعيـاد والعـادات اليزيديـة مرتبطـة ارتباطـاً قويـاً بالعقائـد الـسومرية والبابليـة القديمـة وخاصـةً الزرادشـتية، والملاحـظ أنَّ ارتبـاط تلـك الأمـور بالـسومريين أقـوى وخاصـةً عقيـدة دومـوزي (طـاووس ملـك) الـسومرية الـتي تعـود إلى الألـف الثالـث قبـل المـيلاد، والـصيغة البابليـة لاسـم الإلـه

---

[1]: تاريخ هيردوتس الشهير، الكتاب الأول ص٧١. وانظر أيضاً ص٩٧، ٧٦، ٦١.

[2]: رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق ص ٦٦.

[3]: ملحق جريدة النهار البيروتية السبت ٢٥ آذار ١٩٩٥م.

تاووسي ملك هي (تموز)[1]، ونتيجة لعلاقتهم الوثيقة ببابل وجنوب بلاد الرافدين، نستطيع القول إنَّ قسماً منهم آراميون نزحوا من الجنوب، كما أنَّ هناك أفخاذ عشائر عربية اعتنقت المذهب اليزيدي مثل قبيلة الشهواني التغلبية والهبابات الطائية وقبيلة عمرا التي ينتهي نسبها إلى الخليفة عمر بن الخطاب[2].

ذكر المؤرخ الإغريقي زينفون (٤٢٩–٣٥٤ ق.م.)، وجود قوم من مشيري الشغب شكلوا له مشكلة قرب نهر الزاب الكبير يدعون بالبيزدين[3]، وتوجد عدة مدن في المنطقة اسمها قريب جداً من اسم الأيزيديين منها مدينة يزد في إيران التي لجأ إليها الزرادشتيون بعد الفتح الإسلامي، ومدينة (يزدم) بالقرب من مدينة أربيل حدياب التي يقول الآثاري هنري لايارد بأنَّ المؤرخ اليوناني توفانيس في القرن السابع الميلادي ذكر بأنَّ الإمبراطور البيزنطي هرقل (٥٧٥–٦٤١م) خَيَّم بالقرب منها، ويعتقد أنَّ ديانة القوم الذين يسكنونها كانت الأيزيدية، كما ذكر المؤرخ السرياني الشرقي (النسطوري) توما المرجي المعاصر لأسقف مدينة موغان الفارسية إيليا في عهد الجاثليق طيمثاوس الأول الكبير (٧٨٠–٨٢٣م)، أنَّ إيليا عندما كان يبشر أهالي المدينة رآهم يعبدون (يزد)[4]، والجدير بالذكر أنَّ ملوك فارس القدامى كان اسمهم يزدجر.

---

[1]: لمقارنة تلك الطقوس والعادات راجع كتاب دوموزي، (طاووسي ملك)، بحث في جذور الديانة الكردية القديمة لمؤلفه مرشد اليوسف.

[2]: الدملوجي اليزيدية ص ٢١٦–٢١٧.

[3]: زينفون، حملة العشرة آلاف، أو الحملة على فارس ص ١١٦، ١٤٦، ١٣٣.

[4]: توما المرجي، كتاب الرؤساء ص ٢٢٦.

إنَّ اسـم اليزيـديين الآخـر في التـاريخ هـو الداسـنيين، ويقـول توفيـق وهـبي: إنَّ زرادشـت هـو الـذي سَـمَّى اليزيـديين بالداسـنيين[1]، وبـالرجوع إلى أدب الزرادشـتيين فـإنهم يُـسَمَّون yasnains mazda (مازديـا سـينان) أي عابـدوا الإلـه مـازدا، وكلمـة ياسـنا كانـت ترمـز إلى عبـادة النـار عنـد الزرادشـتيين[2]، وهنـاك مـن يعتقـد أنهـا تـشير إلى إلـه القمـر (سـين)، ولـدى اليزيـديين اعتقـاد بـأنَّ مـلاك المعرفـة وناقـل الـوحي (نورائيـل) ولقبـه فخـر الـدين يُـسَمَّى "مـلاك سـين ويـسكن القمـر"، وقـد ورد الكـثير مـن أسمـاء القبائـل الميديـة في تـاريخ هيردوتـس مقرونـة بـبعض العـادات والتقاليـد المعروفـة لـدى اليزيديـة اليـوم، منهـا الدائيـة والـدرنيون والدروسـية، ويقـول هيردوتـس: إنَّ بعـض هـذه الأسمـاء تنتهي بعبارة (سان).

تقـول الموسـوعة الإسـلامية: يَـدَّعي اليزيـديون أنَّ اسمهـم الأصـلي هـو الداسـني[3]، ويؤكِّـد المفـوض البريطـاني المـسؤول عـن المـستعمرات البريطانيـة في النـصف الأول مـن القـرن العـشرين هنـري تـشارلز لوكـا (١٨٨٤–١٩٦٩م) في كتابه نينوى وأقلياتها بقوله: إنَّ اليزيديين يدعون أنفسهم داسناي[4].

يقـول طـه الهـاشمي: إنَّ اليزيـديين هـم الداسـنيين مـن الكـرد المقـيمين في جبـل داسـن[5]، ولا يـزال اليزيـديون إلى اليـوم يُـسَمَّون "دسـنايا وداسـني" مـن قِبَـل الـسريان وكـذلك مـن قِبَـل الأكـراد، وهنـاك كتـاب اسمـه أخبـار

---

[1]: دين الكرد القديم، المقال الثامن ص ٣٦.

[2]: سهيل زكار، المعجم الموسوعي للديانات والطوائف في العالم ص ٤٥٩–٤٦٠.

[3]: yazi مادة encuclopidia of islam، leiden، ١٩٣٤–١٩٣٨م، ص ١١٦٤.

[4]: mosul and its minorities، طبعة لندن الإنكليزية ١٩٢٥م، ص١٢٥.

[5]: طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق ص ١٠٩.

الدســـناوية نقلـــه الأب شموئيـــل جميـــل الكلـــداني (١٨٤٧–١٩١٧م) مـــن السريانية إلى الايطالية سنة ١٩٠٠م.

يـذكر يـاقوت الحمـوي في معجمـه عـن (داسـن) أنـه جبـل عظـيم في شمـالي الموصـل مـن جانـب دجلـة الـشرقي فيـه خلـق كـثير مـن طوائـف الأكـراد يقـال لهـم الداسـنية، وبهـذا الاسـم قامـت إمـارة داسـن الكرديـة (٩١٩–١٢٣٦م) التي كان مركزها مدينة دهوك.

كمـا وردت داسـن في المـصادر الإسـلامية، فعنـدما أرسـل الخليفـة عمـر بـن الخطـاب عتبـة بـن فرقـد لفـتح الموصـل في سـنة عـشرين هجريـة (٦٤٠م) أتاهـا فقاتلـه أهـل نينـوى فأخـذ حـصنها الـشرقي عنـوة وعـبر دجلـة، وصـالحه أهـل الحـصن الغربـي في الموصـل علـى الجزيـة، ثـم فـتح المـرج وبانهـذار وباعـذرا وحبتـون وداسـن وجميـع معاقـل الأكـراد وقـردى وبازبـدي وجميـع أعمـال الموصل، فصارت للمسلمين[١].

وأمـر الخليفـة العباسـي المعتـصم (٨٣٣–٨٤٢ م) سـنة ٨٣٩ م عاملـه علـى الموصـل عبـد اللّه بـن الـسيد بـن أنـس الأزدي لقتـال رئـيس الأكـراد جعفـر بـن فهـرجس الـذي كـان قـد تبعـه خلـق كـثير مـن الأكـراد وغيرهـم، فـسار إليـه وقاتلـه وأخرجـه، فقـصد جعفـر جبـل داسـن وتحـصن في موضـع عـال كـان الطريـق إليـه ضـيقاً، فقـصده عبـد اللّه إلى هنـاك وتوغـل في تلـك المـضايق حتـى وصـل إليـه وقاتلـه، فاسـتظهر جعفـر ومـن معـه مـن الأكـراد علـى عبـد اللّه لمعـرفتهم بتلـك المواضـع وقـوتهم علـى القتـال بهـا، فـانهزم عبـد اللّه وقُتـل أكثـر مـن معـه، فلمـا بلـغ ذلـك المعتـصم أمـر إيتـاخ بالمـسير إلى جعفـر وقتالـه،

---

[1]: ابـن الأثـير، الكامـل في التـاريخ ج٢ ص ٣٦٩. والـبلاذري، فتـوح البلـدان ص ١٩٩ ويذكرها باسم (داسر).

فتجهز وسار إلى الموصل وقصد جبل داسن وقتل جعفر[1].

ولا علاقة لليزيديين إطلاقاً بيزيد بن معاوية أو يزيد بن أنيسة أو غيرهما كما ورد في بعض الكتب التي يستند أغلبها إلى كتاب الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني (+١١٥٣م) الذي ذكر طائفة أخرى لليزيدية وهي الإباضية فقال: "اليزيدية نسبة إلى يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة وتبرأ ممن بعدهم، إلاّ الإباضية، فإنه يتولاهم، وزعم أنَّ اللّه تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً قد كُتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد عليه السلام، ويكون على مِلَّة الصابئة المذكورة في القرآن، وليست هي الصائبة الموجودة بحران وواسط[2]، ولو كان اليزيديون من الطوائف الإسلامية لذكرهم الشهرستاني بصورة واضحة مع عدي بن مسافر الأموي الذي يقدسه اليزيديون والذي كان معاصراً للشهرستاني، أمَّا ابن حزم الأندلسي (+١٠٦٤م)، صاحب الكتاب المشهور الفصل في الملل والنحل فلم يذكرهم إطلاقاً، خاصةً أنَّ ابن حزم نفسه كان لقبه اليزيدي نسبة إلى جده البعيد الذي كان من موالي يزيد ابن أبي سفيان، وهناك الكثير ممن لُقِّبوا باليزيديين من المسلمين، ذكر قسماً منهم المؤرخ ابن الأثير (١١٦٠–١٢٣٣م) قائلاً: اليزيدي نسبة إلى عدة رجال، منهم يزيد بن منصور الحميري خال الخليفة المهدي، ويُنسب إليه أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي العدوي مولى بني عدي، ونُسب إلى يزيد لأنه كان يؤدب ولده، وجماعة من أعقابه يعرفون باليزيدية،

---

[1]: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٦ ص٥٧–٥٨.

[2]: الشهرستاني، الملل والنحل ج١ ص١٨٣.

وكذلك يزيد بن معاوية، وينسب إليه جماعة بالولاء منهم أبو محمد علي اليزيدي المعروف بابن حزم الأندلسي وغيرهم.

ثم يذكر ابن الأثير معتنقي الديانة اليزيدية (الأيزيديين) بوضوح نقلاً عن السمعاني قائلاً: ورأيت جماعة منهم في العراق في جبال حلوان ونواحيها وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال ولا يخالطون الناس[1].

يقول السمعاني: إنَّ أبا إسحاق إبراهيم ابن أبي محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف بابن اليزيدي، له كتاب يفتخر به اليزيديون، وآخر من روى العلم ببغداد من اليزيديين هو محمد بن العباس اليزيدي[2].

وكل ما في الأمر هو أنَّ علاقة اليزيديين مع يزيد بن معاوية والأمويين عموماً أتت مع المتصوف اللبناني المسلم الشافعي المذهب عدي بن مسافر الأموي أو الشامي (١٠٧٥-١١٦٢م) الذي يقدسه اليزيديون ويُسَمُّونه (الشيخ عادي)[3].

---

[1]: ابن الأثير المؤرخ، اللباب في تهذيب الأنساب، مادة يزيدي.

[2]: السمعاني، الأنساب ج٤ ص٥٣١.

[3]: يُسَمَّى أحياناً عدي بن مسافر الهكاري أو الكردي لأنه عاش في منطقة الأكراد، لكنه عربي النسب بكل وضوح، فهو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وقد حاول البعض أن يَعدُّه كردياً والبعض الآخر افترض أنَّ هناك شخصين بهذا الاسم أحدهما كردي والآخر أموي، ونحن نجزم بأن الشيخ عادي هو عدي بن مسافر الأموي العربي، وهو نفسه الهكاري أو الكردي، ويحتمل أنَّ عدياً كان له إلمام بسيط باللغة الكردية أصلاً لأنَّ قريته تقع قرب منطقة شوف الأكراد في لبنان، كما يحتمل أن تكون والدته كردية لأنَّ اسمها، "يزدة".

كـان عـدي بـن مـسافر الأمـوي متـأثراً بـصاحب الطريقـة القادريـة الـشيخ الـصوفي عبـد القـادر الكيلانـي (١٠٧٧–١١٦٦م) الـذي كـان موجـوداً في العـراق، فـأتى عـدي بـن مـسافر مـن قريـة فـار في بعلبـك مـن بقـاع لبنـان مـع ابـن أخيـه أبـي البركـات صـخر بـن صـخر بـن مـسافر وسـكن منطقـة الأكـراد وتعلَّمَ اللغة الكردية وأنشأ له جماعة سُمِّيت بالعدوية.

ونظـراً لزهـده وتـصوفه وأخلاقـه الفاضـلة مـن جهـة، وتعاليمـه الـصوفية الـتي كـان قـسم منهـا قريبـاً مـن المعتقـدات اليزيديـة أصـلاً مثـل مـسألة الحلـول وتناسـخ الأرواح والـشفاعة وغيرهـا مـن جهـة أخـرى، فقـد اكتـسب عـدي مكانـة مرموقـة بـين اليزيـديين وحـاول جاهـداً التبـشير بـين اليزيـديين لاعتنـاق الـدين الإسـلامي، ولم يـنجح بـذلك كـثيراً، لكنـه نجـح بـترك بـصماته علـى كـثير مـن العقائـد اليزيديـة، وعنـدما تـوفي خلَفـه ابـن أخيـه أبـو البركـات صـخر ثـم ابنـه عـدي اللـذان سـارا علـى نهـج عمهمـا عـدي بـن مـسافر الأمـوي، ثـم خلَـف عـدي بـن أبـي البركـات ابنـه حسن بـن عـدي أبـي البركـات (١١٩٥–١٢٤٦م) الـذي تحولـت في عهـده الطائفـة العدويـة مـن دينيـة إلى ثوريـة سياسـية، وحـصلت لهـا مـشاكل كـثيرة في عهـده، حيـث اسـتغل حـسن ضـعف الدولـة العباسـية وشـكل جيـشاً وعَـيَّن ولاة مـن قبلـه علـى المنـاطق، فخـاف منـه والـي الموصـل بـدر الـدين لؤلـؤ الأتـابكي وحاربـه اثـنتي عـشرة سـنة، وأخـيراً قـبض عليـه بحيلـة وأعدمـه خنقـاً، وفي سـنة ١٢٥٤م قُتـل وأُسـر مـن أتباعـه مئـات الأشـخاص في الموصـل، ونفـي قـسم آخـر مـنهم، ثـم توجـه الجـيش إلى لالـش فخربهـا ونـبشَ قـبر عـدي بـن مـسافر وأحـرق عظامـه، وحَـرَّمَ علـى العـدويين البقـاء في لالـش[١]، وفَـرَّ أميرهـم محمـد بـن شمـس الـدين

[1]: عبد الرزاق الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص٢٧١.

بن حسن بن عدي إلى شمال كردستان، لكن القائد المنغولي أنغورين لحقه وقتله في قرية خربوت جنوب شرق تركيا[1]، فتفرق العدويون في البلاد وانتهى أمرهم كعقيدة.

لذلك من الخطأ القول بأنَّ اليزيدية كانوا مسلمين وانحرفوا، بل على العكس فإنَّ حسن بن عدي ابن أبي البركات وخلفاءه من بعده أصبحوا مُقدَّرين وذوي شأن عند اليزيدية وتركوا المبادئ العدوية وجاروا العقائد اليزيدية بمرور الوقت، فقد كان حسن متأثراً بالمتصوف المسلم ابن عربي الذي كان في الموصل سنة ١٢٠٤م وألَّفَ كتابه التنزيلات الموصلية وكتاب (الخلوة)، واعتكف حسن بن عدي ست سنوات وألَّفَ عدة كتب على غرار ابن عربي منها كتاب سَمَّاه (الجلوة لأرباب الخلوة)، والذي أدخل فيه تعاليم باطنية كثيرة على اليزيديين مثل تقديس الأشخاص والقبور وتأليه الشيخ عدي وفكرة تناسخ الأرواح وحلولها وغيرها، ولذلك يُعدُّ حسن عدي أبي البركات وابنه شمس الدين المُلقَّب بتاج العارفين من أهم علماء ومثبتي الديانة اليزيدية منذ القرن الثالث عشر الميلادي، وينقل الآثاري والقنصل الفرنسي في الموصل سنة ١٨٨٠م المسيو نيقولا سيوفي (١٨٢٩–١٩٠١م) عن ياسين أفندي العمري الموصلي قوله: إنَّ عدي بن مسافر كان مسلماً عارفاً بشريعة الله، لكن الله أبلاه بمصيبة إذ زعم اليزيديون أنه إله واتخذوا قبره مقاماً يحجون إليه[2].

استمرت سلالة الحسن بن عدي ابن أبي البركات برئاسة السلطة الدينية لليزيديين إلى اليوم، وبدون أدنى شك أنَّ عدي بن مسافر وخلفاءه

---

[1]: أحمد تيمور، اليزيدية ص٢٢.

[2]: المطران سليمان الصائغ، تاريخ الموصل ج١ ص٣٠١، نقلاً عن سيوفي.

الأولـين قـد كـسبوا بعـض الأفـراد القلـيلين مـن اليزيدية للإسـلام، فقـد كـان الـشيخ عـدي أمويـاً شـامياً ومـدافعاً قويـاً عـن الأمـويين لتـبرئتهم مـن الـتُهم الموجهـة إلـيهم، وقـال عـدي: إنَّ معاويـة بـن أبـي سـفيان هـو خـال المـسلمين وصـحابي جليـل ورتـب مكانتـه بعـد العـشرة المبـشرين بالجنـة، وإنَّ ابنـه يزيـد إمـام ابـن إمـام، وإنـه بـريء مـن قتـل الحـسين[1]، سـاعده في ذلـك الـشعب الكـردي الـذي كـان مـساندا للأمـويين بـشكل عـام، فكـان للأكـراد علاقـة جيـدة مـع الأمـويين حيـث كانـت أُم آخـر الخلفـاء الأمـويين مـروان بـن محمـد الحمَّـار (٦٩٢–٧٥٠م) كرديـة، وكـان يزيـد بـن معاويـة يقـول للقاضـي صـدر الـدين "أوصـيك بـالأكراد خـيراً"، وكـان أئمـة الأكـراد يـسلمون علـى يزيـد في المنـابر بقـولهم "الـسلام عليـك يـا خليفـة اللّه في الأرض وبركاتـه، نفعنـا اللّه بطاعتـك، وأدخلنـا في شـفاعتك ورفـع درجتـك في الجنـة كمـا رفعهـا في النـار"[2]، كمـا كـانوا يقولـون في خطـبهم "اللـهم أرْضِ معاويـة الخـال ويزيـد المفـضال"[3]، وكـان لأتبـاع عـدي بـن مـسافر علاقـة قويـة مـع قبيلـة (زدنيـا) الكرديـة في جبـل زوزان الـتي اشـتهرت بتكـريم بـني أميـة، ويؤيـد وصـول بعـض الأمـويين إلى تلـك المنـاطق سـنة ٨٨٠ م يعقـوب سـركيس نقـلاً عـن مـصدر سـرياني (آرامـي) يعـود إلى سـنة ١٤٥٢م ويـضيف قـائلاً: إنَّ قبيلـة ترهايـا الكرديـة كانـت يزيديـة واعتنقـت الإسـلام ثـم ارتـدَّ قـسم منهـا إلى دينهم القديم وصاروا يعظمون عدي بن مسافر الأموي[4].

1: راجع عقيدة أهل السنة والجماعة ق ٣٨ و٣٩ أ.

2: ركن الدين محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ص ٥٤–٥٥.

3: حبيب الزيات، الخزانة الشرقية ج١ ص٣١.

4: مجلة لغة العرب ص ٦٧، ٤٩، حزيران ١٩٢٩م.

وعن علاقة الشيخ عدي بن مسافر الأموي بالسريان، يبدو واضحاً أنَّ عدي الأموي كان يتردد إلى دير سرياني (نسطوري) صغير في لالش قرب الشيخان والذي أصبح فيما بعد مزار الشيخ عادي، وأقام عدي علاقة جيدة يسودها احترام متبادل مع السريان النساطرة ومنهم رئيس الدير، ولا تذكر المصادر التاريخية أبداً حصول مناوشات أو نزاعات بين العدويين والمسيحيين، وكان عطف المسيحيين يتزايد مع عدي وأتباعه عندما كان العدويون يضطهدون من قِبَل السلطة الحاكمة في المنطقة التي لم يكن النساطرة أيضاً يدينون بدينها، وقد زار الشيخ عدي وقسم من مريديه ورفاقه ديراً للسريان قرب ألقوش (دير الربان هرمز)، وكان في الدير راهبان استقبلاه بحفاوة وتكريم وصنعا له وليمة ونام في الدير، ويبالغ الإمام الذهبي كثيراً في طريقة استقبال الراهبين للشيخ عدي[1]، والأمر الآخر الذي جعل عدي الأموي محبوباً بين المسيحيين السريان، هي أنه كان زاهداً صوفياً، ومعروف أنَّ الصوفيين كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاحترام من قِبَل المسيحيين لأنَّ أفكارهم كانت منفتحة ومتسامحة وقريبة من مفاهيم الرهبنة المسيحية من نسك وصوم وانعزال وارتداء ملابس خاصة، وترك ملذات الدنيا، وأنَّ الحياة الأبدية لا تكون إلاَّ بترك عالم المحسوسات الدنيوية، وغيرها، ويُسَمَّى المُتصوِّفة المسلمون أيضاً بالفقراء أو السيَّاح، ويتحدث كثير من علماء المسلمين عن تأثير المسيحية في التصوف الإسلامي، ويُرجِّح البعض إلى أنَّ مؤسس التصوُّف الإسلامي هو أمير مسيحي[2]، ويذهب أغلب الباحثين إلى أنَّ كلمة

---

[1]: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص١٢١.

[2]: عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة ج٢ ص٣٩٥. د. المعارف الإسلامية ج٥ ص٢٧٤.

الصوفية مشتقة من ملابس الصوف التي يرتديها الرهبان المسيحيون مستندين على حديث لرسول الإسلام محمد ، "إنَّ عيسى كان يلبس الصوف" ، وأنَّ قسماً من المسلمين كانوا يقولون للمتصوف المسلم "دَعْ عنك هذه الشارة النصرانية" ، وهناك الكثير من التعابير الصوفية الإسلامية المأخوذة من المسيحية مثل اللاهوت والناسوت والفداء والحلول، وكان بعض الصوفيين يتفنن بحب المسيح وتجسده كإله، شعراً ونثراً أكثر من بعض المسيحيين، ألم يقل الحلاج:

ألا أبْلغ أحبائي بأني ركبتُ البحر وانكسرَ السفينة

على الصليب يكون موتي ولا البطحاء أريد ولا المدينة

ويقول محمد بن أحمد الشيرازي بنفس المعنى:

إليك قصدي لا للبيت والأثر ولا طوافي بأركان ولا حَجرِ

وفيك سعيي وتعميري ومزدلفي والهدى جسمي الذي يُغني عن الجزرِ

أمَّا شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن العربي فيقول:

علم عيسى هو الذي جهل الخلق قدره

إنَّ لاهوته الذي كان في الغيب صهره

صار خلقاً بعدما كان روحاً فغره

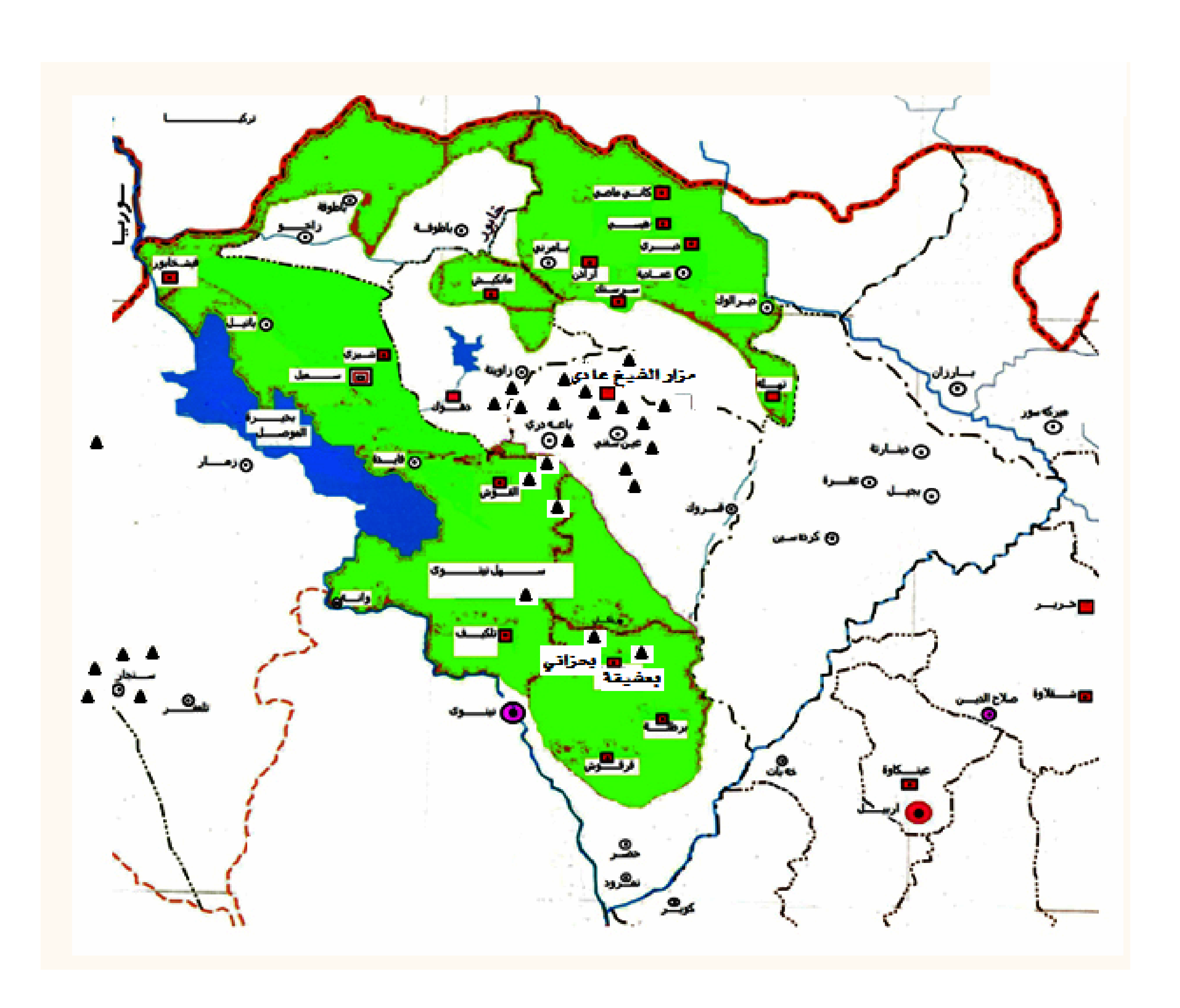
وفي وحدة وجود الله وتقبُّله الأديان، يقول ابن العربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان وديراً لرهبانِ

وبيتاً لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآنِ

أدين بدين الحب أنَّى توجهت ركائبه فالحبُ ديني وإيماني

لـذلك كــان لعـدي بــن مــسافر الأمــوي مكانــة مهمــة لــدى الــسريان نــشأت عنهـا مــسألة اسـتيلاء اليزيـديين علــى ديـر لالـش المـسيحي قــرب عــين سـفني (الــشيخان) بحجــة أنَّ عــدي مــات ودفــن فيــه، وأصــبح الــدير مــزار اليزيديــة الرئيس منذ تلك المدة وإلى اليوم، ويعرف باسم مزار الشيخ عادي.



علامة (▲) أهم مناطق اليزيديين قرب محافظتي نينوى ودهوك

مزار الشيخ عادي

كان مزار اليزيديين (الشيخ عادي) ديراً صغيراً سريانياً شرقياً (نسطورياً) أسسه الراهبان يوحنا وإيشوع سبران في القرن السابع الميلادي، وكان مبنياً بالأساس على كنيسة مار تداوس القديمة[1]، وبناؤه يشبه طراز دير الربان هرمز في ألقوش، وهناك كتابات سريانية بالخط الأسطرنجيلي موجودة على بعض جدران المزار إلى اليوم، وفي أربعينات القرن العشرين قام اليزيديون بترميم المزار، وكانت الكتابات والتواريخ السريانية كثيرة جداً ومنقوشة على حجر الرخام (الفرش) فوق أغلب مداخل الغرف في المزار، ولعدم رغبة اليزيديين المسؤولين عن الترميم بإبدال الحجارة حفاظاً على تراثها وأثرها القديم، طلبوا من البَنَّاء سليم داؤد راعوث وهو مسيحي سرياني أرثوذكسي من قرية بحزاني بأن يقلب واجهة قطع الحجارة المكتوبة عليها بالسريانية بحيث تصبح الكتابة من الداخل وتُدفن في البناء لكي لا تظهر.

واستناداً إلى منظومة مطران أربيل يشوعياب بن المقدم من القرن الخامس عشر، ورسالة خطية باللغة السريانية مكتوبة من قِبَل الراهب النسطوري راميشوع سنة ١٤٥٢م، فإنَّ أحد اليزيديين الأكراد واسمه عدي كان حارساً لمواشي وأغنام الدير، وعندما كان رئيس الدير في زيارة إلى الديار المقدسة (القدس)، استولى عدي اليزيدي الكردي سنة ١٢١٩م على الدير وأملاكه وقتل من فيه من الرهبان باستثناء واحداً منهم كان طريح الفراش، وعندما عاد رئيس الدير اشتكى لدى الأمير المغولي باطو، فأُعدم عدي الكردي سنة ١٢٢٣م واستُرجع الدير، لكن

---

[1]: هنري فيلد، جنوب كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله ص ٩٩–١٠٤.

أولاد عدي اليزيدي الكردي عادوا واستولوا على الدير بعد سنتين مرة أخرى وإلى اليوم، وقد اعتقد راميشوع أنَّ عدي بن مسافر الأموي هو الذي استولى على الدير، وهذا خطأ، ومن هنا جاء الخلط بين عدي بن مسافر الأموي الذي لُقِّب بالهكاري أو الكردي لأنه سكن المنطقة كما ذكرنا وبين عدي اليزيدي الكردي الذي استولى على الدير.

أمَّا تفسيرنا لكيفية دفن عدي بن مسافر الأموي في الدير قبل أن يصبح بعهدة اليزيديين، فنقول: مسألة دفن عدي في المزار غير أكيدة وأغلب المصادر مثل ابن خلكان وأبي محمد اليافعي والمقريزي وغيرهم، لا تذكر أنَّ عدياً الأموي دُفن في الدير، بل أنه مات ودُفن في زاويته التي كان يُصلِّي فيها في منطقة جبال الهكارية أو قرب لالش، وهذا هو الصواب، ويذكر المقريزي بالتفصيل كيفية الهجوم على ضريح عدي بن مسافر الأموي التي ذكرها أكثر المؤلفين نقلاً عن الحوادث الجامعة لابن الفوطي (١٢٤٤–١٣٢٣م) الذي كان معاصراً لعدي الأموي، ويقول المقريزي: المكان الذي دفن فيه عدي بن مسافر الأموي هي قرية الشلالق، وإنَّ أمير شرانش توتول الكردي وشمس الدين محمد الجردقلي وعز الدين البختي مع قسم من الأكراد السندية هجموا على أتباع عدي الأموي من اليزيديين الذين كانوا يُسَمُّونهم "الصحبتية"، وقتلوا وأسروا منهم الكثير حتى وصلوا ضريح عدي بن مسافر الأموي، فهدموا القبة المبنية على ضريحه ونبشوا عظامه وأحرقوها أمام من أسروهم من اليزيديين قائلين "انظروا هذا هو من ادعيتم فيه"[1]، والمقريزي كان أصله من بعلبك في لبنان وهي نفس منطقة عدي بن مسافر الأموي، كما عاش

[1]: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك مج٧ ص٣٧٠.

في حقبة قريبة من عهد عدي الأموي نوعاً ما (١٣٦٤–١٤٤١م)، علماً أنَّ عدياً لم يكن يقيم في البداية بصورة دائمة في دير لالش، بل كان في تنقل دائم بين أتباعه من القبائل الكردية اليزيدية والمسلمة في فصل الصيف حيث كان العدويون يذهبون إلى جبال زوزان ويعودون في الشتاء إلى سهول نينوى[1]، ناهيك عن ملاحقة السلطات الأتابكية والعباسية لعدي وأتباعه، وهناك احتمال أن يكون عدي مدفوناً في المزار فعلاً، لكن بعد أن استولى اليزيديون على الدير، حيث تم نقل عظامه إلى الدير بعد أن هدأت الأمور وتوقف الاضطهاد ضد اليزيديين، علماً أنَّ اليزيديين أنفسهم يعتقدون أنَّ الشيخ عدي بن مسافر الأموي لم يمت أصلاً، بل عرجَ إلى السماء بصورة قدسية بعد أن ترك وصياه على الأرض، وظهر بعده ملك صالح أعلم أتباعه أنَّ قبره في زاويته هذه فاتجه الناس لزيارته.

استناداً لما تقدم نشأت علاقات مهمة بين اليزيدية والسريان عبر التاريخ يسودها احترام كبير، وينقل المؤرخ عبد الرزاق الحسني عن بعض الباحثين أنَّ كتابي الجلوة ومصحف رش الدينيين المعروفين حالياً لدى اليزيديين هما من كتابة أحد شمامسة الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) واسمه إرميا كان قد فَرَّ من دير ألقوش واعتنق الإسلام، ثم ارتد ولجأ إلى اليزيديين وسكن معهم مدة طويلة وصار مُقدَّماً بين رجالهم[2]، ثم يسوق الحسني بعض الأدلة اللغوية التي تثبت أنَّ الكتابين كُتبا بالسريانية أصلاً، ويذكر الحسني أنَّ الشيخ اليزيدي حسين البحزاني كتب إليه يؤكِّد أنَّ هذين الكتابين يختلفان عن الكتب

---

[1]: أحمد تيمور، القول في أصل اليزيدية، مجلة المقتطف عدد ٦١، تموز ١٩٢٢م.

[2]: السيد عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص ٤٩.

الأصلية المعتمدة لدى الطائفة اليزيدية، وفعلاً فإنَّ ورود اسم عدي بن مسافر الأموي (١٠٧٥-١١٦٢م) في الفصل الخامس عشر من مصحف رش هو إثبات أنَّ الكتاب كُتب بعد هذا التاريخ.

في سنة ١٩٩٠م كنت أعمل في مجال نقر وبناء الحجارة في منطقة المجموعة في مدينة الموصل مع شيخ يزيدي اسمه رئيس السنجاري، وكنت أتحفظ بذكر الكلمات التي أعلم أنها تُزعج اليزيديين مثل كلمة نعال فأقول (تَلِّكْ)، فاعترض عليَّ الشيخ السنجاري قائلاً: بإمكانك استعمال ما شئت من الكلمات لأنَّ اليزيدية لا تؤمن بهذه الخرافات التي هي من وضع غير اليزيديين، ومنهم أحد القسس المسيحيين الذي أسلم ثم ارتد ولجأ إلينا قبل عدة قرون.

يذكر المطران السرياني الأرثوذكسي يوحنا دولباني (+١٩٦٩م)، أنه يوجد عند اليزيديين مئة وخمسون كتاباً مقدساً باللغة السريانية، خمسة وخمسون منها على رقاق والبقية على ورق وهي بالخط الأسطرنجيلي السرياني محفوظة في مكان خاص بجبل سنجار، وقد اطلَّعَ عليها أحد السائحين الإنكليز لقاء هدية قدمها للموكل بها سنة ١٨٩١م، وطلب السائح أخذ ثلاثة منها ليزينها بالذهب، فلم يرض الوكيل، وقال له: إنَّ هذه الكتب هي سبب بركة هذا الجبل، ومتى أخذتها منه زالت بركته.

يقول أحد أمراء اليزيدية وهو أنور معاوية الأموي: تعيش طائفتنا مع الأرمن والسريان والتركمان والأكراد وغيرها، وهناك قسم من أبنائها من هذه الأصول، ومناطق تواجد طائفتنا الحالية تحمل كلها الأسماء الآرامية مثل سنجار وشيخان وباعذرا وبعشيقا، وقسم من كتب اليزيدية المقدسة مثل (الجلوة والكتاب الأسود) مكتوبة بالآرامية وهي موجودة في

المتـاحف الأوربيـة[1]، ولم يـرد في كـل مقالتـه أنَّ اليزيـديين هـم آشـوريون أو كلـدان، وعنـد طبـع كتـاب "اليزيديـة في مـا بـين النهـرين" طلـب مؤلفـو الكتـاب وهـم آشـوريو الاتجـاه، طلبـوا صـورة الأمـير معاويـة مـع كلمـة ومقالـة منـه لنـشرها في الكتـاب كـي يكـون لـه مـصداقية، فكتـب الأمـير معاويـة عبـارة ذكيـة جـداً تفـي بـالغرض وهـو عـدم انتمائـه للآشـوريين كقوميـة وفي نفـس الوقـت تُجنِّبـه الإحـراج مـن الآشـوريين قـائلاً: "لقـد وُفِّـقَ مؤلفـو هـذا الكتـاب في إعطـاء صـورة واضـحة عـن تـاريخ اليزيديـة في مـا بـين النهـرين والـذي يعـود إلى أيـام الإمبراطوريـة الآشـورية، وأيـضاً مـدى التقـارب بـين اليزيدية والقومية الآشورية".

ونجـد اليزيـديين في كتـبهم الدينيـة يتـبرؤون مـن الآشـوريين بالـذات، ويقـول الكتـاب الـديني الـرئيس لليزيـديين مـصحف رش أو الكتـاب الأسـود: ثـم نـزل ملـك طـاوس لأجـل طائفتنـا المخلوقـة وأقـام لنـا ملوكـاً عـدا الآشـوريين وهـو ناصـر الـدين وكـاموش وهـو الملـك فخـر الـدين وأرتيمـوس وهـو شمـس الـدين، ثـم صـار لنـا ملكـان شـابور الأول والثـاني، ومـن نـسلهما قام أمراؤنا إلى الآن[2].

إنَّ أغلـب اليزيـديين ومـن خـلال معايـشتي الطويلـة لهـم يقولـون إنهـم أكـراد ولغـتهم الرئيـسة هـي الكرديـة، وهـي لغـة طقوسـهم، وقـسم آخـر وهـو قليـل يميـل للانتمـاء للعروبـة، ويقـول بعـض شـيوخ اليزيديـة إنهـم ينتمـون إلى ثلاثـة أصـول عربيـة هـي القحطانيـة والعدنانيـة والشمـسانية[3]، ويـذهب الـبعض إلى

---

[1]: آشور نصيبيبونو وآخرين، اليزيدية في ما بين النهرين ص ١٠٨– ١١٦.

[2]: مرشد اليوسف، دوموزي (طاوسي ملك)، مصحف رش الفقرة ٢٢، ص ١٦٦.

[3]: د. خَلف الجراد، اليزيدية واليزيديين ص١٥٧.

أنَّ طائفة الشمسانية تنتسب إلى عبد شمس بن عبد مناف القرشي جد معاوية بن أبي سفيان، لكنني لا أعتقد ذلك لأنَّ طبقة الشمسانية اليزيدية هي من أهم الأسر الدينية المختصة بمشايخ اليزيدية والتي ينتمي إليها بابا شيخ وهو أعلى منصب ديني عندهم، وموطن الأسرة الأصلي هو مدينة تبريز الإيرانية، ولأنها أتت مهاجرة من الشرق سُمِّيت "روج هلات" ومعناها "الشمسانيون"، كما لا يوجد علاقة لليزيديين بطائفة الشمسية الموجودة في ديار بكر وماردين، فأغلب هذه الطائفة هم مسيحيون سريان أرثوذكس، ولدينا ثمان وثائق أقدمها السند الذي كتبه البطريرك السرياني الأرثوذكسي إبراهيم الثاني (١٣٨١–١٤١٢م) سنة ٨٠٣ هجرية الموافق سنة ١٤٠٠م، يشير إلى أنَّ هذه الطائفة اعتنقت المسيحية سنة ٥٠٠م وانتمت إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية[١].

أمَّا الشيخ عدي بن مسافر الأموي أو الشامي الذي يقدسه اليزيديون فينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم الأموي، وليس أوضح من هدف افتتاح مكتب الدعوة اليزيدية باسم المكتب الأموي في شارع الرشيد ببغداد سنة ١٩٦٩م من قِبَل الأمير بايزيد إسماعيل بك جول الأموي، وما ذلك إلاَّ إحياء لعروبة الطائفة اليزيدية وربط نسبهم بقريش من وجهة نظره وكما جاء في بيان الافتتاح، وهناك قسم من اليزيديين يقول: إنه لو ترك الأمر لهم بعيداً عن الضغوط الدينية والعشائرية والسياسية، فإنهم يفضلون الاسم اليزيدي كاسم قومي وديني أكثر من الاسم الكردي والعربي.

لليزيديين علاقات تاريخية قوية ومتميزة مع السريان وخاصةً أمير اليزيديين في العالم السيد تحسين بك.

---

[1]: أغناطيوس أفرام الأول برصوم، منارة أنطاكية السريانية ص ١١٤ وما بعدها.

عند زيارة قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع إلى العراق سنة ١٩٩٨م، تم استقباله من قِبَل أمير اليزيديين ووجهائهم، وأُلقيت كلمة ترحيبية به، وكان الشعب اليزيدي يفرش ثيابه على الأرض لكي يمشي عليها البطريرك السرياني لنيل البركة، وهي عادة عند السكان السريان في هذه المناطق، ولم نسمع أو نشاهد يوماً ما أن ذلك حصل مع البطريرك الآشوري أو الكلداني، وليس الهدف من ذكر هذه الأمور التقليل من مقام وشأن البطريركين الآشوري والكلداني الجزيليَّ الاحترام إطلاقاً، بقدر ما نريد أنَّ نُبيِّن أنَّ اليزيديين ليست لهم علاقة بالآشوريين والكلدان، ولا تربطهم روابط وثيقة معهم، وإن وجدت بعض الحالات، فهي فردية أو لأهداف سياسية أو لغرض المجاملة أحياناً وتقتصر على الآشوريين فقط دون الكلدان.

يُكَرِّم اليزيديون الأديرة السريانية كثيراً وقسم منهم يقدمون النذور لها، كما يقدس اليزيديون مار سرجيوس وهو القديس المكرم من قِبَل السريان الأرثوذكس تحديداً، علماً أنَّ كثيراً من قرى اليزيديين أسماؤها سريانية مثل كابار وتعني الجبار، تلحش وتعني تل الآلام، باقصري وتعني بيت القصارين، خطار أو ختار وتعني مكان أو بيت قصر الثياب، خوشابا وتعني يوم الأحد، زينيا وتعني الأسلحة، بعشيقة وتعني بيت المسحوقين أو المظلومين، بحزاني وتعني بيت الرؤية، عين سفني وتعني العين الصافية، باعذرى وتعني بيت الملجأ أو بيت العذراى، وغيرها.



قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع يتوسط سماحة تحسين سعيد بك أمير اليزيديين في العالم وفاروق سعيد بك أثناء استقبال قداسته في بحزاني في ٨ نيسان ١٩٩٨م

قبيلة المحلَّمية العربية - السريانية

قبيلة عربية شيبانية بكرية تعود بالنسب إلى محلَّم بن ذهل بن شيبان أحد بطون قبيلة بكر بن وائل بن ربيعة المشهورة التي سكنت في الجزيرة العربية في تهامة اليمن واليمامة والبحرين، والتي يُضرب المثل فيها في عوف بن محلَّم فيقال: "لا حُرُّ بواد عوف".

معلوم أنَّ بطوناً كثيرة من قبيلة بني بكر وخاصةً الشيبانيين وأبناء عمومتهم التغلبيين قد اعتنقوا المسيحية منذ القرن الخامس الميلادي عندما انتشرت في شرق الجزيرة العربية التي كانت تُسَمَّى بلاد دلمون (البحرين حالياً)، وكانت الأسقفيات في منطقة الخليج تابعة لجاثليق كنيسة المشرق الخاضع لبطريرك الكنيسة الأنطاكية السريانية، وأصبحت قطر (بيث قطراي بالسريانية) أسقفية مسيحية سنة ٢٢٥م، ثم ضُمَّت إليها كنيستا نجران واليمامة، وكانت جدر (أُم قيس) كرسياً أسقفياً سنة ٣٠٧م، ثم قام الناسك عبد يشوع وأصله من ميسان في جنوب العراق بتأسيس دير في جنوب قطر قرب اليمامة باسم دير مار توما، زاره سنة ٣٩٠م مار يونان أحد تلاميذ دير مار أوجين قرب طور عبدين، فوجده آهلا بمئتي راهب وأقام فيه مدة يقضي الصلوات بالسريانية[1]، ونجد ذكراً للأساقفة في جزيرة سماهيج (مشمهيج بالسريانية) بين البحرين وعُمان، كالأسقف باطاي سنة ٤١٠م ،وسرجيوس سنة ٥٧٦م، أمَّا جزيرة داران (داراي بالسرياني)، فكان بولس أسقفاً عليها سنة ٤١٠م، وبعده يعقوب سنة ٥٨٥م الذي وجه له رسالة الجاثليق إيشوعياب الأول (٥٨٢–٥٩٥م)، وزار أبرشية قطر الجاثليق كوركيس وعقد مجمعاً في جزيرة

---

[1]: أخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان ١: ٤٨٦ و٤٨٧.

دارين سنة ٦٧٦م، سَنَّ فيه تسعة عشر قانوناً، وكان للسريان أديرة أخرى مثل دير كعب قرب صفوان أقام فيه الخليفة علي بن أبي طالب ليلة، ودير عمرو في جبال طي يقال لها جُوز، ودير سعد بين غطفان والشام[1]، ولعب هؤلاء دوراً مهماً في هداية أبناء قبيلة بني بكر وأفخاذها من شيبان وحنيفة ومحلَّم وغيرهم إلى المسيحية، وبدأت المسيحية بين العرب بالزوال من البحرين سنة ٦٢٣م تقريباً عندما اعتنق الإسلام أمير البحرين المنذر بن ساوى الذي كان البكريون يخضعون له، ومثله فعل الجارود بن عمر المعلى سيد بني قيس وابن دريمكة بنت رويم الشيبانية الذي كان مسيحياً وفرض هيمنته على البكريين، أمَّا الذين بقوا مسيحيين من بني بكر فقد هاجروا إلى الشمال في العراق والشام.

كانت بطون من البكريين قد نزحت إلى الشمال على إثر حرب البسوس التي قامت بينهم وبين أبناء عمومتهم التغلبيين والتي انتهت سنة ٥٢٥م تقريباً، وسكنوا جنوب العراق بين منطقة البصرة والكوفة (منطقة خَفَّان)، وكانت أسقفية الحيرة وأسقفها شمعون سنة ٤٢٤م تشمل بني بكر[2]، ومن البكريين المسيحيين أبطال معركة ذي قار التي قامت سنة ٦٠٥م تقريباً، ومنهم هاني بن مسعود الشيباني وابنه قبيصة الذي مات بالكوفة مسيحياً[3]، والشاعر عبد المسيح بن عسلة الشيباني وغيرهم، وأول من اعتنق الإسلام من مشاهير بني شيبان هو المثنى بن حارثة الشيباني، ومع هذا بقيت بطون من شيبان على مسيحيتهم وقاتلوا

---

[1]: لمعرفة أسماء الأديرة راجع ياقوت الحموي معجم البلدان.

[2]: أغناطيوس أفرام الأول برصوم، منارة أنطاكية السريانية ص ٨٦.

[3]: ابن دريد الاشتقاق ص ٣٥٩.

أبنـاء قـومهم المـسلمين بقيـادة المثنـى في واقعـة ذات الـسلاسل عنـد كاظمـة علـى مـسيرة يـومين مـن البـصرة[1]، كمـا ارتـد قـسم مـن بـني حنيفـة البكريـة عــن الإســلام، وســكن قـسم مــن البكــريين والــشيبانيين مدينــة تكريــت الــتي كانـت مقـراً لمفريانيـة الـسريان الأرثـوذكس واشـتهر مـن مفارنتهـا مـار أحوادمــة (+٥٧٥م) أســقف باعربايــا أي العــرب الرحــل، ومــن البكــريين الــذين ســكنوا تكريـت البـو عبيـد الـذين سـكنوا قريـة البويـضة، والبـو عجيـل أو عجْـل، وأول مـن مـال مـن البـو عجيـل إلى الإسـلام رئيـسهم سـويد بـن قطبــة العجلــي[2]، وأنــشأ هــذان الفخــذان كنيــستين في تكريــت الواحــدة باسـم كنيـسة البـو عبيـد قـرب قريـة البويـضة والأخـرى جنـوب الأولى باسـم كنيـسة البـو عجيـل الـتي يعتقـد أنهـا كانـت ديـر مـار يوحنـا الـذي ذكـره الحمــوي[3]، وســكن بنــو بكــر بجــوار القلعــة المعروفــة حاليــاً بتكريــت[4]، وهنـاك روايـة ذكرهـا يـاقوت الحمـوي سـواء صـحت أم لا، لكنهـا تُبـيِّن مـدى ارتبــاط البكــريين بتكريــت، وهــي أنَّ اســم تكريــت أصــلاً هــو اســم ابنــة بكـر بـن وائـل، علمـاً أنَّ اسـم تكريـت سـرياني معنـاه التجـارة، وكـل قبائـل تكريـت قـد طغـى عليهـا اسـم التكـريتي، والانتـساب إلى مدينـة تكريـت ظــل يــتردد ذكــره في معظــم أسمــائهم ولم يربطــوا نــسبهم بنــسب آخــر[5]، وطبقــاً لمــا ذكــره الأصــطخري وابــن حوقــل فــإنَّ ســكان تكريــت كــان

---

[1]: دائرة المعرف الإسلامية مج٤ ص٤٥.

[2]: عباس العزاوي، عشائر العراق ج١ ص ٤٨.

[3]: موسوعة مدينة تكريت ج٢ ص١٣٠.

[4]: موسوعة مدينة تكريت ج٣ ص٣٠٠.

[5]: موسوعة تكريت ج٢ ص ١٢٦.

أغلبهم مسيحيين إلى سنة ٩٧٩م، وابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي بدأت هجرة مسيحيِّي تكريت السريان ومنهم الشيبانيون إلى أطراف مدينة الموصل وبخاصة إلى بخديدا (قره قوش) وبرطلة وقريتي بعشيقة وبحزاني[1]، ولا يزال إلى اليوم سكان تكريت وقرى بعشيقة وبحزاني وميركي قرب الموصل يتكلمون بنفس اللهجة التي يتكلم بها محلَّمية سوريا وتركيا، والتي تُسَمَّى بلهجة الكشكشة، لكثرة استعمال حرف الكاف فيها، بينما سُمِّيت لهجة أبناء عمومتهم التغالبة بالفشفشة لكثرة استعمال الفاء، وهناك شواهد تدل على أنَّ قسماً من الشيبانيين كانوا مسيحيين سرياناً، فها هو أحد أبناء مرة الشيباني يرثي أخاه المدفون قرب دير دانيال (الخنافس) قرب الموصل قائلاً:

بقربك يا دير الخنافس حفرة　　بها ماجد رحب الذراع كريم

وعَدَّ البعض نسب مسلمي بني شيبان في الموصل وأطرافها إلى الهلاليين، وهو نسب خاطئ وغير صحيح، وبالنسبة إلى بني بكر الذين اعتنقوا الإسلام وبقوا في تكريت فقد اعتنقوا المذهب الشافعي جميعهم اسوةً بمسلمي تكريت الذين بقوا شافعية إلى بداية القرن العشرين[2]، وهذا هو سبب انتشار المذهب الشافعي بين محلَّمية سوريا وتركيا حيث هاجر قسم من التكارتة على مر الزمن للسكن بجوار إخوانهم هناك.

أمَّا محلَّمية شرق سوريا وتركيا فقد رحلوا بعد حرب البسوس وسكن قسم منهم في بداية الأمر في الجنوب وتحالفوا مع شرحبيل بن الحارث بن عمر بن حجر آكل المرار أمير كندة الذي تحالف مع الإمبراطور

---

[1]: موسوعة تكريت ج٢ ص١٢٢. وقسم منهم سكن قرية ميركي قرب دير مار متى.

[2]: رحلة المنشئ البغدادي ص١٣٧.

البيزنطي انستاسيوس سنة ٥٠٣م في صد خطر اللخميين، ويذكر أنَّ المسيحية كانت بارزة في قبيلة كندة وفي ابني حجر آكل المرار، عمر المقصور ومعاوية الجون، ومنهم عمرو بن معد أبي كرب بن الحارث بن عمرو المقصور وعمته هند بنت الحارث زوجة المنذر الثالث ملك الحيرة صاحبة الدير المشهور باسمها في الحيرة، أمَّا ابن آكل المرار الآخر معاوية جون الكندي فكان أميراً على اليمامة التي كان معظم سكانها مسيحيين عند ظهور الإسلام[1]، و كان يسكنها بني حنيفة من قبيلة بكر برئاسة المسيحي هوذة بن علي سيد بني حنيفة والذي أطلق أسرى بني تميم بمناسبة عيد القيامة، فقال الشاعر الأعشى يمدح هوذة:

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية   يرجو الإله بما أسدى وما صنعا

الجدير بالذكر أنَّ حجر آكل المرار هو أصلاً شقيق ثور من أُمهِ، وثور هو حفيد محلَّم بن ذهل التي تنتمي إليه قبائل المحلَّمية.

خَلَفَ هوذة مسيلمة الذي لَقَّبَ نفسه بالرحمن (بالسريانية مرحمونو)، وطلْق بن علي بن طلْق بن عمرو السحيمي الحنفي وهو من سادة بني حنيفة باليمامة كان مسيحياً، وقد أخبر طلْق رسول الإسلام محمداً عندما أسلم أنَّ لهم كنيسة باليمامة يديرها راهب من بني طي، وأُخذت هذه الكنيسة فيما بعد وأقيم مسجد محلها، وهناك حديث مذكور في سنن النسائي والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٣٥٧ بهذا الخصوص.

ثم استقر البكريون في مناطق ديار بكر وماردين وطور عبدين في الشمال، ويبدو أنَّ هجرتهم قد سبقت أبناء عمومتهم من التغلبيين إلى هناك إذ نرى الشاعر المسيحي التغلبي الأخطل يقول:

---

[1]: جواد علي المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١٠ ص٢٩١.

تربعنا الجزيرة بعد قيس فأضحت وهي من قيس قفار

تسامى ماردون به الثريا فأيدي الناس دونهما قصار

الهجرة الرئيسة الثانية للبكريين كانت منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، بعد اشتراك عدد من المحلَّميين المسلمين بحركة الخوارج بقيادة الضحاك بين قيس المحلَّمي يسانده مسلمو مذهب الصفرية، وحارب الأمويين سنة ٧٤٥م في نواحي الموصل التي كانت تحت حكم والي شيباني يدعى القطران بن أكمة، ثم قُتل الضحاك في كفرتوثا فخلَفه شيبان اليشكري ثم ميزيد بن زائدة الشيباني سنة ٨٠٠ م.

أطلق السريان على منطقة سكن المحلَّمية في الجهة الجنوبية من طور عبدين (بيت محلَّم)، وكانت لهم فيها أكثر من خمسمئة قرية أكبرها، هي قرى: أستل، شور صفح، دير أوسيبينا، انشاي، كفر شمع، كفراحور، كفر سلط، وغيرها، مع كنائس كثيرة مثل كنيسة مار جرجس التي كانت عامرة سنة ١٤٥٧م ودير مار يعقوب الذي كان عامراً سنة ١٥٨٣م في قرية كفر شمع، وكنيسة مار ملكي والقديسة شموني في أستل، وفي جامع مدينة أوسيبينا يوجد آثار مذبح كنيسة وبشرقه بناء يظهر أنه كان ديراً أو كنيسة، ويعتقد أنَّ اسم أوسيبينا هو لأحد تلاميذ دير أوجين، وكنيسة مار جرجس في قرية كفر عرب كانت عامرة سنة ١٤٦١م، وغيرها[1]، وعندما بدأ إخوان المحلَّمية من شيبان تكريت بالهجرة إليهم سكنوا إلى جانب إخوتهم في، حران، كفرتوثا، ديار بكر، أرزن، نصيبين، الرها، الرقة، رأس العين، وملطية، وغيرها، وشَيَّدوا لهم في مدينة كفر توتا كنيسة باسم مار توما وفي الرقة كنيسة باسم

[1]: الأب متري هاجو أثناسيو، موسوعة بطريركية أنطاكية مج٢ ص ٦٢٨-٦٢٩.

كنيسة التكارتة، كما شَيَّدوا كنائس أخرى باسم مار زينا، وغيرها، ومن أشهر شيبانِّي بنو بكر الذين هاجروا من تكريت إلى مناطق المحلَّمية هي أسرة آل أبي عمران بزعامة أخيهم الأكبر الشيخ أبو سالم الذين هاجروا سنة ٩٩١م وسكنوا ملطية وشَيَّدوا عدة كنائس في ملطية وضواحيها، واشتهروا بالثراء والكرم والتصدق على الفقراء، ولمكانتهم المرموقة طلب منهم الإمبراطور البيزنطي باسيليوس الثاني (٩٧٦–١٠٢٥م) ضرب دراهم للدولة الرومانية، ومن مآثرهم أنَّ أبي سالم افتدى من الأتراك خمسة عشر ألف أسيراً بخمسة وسبعين ألف دينار.

اعتنق أغلب محلَّمية شرق تركيا وسوريا الإسلام على أربع مراحل، الأولى في الفتوحات الأولى، والثانية أثناء الحروب الصليبية، والثالثة أثناء الغزو المغولي، والرابعة أيام الدولة العثمانية، وهناك شواهد كثيرة تثبت مسيحيتهم، فها هو جرير يُعيِّر الفرزدق بحدراء بنت زريق بن بسطام الشيباني المسيحي قائلاً:

وما عدلت ذات الصليب ظعينة　　عتيبة والردفان منها وحاجب

ويمدح الشاعر عبدالله بن المخارق المُلقَّب بنابغة بني شيبان أو ابن النصرانية الخليفة عبد الملك بن مروان قائلاً:

يظل يتلو بالإنجيل يدرسه　　من خشية الله قلبه طفح

يقول البطريرك أفرام الأول برصوم: القسم الأخير من قبائل المحلَّمية مثل استل والراشدية والمكاشنية وصورا والأحمدي ورشمل ولاشتية اعتنقوا الإسلام سنة (١٥٨٣ أو ١٦٠٩م) في عهد بطريرك طور عبدين سهدو المذياتي، وذلك بسبب كثرة المظالم والضيقات عليهم من قِبَل الأتراك، وإنَّ بعض الشيوخ الثقات من قبائل المحلَّمية أخبروا البطريرك

أفرام أنَّ مسألة إسلام قبيلة المحلَّمية لا يرتقي إلى أكثر من ثلاثمئة سنة[1]، وهناك رواية شعبية غير صحيحة يتناقلها الناس تقول إنَّ سبب اعتناقهم الإسلام هو ضغط بطريرك ماردين إسماعيل المارديني (١٣٣٣–١٣٦٥م) عليهم كثيراً بعدم الإفطار خلال مدة الصوم، وهي رواية غير صحيحة لفقَّهَا أعداء البطريرك إسماعيل نكاية به، إذ ليس من المعقول أن تتحول قبيلة بأكملها إلى الإسلام بسبب خلافها مع بطريرك أو مطران، وإنَّ جميع المختلفين مع رؤسائهم في تاريخ المسيحية يتحولون إلى طائفة مسيحية أخرى، أو قد يتحول أفراد محدودون فقط إلى ديانة أخرى في حالات أخرى.

بقيت عائلات قليلة من المحلَّمية مسيحية سريانية إلى اليوم، ويقول السير مارك سايكس (١٨٧٩–١٩١٩م): أنَّ المحلَّمية عربٌ، يعيش بينهم أكرادٌ، ولا تزال بعض الأسر منهم مسيحيين.

الجدير بالذكر أنَّ العوائل المسيحية على مر التاريخ لا تحمل أسماء وألقاب عشائرها القديمة، بل أسماء لا تتجاوز جدها الخامس في أغلب الأحيان، أو اسم المدينة أو المهنة.. الخ، ولدينا على الأقل سبعة أسماء من مطارنة أسقفية التغالبة التي تأسست في القرن السابع والذين يُسَمَّون "أساقفة العرب"، ولكن لا يوجد بينهم من يحمل لقب التغلبي، فضلاً عن أسماء أساقفة مثل: خَلَف، عثمان، شهاب، عربي، يزيد، إسماعيل، وغيرهم، وقسم من هؤلاء كانوا من الجزيرة الفراتية، ومن المعروف أنَّ عرب الحيرة المسيحيين سُمُّوا بالعباد، وكانوا من مختلف القبائل[2].

---

[1]: البطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم، تاريخ طور عبدين ص٣٥٢–٣٥٣.

[2]: جواد علي المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١٠ ص ٢٧٨.

لـذلك فـإنَّ الـسريان المحلَّمـيين لم يكونـوا يَتـسَمَّون بالمحلَّميـة ، وهـذا هـو سـبب عـدم وجـود رجـال ديـن أو أدبـاء عُرفـوا بـالمحلَّمي في تـاريخ الكنيـسة الـسريانية ، ولكـن بـدون أدنـى شـك فـإنَّ كـثيراً ممـن ظهـروا في هـذه المنطقـة مـن رجـال الكنيـسة الـسريانية يحتمـل أنهـم كـانوا مـن قبائـل المحلَّميـة ، فهنـاك كـثير مـن الأسـاقفة والكهنـة كـانوا مـن منـاطق المحلَّميـة مثـل المفريـان ديونيـسيوس الثـاني صـليبا الكفـر سـلطي (١٢٢٣–١٢٣١م) ، ومفريـان طـور عبـدين باسـليوس شمعـون الأول بـن شـولج الكفـر شمعـي (١٥٤٩–١٥٥٥م) الـذي كـان مـن قريـة كفـر شمـع وتَرهَّـبَ في ديـر مـار يعقـوب في نفـس القريـة ، والخطـاط الربـان شمعـون الكفـر سـلطي سـنة ١٢١٨م، وغيرهم.

حتـى المـسلمون أنفـسهم مـن المحلَّميـة ، فـإنَّ ذكـرهم باسـم المحلَّميـة قليـل تاريخيـاً إذا مـا قـورن بالعـشائر العربيـة المـسلمة الأخـرى، ويبـدو أنهـم بـدؤوا يـستعملون هـذا الاسـم بكثـرة في القـرنين الأخيريـن علـى وجـه التحديـد ، وهـذا دليـل علـى سـريانيتهم الـسابقة ، علمـاً أنَّ اسـم المحلَّميـة أُطلـق علـى قبائـل بكـر شـرق سـوريا وتركيـا فقـط، بينمـا لا نجـد في الموصـل أثـراً ملحوظـاً لاسـم عـشيرة أو قريـة باسـم المحلَّميـة مـع وجـود الأسمـاء الأخـرى لهـذه القبيلـة كالبكريين والشيبانيين والقيسيين والراشدين وغيرهم[1].

---

[1] : كـان بودنـا التوسّـع حـول أصـول هـذه القبيلـة الكريمـة وحركـة هجرتهـا وانتمائهـا لولا أننا سنخرج عن موضوع الكتاب.



مناطق قبيلة المحلَّمية في جبل طور عبدين

الصابئة المندائيون

يُقَسِّم المؤرخون الصابئة المندائيين إلى قسمين، صابئة البطائح في جنوب العراق من البصرة وحتى بابل، وصابئة حران في الجزيرة السورية، ويُسَمَّون الصابئة "المغتسلة أو نصارى يوحنا المعمدان"، والاسم القومي للصابئة هو المندائيون، وهي كلمة مشتقة من السريانية الآرامية (مندع) ومعناها العارفون وكانت تطلق هذه الكلمة على العقائد الغنوصية المعرفية أو العرفانية الباطنية، وقد ظهر في الآثار الآرامية ما يشير إلى وجود إمارة في جنوب العراق تُسَمَّى بيث يندع أي بيت المعرفة، ويوجد تل في سوريا باسم النبي مندا[١]، وتسميهم الكثير من المصادر "نصارى يوحنا المعمدان"[٢]، وهكذا سَمَّاهم قسم من الرحَّالة، والاسم المعروف والغالب للصابئة قبل الإسلام هو الناصورائيون وتُسَمَّى ديانتهم "ناصروثا"[٣].

ليس لاسم الصابئة الذي ورد في القرآن أية علاقة بالصابئة المندائيين، فصابئة القرآن هم الأحناف، وهي كلمة سريانية (ܚܢܦܐ حنفا) معناها المنحرف عن الإيمان[٤]، أطلقها السريان على الطوائف المنحرفة عن الإيمان المسيحي المستقيم التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، فكلمة الأحناف السريانية تقابل كلمة صابئة العربية التي تعني الخارج من دينه إلى دين آخر أو المائل عن دين آبائه[٥]، وهؤلاء الأحناف هم الذين عُرفوا

---

[1]: خزعل الماجدي، المعتقدات الآرامية ص١٤٧.

[2]: دائرة المعارف الإسلامية ج١٤ ص ٨٩.

[3]: عزيز باهي، أصول الصابئة ص١١٠.

[4]: قاموس سرياني عربي، حسن بن بهلول ج١ ص ٧٦٤.

[5]: لسان العرب ج٢ ص٢٦٧.

تاريخياً باسم النصارى[1].

لذلك فإنَّ المشركين من قريش كانوا يَعدُّون أنَّ المسلمين هم الصابئة[2]،أي اللذين خرجوا وانحرفوا عن دينهم، ولهذا سَمَّت قريش رسول الإسلام محمد الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام[3]، وعندما أسلم عمر بن الخطاب نادت قريش صبأ عمر، صبأ عمر، وعندما قال جميل بن معمر الجمحي: إنَّ ابن الخطاب قد صبأ، كان عمر واقفاً خلفه فناده قائلاً: كذب ولكني أسلمت[4].

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة: استُعمل اسم الصابئة في القرآن من حيث معناه اللغوي للإشارة إلى جماعة قبل البعثة يدينون بدين التوحيد بشكل ما، أمَّا أقوال المفسرين فلا نراها تخرج عن التخمينات.

يضيف دروزة قائلاً: إنَّ الربط بين صابئة العراق وحران من جهة وبين صابئة القرآن من جهة أخرى هو وهم وتجاوز أو بالأحرى تلفيق مرتجل ومتأخر عن الإسلام بقرنين أو أكثر، وليس في الكتب العربية القديمة ذكر لطائفة بهذا الاسم[5].

---

[1]: يختلف النصارى عن المسيحيين، فالنصارى كانوا يجمعون بين المعتقدات اليهودية والمسيحية، وبمرور الزمن أصبحت كلمة النصارى تطلق خطأً على المسيحيين. وللمزيد عن موضوع النصارى والصابئة، راجع مقالتنا "مسيحيون لا نصارى"، المنشورة في مجلة عشتروت الصادرة في بيروت عدد ٥١ و٥٢/٢٠١٠م، ص٥١–٥٣.

[2]: جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٥٥٢.

[3]: سيرة ابن هشام ص ١٥٩–١٦٠. وأُسد الغابة ج١ ص٥٩٥. والبخاري، كتاب التيمم.

[4]: شمس الدين الذهبي موسوعة تاريخ الإسلام، إسلام عمر ج٣ ص١٣١–١٣٢.

[5]: محمد عزة دروزة، بيئة وعصر النبي ص٧٠٠.

الـذي حـدث هـو ورود كلمـة الـصابئة في القـرآن بكـونهم أناسـاً مقبـولين لـدى المـسلمين وأهـل كتـاب، فاسـتغلها المنـدائيون وأطلقوهـا علـى أنفـسهم خوفـاً مـن المـسلمين في معركـة القادسـية، ويـذكر كتـاب حـران كويتـة وهـو مـن الكتـب الدينيـة للمنـدائيين، أنَّ أحـد كبـار المنـدائيين واسمـه أنـش بردنقـا تقـدم إلى قائـد جـيش المـسلمين حـاملاً بيـده كتـاب المنـدائيين المقـدس (كنــز ربَّــا) لتعريــف القائــد بهــم، وبــأنهم هــم المقــصودون بالــصابئة في القـرآن، وعـاد مـن لقائـه وهـو يحمـل الآمـان لقومـه، واسـتعمل نفـس الطريقـة صـابئة حـران مـع الخليفـة المـأمون (٨١٣–٨٣٣م) الـذي مـر سـنة ٨٣٠ م بقريـة فيهـا طائفـة تعبـد الكواكـب، فـأراد أن يَعـدَّهم مـن المـشركين ولا يقبـل مـنهم الجزيـة، فقيـل لـه أنهـم (الـصابئون) الـذين ورد ذكـرهم في القـرآن مـع اليهـود والنـصارى، ولـذلك يجـب أن يعـاملوا مثلـهم، فأبقـاهم علـى الذمـة وأخـذ مـنهم الجزيـة[1]، ووردت القـصة في كتـاب الفهرسـت كـالآتي: قـال أبـو يوســف ايــشع القطيعــي النــصراني في كتابــه في الكــشف عــن مــذاهب الحرنــانيين المعــروفين في عــصرنا بالــصابئة: اجتــاز المــأمون في آخــر أيامــه بـديار مـضر يريـد بـلاد الـروم للغـزو فتلقـاه النـاس يـدعون لـه وفـيهم جماعـة مـن الحــرانيين وكــان زيهــم إذ ذاك لــبس الأقبيــة وشــعورهم طويلــة بــوفرات كـوفرة قـرة جـد سـنان بـن ثابـت فـأنكر المـأمون زيهـم وقـال لهـم مـن أنـتم مـن الذمـة؟، فقـالوا نحـن الحرانيـة، فقـال أأنـصاري أنـتم؟، قـالوا لا، قـال فيهـود أنـتم؟، قـالوا لا، قـال فمجـوس أنـتم؟، قـالوا لا، قـال لهـم، أفلكـم كتـاب أم نـبي؟، فمجمجـوا (ارتـابوا) في القـول، فقـال لهـم، فـأنتم إذاً الزنادقـة عبـدة

---

[1]: محمد عزة دروزة، بيئة وعصر النبي ص ٦٩٨.

الأوثـان وأصـحاب الـرأس في أيـام الرشـيد والـدي وأنـتم حـلال دمـاؤكم لا ذمـة لكـم، فقـالوا نحـن نـؤدي الجزيـة فقـال لهـم إنمـا تؤخـذ الجزيـة ممـن خـالف الإسـلام مـن أهـل الأديـان الـذين ذكـرهم اللّه عـز وجـل في كتابـه ولهـم كتـاب وصـالحه المسلمون عـن ذلـك، فـأنتم لـستم مـن هـؤلاء ولا مـن هـؤلاء فاختـاروا الآن أحـد أمـرين، إمـا أن تنتحلـوا ديـن الإسـلام أو دينـاً مـن الأديـان الـتي ذكـرهـا اللّه في كتابـه، وإلاَّ قتلـتكم عـن آخـركم، فـإني قـد انتظـركم إلى أن أرجـع مـن سـفرتي هـذه، فـإن أنـتم دخلـتم في الإسـلام أو في ديـن مـن هـذه الأديـان الـتي ذكرهـا اللّه في كتابـه، وإلاَّ أمـرت بقـتلكم واستئـصال شـأفتكم، ورحـل المـأمون يريـد بلـد الـروم فغيَّـروا زيهـم وحلقـوا شـعورهم وتركـوا لـبس الأقبيـة وتنـصَّر كـثير مـنهم ولبـسوا زنـانير، وأسـلمت مـنهم طائفـة وبقيـت مـنهم شـرذمة بحـالهم وجعلـوا يحتـالون ويـضطربون حتـى انتُـدب لهـم شـيخ مـن أهـل حـران فقيـه فقـال لهـم: قـد وجـدت لكـم شـيئاً تنجـون بـه وتـسلمون مـن القتـل، فحملـوا إليـه مـالاً عظيمـاً مـن بيـت مـالهم أحـدثوه منـذ أيـام الرشـيد إلى هـذه الغايـة وأعَـدُّوه للنوائـب، فقـال لهـم، إذا رجـع المـأمون مـن سـفره فقولـوا لـه نحـن الـصابئون فهـذا اسـم ديـن قـد ذكـره اللّه جـل اسمـه في القـرآن فـانتحلوه فـأنتم تنجـون بـه، وقـضى أنَّ المـأمون تـوفي في سـفرته تلـك، وانتحلـوا هـذا الاسـم منـذ ذلـك الوقـت لأنـه لم يكـن بحـران ونواحيها قوم يُسَمَّون بالصابئة[1].

لـذلك فـإنَّ المنـدائيين تَـسَمَّوا بالـصابئة بعـد الإسـلام ولـيس قبلـه، اسـتناداً إلى كلمـة وردت في القـرآن لهـا مـدول آخـر، ولا يوجـد ديـن في التـاريخ قبـل الإسلام اسمه الصابئة.

---

[1]: ابن النديم، الفهرست ص٣٢٠.

ويقول قسم من الباحثين إنَّ كلمة الصابئة سريانية، ومعناها المصطبغون بالماء (أي المغتسلون أو المُعمَّدون)، ومنها أطلق العرب على الصابئة اسم "المغتسلة"[1].

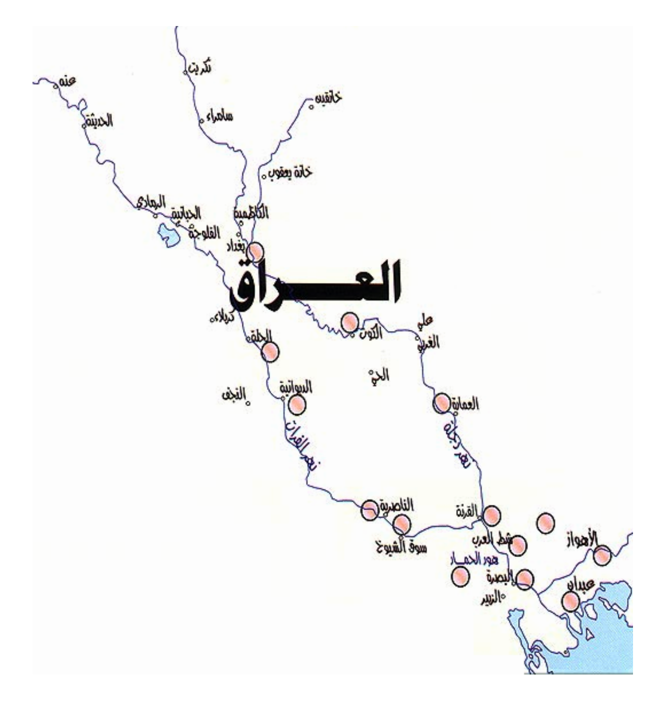
وأخيراً نقول: إنَّ الصابئة آراميون (سريان)، ولأنهم ليسوا مسيحيين فلا يُطلق عليهم عموماً اسم السريان[2]، لكن كتبهم الدينية كافة مكتوبة باللغة الآرامية الشرقية، وهم يعتزون بالاسم المندائي الآرامي، ولا يعيرون أي اهتمام للاسم الآشوري أو الكلداني، بل على العكس فهم يَعدُّون أنَّ ديانتهم قديمة جداً تعود إلى عصر شيت بن آدم، وأنَّ الكثير من البابليين والآشوريين القدماء أخذوا أصول ديانتهم منهم، وعندما يرد ذكر الصابئة مع الكلدانيين في كتب التاريخ، يرتبط دائماً بالمسائل الفلكية التي يكثر وجودها في تراث الصابئة، أي اسمهم يرتبط بالكلدان من ناحية التنجيم والفلك، وليس من الناحية القومية.

خلاصة القول بالنسبة للصابئة واسوةً لما ذكرته عن معاشرتي لليزيديين، فإنَّ معاشرتي الطويلة للصابئة تقول إنهم يَعدُّون الاسم المندائي اسماً قومياً لهم مع اعترافهم واعتزازهم بأنهم من نسل آرام وأصل آرامي.

---

[1]: كنتُ سابقاً اعتمد هذه المقولة، لكني ألآن وبعد البحث أشكُّ في اشتقاقها، وأراه اشتُق بعد الإسلام، ففعل صبأ أصيل في اللغة العربية ويختلف عن صبغ، ولارتباط الصابئة بالسريان واللغة السريانية قام الكُتَّاب والباحثون بتخريجها بهذا الشكل.

[2]: المندائيون أو الصابئة قومياً هم آراميون أو سريان شأنهم المسيحيين السريان، ولأن الاسم السرياني ارتبط عموماً بالمسيحيين، فالصابئة يطلقون على أنفسهم، آراميين، علماً أنَّ السريان استعملوا تاريخياً اسمي آراميين وسريان، والمهم أنَّ جميع أطباء ومترجمي وأعلام الصابئة في التاريخ مثل عائلة ثابت قرة الحرَّاني وغيره، مذكورين كسريان، وأغلب المؤرخين والرحَّالة الذين زراوهم، ذكروا أنَّ لغتهم هي السريانية.





مناطق تواجد الصابئة تاريخياً في العراق وحران

الأكراد[1]

اعتقد كثير من الباحثين سابقاً أنَّ هناك بعض الغموض حول أصل الأكراد، ونتيجة لكثرة الكتابات والأبحاث التاريخية والاكتشافات الأثرية خاصةً في القرن الأخير حول أصل الأكراد، فإنَّ تاريخهم أصبح أكثر وضوحاً.

الأكراد شعب قديم سكن منطقة شمال العراق وإيران وآسيا الصغرى، ويذهب أغلب المؤرخين إلى أنَّ الأكراد ينحدرون من الكوتيين أو الجوتيين الذين حكموا وسط وجنوب العراق (٢٢١٠–٢١١٦ ق.م.)، وهم أنفسهم الكردوخيون الذين تكلم عنهم زينفون سنة ٤٠٠ ق.م.

ويُقسِّم المؤرخ الكردي محمد أمين زكي (١٨٨٠–١٩٤٨م) الأكراد في كتابه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" إلى طبقتين من الشعوب، الطبقة الأولى سكنت كردستان منذ فجر التاريخ ويُسَمِّيها "شعوب جبال زاجروس"، وهي حسب رأيه شعوب "لولو، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاساي، سوباري، خالدي، ميتاني، هوري، نايري"، وهي الأصل القديم للشعب الكردي، والثانية هي طبقة الشعوب الهندو–أوروبية التي هاجرت إلى كردستان في القرن العاشر قبل الميلاد، وسكنت مع شعوبها الأصلية وهم "الميديين والكاردوخيين"، وامتزجت مع شعوبها الأصلية لتشكل معاً الأمة الكردية.

ينحدر الأكراد من أربع قبائل رئيسة هي كرمانج وكوران ولور وكلهير، وأشار أكثر من باحث إلى أنَّ أصل الأكراد هم السوبارتيون الذين كانوا سكان بلاد آشور التي كانت تُسَمَّى بلاد السوبارتيين قبل مجيء الآشوريين من الجنوب في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

---

[1]: استعملنا كلمة أكراد لورودها تاريخياً في المصادر، والصحيح كورد كما يُفضِّل الأكراد.

يقول سيدني سميث مدير دار الآثار العراقية بين سنتي (١٩٢٩-١٩٣١م): إنَّ بعض قبائل الحوريين والميتانيين في القسم الغربي من نهر دجلة، ينحدرون من السوبارتيين.

يذهب المستشرق الروسي العلاَّمة فلادمير مينورسكي (١٨٧٧-١٩٦٦م) إلى أنَّ الأكراد هم البختانيون الذين يشكلون مع الأرمن السبط الثالث عشر من إمبراطورية الفرس، وهناك آراء ضعيفة لكُتَّاب عرب ليس لها أي سند علمي أو أكاديمي تقول إنَّ أصلهم عرب مضريون من بكر بن وائل، ويقول المسعودي في مروج الذهب: الأكراد هم بنو كرد بن مرد بن صعصعة بن هوزان.

أمَّا رأينا في الأكراد فهو:

الأكراد بقسميهم الزاجروسي والهندو – أوربي اللذين تكلم عنهما المؤرخ الكردي محمد أمين زكي، هم من عرق واحد أصلاً إذ ينتسبون إلى مادي بن يافث بن نوح، فقد انقسم بنو يافث إلى قسمين شرقي وغربي، والقسم الغربي من بني يافث هم الكومريون أو الجومريون أبناء جومر بن يافث، وكان مسكنهم على شواطىء البحر الأسود، وتغلغل قسم منهم إلى غرب أوربا مثل (السلتيون) سكان فرنسا وجزء من ايطاليا وغيرها، والتقليد العام عند جميع سكان أوربا، هو أنَّ أصلهم من جهة آسيا الصغرى[1].

أمَّا الأكراد فهم أسلاف القسم الشرقي من أبناء مادي بن يافث بن نوح الذين كانوا في حل وترحال، واستقروا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد في المنطقة الممتدة من القوقاز وبحر قزوين في آسيا الوسطى حتى شرق

---

[1]: المطران يوسف الدبس، تاريخ سوريا الدنيوي والديني ج١ ص١٣٣.

أوروبا وإلى جبال زاجروس جنوباً، والذين يُسَمَّون "الآريين"، ومسألة كون الشعوب الآرية هي من الشعوب الهندو– أوربية أصبحت حقيقة مقررة لدى الباحثين[1]، ويتفق مع هذا الرأي بعض علماء السلالات البشرية مثل العالم فون ليشان بأنَّ قسماً من الأكراد (يُسَمِّيهم الأكراد الغربيين) ينحدرون من العرق الأنكلو – سكسوني[2].

لغة الأكراد القديمة هي لغة خاصة قريبة من لغة جورجيا وأرمينيا، كما اقتبس الأكراد خلال مدة حكم أسلافهم الكوتيين وسط وجنوب العراق مبادئ اللغة السومرية والأكدية، ثم استبدلوها باللغة الحالية المنحدرة من اللغة الفارسية والمُكَسَّرة عنها، ويدخلها كثير من الألفاظ الأجنبية، واللغة الكردية ليست ضمن العائلة السامية، بل تعود إلى عائلة اللغات اليافثية السنسكريتية التي تنحدر منها اللغة الزندية وهي أُم اللغة الفارسية، ويتكلم الأكراد اليوم لهجتين رئيستين هما "السورانية"، ويتكلم بها سكان مناطق شرق الزاب الأعلى مثل أربيل وكركوك والسليمانية وصولاً إلى إيران وروسيا، واللهجة "البهدينية"، ويتكلم بها سكان غرب الزاب في الموصل وتركيا وسوريا.

---

[1]: جيمس برستد، العصور القديمة ص١٩١. والآريون لفظة سنسكريتية arya تعني "النبلاء"، وأطلق هيرودوتس اسم الآريين على الماديين، واسم إيران مشتق من الآريين، وأُطلق تعبير الآريين في القرن التاسع عشر على الشعوب الناطقة باللغات الهندو– أوربية لوجود قرابة لغوية بينهما، ويُطلق اليوم كمصطلح لغوي أساساً، ولا يتضمن بالضرورة خصائص عرقية وقومية محددة، ويستعمل على الفرع الشرقي الهندي الإيراني خاصةً، لكن بعض الشعوب والباحثين استعملوه كمدلول عرقي وسياسي.

[2]: باسيل نيكتن، الأكراد ص ٢٦، ٢٧.

في سنة ١٨٠٠ ق.م. هاجر قسم من الآريين واستقروا غرب الهند، وبقي القسم الأكبر منهم في المنطقة وهم الأكراد والإيرانيون، حيث واصلوا زحفهم جنوباً إلى إيران والهلال الخصيب واستقروا في المناطق الجبلية التي يُسَمِّيها المؤرخ الكردي محمد أمين زكي، شعوب جبال زاكروس.

أقدم اسم اقترن تاريخياً بالأكراد بشكل لافت هو الكوتيون أو الجوتيون، وكان مركز مملكتهم كركوك، وحدودها كانت المناطق الجبلية بين السليمانية الحالية والزاب الأسفل بالقرب من منطقة سكن قبائل لولوبي، والكوتيين هم الطبقة الحاكمة الذين انحدروا وحكموا المنطقة الوسطى والجنوبية لبلاد الرافدين أو النهرين (٢٢١٠-٢١١٦ ق.م.) بعد سقوط الدولة الأكدية بزعامة ملكها الأخير شاركلي شاري، استطاع الكوتيون فرض سيطرتهم وحكمهم المباشر على معظم المدن الأكدية، أمَّا المناطق السومرية في الجنوب مثل لجش وأورك فقد حكمها الكوتيون بصورة غير مباشرة ولم يستطيعوا فرض هيمنتهم بالكامل عليها واكتفوا بأخذ الجزية منها، وبقيت المدن السومرية تتمتع بنوع من الاستقلال، ووردت أسماء واحد وعشرين ملكاً من ملوك الكوتيين، أولهم كان شارلكاب، وآخرهم تريجان الذي تَمكَّن ملك أوروك السومري اتوخيكال من هزيمته والانتصار عليه، فانسحب الكوتيون إلى أطراف كركوك الحالية، والكوتيون أو الجوتيون في لغة السومريين والآشوريين والبابليين القدماء هم المحاربون من سكان الجبال، ويوصف جبل جودي الذي استقرت عليه سفينة نوح بأنه جبل الكوتيين[1]، ويُسَمَّى جبل قردو، ولا تزال إلى اليوم تُستعمل هذه الكلمة

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٣٧٣.

باللغــة الــسريانية (قُردايــا ، قُرذايــا) مــن قِبَــل المــسيحيين للدلالــة علــى الــشعب الكردي، وكان الأرمن يُسَمُّون هذه المنطقة "كردوك".

تُعَـدُّ حقبـة حكـم الكـوتيين مـن أكثـر الحقـب غموضـاً في تـاريخ العـراق القـديم نظـراً لقلـة المـادة الأثريـة والنـصيَّة، وتوصـف مـدة حكمهـم لـبلاد بـين النهــرين الجنوبيــة عمومــاً بالعنيفــة والقاســية خاصــةً في بدايــة حكمهــم، وعُــرف عهــدهم بانتــشار الفوضــى الــسياسية والاقتــصادية، ويُعلِّــق أحــد الكُتَّــاب الــسومريين علــى الفوضــى في عهــد الكــوتيين بــالقول "لم يَعُــد أحــد يعــرف الملــك مــن غــير الملــك"[1]، ويوصــف الكوتيــون في الكتابــات الــسومرية بوحــوش الجبــال الــذين نقلــوا ملكيــة ســومر إلى الأجــنبي وبــأنهم الــشعب الجبلــي الــذي لا يخــضع، وإنَّ أرضــهم لــيس لأهلــها عــدد لكثــرتهم، لكــن الكــوتيين في نهايــة عهــدهم اســتطاعوا التــأقلم مــع الــسكان واكتــسبوا مــنهم مبــادئ الكتابــة الــسومرية والأكديــة والخــط المــسماري وبعــض العبــادات مثــل عبــادة الإلــه ســين وعــشتار، كمــا تَــسَمَّى بعــض ملــوكهم بالأسماء السامية مثل كوروم وخابيل كين وبوزور وغيرهم.

إنَّ اســم كــوتي أو جــوتي Guti باللغــات الهنــدو- أوربيــة ومنهــا الكرديــة هــو Gurti كــورتي، بحــذف حــرف الــراء بعــد حــرف العلــة u[2]، ومعنــى اســم كــوتي أو جــوتي هــو الفــارس أو المحــارب، ولا تــزال هــذه الكلمــة (جتــا) تطلق إلى اليوم على المقاتلين الأكراد[3].

---

[1]: د. حسن محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج٢ ص٨٥.

[2]: أرشاك سافريستيان، الكرد وكردستان، ترجمة د. أحمد الخليل ص٢١.

[3]: يتم إخراج هذه الكلمة عن معناها الحقيقي أحياناً لتعني قطّاع طرق.

ويرد اسم الكوتيين في سجلات مملكة ماري التي قامت في حوض الفرات (تل الحريري حالياً) للمدة (١٨٢٠–١٧٦٠ ق.م. تقريباً) واشتهر من ملوكها ماري زيمري ليم (١٧٧٨–١٧٦١ ق.م.) المعاصر لحمورابي البابلي وصديقه الحميم في البداية حيث كان لكل منهما مبعوثاً لدى الآخر، وتخبرنا هذه السجلات بأنَّ الكوتيين بقي لهم تأثير عسكري قوي في مناطقهم فيما بعد، ففي عهد زيمري ليم كان للكوتيين مملكة في الشمال الشرقي للعراق الحالي تحكمها ملكة تُسَمَّى (سيدة ناوار)، وكان لها جيش قوي يضم آلاف المقاتلين وقد تحالفت مع مملكة أشنونا التي كانت تمتد من شمال بغداد إلى ديالى، والمرجح أنه نسبة إليها ورد اسم الأكراد أحياناً "نايري"، كما كانت هناك إمارة كردية أخرى في حوض الخابور باسم إمارة كوردا يحكمها ملك اسمه حمورابي، وكانت تقع في ميزوبوتاميا العليا شمال سنجار ومملكة ماري وتُسَمَّى بالأراضي العلوية[1]، وقد دخلت هذه الإمارة الكردية في نزاع مع جيرانها الجنوبيين وهي إمارة اليمينيين وملكها قارني ليم، وكانت هذه الإمارة تقع جنوب مدينة سنجار إلى حدود مدينة هيت ودير الزور، وكان لزيمري ليم ملك ماري تأثير قوي على هاتين الإمارتين، ويفيد أحد خطابات أتباع الملك زيمري ليم واسمه ياركاب – أدد، أنَّ نزاعاً نشأ بين حمورابي ملك كوردا وقارني ليم ملك اليمينيين، وأنَّ زيمري ليم تدخل كوسيط لحل النزاع بينهما وتكللت وساطته بنجاح، وكان حمورابي ملك كوردا في البداية حليفاً لمملكة أشنونا ضد حمورابي البابلي وحليفه زيمري ليم،

---

[1]: هناك ثلاثة ملوك باسم حمورابي هم: حمورابي البابلي، حمورابي ملك حلب، وحمورابي ملك كوردا.

لكن بعد هزيمة أشنونا على يد حمورابي البابلي سنة ١٧٥٩ ق.م.، أصبح حمورابي ملك كوردا حليفاً لحمورابي ملك بابل، وصار يوفد كل منهما الرسل للآخر، جاء ذلك في خطاب موجه من "إيبال بي ايل"، مبعوث زيمري ليم إلى حمورابي ملك بابل يقول فيه مخاطباً سيده زيمري ليم: إنَّ حمورابي ملك كوردا قد تحالف معنا، ولديه قوات عسكرية جيدة التدريب، لذلك فإنه سيذهب إلى أرض الكورد لتفقد معسكرات الجيش الكردي الحليف[1].

في عصر الكاشيين لعب الأكراد نفس دور الكوتيين، فانحدروا من منطقة لورستان في جبال زاغروس وحكموا سلالة بابل الثالثة التي تُسَمَّى العصر الكاشي (١٥٩٥–١١٦٢ ق.م.)، ويجب أن نشير إلى أنَّ الطبقة الحاكمة للكاشيين فقط كانوا من الأكراد، أمَّا الكاشيون فكانوا من الأسيانيين من نسل كوش بن حام بن نوح، وأنَّ الطبقة الحاكمة للكاشيين (الأكراد) اندمجت مع أغلب الكاشيين، كما حصل مع الكوتيين في نهاية حكمهم، وكان الملوك الآشوريون وحكام الكاشيين الأكراد متعادلين في القوة، لذلك فقد تميز الحكام الكاشيون عموماً بعلاقات حسنة مع الملوك الآشوريين وعقدوا معهم عدة اتفاقيات، منها اتفاقية الملك الكاشي بورنابوريش مع الملك الآشوري بوزو آشور، واتفاقية بين الملك الكاشي كرانداش والملك الآشوري آشور بيل نشيشو سنة ١٤٣٠ ق.م. تقريباً، وقد أسس الملوك الكاشيون عاصمة جديدة لهم في عقرقوف قرب بغداد الحالية وسَمَّوها "كوريكالزو"، والمُرجَّح أنَّ اسم عقرقوف آرامي معناه موضع قضبان الخشب، واستناداً

[1]: محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم ص ٦٤–٦٥.

إلى التنقيبات الأثرية التي أُجريت بين سنتي (١٩٤٣-١٩٤٦م) والتي أشرف عليها الأستاذ طه باقر، فإنَّ الصور الآدمية التي عثر عليها كانت شبيهة باللباس الإيراني وهو نفس اللباس الكردي[1]، وإنَّ اسم اللّه عند الكاشيين كان (خودا) وهي كلمة كردية.

لعب الأكراد الميديين دوراً مهماً في التعاون مع الكلدان الآراميين بقيادة نبوبلاصر حيث تزوج نبوخذ نصر بن نبوبلاصر من ابنة ملك الميديين كيخاسر وتحالفا معاً في إسقاط الدولة الآشورية سنة ٦١٢ ق.م. ويعتقد أنَّ قبيلة الكرد الفيلية تنتمي إلى هؤلاء الماديين الذين كانوا يُسمَّون في إيران باللور وإقليمهم لورستان.

أوضح اسم اقترن بالأكراد وكردستان في التاريخ هو الكردوخيون الذين تكلم عنهم زينفون في حملته على بلاد فارس سنة ٤٠٠ ق. م، ويذهب قسم من الباحثين إلى أنَّ الأكراد الكوتيين هم أجداد الكردوخيون الذين أعاقوا انسحاب جيش زينفون في حملته على المنطقة، لكن آخرين مثل نولدكه وهارتمان وويسباغ، يرون أنَّ الكردوخيين هم أجداد الجورجيين وأنَّ اسمهم يعني "قوياً كالبطل"، ولا يستبعد العلاَّمة ليهمان (١٨٦٢-١٩٣٠م) أن يكون للكردوخيين صلة قوية بالأكراد بالرغم من أنهم أجداد الجورجيين.

إنني أرى أنه بغض النظر سواء كان الكردوخيون أجداد الجورجيين فقط أم أنهم أجداد الأكراد أيضاً، أو إن كان هناك صلة عرقية للكردوخيين بالأكراد أم لا، فإنَّ زينفون عندما أطلق كلمة الكردوخيون، أطلقها على سكان شمال العراق الحالي، وهم الأكراد

---

[1]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص٤٥٦، ٤٥٢.

الحاليون، وسَمَّى بقية الشعوب والأعراق بأسمائهم كالفرس والأرمن واليونان وغيرهم[1].

إنَّ كلمة كرد من وجهة نظري وصفية أُطلقت منذ عهد الكوتيين والكاشيين على القبائل التي سكنت منطقة شمال العراق وإيران وآسيا الصغرى، كما أرى أنَّ كلمة (كرد) مرتبطة بالفروسية وتحديداً بالخيل وتعني (الخيَّالة أو الفارس).

ويرى جمهور المؤرخين أنَّ استعمال الخيل في جنوب العراق مصدره الحوريين والحثيين في الشمال، ومعنى كبادوكية (قباذق التركية حالياً) هي أرض الخيول، وقد أُطلق على الخيول بالسومرية اسم أنشو-كرا، أي الفرس الأجنبي أو حمار الجبل، وكلمة كرا بالكردية هي حمار أو فَرس[2]، لذلك فإنَّ الطبقة الحاكمة للكاشيين (الأكراد) هم الذين نقلوا استعمال الخيل من الشمال إلى وسط وجنوب بلاد الرافدين، كما أطلق ملوك الكاشيين على بلاد بابل التي حكموها اسم "كاردنياش"، ويقول الأستاذ طه باقر إنَّ معنى الاسم هو بلاد دنياش، لكنني أجد احتمال أن يكون الاسم آرامياً ومعناه (الناس الخيَّالة أو الشعب الخيَّال) ويُقصد بهم الأكراد.

أمَّا بالنسبة للمؤرخ زينفون وبسبب كونه قائداً عسكرياً لم يكن همه التحقق من عرق الأقوام أو تاريخها، بل ذكر الأسماء التي كانت موجودة أو قريبة من عصره، وذكر أغلب الأقوام إما نسبة إلى اسمها الجغرافي مثل اليونانيين والأثينيين والكرتيين والأرمن وغيرهم، أو إلى

---

[1]: راجع زينفون، حملة العشرة لآلاف ص ١٦٦-١٨٢، ١٦٧.

[2]: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص ٤٥٤.

مهمة القوم العسكرية في القتال كالمشاة والخيّالة والفرسان ورماة السهام والنبال وغيرها، فذكر زينفون بوضوح الأكراد ومنطقة سكنهم كردستان، وذكر أيضاً دولة مادي التي كانت قد أصبحت تحت حكم الفرس أيام حملته وأنَّ سكانها القدماء هم الماديون، ومنهم سكان الموصل ونمرود[1].

بدأ اسم الكرد أو كردان يظهر فيما بعد في الوثائق البهلوية، ويذكر أرتحشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية سنة ٢٢٦م، أنَّ ملك الكرد ماديك كان من بين خصومه[2]، وفي القرن السادس وقبل ظهور الإسلام استطاعت قبيلة كوران أن تقيم إمارة كردية بزعامة "كواتانزة"، امتدت إلى تبريز وكرمنشاه[3].

يتفق أغلب الباحثين على أنَّ ديانة الأكراد القديمة كانت الزرادشتية، وبعد دخول المسيحية، اعتنق قسم من الأكراد المسيحية، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب غزا القائد المسلم عياض بن غنم إقليم كردستان وفتحه سنة ٦٤٠م، لكن هذه الحملة لم تتمكن من تنفيذ هدفها بشكل كامل، مما جعل الخليفة عثمان بن عفان أنَّ ينظِّم سنة ٦٤٣م حملتين عسكريتين جديدتين من أجل إخضاع كردستان كلياً، الأولى بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري، والثانية بقيادة سلمان بن ربيعة الباهري، فاعتنق أغلب الأكراد الدين الإسلامي، ومنذ اعتناقهم الإسلام أصبح تاريخ الأكراد واضحاً جداً.

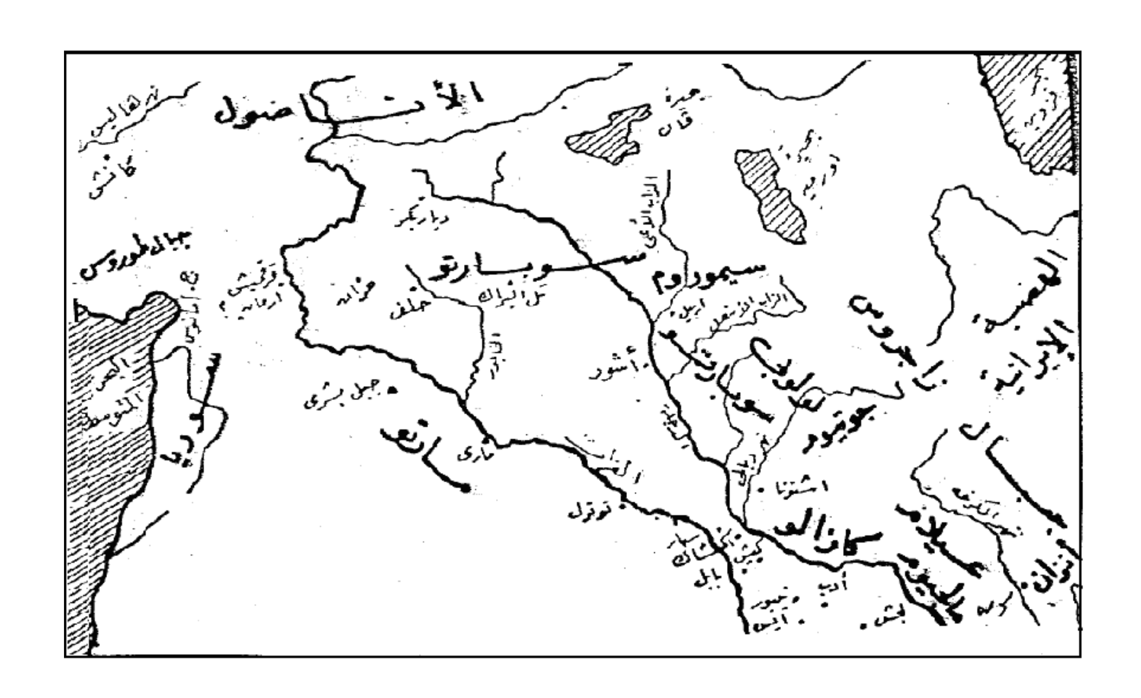
---

[1]: راجع زينفون، حملة العشرة آلاف وخاصةً مناطق شمال العراق ص١٤١–١٨١.

[2]: أرشاك سافرستيان، الكرد وكردستان، ترجمة د. أحمد الخليل ص٢٠.

[3]: د. وليد الأحمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية ص١٥.

خلاصة القول في الأكراد: إنهم عرقياً شعب ينتسب إلى مادي بن يافث بن نوح، وقسم منهم هم أحفاد السوبارتيين القدماء، وإنَّ أغلب العلماء الذين بحثوا في تاريخ الأكراد اتفقوا على كون الأكراد هم سكان ميديا شمال العراق وبلاد فارس القدماء لكنهم اختلفوا على مصدر التسمية (كرد)، وظهر اسم الكرد أو الكورد منذ عهد الكوتيين، وهو اسم صفة معناها المحارب أو الفارس وتحديداً (الخَيَّال)، وكانوا يدينون بالديانات القديمة، ثم دانوا الزرادشتية قبل أن يعتنقوا الإسلام، ولغتهم الحالية منحدرة من اللغة الفارسية التي تنحدر أصلاً من السنسكريتية اليافثية.



مناطق الأكراد التاريخية القديمة

السريان

الاسم الحقيقي للآراميين والآشوريين والكلدان

أو

الاسم السرياني لكلدو آشور الآرامي

من يتتبع مجريات التاريخ يرى دولاً كثيرة بأسماء عديدة قامت في المنطقة وسكنتها شعوب وأقوام مختلفة، وبعد أنَّ رأينا أصل التسميات المختلفة للشعب المسيحي السرياني في منطقة آسيا بصورة عامة والعراق بصورة خاصة وأنَّ التسميتين الآشورية والكلدانية موجودتان ومتداولتان في العراق أكثر من غيره، يطرح السؤال: أي التسميات هي المناسبة للسريان والكلدان والآشوريين والآراميين؟، وقبل الإجابة عن هذا السؤال نقول كما قلنا في مقدمة كتابنا:

من حق أي طائفة أو فرد أنَّ يتخذ الاسم القومي الذي يرغبه ويرتئيهِ، وهذا حق طبيعي لأي طائفة أو شخص، وليس من حق الآخرين الاعتراض عليه إذا كانت تلك الطائفة قد أُعجبت بالاسم فقط، أو أنها اتخذت من أحد الأسماء التاريخية اسماً لها، أمَّا إذا كانت الطائفة قد اتخذت اسماً معيناً كالآشوريين أو الكلدان أو غيره، ثم حاولت ربط الاسم تاريخياً مع اسم حضارة أو دولة قديمة، أو ربط الاسم عرقياً مع شعب قديم، في هذه الحالة من حق الآخر أن يعترض،و من حق الباحث ورجل التاريخ أن يُفنِّد، خاصةً إذا كانت تلك الطائفة قد أتخذت اسماً معيناً ثم حاولت فرضه على الآخرين، نعم من حق الآخر أن يُقلِّب صفحات التاريخ ليصل إلى الحقيقة ويبرزها، لأنَّ التاريخ ليس ملكاً لطائفة أو شخص معين، بل ملك البشرية جمعاء.

لقد بَيَّنّا أنَّ السريان الشرقيين اتخذوا اسمين جديدين هما الكلدان والآشوريون، ثم اخترعوا اسماً جديداً مُركَّباً ثالثاً هو كلدو آشور، وبعد سنة ٢٠٠٣م اخترعوا اسماً جديداً مُركَّباً رابعاً هو كلدو، آشور، سريان، ولا نعلم إن كان هذا الاسم سوف يطول أكثر في المستقبل، لأنَّ هناك عدة جماعات مسيحيه أصبحت اليوم إنجيلية (بروتستانتية)، وإذا كانت الكنائس التقليدية المرتبطة بمرجعية دينية كالكاثوليك والأرثوذكس والنساطرة تحتاج إلى موافقة أو مناقشة أو دراسة من المرجعية، فإنَّ الكنائس الإنجيلية تستطيع بكل بساطة أن تُسَمِّي نفسها بأي اسم تختاره دون أخذ موافقة من أحد، أي بمجرد اتفاق عدة أشخاص أو كاهن معين، وإذا اختارت إحدى هذه الجماعات اسم إحدى الحضارات القديمة للعراق مثل كنيسة السومريين وأخرى الأكديين، فإنَّ الاسم سوف يطول أكثر ليصبح كلدو آشور سريان سومر أكد، وهلم جرا، ناهيك عن السريان الملكيين (الروم) واللاتين وغيرهم الموجودين أيضاً على أرض الواقع، هم دون شك سريان ينتمون إلى نفس الشعب المسيحي تاريخياً، لكن بسبب الانقسامات الكنسية تسَمَّوا بذلك.

نعود للإجابة عن السؤال وهو: أي التسميات هي المناسبة للسريان والكلدان والآشوريين والآراميين والروم وغيرهم؟، ونجيب باختصار:

إنني أساساً لا أرى صحة في البحث عن اسم موحد، لأنَّ الاسم الموحد موجود أصلاً، وإنَّ ما يصح قوله عن هذا الموضوع هو المثل العربي القائل: "أُفتش على العقال، والعقال موجود على رأسي"، وهذا الاسم الموحد الموجود أصلاً هو الاسم السرياني، وليس في هذا الاسم أية إشارة لغزوات

عسكرية أو ملامح لكبرياء وقسوة، كما ليس لهذا الاسم ارتباط بتقاليد سيئة كالسحر أو التنجيم وغيرها، بل على العكس فحيث ما ذُكر السريان ذكرت الترجمة، التأليف، الطب، العلوم، وغيرها، وأينما حلَّ السريان حَلَّت المعرفة، وحيثما غاب السريان حَلَّ الظلام، وبالاسم السرياني لا بغيره عُرفوا واحترموا ولا زالوا بين الشعوب، فنشروا الإيمان المسيحي واللغة وفتحوا المدارس، وترجموا الكتب العلمية والفلسفية وملأت كتاباتهم ومخطوطاتهم أمهات الكتب والمكتبات والمتاحف العالمية، وشكلوا إمبراطورية ثقافية واسعة الأطراف امتدت من أرمينيا والأناضول شمالاً إلى الجزيرة العربية جنوباً، ومن جنادل النيل وقبرص غرباً إلى الهند والصين شرقاً، بدون أن يكون لهم دولة أو كيان سياسي أو قائد عسكري أرضي يساندهم.

الحقيقة، لقد أعجبني سؤالان مهمان وردا في هذا الكتاب بخصوص السريان ولغتهم الآرامية (السريانية).

الأول للباحث خزعل الماجدي، وهو: ويثير فينا المشهد الروحي لانتشار اللغة السريانية واستعمالها سؤالاً هاماً وخطيراً سنعلّقه في ذمة التاريخ لتجيب عليه الأجيال القادمة هو: ما سر هذه اللغة؟، وما سر هذا النبض الروحي العميق في داخلها؟.

والثاني للأب ألبير أبونا، وهو: أودُّ أن أطرح سؤالاً قد يكون خطيراً في الظروف الراهنة وهو: ألا يكون هؤلاء الناس من أجدادنا الذين خلّفوا لنا

هـــذه اللغـــة الـــتي طغـــت علـــى اللغـــة الآشـــورية نفـــسها، وتَبنَّاهـــا الآشـــوريون أنفسهم وغيرهم، ألا تكون هذه من مكونات القومية الحقيقية[1].

وأنا بدوري أوجه سؤلاً ثالثاً قد يكون أخطر من السؤالين السابقين وهو:

كيـــف اســـتطاع الـــسريان وخـــلال ألفـــي ســـنة الحـــصول علـــى هـــذه المكانـــة المحترمة في التاريخ بدون مساندة من قوة أرضية ناسوتية؟.

لقـــد برهنـــا في كتابنـــا هـــذا أنَّ الآشـــوريين والكلـــدان هـــم ســـريان، ونختـــصر ذلـــك بمـــا يقولـــه القـــس نـــصري بطـــرس الكلـــداني: إنَّ جميـــع مـــسيحي المنطقـــة قبـــل الانـــشقاقات كـــان اسمهـــم ســـرياناً[2]، والـــدليل هـــو أنَّ النساطرة والكلدان، يدعون أنفسهم إلى اليوم سريان (**ܣܘܪܝܝܐ**).

أمَّـا لمـاذا لا يتفـق الجميـع علـى الاسـم الـسرياني الموحـد؟، فهـذا هـو الـسؤال الأكثـر أهميـة، وللإجابـة عـن هـذا الـسؤال المهـم نقـول: إن طبيعـة العقليـة الـشرقية هـي الـسبب في عـدم الاتفـاق، ودراسـة هـذه العقليـة هـي الكفيلـة بالإجابة على هذا السؤال المهم.

---

[1]: ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ ص٥.

[2]: ذخيرة الأذهان في تواريخ المغاربة والمشارقة السريان ج١ ص ٢٩–٣٠.

طبيعة العقلية الشرقية

العقلية الشرقية كغيرها من عقليات الشعوب الأخرى لها ميزاتها الايجابية وسلبياتها، وقد تَطرَّق الكثير من الكُتَّاب وعلماء الاجتماع لطبيعة العقلية العربية الشرقية، وبما أنَّ مسيحيي هذه المنطقة هم أيضاً شرقيو الثقافة بغض النظر عن دينهم أو عرقهم، فإنهم يحملون نفس سمات هذه الثقافة، ولنقتصر على ما يخص موضوعنا من وصف العقلية الشرقية من وجهة نظرنا وكما ورد بعضها في كتب اليونان والرومان والفرس والهنود مثل، هيرودوتس، لامانس، المستشرق دي لاسي أوليري، براون أولري، ابن خلدون، الجاحظ، حافظ وهبة، كارل بروكلمان، أحمد أمين، علي الوردي، وغيرهم، ثم بعد ذلك نُعلِّق على الموضوع:

١: الشرقي: كائن فردي النزعة، عصبي المزاج، سريع الغضب، صبره محدود، يهيج للشيء التافه، وإذا هاج بسبب جرح كرامته فإنه يسرع إلى السيف ويحتكم إليه لأنَّ الكرامة والحرية عنده مقدستان، والشرقي يعشق الحرية بشكل كبير ولا يحب التقيد بنظرية محدودة أو أوامر من أحد، لذلك فالشرقيون أصعب الأمم انقياداً لرئيس أو حاكم، ولا يدينون بالطاعة له إلاَّ بالقوة، ولا يستسلمون إلاَّ بعد شعورهم بالضعف وعدم قابليتهم للمقاومة، والشرقي مع بؤس حاله يفتخر بنفسه ويتطاول على غيره وينزل نفسه دائماً فوق مراتب الناس، وكل شخص منهم يحب السيطرة والرئاسة لنفسه دائماً، فالشرقيون يريدون أن يكونوا كلهم ملوكاً، وأغلب أمثالهم تدل على ذلك منها، مَن مَلكَ استأثر، حبذا الإمارة ولو على حجارة، من عزَّ، بزَّ...إلخ، والشرقيون شديدو التذمر ضد الرئاسة سواء كانت دنيوية أم دينية، محبون للانقسام ومتقبلون لأية

فكـــرة تـــساعدهم علـــى الانقـــسام، وصـــعوبة انقيـــادهم وعـــدم خـــضوعهم للسلطة هـو الـذي يحـول بيـنهم وبـين سـيرهم في سـبيل التقـدم، وكـل شـخص مـــسؤول أو في موقـــع الرئاســـة علـــيهم ســـواء كانـــت دنيويـــة أم دينيـــة ولا زال علـــى قيـــد الحيـــاة هـــو موضـــع انتقـــاد مـــن قِبلـــهم، ولا يكفـــون عـــن انتقـــاده وعـــرض ســـلبياته، ولكـــن بمجـــرد مـــوت الـــشخص المـــسؤول، يتحـــول عنـــدهم إلى شـبه مـلاك أو قـديس لا يكلُّـون عـن مدحـه والثنـاء عليـه والترحـم علـى أيامـه جريـاً علـى مقولـة "اذكـروا محاسـن موتـاكم"، لدرجـة أنَّ الكـثير مـن الـشرقيين يرثـون المتـوفى بأجمـل القـصائد، بعـدما كـان الراثـي نفـسه مـن أشد الناقدين للمتوفى عندما كان حياً.

٢: الـــشرقي: يعتـــز بالماضـــي كـــثيراً ويتمـــسك بعاداتـــه وتقاليـــده، لا يـــؤمن بالتقـــدم والارتقـــاء، ولا يحـــب التجديـــد والتطـــور حتـــى وإن كـــان ذلـــك لمصلحته، وقلمـا يرسـم لـه خيالـه عيـشة خـير مـن عيـشته لأنـه يريـد أن يعـيش كمـا عـاش آبـاؤه وأجـداده، ولا يفكـر في تحـسين وضـعه وتغـيير حالـه إلاَّ إذا شـعر بـأنَّ هـذا الـتغير سـيأتيه بنفـع وربـح مـادي وبـشرط ألاَّ يتعـارض التغـيير مـع عرفـه تقاليـده، فهـو إن انحـرف عنهـا، عَـرَّضَ نفـسه وكيانـه وتقاليـده للـهلاك، وحجتـه أنَّ التطـور والتجديـد لا يتفقـان وسـنة الآبـاء والأجـداد، ومنطقـه في ذلـك القـول: "حـسبنا مـا وجـدنا عليـه آباءنـا"، أو أنـه يتقبـل التغـيير إذا أُكـره عليـه وعندئـذ يتقبـل أمـر الواقـع مستـسلماً، ويبـدأ يحـن إلى الماضـي والأطـلال لدرجـة أنـه يبكـي عليهـا أحيانـاً، فهـو لا يفكـر في الحاضـر والواقـع أو ينظـر إلى المـستقبل لأنـه فاشـل في الحاضـر ولا يملـك شـيئاً، لـذلك فهـو يعتقـد أنَّ الحـل هـو في الماضـي فقـط، وأكثـر الأحيـان يـستعمل كلمـات مثـل (لـو) و (إذا) و (لكـن)....إلخ، لمناقـشة مـشكلته الحاضـرة، وغالبـاً مـا

ينسب الأخطاء والمشاكل الحالية إلى الرئيس أو المسؤول الدنيوي أو الديني الحالي، ويعتقد أنَّ الرئيس الذي قبله لو كان حياً لما حصلت هذه المشكلة، ناسياً أنَّ المشكلة ربما هي من مخلفات الرئيس السابق أصلاً وابتلى بها الرئيس الحالي، وهو يعتقد أنَّ كل الماضي كان مقدساً، وكل الناس الذين عاشوا في الماضي كانوا مؤمنين أكثر من الوقت الحاضر، مستعملين مقولات مثل "الناس في الماضي كانوا مؤمنين وعلى نِيَّاتهم"، ناسياً أنَّ المستقبل يصنعه الأحفاد،وليس الأجداد، وحتى عندما يغش الطالب الشرقي في الامتحان،فإنه غالباً ما ينظر إلى الطالب الذي يجلس خلفه أكثر من الجالس أمامه،والشرقي يعتز بالماضي حتى ولو كان سيئاً أو غير منطقي، ودائماً يحاول أن يبرر أخطاءه الماضية، وطريقته في ذلك مقارنة أخطائه بأخطاء غيره، لذلك فإنَّ أخطاءه ليست أخطاء، بل هي صحية.

يقول المؤرخ جيمس برستد: إنَّ اعتماد الشرقيين على الماضي ومحافظتهم عليه كان علة تأخرهم[1].

نستطيع مما تقدم أن نُميِّز نقطتين في طبيعة العقلية الشرقية، الأولى هي: إن الشرقي عموماً ميال إلى التذمر والانقسام، وإلاَّ فما الذي يجعل أفكار نسطور لا تُقبل في مهدها القسطنطينية وتقفز وتُقبل في بلاد الرافدين بشكل كبير.

يقول الرحَّالة جيمس بكنكهام الذي زار العراق سنة ١٨١٦م: لم أرَ في الاختلافات العقائدية بين الطوائف المسيحية ما يرضيني، ويبدو أنَّ

---

[1]: جيمس برستد، العصور القديمة ص١٨٥.

الأطفال يسيرون على خطى آبائهم، وليس فيهم من يتعب نفسه في معرفة العقيدة التي يؤمن بها جاره، لأنهم يعتقدون أنَّ الخلاف القائم في عقائدهم لا مجال للمصالحة فيه، لذلك فهم لا يحاولون التوفيق بين هذه العقائد وتوحيدها[1].

النقطة الثانية هي: الشرقي يعتز بالماضي كثيراً، وما يهمنا حول هذا الموضوع هو أنَّ سكان الهلال الخصيب من الآشوريين والكلدان بالذات يفرطون بالاعتزاز بالماضي حتى لو كان سيئاً.

يقول المطران الكلداني الأثوري أدِّي شير معتزاً بالآشوريين والكلدان: إنَّ الأمة ألأثورية أو الكلدانية كانت من أشد الأمم بأساً وأكثرهم قوة وعصبية، وكانت ميالة إلى الحرب والقتال، وكان لا بد لهم أنَّ يباشروا غزوة في كل ربيع، وملوكهم اشتهروا بقسوة القلب والمعاملة الوحشية نحو العدو المغلوب، إذ كان أكثرهم يأمر بسلخ أجسام الأسرى أو بصلبهم أو بقلع عيونهم، ويفتخرون بذلك مُدَّعين أنهم إنما يعملون هذا بأمر آلهتهم، وقد عَثَرَ المسيو دي مرغان على تمثالاً يمثل بعض ملوك أثور وهو يسحب وراءه أسيراً بحبل مُعلَّق بعنقه، وتحت قدميه جثث من الأسرى يدوسها برجليه، وكذلك فقد ذكر الملك آشور بانيبال في إحدى كتاباته كيف تعامل مع أحد ملوك العرب قائلاً: إنني ثقبت فمه بمديتي (خنجر أو سكين) التي أقطع بها اللحم، ثم جعلت من شفته العليا حلقةً، وعلّقتها بسلسلة كما أفعل بكلاب الصيد[2].

---

[1]: الأب سهيل قاشا، الموصل في العهد الجليلي ص ٤٤٦.

[2]: أدِّي شير، تاريخ كلدو و آشور ج١ ص ٩–١٠.

ثم يحاول المطران أدّي شير أن يبرر تلك الخشونة وقسوة القلب والمعاملة الوحشية بالقول: إنَّ المصريين الفراعنة والاسبارطيين أيضاً كانوا يفعلون ذلك مع أعدائهم.

لكننا لو قابلنا هذا الاعتزاز مع المصريين الذين هم شرقيون أيضاً وينتمون لحضارة الفراعنة، لوجدنا الآشوريين والكلدان يعتزون بالماضي بسيئاته، فوصف المصري بالفرعون هو انتقاد يرفضه المصري رغم اعتزازه بحضارة الفراعنة كحضارة تاريخية، بينما لا نجد الآشوريين والكلدان يُعيرون أهمية لما علِق بالحضارتين الآشورية والكلدانية من سمات سيئة كما مر بنا، وكذا الحال بالنسبة للمدة التي سيطر فيها الاسبارطيون على الحكم في اليونان، فاليونان يَعَدُّون الاسبارطيين سيئيِّ الأخلاق، وأنَّ حقبة حكمهم كانت مظلمة أبعدت اليونانيين عن العيش بسلام وديمقراطية، كما أبعدتهم عن العلم والأدب والفلسفة والفن وغيرها، وضيعت ما كسبته اليونان من مكانة سابقاً.

يقول ول ديورانت: لقد استحوذت النزعة العسكرية على اسبارطة وجعلتها سوط عذاب لجيرانها، بعد أن كانت لها مكانة محترمة، وعندما سقطت، ما من أمة حزنت عليها، ولا نكاد نجد اليوم بين الأنقاض القليلة الباقية منها نقشاً أو عموداً واحداً ملقى على الأرض يعلن للعالم أنَّ اليونان كانوا في يوم من الأيام يسكنون في هذا المكان[1].

من ناحية أخرى لا يلتفت الآشوريون والكلدان ليلاحظوا أنَّ الكثير من الحضارات العظيمة في التاريخ، تركت اسمها القديم واختارت اسماً

---

[1]: ول ديورانت، قصة الحضارة ج٦ ص ١٦٤.

جديداً، فها هي وريثة الحضارة الرومانية العظيمة تُسَمَّى اليوم "إيطاليا"، وبلاد الغالُ تُسَمَّى "فرنسا"، وغيرها، وما أكثر البلدان في العالم التي أسماؤها حديثة ولا ترتبط بالماضي، بل أعظم دول العالم اليوم لا تمتلك ماضياً مهماً أصلاً مثل أمريكا واستراليا وغيرهما، أي ليس بالضرورة لشعب ما لكي ينهض أن يكون اسمه مرتبطاً باسم قديم، خاصةً إذا كان هذا الاسم القديم موضع خلاف بين أكثر من طرف، ثم ما المانع أن يكون الاسم السرياني هو الاسم الديني والقومي لهم، أليست الهند هي من هذا النوع من الأسماء؟، وكم من شعب نهض وعاش باسم لا يرتبط بالقديم، فالمهم الحاضر والواقع.

هناك مسألة أخرى في غاية الأهمية وهي: أغلب شعوب العالم تُسَمَّى نسبة إلى لغتها، ويتفق جميع الفلاسفة وعلماء الاجتماع والأجناس (الأثنولوجيا) وغيرهم، على أنَّ اللغة التي تكلمت بها الشعوب وعَبَّرت بها عن ثقافتها وتاريخها عبر العصور، هي أهم أركان القومية، والشعب أو الأمة، هم أناس قد يختلفون في الجنس والعرق والموطن الأصلي لكنهم ممتزجون في وحدة لغوية جغرافية متجانسة، فلا وجود لأمة ولا حياة لها بدون لغة، ولغة السريان والآشوريين والكلدان وغيرهم من مسيحيِّي آسيا، هي السريانية، لا غيرها، وهي التي تكلموا بها عبر آلاف السنين، وهذه اللغة هي أصلية غير مستوردة، أي أنها ليست لغة مُستَعمِر أو مُكتَشِف، بل إنه لأمر نادر جداً إن لم نقل إنه الوحيد في التاريخ، هو أن يفرض المحكوم لغته على الحاكم، فمن المعروف أنَّ المستعمرين والمكتشفين فرضوا لغتهم على البلاد التي احتلوها أو اكتشفوها، لكن

أن يفرض المحكوم لغته على الحاكم، فذلك لم يحدث إلاّ مع الآراميين السريان الذين فرضوا لغتهم على من احتلهم.

يقول المطران صليبا شمعون، إنَّ نجم الآراميين لئن أفل وانتهت حياتهم السياسية في جنوب العراق، إلاّ أنهم تركوا لغتهم السريانية حية مزدهرة غنية، فاستخدمت لشتى الأغراض حتى غدت لغة رسمية للإمبراطورية الفارسية ولاسيما في عهد داريوس الكبير (٥٢١–٤٨٥م)، حيث اضطر الملوك الفرس لتعلمها للتفاهم مع عامة الشعب[١].

تقول المستشرقة الروسية نينا بيغو لفسكايا: لقد أسهم السريان إسهاماً عظيماً في العلوم العالمية، ومن المدهش حقاً كيف تمكن السريان من إقامة علاقات مع مناطق واسعة نائية ومتباعدة في آسيا، حيث توجد شواهد كتابية في أصقاع القارة، ولقد أصبحت العلاقات السريانية عالمية ليس بشكل ثقافة مادية فحسب، وإنما بشكل شواهد وآثار كثيرة مكتوبة بالسريانية تعود إلى مرحلة ما قبل القرن الرابع الميلادي، وقد عثر على قسم منها في الأراضي الفرنسية، ووجدت كتابات مكتوبة بالسريانية إلى جانب التركية والصينية، فكانت اللغة السريانية على مدى عدة قرون لغة دولية (عالمية) في بلدان المشرق، وبها كتبوا المؤلفات اللاهوتية وترجموا شتى العلوم ابتداءً من أرسطو طاليس وصولاً إلى كليلة ودمنة، ولم يقتصر استعمالها على السريان وحدهم بل شمل جيرانهم الفرس والبيزنطيين في القسطنطينية وعرب حميَّر في اليمن وبلاد النوبة والحبشة البعيدتين وتركستان والقوقاز والهند والصين[٢].

---

[1]: المطران صليبا شمعون، الممالك الآرامية ص ١٣٨.

[2]: نينا بيغولفسكايا، ثقافة السريان في العصور الوسطى ص٤٥–٥٥.

يقول المطران اسحق ساكا: إنَّ اللغة والفكر لدى كل الشعوب وفي كل زمان ومكان يشكلان مقياساً لحضارات الشعوب والأمم.

لذلك فإنَّ الاسم السرياني هو الصحيح للآراميين والآشوريين والكلدان وكل مسيحيِّي الشرق الأوسط، وكل قديم من آرامي وآشوري وكلداني ويهودي ومجوسي ووثني وغيره، عندما غَطسَ في جرن المعمودية المسيحي، خَرجَ منه سريانياً جديداً ناصعاً، وبسبب الالتفاف والاعتزاز بالاسم السرياني، فقد استطاع السريان الأرثوذكس لوحدهم وخلال الأربعين سنة الأخيرة فقط من بناء كنائس وأديرة ومؤسسات سريانية في بلاد المهجر تعادل تقريباً نصف ما شَيَّدهُ مسيحيِّو الشرق الأوسط خلال مدة ألفي سنة، ففي أوربا وحدها شَيَّد السريان الأرثوذكس منذ سبعينيات القرن العشرين أكثر من ستين كنيسة وثلاثة أديرة وعشرات المدارس والمؤسسات السريانية.

في المدة الأخيرة بدأت بعض الكنائس السريانية ورعاياها العودة إلى الاسم الأصلي مثل الكنيسة المارونية التي أصبحت تُسَمِّي نفسها "الكنيسة السريانية المارونية"، أمَّا كنيسة الروم الملكية فإنها بدأت تخلع عنها اسم الروم الملكية وتُسَمِّي نفسها "كنيسة أنطاكية"، وهي خطوة أولى في الاتجاه الصحيح ستليها حتماً خطوة ثانية وهي العودة إلى اسمها السرياني الأصيل.

الملحق

سلسلة بطاركة وجثالقة (مفارنة) الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية
وجثالقة (بطاركة) الكنيستين السريانيتين الشرقيتين (النسطورية الآشورية والكلدانية)

سلسلة بطاركة الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية

١ : الرسول بطرس الأول (٣٧–٦٧)

٢ : أفوديوس (٦٧–٦٨)

٣ : إغناطيوس النوراني (٦٨–١٠٧)[١]

٤ : أيرون أو هيرون (١٠٧–١٢٧)

٥ : قورنيليوس أو كورنيليوس (١٢٧–١٥٤)

٦ : أيروس (١٥٤–١٦٩)

٧ : ثافيلوس (١٦٩–١٨٢)[٢]

٨ : مكسيمينس أو مكسيومس (١٨٢–١٩١)

٩ : سيرابيون أو سيرافيون (١٩١–٢١١)

١٠ : أسكلبيادس أو اسقلفياديس المعترف (٢١١–٢٢٠)

١١ : فيليتيوس أو فيليطيوس (٢٢٠–٢٣١)

١٢ : زبينيوس أو زبينا (٢٣١–٢٣٧)

١٣ : بابيلا أو بابيليوس الشهيد (٢٣٧–٢٥١)

---

[1] : طُرح للأسود في روما فأكلته، لُقِّب بحامل الإله وسمي بالنوراني لأنه رأى الملائكة يرتلون بجوقتين، ولذلك توجد جوقتان (كودان) للصلاة داخل الكنائس السريانية يميناً ويساراً، تيمناً به، أزال الخلاف بين المؤمنين من أصل يهودي ووثني وأطلق صفة الجامعة في الكنيسة، ترك سبع رسائل، يسبق اسمه دائماً أسماء بطاركة أنطاكية.

[2] : أول من ميز بين (الآب والابن والروح القدس) كأقانيم مستقلة للثالوث الواحد.

١٤ : فابيوس (٢٥١–٢٥٤)

١٥ : ديمتريانس (٢٥٤–٢٦٠)

١٦ : بولس الأول الشميشاطي (٢٦٠–٢٦٨) طَمَّاع، عُزِلَ لبدعتهِ

١٧ : دومنس الأول (٢٦٨–٢٧٣)

١٨ : طيمثاوس (٢٧٣–٢٨٢)

١٩ : كيرلس أو قوريليوس (٢٨٣–٣١٤)

٢٠ : تيرانوس (٣٠٤–٣١٤)

٢١ : فيطاليوس (٣١٤–٣٢٠)

٢٢ : فيليجينيوس (٣٢٠–٣٢٣)

٢٣ : بولينيوس الصوري (٣٢٣–٣٢٤) مال إلى الآريوسية

٢٤ : القديس أسطثاوس[1] (٣٢٤–٣٣٧)

٢٥ : القديس ملاطيوس[2] (٣٦٠–٣٨١)

---

[1] : نجم ورئيس مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، نُفي من قِبَل الآريوسيين وتم الاستيلاء على الكرسي سنة ٣٦٠م وأقاموا عليه ستة بطاركة آريوسيين هم، أولاليوس (٣٣١–٣٣٣م)، أوفرينيوس (٣٣٣–٣٣٤م)، فلاقيوس (٣٣٤–٣٤٢م)، اسطيفانوس (٣٤٢–٣٤٤م)، لاونطينيوس (٣٤٤–٣٥٧م)، أودوكسيوس (٣٥٨–٣٥٩م). للمزيد عنه راجع كتابنا مار أسطثاوس السرياني.

[2] : رئيس مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني سنة ٣٨١م، نُفي عدة مرات وأُقيم مكانه الآريوسي أنيناس (أزيوس) سنة ٣٦٠م، ثم عاد من المنفى وتوفي أثناء انعقاد المجمع. للمزيد عنه راجع كتابنا مار ملاطيوس السرياني العظيم.

٢٦ : فيلابيانوس الأول (٣٨١–٤٠٤)

٢٧ : فورفوريوس (٤٠٤–٤١٢)

٢٨ : الكسندروس (٤١٢–٤١٧)

٢٩ : ثاودوطس أو ثيودوتوس (٤١٧–٤٢٨)

٣٠ : يوحنا الأول (٤٢٨– ٤٤٢) تعاطف مع نسطور

٣١ : دومنوس الثاني (٤٤٢–٤٤٩) عُزل لمساندته نسطور

٣٢ : مكسيموس (٤٤٩–٤٥٥)[١]

٣٣ : بطرس الثاني القصار (٤٦٨–٤٨٨)[٢]

٣٤ : بلاديوس (٤٨٨–٤٩٨) انفصال النساطرة

٣٥ : فلابيانس الثاني (٤٩٨–٥١٢) عُزل لميله للنسطرة

---

[1] : تنازل سنة ٤٥٥م لأنه كان ميالاً لمجمع خلقيدونية، فأقام الخلقيدونيون مكانه باسيل (٤٥٦–٤٥٨م)، ثم أقاق (٤٥٨–٤٥٩م)، فمرطور (٤٥٩–٤٦٨م).

[2] : نفاه الخلقيدونيون وعينوا يوليان (٤٧١–٤٧٥م) وعاد سنة ٤٧٥م، وهو أول من أدخل قانون الإيمان سنة ٤٧٦م في الكنيسة، وأول من أدخل عبارة يا من صُلبتَ لأجلنا على التقديسات الثلاثة، نُفي ثانية فشغل مكانه يوحنا الأرثوذكسي (٤٧٦–٤٧٨م)، ويُسَمَّى يوحنا الثاني أحياناً، ولوجود بطرس القصار بطريرك شرعي حي، لم يدرج يوحنا كبطريرك مستقل، ثم أقام الخلقيدونيون اسطيفانوس الثاني (٤٨١–٤٨٢م)، فقلانديون (٤٨٢–٤٨٥م)، وأخيراً عاد بطرس القصار إلى الكرسي سنة ٤٨٥م، وفي عهده مال جاثليق المدائن آقاق للعقيدة للنسطورية.

٣٦: سويريوس الأول الكبير (٥١٢–٥٣٨)[١]

٣٧: سرجس التلي (٥٤٣–٥٤٧) عُرف بالفاضل

٣٨: بولس الثاني الإسكندري الأسود (٥٥٠–٥٧٥) مات معزولاً

٣٩: بطرس الثالث الرقي (٥٨١–٥٩١) قطعَ العلاقة مع الأقباط

٤٠: يوليان الأول (٥٩١–٥٩٥)

٤١: أثناسيوس الأول الجمَّال (٥٩٥–٦٣١) أعاد العلاقة بالاقباط سنة٥٢٠م

---

[1]: من البطاركة العظام، يلقَّب تاج السريان، متضلّع في المعرفة وله تصانيف كثيرة بالسريانية واليونانية، نفاه الخلقيدونيون سنة ٥١٨م، وبعد وفاته في المنفى في مصر بقي الكرسي شاغراً خمس سنوات إلى أن قام مار يعقوب البرادعي برسامة سرجس التلي سنة ٥٤٣م، وخلال مدة نفيه الطويلة بدأ الخلقيدونيون بالانشقاق عن الكرسي فأقاموا بولس الثاني (٥١٩–٥٢١م) وعزلوه ثم أقاموا أوفرسيوس (٥٢١–٥٢٦م)، أفرام الآمدي (٥٢٧–٥٤٥م)، ذومنس (٥٤٥–٥٥٩م)، انسطاسيوس السينائي (٥٥٩–٥٧٠م) الذي لجأ إلى القسطنطينية، غريغوريوس (٥٧٠–٥٩٣م) السينائي بعد عودته من اللجوء (٥٩٣–٥٩٨م)، انسطاسيوس الثاني (٥٩٩–٦٠٩م)، غريغوريوس الثاني (٦١٠–٦٢٠م)، انسطاثيوس الثالث (٦٢٠–٦٢٨م)، مقدونيوس (٦٢٨–٦٣١م) الذي عاد واتحد مع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وتنازل بالرئاسة لمار أثناسيوس الجمّال، وبعد موت الجمّال عاد مقدونيوس (٦٣٢–٦٤٠م) وانفصل نهائياً، وبهذا الانفصال تبدأ سلسلة بطاركة (الكنيسة السريانية الملكية أو الروم الأرثوذكس)، ولسويريوس مكانة خاصة عند الأقباط حيث عاش عندهم عشرين سنة، ويُذكر سويريوس بعد مرقس الرسول في القداس القبطي (قبل أثناسيوس)، وعندما وصل مصر كان الشعب يهتف: يا مصر رحبي بسيويريوس المبعد عن بلده، افتحي له أبوابك على مصراعيها، ولتكتظ شوارعك بالجماهير استقبالاً له، لأنه جاء إليك يستأصل تعليم نسطور.

٤٢ : يوحنا الثاني أبو السدرات (٦٣١–٦٤٨)[١]

٤٣ : ثاودور (٦٤٩–٦٦٧)

٤٤ : سويريوس الثاني بن مشقا (٦٦٧–٦٨١) كان عنيفاً وصارماً

٤٥ : اثناسيوي الثاني البلدي (٦٨٣–٦٨٦)

٤٦ : يويان الثاني الرومي (٦٨٦–٧٠٨)

٤٧ : إيليا الأول (٧٠٩–٧٢٣)

٤٨ : أثناسيوس الثالث (٧٢٤–٧٤٠)

٤٩ : إيوانيس الأول (٧٤٠–٧٥٤)[٢]

٥٠ : جرجس الأول (٧٥٨–٧٩٠)[٣]

٥١ : يوسف (٧٩٠–٧٩٢) كان ساذجاً وبسيطاً

٥٢ : قرياقس التكريتي (٧٩٣–٨١٧)

٥٣ : ديونيسيوس الأول التلمحري (٨١٧–٨٤٥) رسم ١٠٠ أسقف.

---

[1] : أول من ترجم الكتاب المقدس إلى العربية بطلب من الأمير عمير بن سعد بن أبي وقاص الذي اشترط عليه حذف عبارة ابن الله والصليب والمعمودية وما يدل على إلوهية المسيح، فقال له: حاشا لي أن أهمل حرفاً واحداً من إنجيل ربي ولئن بُترت يدي وسال دمها على القرطاس، فلما لاحظ الأمير شجاعته قال له: اذهب واكتب كما تشاء.

[2] : أول بطريرك أخذ فرمان من خليفة المسلمين مروان الثاني، لكنه سجنه بعدئذ بوشاية من المطران أثناسيوس السدلي، وبعد وفاة إيوانيس نصَّب الخليفة اسحق ثم أعدمه ونصَّب أثناسيوس السدلي، وهذا مات ميتة رذيلة، فتم انتخاب جرجس الأول.

[3] : سجنه الخليفة المنصور تسع سنوات في بغداد وأطلق سراحه سنة ٧٧٥م، وعندما خرج تلقته الرعية كملاك هابط من السماء.

٥٤ : يوحنا الثالث (٨٤٦–٨٧٣)

٥٥ : إغناطيوس الثاني (٨٧٨–٨٨٣)[١] مات مقتولاً

٥٦ : ثيوديسيوس التكريتي(رومنوس) (٨٨٧–٨٩٦)

٥٧ : ديونسيوس الثاني (٨٩٧–٩٠٩)

٥٨ : يوحنا الرابع (٩١٠–٩٢٢)

٥٩ : باسليوس الأول (٩٢٣–٩٣٥)

٦٠ : يوحنا الخامس (٩٣٦–٩٥٦)

٦١ : إيوانيس الثاني (٩٥٤–٩٥٧)

٦٢ : ديونيسيوس الثالث (٩٥٨–٩٦١)

٦٣ : إبراهيم (٩٦٢–٩٦٣)

٦٤ : يوحنا السادس سرغيتا (٩٦٥–٩٨٥)[٢]

٦٥ : أثناسيوس الرابع الصلحي (٩٨٦–١٠٠٢)

٦٦ : يوحنا السابع عبدون الملطي (١٠٠٤–١٠٣٣) استشهد منفياً في بلغاريا

٦٧ : ديونسيوس الرابع يحيى (١٠٣٤–١٠٤٤)[٣]

---

[1] : كان اسمه يشوع، وهو أول من بَدَّل اسمه في الكنيسة، واتخذ اسماً أبوياً.

[2] : سرغيتا يعني الحصيرة التي اتخذها فراشاً له لأنه كان متواضعاً وناسكاً.

[3] : عندما أنتُخب لم يستطع تبليغ مفريان تكريت ويوحنا مطران طور عبدين خوفاً من الروم، فغضبا ولم يناديا باسمه، فتنَكَّرَ البطريرك بزي راهب قوقازي وقصد تكريت ودخل يخدم عند المفريان الذي أحبه وأراد أن يرسمه مطراناً، فرفض، فألَّحَ عليه وهدده بالحرم، فاضطر للكشف عن نفسه قائلاً: "أنا هو تلميذكم البطريرك يحيى الذي أُقيم بدون رضاكم"، وبعد أن تأكد المفريان منه، اندهش وقَبَّلَهُ وسقط عند قدميه يبكي، ثم رافقه إلى طور عبدين حيث خضع له المطران يوحنا أيضاً.

٦٨: يوحنا الثامن (١٠٤٩–١٠٥٧)

٦٩: أثناسيوس الخامس عائش (١٠٥٨–١٠٦٣)

٧٠: يوحنا التاسع شوشان الملطي (١٠٦٣–١٠٧٣)

٧١: باسليوس الثاني (١٠٧٤–١٠٧٥)[١]

٧٢: ديونسيوس الخامس (١٠٧٧–١٠٧٨)

٧٣: إيوانيس الثالث (مرقس) (١٠٨٠–١٠٨٢)

٧٤: ديونسيوس (١٠٨٨–١٠٩٠)[٢]

٧٥: أثناسيوس السادس أبو الفرج آل كامرا(١٠٩١–١١٢٩) قاسي وفردي

٧٦: يوحنا العاشر ابن مودينا (١١٢٩–١١٣٧)

٧٧: أثناسيوس٧ يشوع الملطي (برقطري) (١١٣٨–١١٦٦) ضعيف الإدارة

٧٨: ميخائيل الأول السرياني الكبير (١١٦٦–١١٩٩)[٣]

٧٩: أثناسيوس الثامن بقرحا (١٢٠٠–١٢٠٧)

٨٠: يوحنا الحادي عشر يشوع الكاتب (١٢٠٨–١٢٢٠) كاتب ماهر

٨١: إغناطيوس الثالث داود (١٢٢٢–١٢٥٢)[٤]

٨٢: يوحنا الثاني ابن المعدني (١٢٥٢–١٢٦٣)

---

[1]: لتواضعه رفض أن يصبح بطريركاً، فألَّحَ عليه الأساقفة، فقطع لحيته لكي يهرب من المنصب، ولكن دون جدوى حيث نزل أخيراً عند رغبتهم.

[2]: نَصَّبَ نفسه ولم يأت بالانتخاب، لكن الأساقفة اعترفوا به رغبةً بالسلام.

[3]: من خيرة البطاركة وأشهرهم، صاحب كتاب تاريخ مار ميخائيل السرياني الذي يُعَدُّ مرجعاً عالمياً، له رسائل ومقالات كثيرة ،اشتهر ببناء الكنائس والأديرة.

[4]: أول مفريان (جاثليق) يصبح بطريركاً.

٨٣: إغناطيوس الرابع يشوع (١٢٦٤–١٢٨٢)

٨٤: فيليكسنوس الأول نمرود (١٢٨٣–١٢٩٢)

٨٥: ميخائيل الثاني (١٢٩٢–١٣١٢)[١]

٨٦: ميخائيل الثالث يشوع (١٣١٢–١٣٤٩)

٨٧: باسليوس الثالث كبريال (١٣٤٩–١٣٨٧)

٨٨: فيليكسينوس الثاني الكاتب (١٣٨٧–١٤٢١) كاتب ماهر

٨٩: باسليوس الرابع شمعون المانعي (١٤٢١–١٤٤٤)

٩٠: إغناطيوس بهنام الحدلي البرطلي (١٤٤٥–١٤٥٤)[٢]

٩١: إغناطيوس خَلف المعدني شيلا (١٤٥٥–١٤٨٣)

---

[1]: في عهده تمرد مطران ملطية ونادى بنفسه بطريركاً لكن الأكراد قتلوه، وتَمَّردَ مطران ماردين بدر زاخي وهيب ونَصَّب نفسه بطريركاً لماردين وطور عبدين، خَلَفَهُ أغناطيوس إسماعيل المارديني (١٣٣٣–١٣٦٥م)، فثلاثة بطاركة آخرين، ثم عادت واتحدت سنة ١٤٤٥م مع الكرسي الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي الشرعي الأُم، وفي عهد إسماعيل المارديني انشق عنه أغناطيوس الأول الصلحي (١٣٦٤–١٣٨٩م) وسَمَّى نفسه "بطريرك طور عبدين"، وتسلسلت البطريركية إلى سنة ١٨١٦م، حيث عادت واتحدت مع الكنيسة الأُم.

[2]: كان البطاركة يحتفظون بأسمائهم الأصلية، وفي بطريركية ماردين اتخذت عادة بتسمية البطريرك أغناطيوس تيمناً بأغناطيوس النوراني، وتولّى بهنام الحدلي بطريركية ماردين سنة ١٤١٢م باسم أغناطيوس، وعندما توحدت البطريركيتان أصبح بطريركاً لأنطاكية، ومنذ عهده لزم اللقب جميع بطاركة أنطاكية.

٩٢: إغناطيوس يوحنا ١٣ بن شي الله البرطلي (١٤٨٣–١٥٩٣)

٩٣: إغناطيوس نوح الباقوقي اللبناني (١٤٩٣–١٥٠٩)

٩٤: إغناطيوس يشوع الأول القلثي (١٥٠٩–١٥١٢)[1]

٩٥: إغناطيوس يعقوب الأول المزوق الصوري (١٥١٢–١٥١٧)

٩٦: إغناطيوس داود الأول المعدني (١٥١٧–١٥٢٠)

٩٧: إغناطيوس عبدالله الأول اسطيفان القلعتمراوي (١٥٢٠–١٥٥٧)[2]

٩٨: إغناطيوس نعمة الله المارديني (١٥٥٧–١٥٧٦)[3]

---

[1]: قيل أنه جحدَ بالمسيحية، ثم نَدِم بعدها وهرب إلى جزيرة قبرص، ومن شدة ندامته كان يجلس على باب الكنيسة واضعاً عنقه على الأرض لكي يدوسه الشعب عند دخولهم وخروجهم.

[2]: أول من قام بطبع الكتاب المقدس بالسريانية في التاريخ، وطبعه في فينا على نفقة فرديناندوس ملك رومانيا وهنكاريا.

[3]: كان طيب المعشر جداً فأحبه والي ديار بكر العثماني، وفي أحد الأيام كان البطريرك جالساً في مجلس الوالي فرفع الوالي قلنسوة البطريرك وألبسه عمامته قائلاً للحضور "ها هو بطريرك النصارى أصبح مسلماً"، فارتبك البطريرك واحتار، وعندما سمعت الرعية اتهمته باعتناق الإسلام، فترك ابن أخيه المطران داود شاه يدير الرعية وسافر محبطاً إلى روما واشترك هناك بوضع التقويم الغريغوري، ولذلك يقال إنه أصبح كاثوليكياً، ولكثرة ندمه وبكائه وصلواته على ما حصل قيل إنَّ السيدة مريم العذراء ظهرت له وطيبت قلبه، فرسم لها صورة جميلة أرسلها إلى كنيسة مريم العذراء الكبرى في ديار بكر مع جزء من عود الصليب وأوصى أن تكون وقفاً لكل بطريرك سرياني يَخلِفهُ.

٩٩: إغناطيوس داود الثاني شاه المارديني (١٥٧٦–١٥٩١)

١٠٠: إغناطيوس بيلاطس المنصوراتي (١٥٩١–١٥٩٧)

١٠١: إغناطيوس هداية الله المارديني (١٥٩٧–١٦٣٩)

١٠٢: إغناطيوس شمعون الطور عبديني (١٦٤٠–١٦٥٩)

١٠٣: إغناطيوس يشوع الثاني قمشة اللآمدي (١٦٥٩–١٦٦٢)

١٠٤: إغناطيوس عبد المسيح الأول الرهاوي (١٦٦٢–١٦٨٦)

١٠٥: إغناطيوس جرجس الثاني الموصلي (١٦٨٧–١٧٠٨)

١٠٦: إغناطيوس اسحق عازرا الموصلي (١٧٠٩–١٧٢٢)

١٠٧: إغناطيوس شكر الله المارديني (١٧٢٢–١٤٥)

١٠٨: إغناطيوس جرجس الثالث الرهاوي (١٧٤٥–١٧٦٨)

١٠٩: إغناطيوس جرجس الرابع الموصلي (١٧٦٨–١٧٨١)[1]

١١٠: إغناطيوس متي الماردينى (١٧٨٢–١٨١٧)[2]

١١١: إغناطيوس يونان الموصلي (١٨١٧–١٨١٨) صائم الدهر[3]

---

[1]: في عهده انفصل السريان الكاثوليك برئاسة ميخائيل جروة.

[2]: سُجن وكبّل بالسلاسل عدة مرات بوشاية من ميخائيل جروة وزملائه.

[3]: لشدة تقشفه وصومه الكثير لُقِّب "صائم الدهر"، وبسبب نسكه تنازل عن البطريركية، وذكر مطران مديات شمعون العرناسي (١٨٧٣–١٨٩٦م) أنه عندما كان راهباً فتح ضريح البطريرك يونان فوجد قنديله مضاءً.

١١٢: إغناطيوس جرجس الخامس الحلبي (١٨١٩–١٨٣٦) كان صارماً

١١٣: إغناطيوس إلياس الثاني هندي الموصلي (١٨٣٨–١٨٤٧) سُجن ونُفي

١١٤: إغناطيوس يعقوب الثالث القلعتمراوي (١٨٤٧–١٨٧١)

١١٥: إغناطيوس بطرس الرابع الموصلي (١٨٧٢–١٨٩٤)[١]

١١٦: إغناطيوس عبد المسيح الثاني القلعتمراوي (١٧٩٥–١٩٠٥)[٢]

١١٧: إغناطيوس عبدالله الثاني صطوف الصدي (١٩٠٦–١٩١٥)

١١٨: إغناطيوس إلياس الثالث الماريني (١٩١٧–١٩٣٢)[٣]

١١٩: إغناطيوس أفرام الأول برصوم (١٩٣٣–١٩٥٧)[٤]

---

[1]: سافر إلى لندن سنة ١٨٧٤م والتقى الملكة فكتوريا مرتين وأهدته وساماً ذهبياً، وقالت له الملكة "إني أرى صورة أبينا إبراهيم في شيبتكم"، زار الهند ونتيجة للاستقبال الحافل له من الشعب السرياني الأرثوذكسي قال الهنود الآخرون "ألعلَ القادم هو إله المسيحيين؟"، زار الإسكندرية وقابل الخديوي إسماعيل.

[2]: عُزل لأنه اختلَّ عقلياً، وفي مدة عزله استغلته الفئة المتمردة في الهند ودعته لرسامة مفريان لها، فسافر سنة ١٩١٢م ورسم لهم بطريقة غير شرعية المفريان إيوانيس بولس.

[3]: من خيرة الأحبار، قاسى الويلات خلال الحرب العالمية الأولى، سافر إلى الهند وتوفي هناك في ١٣ شباط، تُوِّج قديساً محلياً لكنيسة الهند، يُعَدُّ ضريحه مزاراً ولدى بعض الهنود عادةً بقطع مئات الكيلومترات مشياً على الأقدام لزيارته في ذكرى وفاته.

[4]: باعث مجد الكنيسة السريانية في العصر الحديث، أتقن العربية والسريانية والفرنسية وألمَّ بالإنكليزية واللاتينية والتركية واليونانية، يُعَدُّ موسوعةً ومرجعاً تاريخياً وأدبياً ودينياً عالمياً، له أكثر من أربعين مؤلفاً أشهرها اللؤلؤ المنثور، من مآثره اكتشاف زنار السيدة العذراء في كنيسة العذراء بحمص سنة ١٩٥٣م عندما كان مطراناً، حضر مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩م لطرح قضايا السريان.

١٢٠ : إغناطيوس يعقوب الثالث البرطلي (١٩٥٧–١٩٨٠)[1]

١٢١ : إغناطيوس زكا الأول عيواص (١٩٨٠– الجالس سعيداً) شمعة السريان وجوهرة الزمان.

---

[1] : لم يَفز بالانتخاب من الدورة الأولى، بل فاز مطران الجزيرة أسطثاوس قرياقس (+١٩٨٨م) بأغلب الأصوات، لكنه تنازل بسبب بعض المشاكل، فتم انتخاب يعقوب الثالث، له أكثر من أربعين مؤلفاً، يُعَدُّ مدرسة خاصة في الألحان فقد كان صوته رخيماً جداً وهو أمير الموسيقى السريانية على الإطلاق حيث ألّفَ الحان "بيث كازو"، وقد نال الأب إيلي كسرواني من لبنان شهادة الدكتوراه بدراسة ألحانه، انفتح على الكاثوليك وزار الفاتيكان ووقع بياناً مشتركاً، كان ذو شخصية قوية وحازمة نالت احترام الجميع، لكن البعض يأخذ عليه بأنه كان فردياً في قراراته، ولم يعالج مشكلة الهند بشكل صحيح، فقد صرح في الهند أنَّ مار توما الرسول شفيع الكنيسة الهندية لم يكن يملك درجة الأسقفية، مما حدا بانقسام الكثيرين، وبقرار شخصي منه وبدون الرجوع إلى المجمع المقدس أعاد العلاقة مع الأقباط سنة ١٩٦٧م بعد أن كانت مقطوعة منذ عهد البطريرك السرياني داود الثالث (١٢٢٢–١٢٥٢م)، وعقد اتفاقاً معهم هو: أن يُذكر اسم البطريركين السرياني والإسكندري أثناء القداس، ويلتزم السريان بذلك، لكن الأقباط لا يلتزمون بالاتفاق إلاَّ بوجود سريان حاضرين في القداس.

شمعة السريان وجوهرة الزمان
قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص
بابا الشرق الأنطاكي السرياني وبطريرك الكرسي البطرسي
الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع



من الأحبار السريان الأنطاكيين الأجلاء، ولد في الموصل سنة ١٩٣٣م، وأصبح مطراناً لها سنة ١٩٦٣م، ثم مطران بغداد سنة (١٩٦٩–١٩٨٠م)، وخلال هذه المدة عُيِّن مطراناً لأوربا بالوكالة سنة ١٩٧٦م، ومطراناً لإدارة السريان الأرثوذكس في استراليا سنة ١٩٧٩م، وانتخب بالإجماع في ١١ تموز سنة ١٩٨٠م بطريركاً لأنطاكية، وتم تنصيبه في عيد الصليب ١٤ أيلول ليكون خليفة الرسول بطرس المئة والواحد والعشرين.

سابق لزمانه، حَوَّل الكنيسة إلى مجمعية بعد أن كانت الفردية تتحكم فيها، وهو أول من اهتم وطَوَّرَ سلك رهبانية النساء في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العصر الحديث، متواضع جداً، قال عنه أحد أئمة المسلمين في سوريا: "إن أردت معرفة معنى التواضع، فعاشر البطريرك زكا الأول عيواص"، حائز على عدة شهادات منها، شهادة الدكتوراه في اللاهوت من جامعة نيويورك، امتيازات وحقوق الزمالة من معهد شيكاغو، دبلوم صحافة من مصر بالمراسلة، بتاريخ ١٧/١٢/ ٢٠١٠م مُنح شهادة الاستحقاق والتقدير العالي برتبة برفسور علاَّمة مُفكِّر المساوية لدرجة دكتوراه شرف أولى العالمية من جامعة الحضارة الإسلامية، تَقَلَّدَ عدة أوسمة، منها وسام مار غريغوريوس المنوَّر وهو أرفع وسام في الكنيسة الأرمنية، قَلَّده الرئيس اللبناني إلياس الهراوي وسام "الأرز الوطني من رتبة الوشاح"، يُعَدُّ أمير المسكونية في تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بلا منازع، فهو من أكثر بطاركة أنطاكية الذين سعوا إلى التقارب والوحدة المسيحية على الإطلاق، ولذلك منحه الكاردينال فرانس كونيك مؤسس جمعية برو أورينتي المهتمة بالوحدة المسيحية لقب "حامي البرو أورينتي"، زار الفاتيكان والتقى مع بابا روما يوحنا الثاني أكثر من خمس مرات وأصدر بياناً مشتركاً، حضر المجمع الفاتيكاني الثاني سنة (١٩٦٢-١٩٦٣م) بصفة مراقب وهو أول ممثل في تاريخ الكنيسة السريانية يحضر مجمع فاتيكاني، يُعَدُّ من أشد الداعمين لتوحيد عيد الفصح المسيحي وأبدى استعداده لقبول أي يوم أحد من شهر نيسان يتفق عليه الجميع، وهو القائل"لا نشعر أبداً بأننا غرباء عن إخوتنا الكاثوليك، ولا هم غرباء عنا، ولئن سُمُّوا كاثوليكاً وسُمِّينا أرثوذكساً، فهم كاثوليك أرثوذكس ونحن أرثوذكس

كاثوليك"، في سنة ١٩٩٠م أُنتخب أحد أربعة رؤساء لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وفي سنة ١٩٩٨م أُنتخب أحد سبعة رؤساء لمجلس الكنائس العالمي، وقَّعَ بياناً مشتركاً مع الكنيسة السريانية الكاثوليكية ومع الكنيسة الملكية السريانية (الروم)، وأعلن استعداده لإعادة الشركة الكنسية مع الكنائس الأنطاكية الأخرى، زار رئيس أساقفة كارنتربري في لندن، وبطريرك الأرمن والقسطنطينية وروسيا واليونان، وغيرهم.

استلم قداسة البابا الأنطاكي البطريرك زكا البطريركية الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية بثمانية عشر أبرشية، وعدد الأبرشيات السريانية في العالم اليوم أكثر من خمسين أبرشية مع الهند، رسم مفرياناً للهند وأكثر من أربعين أسقفاً ومئات الكهنة والرهبان والشمامسة، زار الهند عدة مرات ونجح في حل كثير من الخلافات الموجودة هناك وإحلال السلام فيها الى حد كبير، شَيَّد عشرات المرافق الكنسية أبرزها دير مار أفرام السرياني المقر البطريركي في صيدنايا قرب دمشق وهو صرح كنسي جميل جداً أطلق البعض عليه اسم "فاتيكان الشرق"، زار معظم الأبرشيات السريانية في العالم، له أكثر من ثلاثين مؤلفاً ترجم قسم منها إلى لغات أخرى، وعندما كان مطراناً للموصل اكتشف في الأول من أيلول سنة ١٩٦٤م قسماً من ذخائر (عظام) القديس مار توما الرسول.



دير الزعفران في تركيا مقر بطريركية السريان الأرثوذكس

(١١٦٦-١٩٣٣م)



دير مار أفرام السرياني/ صيدنايا/ دمشق / سوريا

مقر بطريركية السريان الأرثوذكس

فاتيكان الشرق

سلسلة جثالقة (مفارنة) الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية في قطيسفون (المدائن) ثم تكريت وغيرها

إنَّ معظم مؤرخي وكُتَّاب الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية والكلدانية) يدرجون سلسلة جثالقتهم (بطاركتهم) ابتداءً من فافا بن عجي الآرامي أو السرياني المتوفى سنة ٣٢٩م.

إذا أردنا أن نكون دقيقين في بحثنا، فإنَّ سلسلة الجثالقة أو المفارنة تبدأ عملياً من مار اسحق (٣٩٩-٤١٠م)، كجاثليق (مطران عام)، أمَّا فافا فكان أول أسقف للمدائن، ولم يحصل على لقب مطران، وأول من حصل على لقب مطران فقط (غير عام)، هو الشهيد مار شمعون برصابعي (٣٢٩-٣٤١م) وخلفاؤه من بعده إلى مار اسحق الذي أصبح جاثليق (مطران عام) لأول مرة سنة ٤١٠م.

هناك بعض القِلَّة الذين يدرجون أساقفة أربيل ابتداء من مار أدِّي ثم آجاي فماري...الخ، وأحياناً يدرجونها ابتداءً من مار توما الرسول ضمن سلسلة بطاركة الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية والكلدانية)، وهذا غير صحيح، لأنَّ مار توما وأدِّي وآجاي وماري لم يصلوا المدائن، وقصة مار ماري في تبشير المدائن هي أسطورة أراد من خلالها بعض آباء الكنيسة السريانية الشرقية ربط كرسي المدائن بالرسل لكي يصبح له قيمة وشرف رسولي كما مر بنا.

نحن نعلم أنَّ مدينة أربيل تأسست كأسقفية من خلال تبشير مار أدِّي وآجاي وماري، وجلس على كرسيها الأسقف فقيدا سنة ١٠٤م، خلَفه آخرون من بينهم، أبراهام، حيران، شحلوفا، وآحادأبوي المتوفى بين سنة

٢٩١ و٣١٠م، وهو العاشر في سلسة أساقفة أربيل، ثم خلَفه شريعا.. الخ، وقبل شحلوفا لم يكن في المدائن جالية مسيحية تذكر، وشحلوفا هو أول من تفقد المؤمنين فيها، ثم قام آحودابوي برفقة ثلاث أساقفة برسم فافا السرياني كأول أسقف للمدائن، وعندما أصبح فافا مطران المدائن بدأ يبسط سلطته الروحية حتى على أسقف أربيل شريعا (٣١٦م تقريباً)، فكان الأخير يراجعه في كثير من المسائل الدينية.

علماً أننا ذكرنا الجثالقة الذين كانوا يتبعون الكرسي الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي حتى انفصال الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) سنة ٤٩٧م والذين لهم علاقة بموضوع الكتاب، واختصرنا الجثالقة أو المفارنة الذين تبعوا الكرسي السرياني الأرثوذكسي فيما بعد وكالآتي:

(بين ٢٩١ و٣١٠م–٣٢٩) فافا بن عجي السرياني (الآرامي)، أول أسقف للمدائن (لم يحصل على لقب مطران)، رسمه أسقف أربيل آحودابوي، ولغروره واستبداده عُزل من منصبه في مجمع ساليق (المدائن) سنة ٣١٧م، فالتجاء إلى الآباء في أنطاكية فأعادوه حباً بسلام الكنيسة.

(٣٢٩–٣٤١) الشهيد مار شمعون برصابعي، معناه بالسرياني ابن الصباغين، أول من حمل لقب مطران المشرق لكنه لم يحمل لقب جاثليق. استشهد في نيسان ٣٤١م.

(٣٤٢–٣٤٣) الشهيد مار شهدوست، استشهد مع ١١٧ شخصاً.

(٣٤٣–٣٤٦) الشهيد مار بربعشمين، معناه بالسرياني ذو الأسماء الأربعة، استشهد بقطع رأسه مع ١٦ راهباً وشماساً.

شغور الكرسي لمدة (٤٣) سنة بسبب الاضطهاد الأربعيني الفارسي.

(٣٨٩–٣٩٥) مـار تمـوزا أو تومرصـا ، قَـوَّى الكنيـسة وجـال يـصلح مـا أفـسده الاضطهاد الفارسي.

(٣٩٥–٣٩٩) مــار قيومــا ، معنــاه بالــسرياني الوكيــل، كــان شــيخاً مــسناً وزاهداً ، تنازل عن مطرانية المشرق.

(٣٩٩–٤١٠) مــار أســحق، أول مــن حــصل علــى لقــب جــاثليق المــشرق أي مطـران عـام، كـان زاهـداً ، خلقـت لـه مـشاكل مـن قِبَـل أسـاقفته وكـاد أن يُـسجن لـولا تـدخل البطريـرك الأنطـاكي الـسرياني مـار فرفيريـوس (٤٠٤–٤١٢م) وعدد من الآباء الأنطاكيين لدى الملك يزدجر الفارسي.

(٤١٠–٤١٥) مار آحا ، معناه بالسرياني الأخ، لنسكه وتقواه أحبه يزدجر.

(٤١٥–٤٢٠) القديس مار يهبالاها ، كان ناسكاً ومعلماً ، شَيَّد كنائس.

بـين سـنة (٤٢٠–٤٢١م) اسـتولى (معنَّـا) تلميـذ النـساطرة علـى الكرسـي لكـن الأسـاقفة الأرثـوذكس عزلـوه وطـردوه، وخلَفـه فرابوبخـت لمـدة أقـل من سنة فعُزل أيضاً ، لذلك فهذان الجاثليقان غير شرعيين.

(٤٢١–٤٥٦) القديس مار داديشوع، سَجنه ملك الفرس بهرام الخامس.

(٤٥٧–٤٨٤) الـشهيد مـار بابويـه، كـان مجوسـياً واعتنـق المـسيحية، صـلَبهُ الملك فيروز.

(٤٨٥–٤٩٦) آقـاق، جـاثليق أرثوذكـسي شـرعي إلى سـنة ٤٨٧م، ثـم غـير شرعي إلى سنة ٤٩٦م، لأنه مال إلى النسطرة فعُزل.

(٤٩٧–٥٠٣م) بـابي، انفـصل إداريـاً عـن الكرسـي الأنطـاكي الـسرياني الأرثوذكـسي سـنة ٤٩٧م، وبـه تبـدأ سلـسلة الكنيـسة الـسريانية الـشرقية (النسطورية) الفعلية التي استمرت إلى يومنا هذا والتي سنذكرها لاحقاً.

أمَّا جاثليقية المشرق الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الشرعية فقد بقيت شاغرة إلى سنة٥٥٩م، وعندما زار الشرق القديس مار يعقوب البرادعي رسم الأسقف مار آحوادمة جاثليقاً للمشرق.

(٥٥٩–٥٧٥) الشهيد مار آحوادمة، معناه بالسريانية أخو أمه (لأنه كان يشبه أمه كثيراً)، هدى ابن الملك الفارسي إلى المسيحية وعَمَّدهُ وسَمَّاهُ جرجيس، استشهد بقطع رأسه في ٢ آب ٥٧٥م.

(٥٧٨–٦٠٩) قاميشوع

(٦١٤–٦٢٤) شموئيل

شغور كرسي الجثلقة أربع سنوات كان يديرها مطران دير مار متى.

(٦٢٨–٦٤٩) مار ماروثا التكريتي، معه استبدل المؤرخون السريان لقب الجاثليق بمفريان، خاصةً منذ سنة ١٠٧٥م، والمفريان كلمة سريانية معناها المثمر،وانتقل مقر المفريانية من ساليق أي المدائن إلى تكريت.

وبه استمرت مفريانية المشرق الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الشرعية، وخلَفه اثنان وسبعون مفريانـاً إلى سنة ١٨٥٩م حيث أُلغيت المفريانية بقرار مجمعي، ولظروف تاريخية انتقل مقر المفريانية من تكريت إلى الموصل وأطرافها مثل دير مار متى وبرطلة سنة ١١٥٣م، ومن أشهر المفارنة في تاريخ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية العلاَّمة المشهور ابن العبري (١٢٢٦–١٢٨٦م) الذي يُعَدُّ ويُلقَّب: دائرة معارف القرن الثالث عشر الميلادي.

استؤنفت المفريانية مرة أخرى في الهند منذ سنة ١٩١٢م وإلى اليوم.

سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) بعد انفصالها عن الكرسي الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي الأُم*

١: بابي (٤٩٧–٥٠٣)، انفصل إدارياً عن الكرسي الأنطاكي

٢: شيلا (٥٠٥–٥٢٢)

٣: نرسي إيلشاع (٥٢٤–٥٣٩)[1] إيلشاع عدة أشهر فقط

٤: بولس الأول (٥٣٩–٥٣٩) شهرين أو ثلاثة فقط

٥: آبا الأول الكبير (٥٤٠–٥٥٢)

٦: يوسف (٥٥٢–٥٦٦) عُزل وتوفي سنة ٥٧٦

٧: حزقيال (٥٦٧–٥٨١) مارس مهامه سنة ٥٧٠

٨: إيشوعياب الأول الأرزني (٥٨٢–٥٩٥)

٩: سبر يشوع الأول (٥٩٦–٦٠٤) رافق الجيش الفارسي

١٠: غريغور الأول نيسان (٦٠٥–٦٠٩) كان جشعاً

شغور الكرسي (٦٠٩–٦٢٨) بسبب ظلم كسرى الثاني

١١: إيشوعياب الثاني الجدالي (٦٢٨–٦٤٥) أرسل مبشرين إلى الصين

١٢: أمه (أميه) (٦٤٥–٦٤٩)[2]

---

* عُدِّلت ونُقِّحت السلسة في هذه الطبعة من عهد البطريرك شمعون الأول + ١٣٣٢م وإلى الأخير.

[1]: حدث خلاف بين إيلشاع صهر شيلا الذي كان قد أوصى بخلافته وبين نرسي، ومات نرسي سنة ٥٣٨م، بعده عُزل إيلشاع، ثم حذف اسم الاثنين من قوائم الرؤساء.

[2]: استقبل المسلمين بالهدايا في فتح الموصل، فساعدوه أثناء انتخابه جاثليقاً.

١٣ : إيشوعياب الحديابي الثالث (٦٤٩–٦٥٩)[1]

١٤ : كيوركيس الأول (٦٦٠–٦٨٠) عقد مجمعاً في قطر سنة ٦٧٦م

١٥ : يوحنا الأول برمتا (٦٨١–٦٨٣)

١٦ : حنان يشوع الأول الأعرج (٦٨٥–٧٠٠)[2]

شغور الكرسي (٧٠٠–٧١٤) الحجاج الثقفي يمنع إقامة جاثليق

١٧ : صليبا زخا أو زكا (٧١٤– بعد٧٢٤) عند البعض ٧٢٨م

شغور الكرسي من وفاة زخا إلى فثيون

١٨ : فثيون (٧٣١–٧٤٠)[3]

١٩ : آبا الثاني (٧٤١–٧٥١) عاش ١١٠ سنة

٢٠ : سورين (٧٥٢–٧٥٤) مشاغب، عُزل

٢١ : يعقوب (ياقو) الثاني (٧٥٤–٧٧٣)[4]

٢٢ : حنان يشوع الثاني (٧٧٥–٧٧٩) سَممهُ رجال الخليفة المهدي

---

[1] : كان نشيطاً، رتب الطقوس، طلب منه حاكم المدائن عدي بن حارث مبلغاً كبيراً لم يستطع تأمينه، فسجنه وعذبه ثم هرب إلى دير بيث عابي قرب عقرة.

[2] : مدفون في دير مار يونان (النبي يونس) في الموصل، ولا وجود لقبر النبي يونان في الدير الذي أصبح مسجداً إسلامياً فيما بعد، بل هو ضريح الجاثليق حنان يشوع الأعرج، وفي عهده اختلس الكرسي يوحنا الأبرص (٦٩١–٦٩٣م).

[3] : كان عفيفاً وفاضلاً، أُعجب به الأمير الأموي خالد بن عبدالله القسري وأحبه كثيراً، لدرجة أنه قال يوماً عن المسيحيين "إنَّ دينهم أحسن من ديننا".

[4] : سجنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وشاءت الصدف أن يكون البطريرك السرياني جرجس الأول (٧٥٨–٧٩٠م) معه في السجن.

٢٣ : طيموثاوس الأول (٧٨٠–٨٢٣)[١] نقل الكرسي إلى بغداد

٢٤ : يشوع برنون (٨٢٣–٨٢٨) كان معادياً لطيمثاوس

٢٥ : كوركيس الثاني ابن الصباح (٨٢٨–٨٣٠)

٢٦ : سبريشوع الثاني (٨٣١–٨٣٥)

٢٧ : إبراهيم الثاني المرجي (٨٣٧–٨٥٠)

٢٨ : ثيودوسيوس الأول (٨٥٣ –٨٥٨) سجنه الخليفة ٣ سنوات

٢٩ : سركيس الأول (٨٦٠–٨٧٢)

٣٠ : إسرائيل الكسكري (٨٧٧) اغتيل بعد مدة قصيرة

٣١ : أنوش جرمايا (٨٧٧–٨٨٤)

٣٢ : يوحنا الثاني بر نرساي (٨٨٤–٨٩٢)[٢]

٣٣ : يوحنا الثالث (٨٩٣–٨٩٩) كان محباً للمال

٣٤ : يوحنا الرابع ابن الأعرج (٩٠٠–٩٠٥) كان نزيهاً ورحوماً

٣٥ : إبراهيم الثالث الباجرمي (٩٠٦–٩٣٧) انتُخب بالرشوة

---

[1] : رغم الخلافات التي رافقت انتخابه وكثرة معارضيه في حياته، إلاّ أنه يُعَدُّ من أشهر رجال الكنيسة السريانية الشرقية، فقد ألّف ستة كتب وترجم أربعة وبعث أكثر من مئتي رسالة، وكان منفتحاً على الكنائس الأخرى ويحترم المذاهب الأخرى، وتجادل مع البطريرك السرياني الأرثوذكسي جرجيس الأول (٧٥٨–٧٩٠م) وأوضح له أنه لا حاجة لإعادة عماد من تعمد باسم الثالوث الأقدس مرة واحدة، وأرسل أكثر من رسول مثل فثيون وسركيس إلى دير مار متى للسريان الأرثوذكس للبحث في مخطوطات الآباء في مكتبته، وهو يذكر الدير عدة مرات في رسائله كمركز مهم للأرثوذكسية ونصوص الكنيسة وفي عهده نقل الكرسي من المدائن إلى بغداد.

[2] : يقال إنه أثناء موته بصق أحد المارة المسلمين على التابوت فأصيب على الفور بداء مرعب، ودنا من التابوت يعتذر، فزال عنه الداء.

٣٦ : عمانؤيل الأول (٩٣٨–٩٦٠)[1]

٣٧ : إسرائيل الأول الكرخي (٩٦١–٩٦١) توفي بعد مئة وعشرة أيام فقط

٣٨ : عبد يشوع جرمقيا الأول (٩٦٣–٩٨٦) عُرف بالتقوى

٣٩ : ماري بر طوبيا (٩٨٧–٩٩٩)[2]

٤٠ : يوحنا الخامس بن عيسى (١٠٠١–١٠١٢) سيئ الأخلاق وطمَّاع

٤١ : يوحنا السادس بن نازوك (١٠١٢–١٠٢٠)

٤٢ : إيشوعياب الرابع بن حزقيال (١٠٢١–١٠٢٥)

٤٣ : إيليا الأول (١٠٢٨–١٠٤٩)

٤٤ : يوحنا السابع بن الطرغال (١٠٤٩–١٠٥٧)

٤٥ : سبر يشوع الثالث زنبور (١٠٦١–١٠٧٢)

٤٦ : عبد يشوع الثاني بن العارض (١٠٧٥–١٠٩٠) مثقف وذو سيرة فاضلة

٤٧ : مكيخا الأول بن سليمان (١٠٩٢–١١٠٩)

٤٨ : إيليا الثاني بن المقلي (١١١١–١١٣١) اشتهر بالتقوى والعلم

تم اختيار سعيد الواسطي (حزيران ١١٣٢) لكنه توفي بعد ثلاثة أيام فقط

٤٩ : برصوم الأول الصوباوي (١١٣٤–١١٣٦)

٥٠ : عبد يشوع الثالث بن المقلي الموصلي (١١٣٨–١١٤٨)

٥١ : إيشوعياب الخامس البلدي (١١٤٩–١١٧٥)

٥٢ : إيليا الثالث أبو حليم (١١٧٦–١١٩٠)

٥٣ : يهباهالا الثاني برقيوما (١١٩٠–١٢٢٢) نال منصبه بالرشوة

٥٤ : سبر يشوع الرابع بر قيوما (١٢٢٢–١٢٢٥) وصل بدفع ٧٠٠٠ دينار

---

[1] : حاور الخليفة الراضي بأمور الدين، فأُعجب الخليفة به وأكرمه.

[2] : كان متواضعاً ورحيماً، لكنه كان مادياً.

٥٥: سبر يشوع الخامس ابن المسيحي (١٢٢٦–١٢٥٦)[١]

٥٦: مكيخا الثاني (١٢٥٧–١٢٦٥)

٥٧: دنحا الأول (١٢٦٦–١٢٨١)

٥٨: يهباهالا الثالث المغولي (١٢٨٢–١٣١٧) الكرسي في مراغا[٢]

٥٩: طيمثاوس الثاني (شمعون الأول) (١٣١٨–١٣٣٢) الكرسي في أربيل[٣]

٦٠: دنخا الثاني (١٣٣٢–١٣٦٥) الكرسي في كرمليس

٦١: شمعون الثاني (١٣٦٥–١٣٩٢) الموصل

٦٢: شمعون الثاني أيضاً أو الثالث أو إيليا أو اسم آخر؟ (١٤٠٣- ١٤٠٧)[٤]

٦٣: إيليا الرابع (١٤٠٩–١٤٣٧) الموصل، سنة تنصيبه غير مؤكدة

٦٤: شمعون الثالث (١٤٣٨–١٤٧٧) عاصر يشوع بن مقدام

---

[1]: كان زاهداً نشيطاً، عفيف النفس، مهتماً بالتعليم، رَسَمَ خمسة وسبعين أسقفاً.

[2]: من أصل مغولي، وذو مكانة محترمة لدى أمراء المغول، تعرض للاضطهاد حيث علقوه منكس الرأس وضربوه طالبين منه اعتناق الإسلام فرفض، فطالبوه بالمال فدفع، وفي عصره انتهى آخر وجود مسيحي في قلعة أربيل التي كانت مركزاً مسيحياً حيث تعرض المسيحيون إلى مذابح في القلعة.

[3]: له كتاب العلل السبعة في أسرار الكنيسة، وهو أول بطريرك من بيت آل أبونا الذين تَسَمَّوا باسم شمعون، والغريب في الأمر أن لا أحد يعلم من هو أبو طيمثاوس أو عائلته، وأنَّ كلمة أبونا أُطلقت لاحقاً على العائلة التي تسلسل منها الأساقفة.

[4]: هنا تداخل بين شمعون الثاني والثالث، ويبدو أنه نتيجةً للاضطرابات التي حصلت، تم رَسم بطريركين، وربما أنهما شخص واحد، فبعد دنحا الثاني وإلى شمعون الباصيدي رقم ٦٥، هناك اضطراب وتداخل كبير بأسماء وتسلسل البطاركة في مصادر التاريخ، وقسم من المؤرخين يقفزون ولا يذكرون قسماً من بطاركة هذه المدة، وربما شُغر الكرسي عشر سنوات تقريباً ١٣٩٢- ١٤٠٣م.

٦٥ : شمعون الرابع فرج باصيدي (١٤٧٧–١٤٩٧) [1]

٦٦ : شمعون الخامس (١٤٩٧–١٥٠١)

٦٧ : إيليا يوحانون الخامس دنخا (١٥٠٢–١٥٠٤) جزيرة ابن عمر

٦٨ : شمعون السادس دنحا كوريال فرج (١٥٠٤–١٥٣٨) دير هرمز ألقوش

٦٩ : شمعون السابع إيشوعياب ماما كوريال (برماما) (١٥٣٨–١٥٥٥) [2]

هنا انشق يوحنا سولاقا وأصبح كاثوليكياً وتَسَمَّى بشمعون الثامن أيضاً، خلَفَهُ عبد يشوع الجزري ويهباهالا وشمعون التاسع دنخا ...إلخ، وكما سيأتي، أمَّا النساطرة البقية فانشقوا إلى ثلاثة أقسام الشمعونيين والإيليين واليوسفيين، وقسمي الشمعونيين والإيليين كانوا كلهم من عائلة أبونا النسطورية، وبقي الإيليون واليوسفيون يتأرجحون بين النسطرة والكثلكة إلى سنة ١٨٣٠م، فكان الإيليون عموماً نساطرة، واليوسفيون عموماً كاثوليك، واتحد أغلبهم مع الكاثوليك سنة ١٨٣٠م وأصبحوا كلداناً، ولذلك أدرجنا الإيليين واليوسفيين لوحدهم، علماً أنَّ كثيراً من الكُتَّاب والمؤرخين يدرجونهم لوحدهم أيضاً، أمَّا الشمعونيون وابتداً من شمعون التاسع وخلال مئة سنة تقريباً (١٥٥٨–١٦٧٠م)، فإنهم مالوا إلى الكثلكة واختلط الأمر مع الإيليين[3]، إلى أن جاء شمعون الثالث عشر دنحا الذي قطع جميع العلاقات مع روما سنة ١٦٧٠م وعاد إلى النسطرة، واستمرت به سلسلة بطاركة النساطرة الشمعونيين الذين

---

[1] : احتمال ضعيف أنه توفي سنة ١٥٠٢م، هو الذي حصر وراثة البطريركية في عائلته.

[2] : رُسِمَ بطريركاً ولم يتجاوز عمره ثماني سنين، وسُمِّي (حنانيشوع) باسم أخيه الذي كان ولياً لعهد عمه البطريرك شمعون السادس لكنه توفي سنة ١٥٤٥م، وهذا البطريرك هو الذي حرض على قتل يوحنا سولاقا، ويُسَمَّى أيضاً (برماما).

[3] : عندما نقول مالوا إلى الكثلكة ليس المقصود كل الشعب، بل البطريرك شخصياً، وقد يكون قسم قليل من الشعب أيضاً.

سكن أغلبهم في قوجانس أو بالقرب منها، ولذلك تعتبر هذه الحقبة مضطربة في تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية)، ولهذا أعطينا شمعون الثالث عشر دنحا تسلسل (٦٩) ولم نعطِ البطاركة الشمعونيين الأربعة الذين اعتنقوا الكثلكة وهم شمعون التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر تسلسلاً مستمراً في الكنيسة النسطورية، بل أدرجناهم في سلسلة السريان الشرقيين الكاثوليك مع يوحنا سولاقا.

٧٠: شمعون الثامن أيشوعياب ماما مرقس ماما كوريال (١٥٥٥–١٥٥٨)[1]

٧١: شمعون (١٣) (دنخا) أيشوعاب دنخا يوحنان (١٦٦٢–١٧٠٠)[2]،

٧٢: شمعون (١٤) شليمون عبد المسيح دنخا (١٧٠٠–١٧٤٠)

٧٣: شمعون (١٥) ميخايل مقدسي يوحنان (١٧٤٠–١٧٨٠)

٧٤: شمعون (١٦) يونا خوشابا يوحنان (١٧٨٠–١٨٢٠)

٧٥: شمعون (١٧) أوراهام روئيل خوشابا (١٨٢٠–١٨٦٠)

٧٦: شمعون (١٨) روئيل بنيامين روئيل خوشابا (١٨٦١–١٩٠٣)

٧٧: شمعون (١٩) بنيامين إيشاي بنيامين روئيل (١٩٠٣–١٩١٨)

٧٨: شمعون (٢٠) بولس إيشاي بنيامين روئيل (١٩١٨–١٩٢٠)

٧٩: شمعون (٢١) إيشاي داود إيشاي بنيامين روئيل (١٩٢٠–١٩٧٥)[3]

---

[1]: رسمه عم أبيه شمعون السابع إيشوعياب ماما كوريال وعمره ثمان سنوات، وسمي باسم (حنانيشوع) أخو شمعون السابع الذي كان منذوراً لخلافة أخيه لكنه توفي، وهذا البطريرك هو الذي حرض على قتل يوحنا سولاقا، ويُسَمَّى أيضاً (برماما).

[2]: قَطَعَ العلاقات التي أقامها أسلافه من شمعون دنحا التاسع مع روما وعاد إلى النسطرة سنة ١٦٧٠م، واستقر في قوجانس، واستمر خلفاؤه من بعده نساطرة إلى اليوم، اسمه أيشوعاب لكنه تلقَّب باسم أبيه دنخا.

[3]: نُفي إلى قبرص واستقر في في أمريكا، ثم قُتل سنة ١٩٧٥م لأنه تزوج سنة ١٩٧٣م، وبوفاته انتهى نظام الوراثة في بيت أبونا حيث خلَفه دنخا الرابع من خارج عائلة أبونا.

منذ ٢٨ آذار ١٩٦٤م بدأت الخلافات وانشقت الكنيسة سنة ١٩٦٨م إلى: كنيسة المشرق (تقويم غربي ٢٥ كانون ١)، التي سَمَّاها بطريركهم دنحا آشورية سنة ١٩٧٦م، والكنيسة الشرقية الجاثليقية القديمة (تقويم شرقي ٧ كانون ٢) وبطريركهم توما درمو، مقره بغداد، لذلك سنعطي دنحا الرابع وكذلك توما درمو رقم (٨٠)، لأنَّ كلا الأثنين يَعدُّ نفسه السليل الشرعي والمُكمِّل لما سبقه من البطاركة.

سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية (كنيسة المشرق الآشورية)

١: (٨٠) دنحا الرابع (١٩٧٦–٢٠١٥)، شيكاغو، اختار تسمية الآشورية

٢: (٨١) كوركيس صليوا الثالث (٢٠١٦–٢٠٢٠) بغداد، استقال[1]

٣: (٨٢) آوا روئيل الثالث (٢٠٢١- لا يزال) بين بغداد وأربيل

سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية القديمة (الجاثليقية القديمة)

١: (٨٠) توما درمو (١٩٦٨–١٩٧١) مقر كرسيه في بغداد

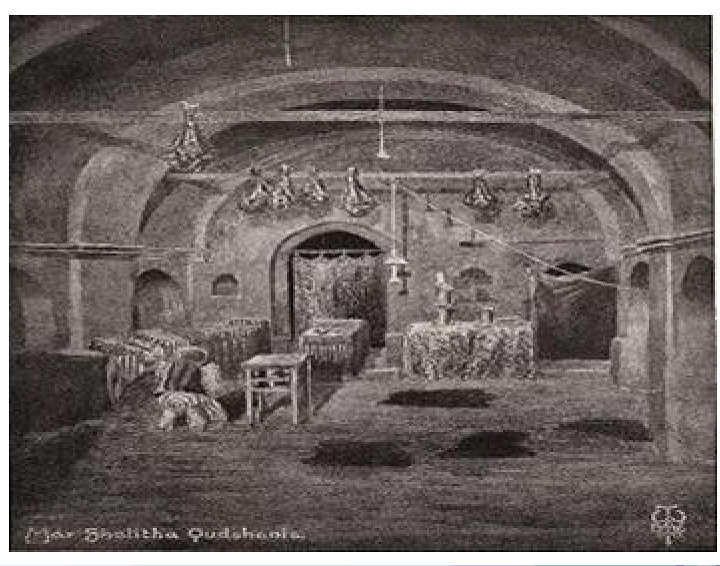
٢: (٨١) أدِّي الثاني (١٩٧١م –٢٠٢٢)[2] بغداد، رفض التسمية الآشورية

٣: (٨٢) كوركيس الثالث يونان (٢٠٢٢- لا يزال)

---

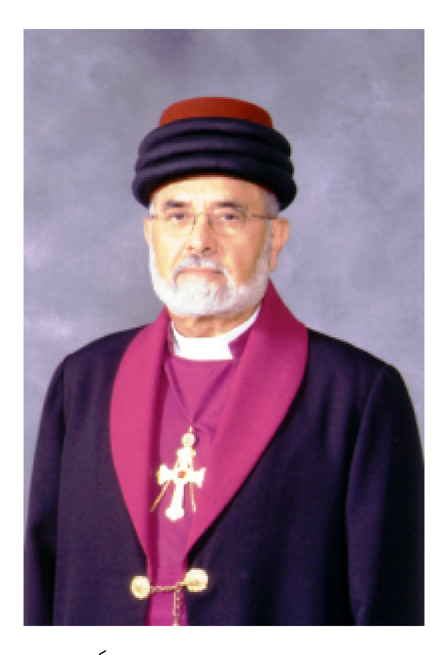
[1]: بتاريخ ٢٠١٤/٨/٢١م، وجَّهتُ رسالة للبطريرك دنحا قائلاً له: إنَّ الأسباب التي دعت سلفك إيشاي للعيش في أمريكا قد زالت، وأنت تدَّعي أنك بطريرك كنيسة آشورية، فماذا تفعل في شيكاغو، ولماذا لا تنتقل للعراق، فهل شيكاغو أرض آشور التقليدية أم شمال العراق؟، وبعد وفاته أراد مطارنة خارج العراق الترشح لمنصب البطريرك على أن يبقى مركزه في نفس أبرشيتهُ خارج العراق، وحلاً للإشكال ودفعاً للحرج، اختاروا صيغة ملتوية، فانتخبوا مطران بغداد كوركيس صليوا، ليبقى في العراق، لكنهم لم يتخذوا قراراً مجمعياً بنقل مقر البطريركية إلى العراق.

[2]: بعد وفاة البطريرك دنحا جرت محاولة إعادة الوحدة بين فرعي الكنيسة، وكان للبطريرك أدِّي مطلبان، الأول: أن يكون هو البطريرك الوحدة، والثاني: إلغاء اسم الآشورية من الكنيسة، قائلاً: إنَّ كنيستنا ضَمَّتْ أقواماً عديدة، ففشلت الوحدة.

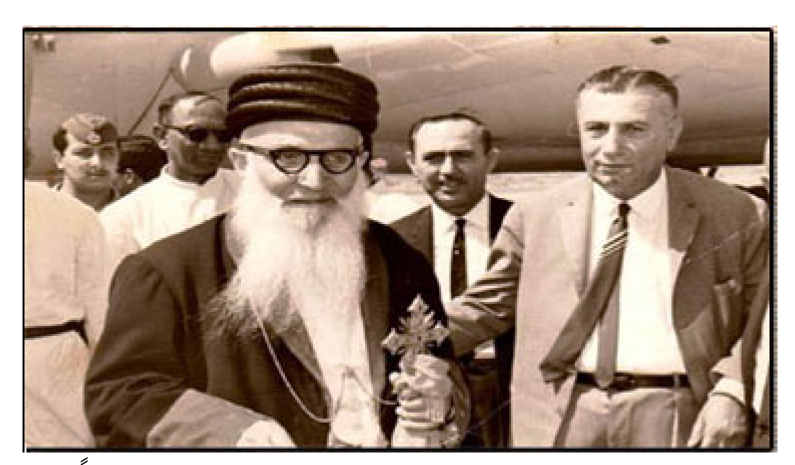




كنيسة شليطا في قوجانس مقر جاثليقية (بطريركية) الكنيسة السريانية الشرقية (النسطورية) إلى سنة ١٩٣٣م



البطريرك دنخا الرابع (١٩٧٦م– ولايزال) خلَف البطريرك إيشاي دواد
أول من ربط اسم الكنيسة الشرقية بالآشورية رسمياً في التاريخ وسَمَّاها
كنيسة المشرق الآشورية (تقويم غربي ٢٥ كانون أول)



المطران توما درمو يوم وصوله الى بغداد في ١٩٦٨/٩/٧م قادماً من الهند
لرسامته أول بطريرك للكنيسة الشرقية الجاثليقية القديمة
(تقويم شرقي ٧ كانون ثاني)

سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية
في الحقبة المضطربة بين النسطرة والكثلكة
(الجثالقة أو البطاركة المتأرجحين بين النسطرة والكثلكة)

أولاً: الإيليون الذين أقاموا في دير الربَّان هرمز في ألقوش

(جميع البطاركة الإيليون من عائلة أبونا)

١: إيليا السادس يهبالا كوركيس ماما (١٥٥٨–١٥٩١) نسطوري أرسل صورة إيمانه إلى روما سنة ١٥٨٦م، لكن روما رفضتها وعَدَّتها نسطورية.

٢: إيليا السابع إيشوعياب فرج كوريال (١٥٩١–١٦١٧)

رفضت روما إيمانه لأنه كان شبه نسطورياً، وضل مختلفاً معها بين رد وقبول حتى وفاته.

٣: إيليا الثامن حنان يشوع اسحق فرج (١٦١٧–١٦٦٠)

نسطوري أراد الاتحاد بروما ولكن بشروط نسطورية منها رفض لقب والدة الإله لمريم العذراء وعدم حذف اسم نسطور من الكتب الكنسية وغيرها، فرفضت روما ذلك.

٤: إيليا التاسع مروجين أبراهام (١٦٦٠–١٧٠٠) حاول الاتصال بروما في البداية لكن دون جدوى، فتشدد للنسطرة في النهاية.

٥: إيليا العاشر شمعون مروجين يعقوب (١٧٠٠–١٧٢٢) نسطوري

٦: إيليا الحادي عشر دنخا إبراهيم (١٧٢٢–١٧٧٨) نسطوري متشدد

٧: إيليا الثاني عشر إيشوعياب (١٧٧٨–١٨٠٤) مال للكثلكة في البداية ثم رجع للنسطرة ومات نسطورياً.



دير الربَّان هرمز/ ألقوش/ العراق

ثانياً: اليوسفيون الذين أقاموا في ديار بكر (آمد)

١: يوسف الأول (١٦٦٧–١٦٩٦)

٢: يوسف الثاني معروف (١٦٩٦–١٧١٣)

٣: يوسف الثالث (١٧١٣–١٧٥٧)

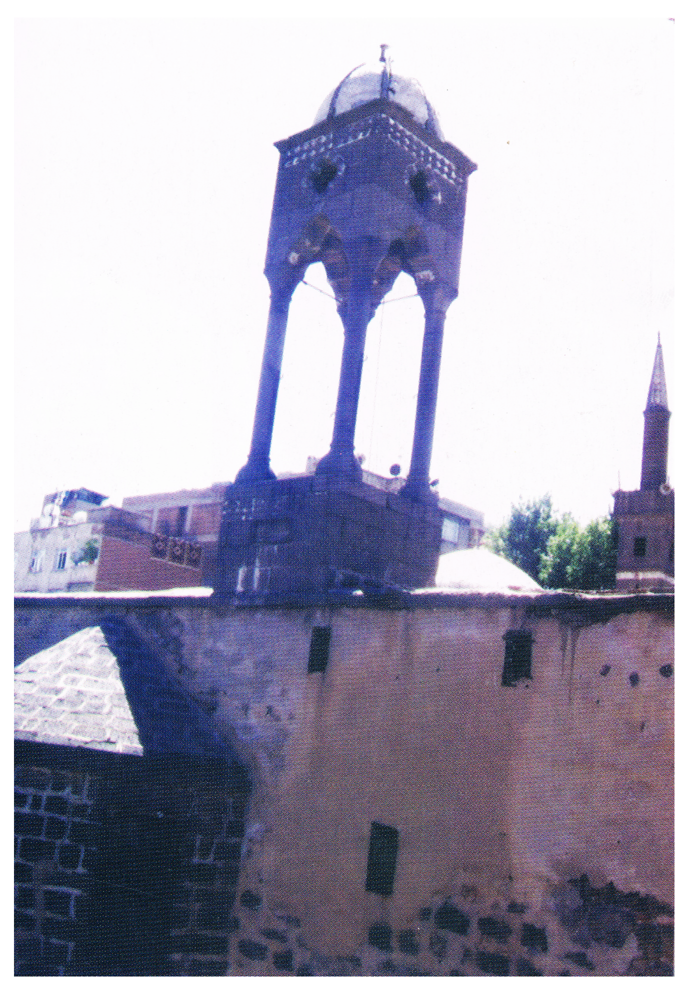
٤: يوسف الرابع (١٧٥٩–١٧٨١) استقال فدبر الكرسي أوغسطين الهندي

٥: أوغسطين الهندي (١٨٠٣–١٨٢٨)[1].



مطرانية الكلدان في ديار بكر (آمد)

[1]: نصَّب نفسه بطريركاً باسم يوسف الخامس، لكن روما لم تعترف بذلك.



كنيسة فثيون ديار بكر (آمد)

سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكاثوليكية التي انفصلت عن الكنيسة النسطورية ثم تَسمَّت فيما بعد كلدانية

الغريب في الأمر أنَّ الكنيسة الكلدانية تربط نفسها برئاسة المشرق الآشورية(النسطورية)، فمن المعروف أنَّ الكنيسة عندما تنفصل عقائدياً عن كنيسة أخرى، لا يجب أن تربط نفسها بنفس السلسلة، وإلاَّ لماذا انفصلت أصلاً؟، وما هو موقف الآباء القدامى وإيمانهم الذي يُعَدُّ هرطقياً في السلسلة الجديدة؟.

إننا نجد أنَّ آباء الكنيسة الكلدانية عندما يُسطِّرون سلسلة جثالقتهم (بطاركتهم) يربطونهم مع جثالقة الكنيسة النسطورية، وعندما يَصِلون إلى الجاثليق النسطوري شمعون السابع برماما (١٥٣٨–١٥٥٥م)، يقولون "وهنا تبدأ سلسلة ثانية مع يوحنا سولاقا"[1]، وهذا عبارة عن خلط الموضوع بحيث يصبح مموهاً.

فإمَّا أن تبقى الكنيسة على إيمانها السابق، أو تبدأ بسلسلة جديدة مع الإيمان الجديد، والأغرب من ذلك أنَّ يوحنا سولاقا وخلفائه الذين تَسَمَّوا كلداناً سنة ١٨٣٠م، اقترن اسمهم في البداية بأثور التي تعني مدينة الموصل، بينما خط النساطرة الشمعونيون والإيليون اقترن اسمهم ببابل التي تعني مدينة بغداد أو قطيسفون (المدائن)، أي أنَّ رئاسة كنيسة المشرق النسطورية الآشورية تنحدر من خط يوحنا سولاقا ولا تزال تتواصل معه، في حين أنَّ رئاسة الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية تتواصل مع

---

[1]: الأب يوسف حَبِّي، كنيسة المشرق الكلدانية – الأثورية ص ٥٩.

الخط الآخر الذي كان نسطورياً أي خط ألقوش- الموصل[1]، وهذا ما يؤكِّد كلامنا بالتداخل والاضطراب بين الكنيستين السريانيتين الشرقيتين النسطورية والكلدانية، ولذلك فقد فصَّلنا في كتابنا سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكاثوليكية التي سُمِّيت كلدانية سنة ١٨٣٠م إلى قسمين، وهو الصحيح:

أولا: سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكاثوليكية فقط (أي قبل أن تتخذ اسم الكلدان).

ثانياً: سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكلدانية الكاثوليكية منذ أن توحد اليوسفيون والإيليون الذين بقوا كاثوليكاً واتخذوا اسم الكلدان، وهي السلسلة الحقيقة والواضحة للكنيسة الكلدانيةالكاثوليكية.

[1]: المطران الكلداني لويس ساكو، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية ص ٣٦.

أولاً: سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكاثوليكية

(قبل أن تتخذ اسم الكلدان)

١: يوحنا سولاقا (١٥٥٣–١٥٥٥) ديار بكر

ويُسَمَّى شمعون الثامن أحياناً استمراراً للنهج النسطوري القديم.

٢: عبد يشوع مارون الجزري (١٥٥٥–١٥٦٧) سعرت

٣: يهباهالا أو ايثاهالا (١٥٦٧–١٥٧٩)

دبر الكرسي بالنيابة لمدة إحدى عشرة سنة، أُنتخب بطريرك ١٥٧٧م.

٤: شمعون التاسع دنحا (١٥٨٠–١٦٠٠) من عائلة أبونا، من عائلة أبونا النسطورية عاد إلى تطبيق الوراثة في البطريركية، جلس هو وخلفائه بين سلماس وأورميا.

٥: شمعون العاشر (١٦٠٠–١٦٣٨) أعاد الوراثة لعائلة أبونا

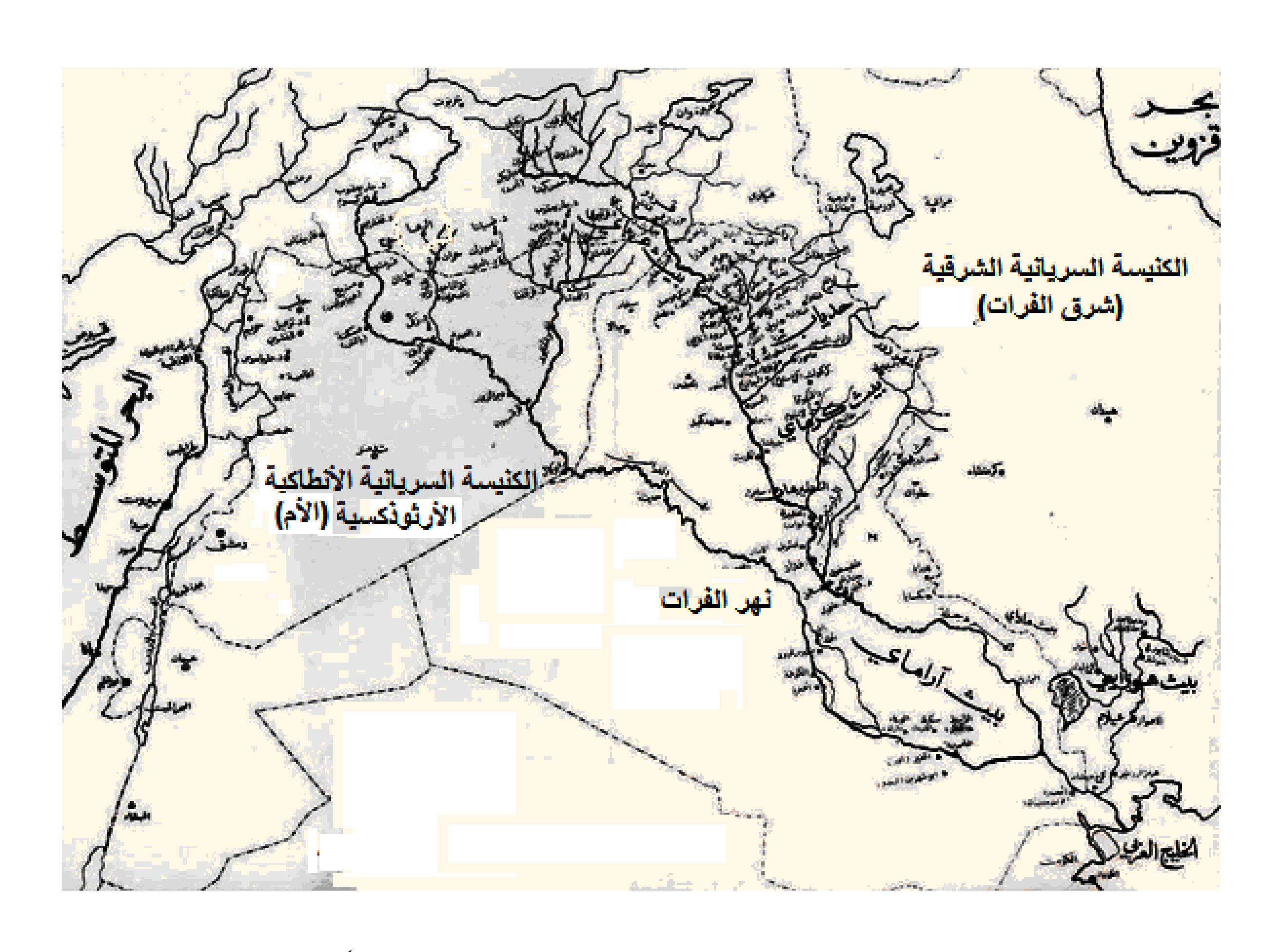
كان نسطورياً ثم قُبِل إيمانه الكاثوليكي من قِبَل روما سنة ١٦١٩م.

٦: شمعون الحادي عشر (١٦٣٨–١٦٥٦م)، في خوسرو آباد، نسطوري البداية ثم أرسل صورة إيمانه إلى روما سنة ١٦٥٣م، أورميا.

٧: شمعون الثاني عشر يوحنا (١٦٥٦–١٦٦٢م)

نسطوري البداية ثم أرسل صورة إيمانه إلى روما سنة ١٦٥٨م.

٨: شمعون الثالث عشر دنخا (١٦٦٢–١٧٠٠م) قطعَ جميع العلاقات مع روما وعاد إلى النسطرة سنة ١٦٧٠م واستقر في قوجانس، فاستلم القسم الكاثوليكي الجثالقة (البطاركة) اليوسفيون الذين أقاموا في ديار بكر(آمد).



أهم مناطق الكنيسة السريانية الشرقية تاريخياً

ثانياً: سلسلة جثالقة (بطاركة) الكنيسة السريانية الشرقية الكلدانية الكاثوليكية منذ أن تَوحَّدَ اليوسفيون والإيليون الذين بقوا كاثوليكاً واتخذوا اسم الكلدان

(السلسلة الحقيقة والواضحة للكنيسة الكلدانية الكاثوليكية)

١: يوحنا الثامن هرمز (١٨٣٠–١٨٣٨)

من عائلة أبونا النسطورية القديمة، توحد اليوسفيون والإيليون في عهده، وهو أول من مُنح لقب بطريرك بابل على الكلدان من قِبَل روما، اتخذ من مدينة الموصل مقراً ثابتاً للبطريركية.

٢: نيقولاس زيعا (١٨٤٠–١٨٤٧)

عُيَّن من قِبَل روما خوفاً من عودة الوراثة إلى عائلة أبونا، وهو أول من حصل على لقب الكلدان رسمياً من العثمانيين سنة ١٨٤٤م.

٣: يوسف السادس أودو (١٨٤٧–١٨٧٨) مؤسس الكنيسة الكلدانية الفعلي، كان نشيطاً وذكياً جداً.

٤: إيليا الثاني عشر (١٨٧٨–١٨٩٤)

٥: جرجيس عبد يشوع خياط (١٨٩٤–١٨٩٩)

٦: يوسف عمانؤيل الثاني توما (١٩٠٠–١٩٤٧)

أول من حصل على اعتراف ببطريركية الكلدان كملّة (كطائفة) من العثمانيين سنة١٩٠١م.

٧: يوسف السابع غنيمة (١٩٤٧–١٩٥٨)

٨: بولس الثاني شيخو (١٩٥٨–١٩٨٩)

٩: روفائيل بيداويد (١٩٨٩–٢٠٠٠)

١٠: عمانوئيل دلي (٢٠٠٣م – ٢٠١٢)

١١: لويس روفائيل الأول ساكو (٢٠١٣- ولا يزال)

ومنذ نهاية عهد البطريرك يوسف غنيمة وبداية عهد بولس الثاني شيخو، أقاموا في بغداد.



بطريركية الكنيسة السريانية الشرقية (الكلدانية الكاثوليكية) اليوم

بغداد/ العراق

المصادر التي اعتمدنا عليها في تأليف الكتاب

الكتاب المقدس، جمعية دار الكتاب المقدس، بيروت ١٩٩٦م.

قاموس الكتاب المقدس، طبعة دار الثقافة القاهرة ١٩٩٥م.

قداسة البطريرك أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٦م. والدرر النفيسة في مختصر أخبار الكنيسة، مطبعة السلامة، حمص ١٩٤٠م. ومنارة أنطاكية، دار الرها، حلب ١٩٩٢م.

المطران (قداسة البطريرك) يعقوب الثالث، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، مطبعة ابن العبري، دير مار أفرام السرياني، هولندا ١٩٨٩م.

المطران (غبطة البطريرك) عمانؤيل دلي، المؤسسة البطريركية في كنيسة المشرق، المكتبة الوطنية، بغداد ١٩٩٤م.

المطران اسحق ساكا، كنيستي السريانية، الطبعة الرابعة، مطبعة ميديا أربيل ١٩٨٥م.

المطران صليبا شمعون، الممالك الآرامية، دراسات سريانية طبعة حلب.

المطران أوجين منَّا الكلداني، دليل الراغبين في لغة الآراميين، مركز بابل، بيروت ١٩٧٥م.

المطران سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٨م.

المطران أدِّي شير، تاريخ كلدو و أثور، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٢م. والتاريخ السعردي المطبوع بالفرنسية والعربية.

المطران لويس ساكو، خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية، كركوك ٢٠٠٦م.

المطـران إيليـا أبونـا، تـاريخ بطاركـة البيـت الأبـوي، ترجمـة بنيـامين حـداد، الطبعة الثانية، دار المشرق ٢٠٠٩م.

المطـران ميـشيل يتـيم وأغنـاطيوس ديـك، تـاريخ الكنيـسة الـشرقية، المكتبـة البوليسية ١٩٩١م.

المطـــران أقليمـــيس يوســـف داود الموصـــلي، اللمعـــة الـــشهية في نحـــو اللغـــة الآرامية، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا ٢٠٠٨م.

المطـران يوسـف الـدبس، تـاريخ سـورية الـدنيوي والـديني، دار نظـير عبـود، سوريا ١٩٩٤م.

الخـــوري بـــولس الفغـــالي، المحـــيط الجـــامع في الكتـــاب المقـــدس والـــشرق القديم، جمعية الكتاب المقدس، المكتبة البولسية، لبنان جونيه ٢٠٠٣م.

الأب ألـبير أبونـا، تـاريخ الكنيـسة الـسريانية الـشرقية، دار المـشرق، لبنـان، الطبعـــة الرابعـــة ١٩٩٩م. وأدب اللغـــة الآراميـــة، مطبعـــة ســـتاركو، بـــيروت ١٩٧٠م. والآراميون في التاريخ، دار المشرق الثقافية، دهوك ٢٠١٠م.

الأب يوســـف حَبِّـــي، كنيـــسة المـــشرق الكلدانيـــة – الأثوريـــة، الكـــسليك، لبنان ٢٠٠١م.

الأب بطـــرس نـــصري الكلـــداني، ذخـــيرة الأذهـــان في تـــواريخ المـــشارقة والمغاربة السريان، طبعة الآباء الدومنيكان، الموصل ١٩١٣م.

الأب سـهيل قاشـا، الموصـل في العهـد الجليلـي، مكتبـة الـسائح، لبنـان، طـــرابلس ٢٠١٠م. والموصـــل في القـــرن التاســـع عـــشر، مكتبـــة الـــسائح. والموصل في مذكرات الرحَّالة الأجانب، دار الورَّاق ٢٠٠٩م.

الأب بطـرس عزيـز، كنـائس بغـداد ودياراتهـا، شـركة الـديوان للطباعـة، بغداد ١٩٩٤م. ومختصر الأخبار البيعية، بغداد ٢٠٠٠م.

الأب د.جي. سي. ساندرس، المسيحيون الآشوريون– الكلدان في تركيا الشرقية وإيران والعراق، ترجمة نافع سوما، هولندا ٢٠٠٧م.

كوركيس حنا عَوَّاد، الذخائر الشرقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩م.

رفائيل بابو إسحق، تاريخ نصارى العراق، شركة قدمس، سوريا ٢٠٠٨م.

ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية (الكلدان والسريان والآشوريون والأرمن)، مراجعة وتحقيق الأب د. يوسف توما مرقس، ترجمة نافع سوما، شركة الأطلس للطباعة، بغداد ٢٠١٠م.

ماري بن سليمان وكذلك عمرو بن متى، أخبار بطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل، طبعة روما ١٨٩٩م.

المعلم لومون الفرنساوي، مختصر تواريخ الكنيسة، ترجمة الخوري أقليميس يوسف داود الموصلي، طبعة الآباء الدومنيكان الموصل ١٨٧٣م.

جورج فليب الفغالي، موسوعة الحضارة المسيحية، نوبليس، بيروت ٢٠١٠م

الكنائس الشرقية وأوطانها، مصر، دار نوبار ٢٠٠٤م.

عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، هارموني، مصر ٢٠٠٥م.

عزت زكي، كنائس المشرق، دار الثقافة، القاهرة.

يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ٢٠٠١م.

حارث يوسف غنيمة، البروتستانت والإنجيليون في العراق، الناشر المكتبي، بغداد ١٩٩٨م.

جوزيف أسمر ملكي، النبراس في أسماء الناس، دمشق ٢٠٠٢م.

ق. ب. ماتيفييف، الآشوريون والمسألة الآشورية، ترجمة ح. د.أ، تموز ١٩٨٩م.

وليم ويكرام، مهد البشرية (الحياة في شرق كردستان)، ترجمة جرجيس فتح الله، طبعة أربيل ٢٠١٠م. ومقدمة في تاريخ الكنيسة الآشورية أو كنيسة الإمبراطورية الساسانية الفارسية، الطبعة الإنكليزية ١٩٠٩م.

نينوس نيراري، آغا بطرس، ترجمة فاضل بولا، سان دياغو ١٩٩٦م.

يوسف مالك، الخيانة البريطانية للآشوريين، ترجمة يونان إيليا يونان، دار سركون، السويد ١٩٩٥م.

هنري لايارد، البحث عن نينوى، ترجمة ميخائيل عبدالله، دار سركون، السويد ١٩٩٤م.

نور اكوبي، الطريق إلى نينوى، ترجمة د. سلسل محمد العاني، دار المامؤن، بغداد ١٩٩٨م.

كليروبيل يعقوب، سورما خانم، تحقيق الأب يوسف توما مرقس، ترجمة نافع توسا، منشورات دار هارماتن الفرنسية ٢٠٠٧م.

دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠م.

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق، بيروت ١٩٩٧م.

ول ديوارنت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت ٢٠٠٢م.

طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج١، مطبعة الحوادث، بغداد ١٩٧٣م.

الـدكتور أحمـد سوسـة، ملامـح مـن التـاريخ القـديم ليهـود العـراق، دار الفـارس، الأردن ٢٠٠١م. والعـرب واليهـود في التـاريخ، منـشورات وزارة الثقافـة والإعـلام في الجمهوريـة العراقيـة، دار الحريـة للطباعـة، بغـداد ١٩٨٠م. وتاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد١٩٨٣م.

عبـد الـرزاق الحـسني، تـاريخ الـوزارات العراقيـة، دار الحيـاة، الطبعـة الخامسة. وتاريخ العراق السياسي الحديث، دار الرافدين، بيروت ٢٠٠٦م.

جـواد علـي، المُفـصَّل في تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام، آونـد دانـش للطباعـة والنشر ٢٠٠٦م.

رشـيد الخيـون، الأديـان والمـذاهب بـالعراق، نـشر روح الأمـين، مطبعـة سبحان، بغداد.

موسوعة تكريت، بغداد ١٩٩٧م.

جـيمس برسـتد، العـصور القديمـة، ترجمـة داود قربـان، عـز الـدين للطباعـة والنشر ١٩٨٣م.

سـتيفن همـسي لونكريـك وفرانـك سـتوكس، العـراق منـذ فجـر التـاريخ حتـى ثـورة تمـوز ١٩٥٨م، ترجمـة مـصطفى نعمـان أحمـد، مكتبـة مـصر دار المرتضى، بغداد ٢٠٠٨م.

أحمـد أمـين سـليم، تـاريخ العـراق ، إيـران، آسـيا الـصغرى، الإسـكندرية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠م.

محمـد عبـد اللطيـف محمـد علـي، تـاريخ العـراق القـديم حتـى نهايـة الألـف الثالث ق.م.، الإسكندرية ١٩٧٧م.

محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، شركة نوابغ الفكر، القاهرة ٢٠٠٩م.

د. وليد حمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، سوريا ١٩٩٢م.

أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت ١٩٨٠م.

حامد عبد القادر، الأمم السامية، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٨١م.

القلشقندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د. الكتب العلمية، بيروت.

أ. دوبون سومر، الآراميون، ترجمة الأب ألبير أبونا، دار الورَّاق ٢٠٠٧م.
وأيضاً نسخة أخرى، ترجمة ناظم الجندي، دار أماني سوريا ١٩٨٨م.

علي أبو عساف، الآراميون تاريخاً ولغة وفناً، دار أماني ١٩٨٨م.

أنس محمد الدوسكي، أتباع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري ٢٠٠٦م.

عزيز سباهي، أصول الصابئة، سوريا، دار المدى الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٥م.

رحلة ريج، ترجمة بهاء الدين نوري، الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٨م.

رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمد حسين الأمين، د.ع. م ٢٠٠٦م.

رحلة سبستياني إلى العراق، ترجمة الأب بطرس حداد، د.ع. م. ٢٠٠٦م.

رحلة ديللافاليه إلى العراق، ترجمة بطرس حداد، د.ع. م. ٢٠٠٦م.

رحلة كاسبارو بالي، ترجمة الأب بطرس حداد د.ع. للموسوعات ٢٠٠٨م.

رحلة دوبريه إلى العراق، ترجمة الأب بطرس حداد، دار الورَّاق ٢٠١١م.

رحلة فريزر إلى بغداد، ترجمة جعفر الخياط، د.ع. للموسوعات ٢٠٠٦م.

رحلــة الفرنــسي تافرنييــه إلى العــراق في القــرن الــسابع عــشر، ترجمــة كوركيس عَوَّاد، د.ع. للموسوعات ٢٠٠٦م.

رحلــة هنــري بنديــه إلى كردســتان، ترجمــة الأب يوســف حَبِّــي، دار نــاراس، أربيل ٢٠٠١م.

رحــلات مــاركو بولــو، ترجمــة عبــد العزيــز جاويــد، الهيئــة المــصرية العامــة للكتاب ١٩٩٥م.

رحلة بنيامين التطلي، ترجمة عزرا حداد، دار الورَّاق ٢٠١١م.

رحلــة بنيــامين الثــاني جوزيــف إســرائيل (خمــس ســنوات في الــشرق)، ترجمــة وتحقيق سالم عيسى تولا، أمريكا ٢٠١٠م.

رحَّالة أوربيون، دار الورَّاق ٢٠٠٧م.

رحلة المنشي البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، دار الورَّاق ٢٠٠٨م.

والــس بــدج، رحــلات في ديــار مــصر وبــلاد الرافــدين، طبعــة لنــدن الإنكليزيــة١٩٢٠م. ورحــلات إلى العــراق، ترجمــة فــؤاد جميــل، مطبعــة شفيق، بغداد ١٩٦٨م.

رحلــة الهولنــدي الــدكتور ليونهــارت راوولــف في النــصف الثــاني مــن القــرن ١٦ الميلادي، ترجمة د. سليم أحمد خالد، د.ع. للموسوعات ٢٠٠٨م.

فرنــسيس وُود، هــل وصــل مــاركو بولــو إلى الــصين، ترجمــة فاضــل جتكــر، قدمس، سوريا ١٩٩٩م.

متفرقــات كــثيرة باللغــة العربيــة وعــدد مــن الكتــب باللغــة الإنكليزيــة، ذُكــر قسم منها في الكتاب، وقسم آخر منها لم يُذكر.



موفق نيسكو

ܡܘܦܩ ܢܝܣܟܘ



أُطلقت تسميات عديدة على الطوائف المسيحية السريانية من كلدان وآشوريين وآراميين أو كلدو آشوريين، وكلٌ يبرر تسميته ، حيث حصل لغط كبير حول الاسـم، إلاّ أن هذا الكتاب ينحو منحىَ آخر، حيث عمل الباحث موفق نيسكو بشمولية وجرأة في هذا الموضوع الصعب والشائك واستطاع أن يميط اللثام عن العديد من المسائل التي كانت إلى وقت قريب توضع أمامها سدود عالية لا يستطيع أحد تجاوزها.

إن إقـدام وتجرؤ الكاتـب على خوض غمار هـذا الموضوع الـذي كـان مثـار جـدال لسنوات عديدة وما زال، هو من الأمـور المهمة، إذ استطاع وبجدارة أن يلـم بكل حيثيات الموضـوع، ووضع النقاط على الحـروف، وطـرح مبررات دفاعه عن مسألة معقَدة كهذه، مستنداً عـلى عشرات الكتب والبحوث، معززاً كتابه بالملاحق والصور، مبيّناً وجهة نظره في هذه المسألـة بكل وضوح وشفافية. فتوصل إلى العديد من الحقائق الدامغة التي ضاعت ردحاً من الزمن والتي لا تقبل الشك حول الاسم المطروح، وكانت الإشارة الأخيرة إلى أنَ .....

اسم السريان هو الاسـم الحقيقي للآراميـيـن والآشوريـيـن والكلـدان

الذين يتكلمـون اللغـة السريانيـــة

د.بهنام عطاالله